المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

آراء طنطاوي جوهري الاعتقادية
من خلال كتابه
(الجواهر في تفسير القرآن الكريم)

-عرض ونقد-

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب:
عبد اللطيف أبو البشر أبو الخير تميم
الرقم الجامعي (٤٣٣٨٠٣١٠)

إشـراف فضيلة الشيخ:
د. عبد العزيز أحمد محسن الحميدي
الأستاذ المشارك في قسم العقيدة

١٤٤١هـ – ٢٠١٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

اسم البحث: آراء طنطاوي جوهري الاعتقادية من خلال كتابه (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) –عرض ونقد

نوع الرسالة: ماجستير

اسم الباحث: عبد اللطيف أبو البشر أبو الخير تميم.

مما لا شك فيه أنَّ من أشرف العلوم هو علم التفسير؛ لما له من اتصال مباشر بشرح كلام الله تعالى، والاهتمام بمقاصده، والتدبر بآياته.

ومن أجل ذلك كثرت المؤلفات في هذا الباب من العلم كثرة وافرة، وساهم في التأليف فيه علماء متنوعون قديماً وحديثا.

ومن أبرز هذه التفاسير تفسير (الجواهر في تفسير القرآن الكريم) للشيخ طنطاوي جوهري ﷺ، الذي لم يقتصر مؤلفه على القضايا الشرعية، بل جمع فيها العلوم الكونية والتجريبية والفلسفية.

وقد تطرق مؤلفه إلى كثير من القضايا العقدية والكلامية، وافق في بعضها السلف وخالفهم في تقريرات كثيرة غيرها.

ومن أجل ذلك فقد جاء هذا البحث للكشف عن الجانب العقدي للشيخ وبيان موقفه من أبرز القضايا العقدية التي تطرق إليها.

وقد اشتمل البحث على خمسة أبواب وهي كما يلي:

الباب الأول: الشيخ طنطاوي جوهري وتفسيره، وفيه ترجمة له، وذكر أحوال عصره من الناحية السياسية، والاجتماعية، والعلمية، والدينية، وبيان حياته الشخصية والعلمية، انتمائه الفكري، ومذهبه الفقهي، وذكر مصادر كتابه ومنهجه فيه.

الباب الثاني: آراء طنطاوي جوهري في مسائل التوحيد، وفيه دراسة المسائل المتعلقة بتوحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

الباب الثالث: آراء طنطاوي جوهري في مسائل النبوات مثل الإيمان بالأنبياء والرسل، والفرق بين النبي والرسول، والمعجزة والكرامة والفرق بينهما، وبعثة النبي إلى الثقلين، دراسة مسائل الغيب، مثل عالم الملائكة، والجن، والأرواح.

الباب الرابع: آراء طنطاوي جوهري في مسائل الإيمان والأسماء والأحكام والقدر.

الباب الخامس: آراء طنطاوي جوهري في مسائل اليوم الآخر، وذلك في عذاب القبر ونعيمه، وأشراط الساعة، وظهور المهدي والدجال، ونزول المسيح عيسى ابن مريم، خروج قوم يأجوج ومأجوج، أحوال يوم القيامة، والجنة والنار.

ويعد طنطاوي أحد رواد العلم التجريبي، ففي الجملة وافق طنطاوي مذهب أهل السنة والجماعة في أغلب مسائل الاعتقاد، إلا أنه قد تأثر في بعضها بمذهب الأشاعرة والمتكلمين والفلاسفة والصوفية، وتأول في بعضها بتأويلات علمية.

Abstract

Research Name: Tantawi Jawhari beliefs through his book (Aljawaher in the interpretation of the Koran)

Thesis Type: Master

Researcher Name: Abdul Latif Abu Al Bishr Abu Al Khair Tamim.

There is no doubt that Ashraf science is the science of interpretation because of its direct contact to explain the words of God, and attention to his purposes, and reflect on his verses.

To this end, the literature in this section of science abounded abundantly, and contributed to the authoring of various scholars, old and new.

One of the most prominent of these interpretations is the interpretation of (Aljawaher in the interpretation of the Koran) by Sheikh Tantawi Jawhari, may God have mercy on him, whose author was not limited to legitimate issues, but the collection of cosmic, experimental and philosophical sciences.

His author dealt with many doctrinal and verbal issues, some of which agreed to advances and disagreed in many others.

To this end, this research came to reveal the nodal aspect of the Sheikh and his position on the most prominent nodal issues he touched upon.

The research included five sections as follows:

Part I: Sheikh Tantawi Jawhari and interpretation, and a translation of it, and mentioned the conditions of his era in terms of political, social, scientific, religious, and a statement of his personal and scientific life, intellectual affiliation, and doctrinal jurisprudence, and the sources of his book and methodology.

Part II: Tantawi's views are fundamental in the issues of unification, and the study of issues related to the unification of usury, priority and names and attributes.

Part III: Tantawi's views are essential in matters of prophecy such as faith in the prophets and apostles, the difference between the Prophet and the Prophet, and the miracle and dignity and the difference between them, and the mission of the Prophet to the heavens, studying issues of the unseen, such as the world of angels.

Part IV: Tantawi's views are fundamental in matters of faith, names, provisions and destiny.

Part V: Tantawi's views are essential in the issues of the other day, and in the torment and grace of the grave, and the signs of the hour, and the emergence of the Mahdi and Antichrist, and the descent of Jesus Christ son of Mary, the exit of the people of Gog and Magog, the conditions of the Day of Resurrection, Paradise and Hell.

المقدمـــــة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [سورة النساء: ١]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾ [سورة الاحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنّ الله ﷻ أنزل على عبده ورسوله محمدٍ ﷺ هذا النورَ المبين، لِيستضيءَ به العبادُ في طريقهم ومعاشهم وأمورَ حياتهم، وليجعلوه نبراساً لهم في مدلَهماتِ الفتن والمحن، وعلى هذا سار سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين فتدبروا آياتَ الله، وفهموها، وعمِلوا بمقتضاها؛ ففازوا ونجوْ وعاشوا عيشةً هنيئة.

والأمةُ في هذا العصر في حاجة ماسةٍ ومُلِحة إلى الرجوع إلى هذا النورِ المبين، وتدبرِ معانيه وتفقهِ أحكامِه، وتعقلِ مدلولاته، والعملِ بمقتضاه، الذي هو حبلُ الله المتين، والذكرُ الحكيم، والصراطُ المستقيم.

وقد اشتغل أهلُ العلمِ من هذه الأمةِ في القديمِ والحديث ومن السلفِ والخلف بتفسير كتاب الله ﷻ والتأليفِ فيه، حتى كثرتْ كتبُ التفاسير، واختلفت طرقُ مؤلفيها ومناهجهم مع ظهور الفرقِ المخالفة لمنهج السلف، وتلونت مناهجَ مصنفيها، فتأثرتْ مصنفاتُهم ومؤلفاتُهم بما يعتقدون، فاستدلوا لما اعتقدوا بما يرونه دليلاً لهم، ورَدُوا على من خالفهم أثناءَ تفسيرهم لآيات القرآن، وبثوا أفكارهم ومشاربهم التي أشربت به قلوبُهم من خلال ذلك، وهذا واضحٌ بينٌ لكلِ من طالعَ كتبَ التفسيرِ وتأملَّ فيها.

ومن كتبِ التفاسيرِ التي أُلِفَت من نوعها في القرن العشرين "الجواهرُ في تفسيرِ القرآن الكريم" للشيخ: طنطاوي جوهري ﷺ المتوفى: عام: ١٩٤٠م، و يقعُ هذا الكتاب في ستةٍ وعشرينَ جزءاً، وقد طُبع هذا الكتابُ في حياةِ المؤلفِ مرتين؛ وقد جَمعَ علوماً كثيرةً، ومسائلَ

جمة، جَمعَ فيه المؤلفُ بين العلومِ الكونيةِ والتجريبيةِ والفلسفيةِ.....، والتي تدلُ على سعةِ اطلاعه.

وقد استوقفني خلال مطالعتي لكتابه هذا أنّ المؤلف ﷺ قد تعرَّض لكثيرٍ من مسائلِ الاعتقادِ، وافقَ في تقرير بعضها مذهبِ السلف، وفي كثير منها نحى منحىً آخرَ وجانبَ الصوابَ في تقريراتها.

ولهذا عقدتُ العزمَ – بعد استخارةِ الله ثمَّ استشارةِ أهلَ العلم والفضل – أن أجعل دراسةَ هذا التفسيرَ وآراء مؤلفِه العقدية، أطروحتي لنيل درجةِ الماجستير، في قسمِ العقيدة، بكليةِ الدعوة وأصولِ الدين، في جامعةَ أم القرى، بمكةَ المكرمة، واخترتُ لهذه الرسالة العنوانَ التالي: **آراءُ طنطاوي جوهري الاعتقادية** من خلال كتابه "**الجواهر في تفسير القرآن الكريم**" – عرضٌ ونقد– .

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره

١– الشيخ طنطاوي جوهري ﷺ سار في تفسيره الجواهر أسوةً بكافة المفسرين السابقين، منهج التفسير التحليلي، بمعنى أنه فسَّر القرآن الكريم كاملا حسب الترتيب العثماني، حيث بدأ بسورة الفاتحة، وانتهى بسورة الناس، و يُعد تفسير الجواهر أول تفسير كامل للقرآن الكريم بمصر في العصر الحديث.

٢– لقي تفسير "الجواهر" إقبالاً كبيراً عند مسلمي آسيا فيما مضى من الزمن، حيث شهد رواجاً كبيراً في الهند، وأفغانستان، وتركستان، والصين، واليابان، وبلاد الملايو، وقامت لجان مختلفة في بعض هذه البلاد بترجمته أو ترجمة أجزاء منه إلى لغاتهم المحلية، وهذا بسبب شوقهم الشديد لإنجاز نهضة إسلامية في بلادهم تضارع النهضة الكبيرة التي كانوا يراقبونها عن كَثَب تجري عند اليابانيين والصينيين والروس المجاورين لهم من جهة أخرى، والتي كانوا يُرجعونها إلى إقبال هذه الشعوب على العلوم الكونية، وتقصيرهم هم في هذا المجال بسبب النظرة الدينية الخاطئة لمنزلة العلوم واكتشاف الكون وتسخيره في الإسلام التي كان يشيعها بينهم بعض الفقهاء المقلدين، وبعض رجال الصوفية الجاهلين، لذلك فقد وجدوا في هذا التفسير الدواء الشافي الذي يتطلعون إليه للحاق بركب النهضة والتقدم الذي سبقهم إليه جيرانهم.

٣– ما يحصل للباحث من الفوائد العلمية المرجوة من بحث هذا الموضوع، من الوقوف على تفسير كتاب الله، ومعرفة آراء الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في مسائل الاعتقاد، وطريقة الرد عليهم على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

٤– على طلبة العلم والباحثين والمتخصصين في مجال العقيدة خاصة، بيان المخالفات

العقدية التي يقع فيها بعض المفسرين – رحمهم الله – في كتبهم، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال تبني مثل هذه الدراسات المتخصصة.

٥- الرغبة في البحث والدراسة عن آراء المفسرين لمسائل العقيدة، وطريقة استدلالهم فيها في كتب التفسير، واخترت من تلك التفاسير "تفسير الجواهر – لطنطاوي جوهري، لما فيه من مسائل عقدية شائكة وفوائد علمية جمّة.

الدراسات السابقة

بادئ ذي بدء لم أقف على رسالة علمية أفردت بدراسة آراء طنطاوي جوهري الاعتقادية التي تطرق إليها في تفسيره الجواهر، وإنما جلّ ما وجدت في ذلك بعض الدراسات التي تعرضت لجوهري ضمناً، أو بعض المقالات والكتابات التي تحدثت عن تفسيره ومنهجه فيه، والمآخذ التي أُخذتْ عليه في طريقة تفسيره للقرآن وخلطه بالعلوم التجريبية والفلسفية فقط، **منها:**

١- **اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر** – د. **فهد بن عبد الرحمن الرومي**.

وقد تعرض الرومي لتفسير طنطاوي جوهري، أثناء بيانه عن التفسير العلمي التجريبي، ولم يتطرق للجوانب العقدية كما صرح به ذلك.

فقال: ((ذلكم أني أبحث هنا في التفسير العلمي التجريبي، ولست أكتب عن منهج الجوهري في التفسير، فلأدع الجوانب العقدية والاجتماعية والأدبية فلأحصر صلتي به في الجانب العلمي))[(١)]

٢- **المفسرون مدارسهم ومناهجهم** – د. **فضل حسن عباس**.

وهو كذلك تطرق لتفسير طنطاوي عند حديثه عن المدرسة العلمية في التفسير.

٣- **التأويلات المعاصرة حول خلق آدم عليه السلام – د. مريم حسن تيجاني**.

وقد ناقشت الباحثة فيها رأي طنطاوي جوهري حول خلق آدم عليه السلام، ضمن التأويلات المعاصرة .

إلاّ أني وجدت في أثناء البحث رسالةً علمية في مصر، عنوانها "الآراء الاعتقادية والصوفية، للشيخ طنطاوي جوهري" قدمها الطالب/ محمد عاشور عبد اللطيف، لنيل درجة الماجستير، بكلية دار العلوم في جامعة القاهرة.

---

(١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – فهد بن عبد الرحمن الرومي، ص٦٥٢.

وبعد بحث وعناء حصلت على نسخة مصورة منها، واطلعت على هذه الرسالة وقرأت فيها، فوجدت أنّ هنالك **فروقات كبيرة بين رسالتي ورسالته:**

١- رسالته كانت لجميع آراء طنطاوي من جميع مؤلفاته، **أما رسالتي**: فكانت مركزة فقط في آراء طنطاوي من خلال ما ذكر في تفسيره فقط، لأن آخر مؤلفات طنطاوي هو تفسيره هذا، فقد حوى فيه جميع ما توصل إليه في آخر حياته من أمور، وخاصة ما يتعلق بالجانب الاعتقادي.

٢- رسالته مقصورة في الجانب الاعتقادي على قضايا ثلاث فقط، وهي: **قضايا الألوهية، وقضايا النبوات، وقضايا الغيبيات.**

أ- ففي قضايا الألوهية: تحدث المؤلف عن ثلاث مسائل فقط، وهي: مسألة طرق الاستدلال على وجود الله عند الفلاسفة والمتكلمين، واستدلال طنطاوي على ذلك، وموقف طنطاوي من الأسماء والصفات فقط.

أما في رسالتي: فقد تحدثت فيها عن مسائل التوحيد الثلاث: الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

وبينت تحت كل نوع من أنواع التوحيد مسائل عدة، لم يتطرق إليها الباحث المذكور؛ وتفصيلات ذلك موضحة في الخطة.

ب- **وفي قضايا الغيبيات:** لم يتطرق الباحث في رسالته إلى موقف طنطاوي من بعض أشراط الساعة، وأحوال يوم القيامة التي تأول فيها: كخروج المهدي، وعيسى ابن مريم عليه السلام، والحوض.

٣- وكذلك في رسالته قد غض الطرف عن أبواب الإيمان والأسماء والأحكام ومسائل القدر ، وهذا ما أشرت إليه في رسالتي وبينته بالتفصيل.

وهذا الفهرس العام من رسالته:

المقدمة.
التمهيد.
الفصل الأول: منهج الشيخ طنطاوي في دراسة مسائل العقيدة.
المبحث الأول: قواعد المنهج.
المبحث الثاني: خطوات المنهج.
المبحث الثالث: سمات المنهج ومشكلاته.
الفصل الثاني: قضايا الألوهية.
المبحث الأول: طرق الاستدلال على وجود الله عند الفلاسفة والمتكلمين.

المبحث الثاني: استدلال الشيخ طنطاوي على وجود الله.
المبحث الثالث: الأسماء والصفات وموقف الشيخ منها.
الفصل الثالث: قضايا النبوة.
المبحث الأول: ضرورة النبوة ووجه الحاجة إليها.
المبحث الثاني: المعجزة كطريق لإثبات صدق النبي.
المبحث الثالث: خصائص المعجزة والفرق بينها وبين السحر والمخترعات الحديثة.
المبحث الرابع: إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
الفصل الرابع: الغيبيات.
الملائكة.
إبليس والدجال ويأجوج ومأجوج.
الروح.
القبر والبعث والحساب.
الجنة والنار.
الشفاعة.
الفصل الخامس: الآراء الصوفية للشيخ طنطاوي جوهري.
المبحث الأول: موقف الرجل من التصوف في عصره.
المبحث الثاني: النظريات الصوفية وموقف الشيخ منها.
المبحث الثالث: الأحوال والمقامات.
المصادر والمراجع.
الفهرس العام.

خطة البحث

اشتملت الرسالة على هذه المقدمة، وتمهيد، وخمسة أبواب، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة وفيها ذكر لأهمية الموضوع وأسباب اختياره، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: وفيه ذكر كتب التفسير وأثرها في العقيدة.

الباب الأول: الشيخ طنطاوي جوهري وتفسيره، وفيه ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول:** حياة طنطاوي جوهري وعصره، وفيه ثلاثة مباحث:
  - المبحث الأول: عصره من الناحية السياسية، والاجتماعية، والعلمية، والدينية.
  - المبحث الثاني: حياته الشخصية والعلمية.
  - المبحث الثالث: انتمائه الفكري، ومذهبه الفقهي.
  - المبحث الرابع: التفسير العلمي التجريبي.
- **الفصل الثاني:** الجواهر في تفسير القرآن الكريم، وفيه مبحثان:
  - المبحث الأول: مصادره.
  - المبحث الثاني: منهجه في التفسير.
- **الفصل الثالث:** منهجه في تقرير مسائل العقيدة.

الباب الثاني: آراء طنطاوي جوهري في مسائل التوحيد، وفيه ثلاثة فصول:

- **الفصل الأول:** توحيد الربوبية، وفيه أربعة مباحث:
  - المبحث الأول: أدلة وجود الله ﷻ.
  - المبحث الثاني: تعريف التوحيد، وأقسامه.
  - المبحث الثالث: رأي طنطاوي في خلق آدم عليه السلام.
- **الفصل الثاني:** توحيد الألوهية، وفيه خمسة مباحث:
  - المبحث الأول: تعريف الألوهية في اللغة والاصطلاح.
  - المبحث الثاني: العبادة.
  - المبحث الثالث: الطاغوت.
  - المبحث الرابع: التوكل على الله.
  - المبحث الخامس: نواقض توحيد الألوهية.
- **الفصل الثالث:** توحيد الأسماء والصفات، وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: أسماء الله الحسنى.
- المبحث الثاني: قواعد في صفات الله تعالى.
- المبحث الثالث: صفات الله تعالى ﷻ مفصلاً.
- المبحث الرابع: الكرسي و العرش.

الباب الثالث: آراء طنطاوي جوهري في مسائل النبوات والغيب، وفيه فصلان:

- **الفصل الأول**: الإيمان بالأنبياء والرسل، وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: الفرق بين النبي والرسول.
- المبحث الثاني: المعجزة والكرامة والفرق بينهما.
- المبحث الثالث: بعثة النبي ﷺ إلى الثقلين.
- **الفصل الثاني**: الإيمان بالغيب، وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: عالم الملائكة.
- المبحث الثاني: عالم الجن.
- المبحث الثالث: عالم الأرواح.

الباب الرابع: آراء طنطاوي جوهري في مسائل الإيمان والأسماء والأحكام والقدر، وفيه فصلان:

- **الفصل الأول**: مسائل الإيمان والأسماء والأحكام، وفيه مبحثان:
- المبحث الأول: مسائل الإيمان.
- المبحث الثاني: مسائل الأسماء والأحكام.
- **الفصل الثاني**: مسائل القدر، وفيه تمهيد ومسائل:

الباب الخامس: آراء طنطاوي جوهري في مسائل اليوم الآخر، وفيه أربعة فصول:

- **الفصل الأول**: أشراط الساعة، وفيه أربعة مباحث:
- المبحث الأول: ظهور المهدي.
- المبحث الثاني: خروج المسيح الدجال.
- المبحث الثالث : نزول عيسى ابن مريم عليه السلام.
- المبحث الرابع: خروج قوم يأجوج ومأجوج.
- **الفصل الثاني**: عذاب القبر ونعيمه
- **الفصل الثالث**: أحوال يوم القيامة، وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: ورود الناس الحوض يوم القيامة.

- المبحث الثاني: الشفاعة.
- المبحث الثالث: الميزان.

- **الفصل الرابع**: الجنة والنار، وفيه ثلاثة مباحث:
- المبحث الأول: إثبات الجنة والنار.
- المبحث الثاني: تحديد مكان الجنة والنار.
- المبحث الثالث: أبدية الجنة والنار.

الخاتمة، وفيها ذكر أهم نتائج البحث، والتوصيات.

الفهارس، وهي على النحو التالي: فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام، وفهرس الفرق، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

منهج البحث

أبرزُ ملامحُ منهجي في البحث فيما يلي:

١- جمعت بين المنهج الاستقرائي الوصفي، وبين المنهج التحليلي النقدي:

أ- حيث قمت بقراءة تفسير الجوهري كاملاً، وتتبعت فيه المسائل الاعتقادية التي تعرَّض لها الشيخ طنطاوي في أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم، واستخرجتها من أماكنها، وعرضتها عرضاً وافياً وفق ما ورد فيه.

ب- قمت بترتيب تلك المسائل على مباحث أبواب العقيدة وفق الخطة، ثم عملت بتحليلها.

ج- قمت بعرض مذهب السلف في المسألة مدعماً بالأدلة من الكتاب والسنة، مع ذكر مجمل أقوال المخالفين فيها، ثم أذكر رأي طنطاوي في ذلك مع توجيه النقد المناسب إليه إن كان في قوله مخالفة لمذهب أهل السنة والجماعة، وقد أقدم ذكر رأي طنطاوي ثم يكون التعليق عليه.

٢- المنهج المتبع في عرض كتابة البحث والتوثيق:

أ- عزوتُ الآيات القرآنية إلى سورها، مع ذكر رقم الآية في المتن.

ب- خرَّجتُ الأحاديث من مصادرها المعتمدة، فإن كان الحديث في الصحيحين، أو في أحدهما اكتفيت بهما في التخريج، مع ذكر المصدر والكتاب والباب، ورقم الجزء والصفحة

ورقم الحديث.

ج- وإن كان الحديث عند أصحاب السنن اكتفيت بهم في التخريج، وإن كان عند غيرهم فالتخريج يكون من مظانه، وأذكر الجزء ورقم الصفحة.

د- وضعت الكلام المنقول بنصه بين علامتي التنصيص وأذكر المراجع في الحاشية، وما نقلت عنه بالمعنى أو تصرفت فيه أشير إليه في الحاشية بـ انظر أو بتصرف.

هـ- ترجمت ترجمة موجزة لمعظم الأعلام الواردة في صلب البحث فقط، دون الأعلام المذكورين في النصوص المقتبسة عن العلماء.

و- لم أترجم للصحابة لشهرة الأغلب منهم، وكذلك لم أترجم للأعلام المعاصرين، إلاَّ القليل منهم.

ز- قمت بتعريف الفرق والمذاهب الواردة في البحث تعريفاً موجزاً.

ك- ذكرت خاتمة موجزة، تتضمن فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث

ل- قمت بوضع فهارس علمية للبحث، وذلك كالتالي:

١- فهرس الآيات القرآنية، ٢- فهرس الأحاديث النبوية، ٣- فهرس الأعلام، ٤- فهرس الفرق والمذاهب، ٥- فهرس المصادر والمراجع، ٦- فهرس الموضوعات.

*** وقد مررت ببعض الصعوبات والعقبات قبل كتابة هذا البحث وأثناءه، من ذلك:**

١- قد أخذ مني جهداً كبيراً، ووقتاً طويلاً في تتبع أقوال طنطاوي جوهري في مباحث العقيدة، حيث يعد تفسيره "الجواهر" من القطع الكبير جداً، يقع في ٢٦جزاءً، وكل جزء معدل صفحاته يزيد عن ٢٥٠صفحة؛ ومعلومٌ أنَّ فيه الكثير من الأشياء التي لا تمت بصلة بالتفسير، وهذا مما يجعل القارئ والمطلع فيه؛ يفتر ويسأم من الاستمرار في قراءته بنهم واندفاع.

٢- صعوبة الوصول إلى آراءه في أبواب الاعتقاد؛ لكثرة نقول المؤلف واستشهاده بأقوال غيره - من علماء المسلمين أو الغرب - بالصفحات الطويلة؛ حتى تظن أنّ ما جاء في ثناياها من تقريراته في مسائل العقيدة، ثم تتفاجأ في آخر النقل بقوله: إنّ هذا ملخص كلام العالم الفلاني.

٣- حشر آرائه في بعض مسائل الاعتقاد؛ بين ثنايا الحديث عن العلوم النظرية والتجريبية، وبين الصور التي يستشهد بها، فلربما من الوهلة الأولى قد لا يلقي القارئ لها بالاً.

كلمة شكر وتقدير

وفي نهاية عرض هذا الموجز لا يسعني إلاّ أن أشكر الله ﷻ أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وأحمده سبحانه على ما منَّ عليَّ بفضله وكرمه أن يسر لي إتمام هذا البحث، فلله الحمد أولاً وآخرا.

ثمَّ أشكر بعد شكرِ الله ﷻ كلَّ من له فضلٌ علي في إخراج هذا العمل بهذه الصورة، وفي مقدمتهم والدايَ العزيزان، فلهما الفضل علي بعد الله ﷻ فيما وصلت إليه، فرحم الله والدي رحمة الأبرار، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة، ومتَّعَ الله والدتي متاع الصالحين.

وكما أشكر كل من أمدني برأي أو مشورة أو بفكرة، وأخصُّ بالشكر أهلَ بيتي وإخوتي الذين صبروا علي وأعانوني، فلهم مني جزيل الشكر وجميلَ العرفان.

وكما أتقدم بالشكر والامتنان لهذا الصرح العلمي الشامخ – جامعةُ أمِّ القرى – ممثلةً في كلية الدعوة وأصولِ الدين، وقسمِ العقيدة على وجه الخصوص، على ما يولونه من رعاية واهتمام بالغ بطلبة العلم.

وأخصُّ بالشكر الجزيل؛ لشيخي: فضيلة د. عبد العزيز الحميدي، على ما بذل من نصح وإرشاد، وما أفادني به من توجيهاته النيِّرة، وتصويباته السديدة، مع خلق رفيع وأدب جمَّ، فبارك الله له في علمه وعمله وعمره، فجزاه الله عني خير الجزاء.

ولا يفوتُني أن أشكر صاحبيّ الفضيلة المناقشين لهذه الرسالة الشيخين الجليلين الفاضلين.

صاحب الفضيلة: أ د. عبد الله بن عمر الدميجي، وفضيلة: أ د. سعود بن عبد العزيز العريفي، على تكرمهما وتفضلهما بقبول مناقشةِ رسالتي، فجزاهما الله عني خير الجزاء؛ ونفع بهما وبعلمهما الإسلام والمسلمين.

وأخيراً قد بذلت في هذه الرسالة قصارى جهدي ووسعي وطاقتي بما فتح الله عليَّ، فما كان فيه من صوابٍ فهو بتوفيق الله علي، وما كان من خطأ فأستغفر الله منه.

وفي الختام: أسأل الله جلَّ في علاه أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصا، وأن يرزقنا الإصابة والتسديد في القول والعمل، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين

التمهيد

التمهيد

القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع عند المسلمين، يتلقون منه العقائد والأحكام، فهو حبل الله المتين، والذكر الحكيم، وصراطه المستقيم، من اعتصم به نجا، ومن أعرض عنه هلك، ولا يمكن للعبد الاعتصام به إلاَّ بفهم معانيه ومقاصده، وتدبر آياته، والعمل بما جاء فيه.

ولذلك حرص المسلمون منذ عهد النبوة على العناية والاهتمام بتفسير هذا الكتاب المبين، وفهم معانيه ومدلولاته، آخذين ذلك عن النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلاَّ وحيٌ يوحى، ثم تلقى الخلف عن السلف هذه الشروح والتفاسير لآيات القرآن الكريم؛ إلى أن انقضت القرون الثلاثة الأولى المفضلة، متبعين في ذلك ما أثر عن الرسول ﷺ في تفسير آيات القرآن، وما فهم منه الصحابة بمقتضى اللغة والتدبر، فكانوا يتناقلون هذه التفاسير بطريقة الرواية، فالصحابة يروون عن رسول الله ﷺ، والتابعون يروون عن الصحابة ﷺ، وهكذا، وهذا ما عرف فيما بعد بالتفسير بالمأثور.

ظلّ الأمر على ذلك إلى أن جاء عصر التدوين، حينها فقد انتقل التفسير إلى مرحلة أخرى، حيث اختلط فيه الفهم العقلي بالتفسير النقلي، ومع ظهور البدع والمعتقدات المنحرفة في دين الله، برزت معتقدات الفرق المخالفة لمنهج السلف، وأصبحت هذه المعتقدات الفاسدة تتغلغل في بطون الكتب الإسلامية – فروعها وأصولها — إلى أن دخلت تلك المعتقدات المنحرفة في كتب التفسير عن طريق أصحابها.

وبعد ذلك أصبحت كل فرقة من الفرق المخالفة لمنهج السلف تؤلف في علم التفسير، غير أنَّ هذه المؤلفات لا تشابه مؤلفات السلف في التفسير، فقد اختلفت طرق مؤلفيها، ومناهج مصنفيها، فتأثرت مصنفاتهم ومؤلفاتهم بما يعتقدون، وأولو النصوص وحرفوها على مشاربهم ومناهجهم المنحرفة، وحاولوا الرد على مخالفيهم أثناء تفسيرهم لآيات القرآن، وبثوا أفكارهم ومشاربهم التي أشربت به قلوبهم من خلال ذلك.

بهذا فكل فرقة من الفرق – المخالفة لمنهج السلف – فسرت القرآن على أهوائها، وبذلت ما في وسعها إثباتَ ما تعتقده ولو كان مخالفاً للشرع والعقل واللغة، وما ذاك إلاّ لبعدهم عن الكتاب والسنة ومنهج سلف الأمة، ولاعتمادهم كذلك على العقل وتقديمهم على

النقل، وإدخالهم علوم الفلسفة[١]، والمنطق[٢] وما أشبه ذلك من العلوم النظرية والتجريبية كما هو الحال عند المعاصرين.

ومن هذه الفرق التي اشتهرت وانتشرت مقالاتها في كتب التفسير، الفلاسفة[٣]، والشيعة[٤]، والخوارج[٥]، والمعتزلة[٦]،

---

(١) هي كلمة يونانية؛ معناها: محبة الحكمة، مركبة من: فيلا وسوفا، وفيلا هو المحب، وسوفا: الحكمة، أي هو محبة الحكمة، وتطلق على العلم بحقائق الأشياء، والعمل بما هو أصلح، وعرفها ابن سينا، بقوله:إنها الوقوف على حقائق الأشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه. انظر الملل والنحل – للشهرستاني (١١٦/٢)، والمعجم الفلسفي (١٦٠/٢).

(٢) هو علم عملي آلي، أو هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات. انظر التعريفات – للجرجاني ص ٢٣٢، ومقدمة ابن خلدون (١٨٦/٢).

(٣) الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها، وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء، ولم يذهب إلاَّ إلى ما يقتضيه العقل في زعمه.
وأخص من ذلك: أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو، ومن آرائهم: القول بقدم العالم، وإنكار علم الله بالجزئيات، والقول بالفيض، وإنكار النبوات، وإنكار البعث الجسماني، وغيرها من المسائل. انظر الملل والنحل- للشهرستاني (١١٦/٢) وإغاثة اللهفان – لابن القيم (٢/ ١٠١٩).

(٤) هم الذين شايعوا عليا ﷺ على الخصوص. وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا، وإما خفيا. واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده. انظر مقالات الإسلاميين – لأبي الحسن الأشعري ص٥، والملل والنحل- للشهرستاني (١٤٦/١)، والفصل في الملل والنحل – لابن حزم (٩٠/٢).

(٥) هم تلك الطائفة التي خرجت على علي ﷺ إثر قبوله التحكيم، ومن تبعهم في أفكارهم ومعتقداتهم، ثم أصبحت تطلق: على كلُّ من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان. ومن عقائدهم: تكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار في الآخرة. انظر مقالات الإسلاميين – لأبي الحسن الأشعري ص٨٦، الملل والنحل- للشهرستاني (١١٤/١).

(٦) هم اتباع واصل بن عطاء الغزال، وسبب تسميتهم بهذا الاسم: أنَّ واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري عندما سئل عن حكم صاحب الكبيرة، فقال، واصل إنه ليس بمؤمن ولا كافر فهو في منزلة بين المنزلتين، وهم فرق كثيرة لكل فرقة آراء تميزت بها، لكن اتفقوا على أصول خمسة هي: التوحيد، والعدل والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهم تفسيراتهم المنحرفة لهذه الأصول. انظر مقالات الإسلاميين– لأبي الحسن الأشعري ص١٥٠، والملل والنحل – للشهرستاني (٤٣/١)، والفرق بين الفرق – للبغدادي ص١٥- ٩٤، والتنبيه والرد – للمَلَطي ص٣٦، ومعجم ألفاظ العقيدة – عبد الله فالح ص٢٧٨.

والأشاعرة[1]، والصوفية[2]، وأصحاب التفاسير العلمية في العصر الحاضر، وغيرها مما كان لهم تأثير على معتقدات أصحابها وآرائهم ومن تبعهم على ذلك.

والمقصود أنّ هذه التفاسير – التي فسر أصحابها الآيات القرآنية بناءً على مذاهبهم ومقالاتهم التي انطلقوا منها – أثرت على معتقدات من تبعهم من الناس خاصة، وعلى من قرأ في تفاسيرهم من عوام المسلمين عامة لجهلهم وعدم إلمامهم عن منطلقاتهم الاعتقادية والفكرية المنحرفة.

ولهذا يجدر بنا الإشارة إلى بعضٍ من هذه التفاسير كبراهين وشواهد على إقحامهم الاعتقادات الزائغة التي أُشربت بها نفوسهم في تفسيرهم للقرآن، وليدرك المتلقي كذلك مدى تأثيراتها السلبية على عقائد المسلمين.

أولاً: التفسيرات الفلسفية لآيات القرآن الكريم، ويكون ذلك إما بالتأويل بحيث يلوي النصوص الشرعية على تفسيراتهم الفلسفية؛ حتى تساير وتتماشى مع طريقتهم، وإما بشرح النصوص الدينية والحقائق الشرعية بالآراء والنظريات الفلسفية.

مثال ذلك: ما جاء في رسائل إخوان الصفاء، قوله: ((واعلم بأن الأفلاك تسعة؛ سبعة منها هي السموات السبع، وأدناها وأقربها إلينا فلك القمر وهي السماء الأولى، ثم من ورائه فلك عطارد وهي السماء الثانية، ومن ورائه فلك الزَهرة وهي السماء الثالثة، ثم من ورائه فلك الشمس وهي السماء الرابعة، ومن ورائه فلك المريخ وهي السماء الخامسة، ومن ورائه فلك المشترِي وهي السماء السادسة، ثم من ورائه فلك زحل وهي السماء السابعة،...وأما الفلك الثامن وهو فلك الكواكب الثابتة الواسع المحيط بهذه الأفلاك السبعة، فهو الكرسي الذي وِسَع السموات والأرض، وأما الفلك التاسع المحيط بهذه الأفلاك الثمانية فهو العرش العظيم الذي

---

(١) هي إحدى الفرق الكلامية، تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري في مرحلة ما بعد رجوعه عن الاعتزال، ومن أبرز عقائدهم: أنهم يثبتون لله سبع صفات فقط، وينفون ما عداها، وأنّ الإيمان هو التصديق فقط، والقول بالكسب في القدر. انظر الملل والنحل- للشهرستاني (٩٤/١).

(٢) هي طائفة من أهل البدع، تنتحل الزهد والتعبد، وسميت بذلك، لكثرة لبسهم الصوف، وهم طوائف شتى يجمعهم الزهد البدعي، والتعبد بما لم يشرع من الرقص والوجد والاحتفالات، ومنهم من وقعوا في عقائد كفرية، وأعمال شركية، وقيل: أنّ لفظ " الصوفية "لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، لكن الأحوال الصوفية مثل الزهد والمجاهدة كانت موجودة منذ عهد النبي ﷺ تمثلت في أهل الصفة، لذلك ذهب بعضهم إلى أنه مشتقٌ من الصفة. انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – فخر الدين الرازي ص٧٢، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥/١١)، والإنسان الكامل في الفكر الصوفي – د. لطف الله خوجة ص٨٣.

يحمله فوقهم يومئذ ثمانية، كما قال الله ﷻ))[1]، وهذا هو التفسير الفلسفي لقوله تعالى: ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة:١٧].

وابن سيناء[2] **الفيلسوف** كذلك فسّر الآيات القرآنية بلون من هذا التفسير، **مثال ذلك:** قال في الآيات التي وردت في إثبات رؤية الله المؤمنين في الجنة، ومفارقة روح المؤمن عن جسده: ((وأما إذا كانت النفس زكية في ذاتها غير أليفة لعادات السوء، متعهدة... فإنها إذا فارقت اتصلت بالفيض الإلهي عند سدرة المنتهى تحت عرش الرحمة، وفي جواره وفي عالمه الأولى، ناظرة إلى ذاتها كما قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٣].وقد انكشف لها جميع الحقائق، ...ثم الشأن الأعظم والسعادة الكبرى التي تنالها هناك؛ ارتفاع الوسائط بينها وبين معشوقها ومعشوق جميع الموجودات....))[3].

ثانياً: ومن صور تلك التفاسير، تفسيرات الشيعة لبعض الآيات القرآنية على أهوائهم ومشاربهم الاعتقادية: كما نسب إلى الحسن العسكري[4] في التفسير المنسوب إليه في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ﴾ [البقرة:٨]، ((الذي أمرك بنصب علي إماماً، وسائساً لأمتك ومدبراً، ﴿وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨]، بذلك لكنهم يتواطأون على إهلاكك وإهلاكه، ويوطنون نفسهم على التمرد على علي عليه السلام إن كانت بك كائنة))[5].

ثالثا: ومن تفسيرات الخوارج التي فسروها على بدعهم ومعتقداتهم: ما قال أحد مفسريهم في قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ

---

(١) رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء (٢/٢٥) – مراجعة خير الدين الزركلي، ن: مؤسسة هنداوي للنشر، عام: ٢٠١٧م.

(٢) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، وأصله بلخيّ، ومولده ببخارى، صاحب التصانيف الكثيرة في الفلسفة، والطب، وقد صنّف كتاب الشفاء في الحكمة، والنجاة، والإشارات، والقانون، وغيرها. انظر شذرات الذهب (٥/ ١٣٥).

(٣) رسائل ابن سيناء ص١٧، ن: دائرة المعارف العثمانية، ط: الأولى، ١٣٥٤هـ.

(٤) هو أبو القاسم: محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق العلوي الحسيني الذي تلقبه الرافضة بالخلف وبالحجة، وبالمهدي، وبالمنتظر، وبصاحب الزمان، وهو خاتمة الاثني عشر إماما عندهم، ويلقبونه أيضا بالمنتظر، فإنهم يزعمون أنه أتى السرداب بسامرا فاختفى، وهم ينتظرونه إلى الآن، انظر شذرات الذهب (٣/ ٢٨٢)، وسير أعلام النبلاء (١١٩/١٣).

(٥) التفسير المنسوب إلى الإمام محمد الحسن بن علي العسكري، ص١٢٠، ت: مؤسسة الإمام المهدي، ط: الثانية.

﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، قوله في الآية: ((لا دليل في الآية على جواز المغفرة لصاحب الكبيرة الميت بلا توبة منها، كما زعم غيرنا))[١].

رابعاً: ومن تفسيرات المعتزلة: قول الزمخشري[٢] في تأييده لمذهبه الاعتزال، ولأصولهم الخمسة التي بنوا عليها عقائدهم، وقولهم في صاحب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها مصيره نار جهنم يكون مخلداً فيها ، وهذا ما قال به في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]، ((فإن قلت: هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر؟ قلت: ما أبين الدليل وهو تناول قوله: ومن يقتل أيُّ قاتل كان، من مسلم أو كافر، تائب أو غير تائب، إلاَّ إنّ التائب أخرجه الدليل. فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله))[٣].

خامساً: التفسيرات الصوفية لآيات القرآن: ومن ذلك ما قاله ابن عربي[٤] القائل بوحدة الوجود في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩٠]، ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ في جميع الأحوال، وعلى جميع الهيئات ﴿قِيَٰمًا﴾ في مقام الروح بالمشاهدة ﴿وَقُعُودًا﴾ في محل القلب بالمكاشفة، ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ أي: تقلباتهم في مكان النفس بالمجاهدة ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ﴾ بألبابهم، أي: بعقولهم الخالصة عن شوب الوهم ﴿فِى خَلْقِ﴾ عالم الأرواح والأجساد. يقولون عند الشهود ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ الخلق ﴿بَٰطِلًا﴾أي: شيئاً غيرك، فإنَّ غير الحق هو الباطل، بل جعلته أسماءك ومظاهر صفاتك ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾ ننزهك أن يوجد غيرك))[٥].

---

(١) هميان الزاد إلى دار المعاد – محمد بن يوسف الإباضي، (٤٦٢/٣)، ط: الثانية، ١٤١٥هـ.

(٢) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد، الزمخشري، الخوارزمي، النحوي، صاحب الكشاف، و المفضل، كبير المعتزلة. توفي في خوارزم عام: ٥٣٨ هـ. انظر سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠).

(٣) الكشاف – للزمخشري (٥٥٢/١).

(٤) هو أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ابن عربي، ويقال: ابن العربي، فيلسوف، من أئمة المتكلمين، توفي سنة: ٦٣٨ هـ، يقول الذهبي فيه: قدوة القائلين بوحدة الوجود، له مؤلفات منها: الفتوحات المكية، وفصوص الحكم، ومفاتيح الغيب، وغيرها. انظر شذرات الذهب (٣٣٢/٧)، والأعلام للزركلي (٢٨١/٦).

(٥) تفسير ابن عربي (١٣٤/١).

سادساً: ومن ذلك كذلك ما يسمى بالتفسير العلمي، ويندرج تحته "تفسير الجواهر لطنطاوي جوهري"؛ الذي نحن بصدده في هذا البحث، ويتضح هذا الأمر جلياً بين وأبوابه وفصوله.

والشاهد من هذه الأمثلة التي أوردناها لتلك التفاسير المخالفة لمراد الله ومراد رسوله ﷺ هو أن نبين أنّ مذاهبهم العقدية أثرت على تفسيرهم للنصوص الشرعية وأخرجتها عن مقصودها الصحيح إلى اعتقادات باطلة، وأصبحت مؤلفاتهم في التفسير بهذه المناهج منتشرة ولها أتباع يدافعون عنها رغم ما فيها من باطل، ففسدت عقيدة الكثير من أتباعهم[1].

(١) انظر بإسهاب عن نشأة تفسير الفرق المبتدعة في التفسير والمفسرون – د. محمد حسين الذهبي (٢٥٨/١)، اتجاهات التفسير – للرومي، وله أيضاً منهج المدرسة العقلية في التفسير، والبيضاوي وآراؤه الاعتقادبة – شريفة المالكي، رسالة جامعية.

الباب الأول

الشيخ طنطاوي جوهري وتفسيره

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: حياة طنطاوي جوهري وعصره.

الفصل الثاني: الجواهر في تفسير القرآن الكريم.

الفصل الثالث: منهجه في تقرير مسائل العقيدة.

الفصل الأول

حياة طنطاوي جوهري وعصره

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عصره من الناحية السياسية، والاجتماعية، والعلمية، والدينية.

المبحث الثاني: حياته الشخصية والعلمية.

المبحث الثالث: انتمائه الفكري، ومذهبه الفقهي.

المبحث الرابع: التفسير العلمي التجريبي.

المبحث الأول: عصره

الفترة الزمنية التي عاش فيها طنطاوي جوهري ﷺ كانت حافلة بالأحداث التاريخية والنزاعات السياسية، وكثرت فيها القلاقل والحروب، وبرزت فيها الخلافات بين الدول في شتى أقطار العالم حتى وصل تأثير ذلك إلى العالم الإسلامي.

فقد طمع الغرب في بلاد المسلمين لمواقعها الاستراتيجية والاقتصادية، ولما في أراضيها من ثروات وموارد طبيعية وحيوانية وزراعية.

لذا بدأ الغرب بالزحف على ديار المسلمين بكل ما أوتوا من قوة لنهب خيراتها وبسط النفوذ عليها، وللسيطرة على زمام أمور تلك البلاد، لما تتميز به بعض هذه البلاد الإسلامية من مواقع استراتيجية،حيث تعتبر نقطة العبور للمواصلات البحرية بين قارات العالم، فالاستيلاء على هذه البلدان كان هدفهم المنشود لأنهم من خلالها يمكنهم السيطرة على العالم اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً، وكان في مقدمة هذه البلاد المسلمة أرض مصر.

إذ انكب الغرب عليها انكبابا وتصارعوا لأجل بسط نفوذهم عليها، فاحتلت مصر في زمن طنطاوي جوهري ﷺ من قبل الانجليز وقبلهم الفرنسيين، وتعددت فيها النزاعات الفكرية بين علماء الأمة، وتطور العلم الحديث في عصره، واهتم جلّ علماء مصر دراسة الثقافة الغربية، ونظروا إليها نظرة المغلوب للغالب لما عنده من التقدم في الصناعات والعلوم الطبيعية والتجريبية.

وانفتح العالم في عصره كذلك واتصل الشرق بالغرب، وتغيرت الحالات الاجتماعية والعلمية والدينية نتيجة هذه التغيرات والأحداث المتسارعة التي حدثت في تلك الحقبة من الزمن.

فلذا ينبغي على الباحث – قبل طرحه لآراء وأفكار أيِّ شخصية كانت –، دراسة البيئة والمجتمع الذي عاش فيه، والعوامل الخارجية التي أثرت في تلك الشخصية وفي أفكارها ومعتقداتها ومنهج حياتها.

وهذا ما سنشير إليه في هذ المطلب من خلال أربع مسائل:

المطلب الأول: الناحية السياسية في عصره :

كانت الحالة السياسية في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادية مضطربة كثيرة في أغلب

بلاد المسلمين، وخاصة مع ضعف الدولة العثمانية، وفي داخل مصر آنذاك كان التناحر والصراع أكثر من غيرها لأجل السيطرة عليها، وبث النفوذ فيها مما أوصلها إلى حال مزرية من الضعف والهوان[(١)].

أولاً: الغزو الفرنسي:

واجهت مصر وشعبها وحدهما أول اعتداء غربي مسلح على البلاد في العصر الحديث، ففي أواخر القرن الثامن العشر الميلادي عام/١٧٩٨م دخل نابليون[(٢)] الفرنسي أرض مصر بعدته وعتاده، ودخلت الخيول الفرنسية الأزهر، وأعمل الجند السيف في طلبته وشيوخه، ونهبت الكتب، ومزقت كثيراً من التراث الإسلامي، ثم اتخذ الجنود من المسجد الجامعة إسطبلاً للخيل، وأذل العلم والعلماء ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، إلاَّ أنَّ هذا الاحتلال لم يدم طويلاً[(٣)].

وقد تصدى لهذا الاحتلال الغاشم السلطان العثماني وأعلن الحرب على فرنسا بتحالف مع الدول الأوروبية، حينها حاول الفرنسيون إجراء مفاوضات من أجل عقد الصلح مع الدولة العثمانية، وتم رفض ذلك من قبل السلطان إلاّ على أساس جلاء الفرنسيين عن مصر دون قيد أو شرط.

وفي آخر أمرهم توصل الطرفان إلى توقيع معاهدة العريش، والتي تفضي بجلاء الفرنسيين عن مصر بأسلحتهم وأمتعتهم بحراً، وأن يتم الجلاء في مدى ثلاثة أشهر تكون بمثابة هدنة لتنفيذ شروط هذه المعاهدة، ولكن سرعان ما نقضت الفرنسيون معاهدة العريش وألغوا العمل بشروط هذه المعاهدة.

وبقي الحال على ذلك إلى أن تم إجلاء الفرنسيين نهائياً عن مصر عام/١٨٠١م بعد مفاوضات بين الفرنسيين والعثمانيين دامت أكثر من عام، وبهذا ينتهى عهد الاحتلال الفرنسي

---

(١) انظر مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث – د. أحمد قوشتي ص٥٣.

(٢) هو نابليون ابن كارلوا وليتسيا بونابرت الأول من مواليد جزيرة كورسيكا ١٧٧٩م، حياته كانت حافلة بالأحداث العسكرية والثورية، واحتل مصر من خلال ضرب الإنجليز بالمسلمين، وكان قد أحضر معه مجموعة من المستشرقين، ودخل الأزهر آنذاك. وحاول احتلال الشام، ولكنه أخفق أمام حصون عكا.
وقد نفي إلى سنت هيلانة، حيث مات هناك بالسرطان عام: ١٨٣١م. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ص٣٣٣٩، والنسر الأعظم – يوسف البستاني ص٩ وما بعدها.

(٣) انظر مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة – د. أحمد قوشتي ص٥٤، وتاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٣.

بعد ما قضى ثلاث سنوات ونيف كلها حروب ومقاومات عادت بخفي حنين[(١)].

وبعد انسحاب فرنسا من مصر سيطرت القوات البريطانية والجيش العثماني على البلاد، وعملت الحكومة العثمانية على استخلاص مصر لنفسها وعزمت على إبعاد قوة المماليك منها، إلاّ أن الحكومة البريطانية وقفت مع مصالحها ودعمت نظام الحكم المملوكي مع انسحاب قواتها من مصر عام/١٨٠٣م[(٢)].

ثانياً: عهد محمد علي باشا[(٣)]

بعدها أصبح الصراع على السلطة بين الجنود العثمانية والمماليك في الفترة ١٨٠٣م – ١٨٠٥م ، وبعد انسحاب الإنجليز دخل في الصراع للسيطرة على مصر حزب ثالث يتمثل في قوة الحامية الألبانية، والتي كان الهدف من مجيئها إلى مصر في بادئ الأمر محاربة الفرنسيين وإخراجهم منها، وتقلد قيادة القوات الألبانية ضابط في الثلاثين من عمره يدعي محمد علي بك وهو الذي تمكن بعد ذلك من اعتلاء عرش السلطة في مصر بدهائه وحنكته السياسية، ونصرة الأهالي والمشايخ والعلماء له.

وبهذا انتقلت السلطة السياسية في مصر إلى محمد علي باشا منذ عام/١٨٠٥م، وقام بإرساء قواعد السلطة بقيامه بإصلاحات كثيرة في شتى المجالات، وبدفاعه عن مصر ووقوفه ضد طموح المماليك للاستيلاء على مصر، وطرده للإنجليز عام/١٨٠٧م.

وقد حاول كذلك علي تكوين إمبراطورية مصرية كبرى والتوسع في ملكه شرقاً واستقلالها بحكم ذاتي، لكنه وجد الدولة العثمانية تقف ضد مشروعه بكل قوة، ووُجه كذلك بهجمة شرسة من دول الاستعمار، التي قضت على آماله الكبيرة، حينها تدخلت الدول الأوربية لحل النزاع القائم بين السلطان العثماني ومحمد علي، وبعد المفاوضات التي دارت بشأن هذا

---

(١) انظر مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة اد. أحمد قوشتي ص٥٤، وتاريخ مصر الحديث والمعاصر د. عمر عبد العزيز – ص١٦٣، وتاريخ مصر الحديث – لجرجي زيدان ص٢٠٤ وما بعدها، والمجددون في الإسلام – لعبد المتعال الصعيدي ص٤٤٦.

(٢) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي– أحمد شلبي (٥/٢٨٢-٢٩٤).

(٣) هو محمد علي باشا ابن إبراهيم آغا بن علي، المعروف بمحمد علي الكبير، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر، ألباني الأصل، مستعرب، ولد عام: ١٧٧٠م، كان والي مصر سنة: ١٢٢٠هـ، فعنى بتنظيم حكومتها، وضم معظم السودان الشرقي إلى مصر، والدولة العثمانية جعلت له حكم مصر وراثيا سنة: ١٢٥٧هـ، وكثرت في أيامه المدارس والمعامل في الديار المصرية، وأرسل البعثات لتلقي العلم في أوربة، اعتزل الأمور لابنه إبراهيم باشا، سنة: ١٨٤٨م وأقام في قصر رأس التين بالإسكندرية مريضا إلى أن توفي بها، عام: ١٨٤٩م، ودفن بالقاهرة. انظر الأعلام – للزركلي (٦/ ٢٩٨).

الموضوع، انتهى الطرفان بمعاهدة تقضي أن يقف محمد علي الزحف على بلاد الشام، وأن يتخلى السلطان عن حكم مصر له ولأسرته بالتوارث من بعده[(١)]، ومنذ ذلك الوقت ظلت أسرته تحكم مصر إلى أن قضت عليها الثورة في عام: ١٩٥٣م[(٢)].

وعلى ذلك استمر الحكم متوارثاً في أسرة محمد علي عبر سلسة من الحكام المتفاوتين في المواهب والقدرات والكفاءة، وكان الشاغل الأكبر لبعضهم هو أن يجعل مصر قطعة من أوروبا، مقتصرين على جانب المظاهر والشكليات وحدها، وتردت أحوال البلاد من سيء إلى أسوأ، وأحاطت بها الديون ومظاهر الفساد، وتغلغلت الجاليات الأجنبية، وسيطرت على مقاليد الاقتصاد في البلاد، ومراكز القوة فيها[(٣)].

ولقد ساعد محمد علي منذ ولايته التسلسل الأجنبي إلى مصر، ومهد لهم السبل للمضي قدماً في مشروعه الاستقلالي، وأدركت الدول الأوربية كذلك أهمية الاستيلاء عليها لموقعها الاستراتيجي، وازداد اهتمامهم بها لأهميتها البالغة باعتبارها طريقاً رئيسياً للمواصلات العالمية[(٤)].

وبعد إنشاء قناة السويس- وهي أهم طرق المواصلات بين الشرق والغرب- أخذت إنجلترا وفرنسا تتنافسان في استغلال مصر ووضع اليد عليها، وكانت كل منهما تجد في خطة الأخرى نحو مصر مبرراً لسياستها[(٥)].

ثالثاً: الغزو الانجليزي لمصر:

حاول الإنجليز غزو مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها، وتحديداً عام: ١٨٠٧م لكنّ المصريين ردوهم ببسالة فباءت محاولاتهم كلها بالفشل، حينها أدرك الإنجليز قوة المسلمين وأنّ الروح الإسلامية الجهادية المتأصلة في هذا الشعب تقف حائلاً دون تحقيق مآربهم، لجئوا إلى

---

(١) انظر مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة - د. أحمد قوشتي ص٥٤، تاريخ مصر الحديث والمعاصر - د. عمر عبد العزيز ص٢١٥-٢٤٩، وتاريخ مصر الحديث - لجرجي زيدان ص٢١٦- ٢٤٧، وتاريخ مصر الحديث والمعاصر - لمحمود عباس ص٧٩-١٤٧، والمجددون في الإسلام - لعبد المتعال الصعيدي ص٤٤٦.

(٢) تاريخ مصر الحديث و المعاصر - د. عمر عبد العزيز عمر ص٢١٨، وانظر المجددون في الإسلام - لعبد المتعال الصعيدي ص٤٤٧.

(٣) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة - د. أحمد قوشتي ص٥٥، انظر تاريخ مصر الحديث - لمحمد صبري ص٩٥ وما بعدها.

(٤) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر - د. عمر عبد العزيز ص٢٧٩- ٢٨٣.

(٥) انظر تاريخ مصر الحديث - لمحمد صبري ص١٠٠، انظر موسوعة التاريخ الإسلامي- أحمد شلبي، (٣٤٧/٥-٤٠٤).

طرق أخرى تمثلت في بث نفوذهم، وزرع الأعوان والمؤيدين لهم، وورطوا حكام مصر من أحفاد محمد علي في الديون، وبلغ الأمر مداه بشرائهم حصة مصر من قناة السويس، وتبع ذلك تدخلهم في توجيه سياسات البلاد واقتصادها بحجة المحافظة على مصالحهم وأموالهم بعدما أثاروا بعض الفتن والقلاقل فيها[(١)].

وقد جاء الاحتلال البريطاني بسياسته الماكرة، وادعت الإنجليز في أول أمرها أنها جاءت لتخلص مصر من الفساد والفوضى، وإصلاح الفلاح المصري، وإدخال المدنية والحضارة الغربية إلى مصر، ولكنها في الحقيقة جاءت لحماية مصالحها السياسية والحربية والاستراتيجية.

وظلت بريطانيا متغلغلة بنفوذها السياسي والاقتصادي والمالي في مصر[(٢)]، وإن كانت من الوجهة القانونية ولاية عثمانية مستقلة، وكانت في الواقع بلاداً محتلة وإن كان الاحتلال لا يستند فيها إلى حق شرعي[(٣)]، وبهذا بقيت مصر من الناحية القانونية ولاية تابعة للدولة العثمانية، إلى أن أعلنت إنجلترا حمايتها على مصر عام: ١٩١٤م عندما وقعت الحرب العالمية الأولى، وبعدما وقفت الدولة العثمانية ضد بريطانيا وحلفائها، حينها حولت مصر إلى مستعمرة بريطانية، وقطعوا كل صلة لها بالخلافة العثمانية، وخلعوا الخديو وعينوا سلطاناً على مصر من قِبَلِهم، وباحتلال الإنجليز لمصر دخلت البلاد في مرحلة من أخطر مراحلها السياسية والفكرية والاجتماعية[(٤)].

رابعاً: استقلال مصر وطرد الانجليز منها:

وإبَّان الحرب العالمية الأولى أصبحت الساسة المصريون يفكرون في مصير البلاد، وازدادت رغبة المصريين — من السلطان إلى الفلاح- في تحقيق استقلال مصر الذاتي، واستيقظت الحركة الوطنية المصرية من جديد - بعدما خمدت لظروف الحرب العالمية-، بزعامة سعد زغلول[(٥)] قمة

---

(١) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة - د. أحمد قوشتي ص٥٦.

(٢) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر - د. عمر عبد العزيز ص٤١١-٤٢٦.

(٣) انظر تاريخ مصر الحديث - لمحمد صبري ص٢١٦.

(٤) انظر مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة -د. أحمد قوشتي ص٥٦، تاريخ مصر الحديث والمعاصر - د. عمر عبد العزيز ص٤١١-٤٢٦، تاريخ مصر الحديث - لمحمد صبري ص٢٣٨، انظر موسوعة التاريخ الإسلامي— أحمد شلبي، (٥/٤١١- ٤٢٠).

(٥) هو سعد باشا بن إبراهيم زغلول: زعيم نهضة مصر السياسية و وأكبر خطبائها في عصره، ولد في مصر، عام: ١٨٥٧م، فتعلم فيها على يد كتّاب القرية، ثم التحق بالأزهر، واتصل فيه مع السيد جمال الدين الأفغاني، وكان له علاقة أيضاً مع الشيخ محمد عبده، وكان يجيد اللغة الفرنسية، وله إلمام بالألمانية والإنكليزية، وألف في شبابه كتابا في فقه الشافعية، وجمعت في أواخر عمره خطبه، وتقلد في مصر مناصب عدة منها: وزارة المعارف، في وزارة (الحقانية)، ⇦=

الثورية الجديدة وقاد النضال الشعبي، وتوجه إلى دار الحماية هو ومن معه من الوفد المصري، وطالبوا المشاركة في مؤتمر الصلح لعرض قضية مصر والمطالبة بالاستقلال التام والجلاء عن مصر، لكنّ الأمر تطور بعدما ألقوا القبض على سعد زغلول ورفاقه، تحولت الاحتجاجات السلمية المنددة على قبض زعمائهم إلى ثورة شعبية عارمة ضد الإنجليز عام:١٩١٩م، شارك فيها جميع فئات المجتمع من فلاحين وعمال ومثقفين، وفي المقابل واجهت القوات البريطانية هذه الاحتجاجات بكل قوة وعنف وقسوة.

ناضل الشعب المصري بفكرهم وأرواحهم في سبيل التحرر من الاستعمار البريطاني، ودخلت الثورة مرحلة جديدة، وهي المرحلة الطويلة التي انحصرت الثورة فيها، واتخذت شكل مظاهرات الطلبة وتحركات المثقفين[١].

ونتيجة تحركهم ذلك تمكن المصريون من الحصول على تصريح ٢٨ فبراير الذي اعترفت فيه إنجلترا باستقلال مصر وترك شؤونها الداخلية للمصريين، وعلى ذلك أعلن جلالة السلطان فؤاد الأول[٢] ملكاً عليها، وصارت حكومة مصر حكومة شورية، ونص في دستورها على أنّ الأمة صاحبة السيادة، ومنذ ذلك الوقت بدأ ينتقل الحكم الفعلي إلى المصريين، وإحلال المصريين في المناصب العليا التي كانت الإنجليز مسيطرة عليها، وعلى إثرها أنشئت مفوَّضيّات سياسية وقنصليات لتمثيل مصر في الخارج، وقامت نهضة إصلاحية كبيرة في بعض الوزارات، ومع ذلك كله ظلت المسألة السياسية لا تزال تسويتها معلقة بين إنجلترا ومصر خصوصاً فيما يختص بجلاء الجيش المحتل[٣]، إلى أن قامت حركة الجيش في عام/ ١٩٥٢م، وبعدها بأربع سنوات استطاع المصريون من جلاء الإنجليز عن مصر عام/١٩٥٦م[٤].

وبهذا أصبحت مصر دولة مستقلة منذ ذلك التاريخ، بعدما ذاقت مرارة الاستعمار

= ثم انتخب سنة: ١٩١٩م رئيسا للوفد المصري، للمطالبة بالاستقلال، ثم تولى رياسة مجلس الوزراء سنة: ١٩٢٤م، ورياسة مجلس النواب سنة: ١٩٢٥م، وتوفي بالقاهرة سنة: ١٩٢٧م. انظر الأعلام – للزركلي (٣/ ٨٣).

(١) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٤٨٧-٥٢٢.

(٢) هو أحمد فؤاد الأول ابن الخديوي إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي: ملك مصر الأسبق، ولد في القاهرة عام: ١٢٨٤هـ فتعلم بها ، وتقلد عدة مناصب في الدولة العثمانية إلى أن دُعى لتولي سلطنة مصر سنة: ١٩١٧م بعد وفاة أخيه حسين كامل، وتوفي بالقاهرة سنة: ١٩٣٦م. انظر الأعلام – للزركلي (١/ ١٩٦).

(٣) انظر تاريخ مصر الحديث – لمحمد صبري ص٢٣٩، وتاريخ مصر الحديث والمعاصر – لمحمود عباس ص٢١١، وتاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٥٤١.

(٤) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي– أحمد شلبي، (٥/٤٢١-٤٨٨)، ومناهج الاستدلال على مسائل العقيدة – د. أحمد قوشتي ص٥٨.

وويلاته زهاء نصف قرن من الزمان، ولهذه الأحداث السياسية التي وقعت في مصر كان لها الأثر المباشر في تركيبة المجتمع المصري بعد ذلك، وهذا ما سنشير إليه في المطلب التالي:

المطلب الثاني: الناحية الاجتماعية في عصره:

عُرِفَ المجتمع المصري منذ القدم بأنه مجتمع متماسك ومترابط فيما بينهم، ولم يظهر أيّ بوادر للتغير الاجتماعي في مصر، إلاّ مع قدوم الحملة الفرنسية التي أتت لغزو مصر ولنهب خيراتها وتغيير هويتها الإسلامية، والتي ظهرت في بدايتها بمظهر مختلف وارتدت لباس القناع المصلح، وأظهرت للشعب المصري وللعلماء احترامها للدين الإسلامي، والحفاظ على العادات والتقاليد المصرية.

لكنهم سرعان ما غدروا بالمصريين ولم يحترموا مشاعرهم، وظهرت علاقة الرجال بالنساء، وإقامة المسارح، وكثرت الملاهي والأندية، مما أدى إلى انتشار المفاسد والانحطاط في مستوى الأخلاق لبعض من الفئة الوضيعة، أما الكثرة الغالبة من الطبقات الوسطى والعليا فظلوا متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم ولم تؤثر فيهم أساليب العيشة الفرنسية المشيدة على الخلاعة والمظاهر الاستعمارية[1].

ولم تستطيع من تفكيك هذا المجتمع الحصين، ولا استطاعت هدم بنيان المفاهيم الفكرية والاجتماعية التي كان المجتمع المصري يخضع لها، فلم يكن في إمكانها ذلك بسبب قصر المدة التي قضتها في البلاد، كما أنّ الحواجز التي كانت تفصل المصريين عن حكامهم الفرنسيين المخالفين لهم في اللغة والدين والقيم الاجتماعية قد حدت من تأثيرهم بالمؤثرات الغربية[2].

بيد أنّ التغيير الفعلي الذي حصل للمجتمع المصري، كان على يد محمد علي باشا، حينما اجتمع العلماء حوله بعد رحيل الفرنسيين واستقرت السلطة في يده، شرع في تقويض سلطة العلماء التي كانت على فئات المجتمع وخضوع الناس لهم، وفرض محمد علي الضريبة على الأوقاف التي كان يعود ريعها للعلماء وللفقراء والمحتاجين من المجتمع، واستطاع بذلك إحداث الفرقة بين العلماء والقضاء على هيبة العلماء والمكانة التي كانت في نفوس المجتمع، ورجوع الناس لهم في شؤون حياتهم.

واهتم بعد ذلك بالبعثات العلمية، وأرسل المتفوقون تعليميا إلى اوروبا، إذ بدأت الأفكار الغربية تفد إلى البلاد عن طريقها، حينها وقع المجتمع المصري تحت تأثير العلم والتكنولوجيا

---

(١) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر – لمحمود عباس أحمد ص٥٥.

(٢) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٣.

والاقتصاد وأساليب التنظيم الحديثة.

وساعد على ذلك استبداله المؤسسات الوطنية القديمة بالدولة الحديثة بجيشها الجديد، وأنظمتها الجديدة، وبهذا تغيرت معالم مصر، وفتحت أبوابها أمام المؤثرات الغربية، فاختل الانسجام القائم بين المبادئ الإسلامية والواقع، أدى ذلك إلى اضمحلال ثم انهيار النظام السياسي القويم، وتفكك القوالب الاجتماعية والثقافية القديمة التي كانوا عليها من قبل[(١)].

وإذا نظرنا للحالة الاجتماعية التي آلت إليها أعقاب أيام محمد علي نجد الحال قد تقهقرت إلى أسوأ مما كانت عليه في عهده، ففي عهد إسماعيل باشا[(٢)] نزح الأجانب إلى مصر بكثرة طلباً للرزق وكانوا من احط الأوساط ومختلف الملل والنحل، وساعد على ذلك تغلغل تجار الخمور والفساد من الأوربيين في المدن والقرى النائية واختلاطهم بالفلاحين والأهالي، وعجزت الحكومة بسبب الامتيازات عن إيقافهم عند حدهم والقيام بأي إصلاح.

واختلت العدالة الاجتماعية وعُدِمَ العدل بين المصريين والأوربيين، وبين الحكومة والأوربيين وبين الحكومة والرعية، وكان المصريون يشكون من الضرائب الفادحة، والسخرة، والتجنيد، وسلطة الحكام المستبدة، وفساد المحاكم المدنية والجنائية[(٣)].

بل وصل الأمر إلى أسوأ من ذلك في عهد الاحتلال البريطاني، حيث ازداد تدفق الأجانب على مصر، وتغلغلت الأساليب والعادات الغربية في المجتمع المصري، وبخاصة في المدن، وعندئذ أخذت أسس التشكيل الاجتماعي تتضح، ففي القمة كانت الطبقة الحاكمة القائمة على أرستقراطية[(٤)] الأرض التركية المصرية، وفي القاعدة بقيت فئات الفلاحين وأرباب الحرف التي برزت منها طبقة وسطى جديدة من أصحاب المهن والموظفين، وتوزع كبار رجال الدين وصغارهم بين هاتين الطبقتين.

---

(١) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٤-٢٥٢.

(٢) هو إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي الكبير: خديوي مصر. ولد في القاهرة سنة: ١٨٣٠م، وتعلم بها ثم في فرنسا، وولي مصر سنة ١٢٧٩هـ، وهو أول من أطلق عليه لقب (الخديوية) من رجال أسرته، ونكبت مصر بإنشاء المحاكم المختلطة سنة ١٨٧٦ م، وكان مسرفا في الإنفاق على ملاذّه وعلى مشروعاته، وعزل عن الحكم سنة: ١٨٧٩ م، وقضى بقية أيامه في أوربة وتركية إلى أن توفي في الآستانة سنة: ١٨٩٥ م، ونقلت جثته إلى القاهرة. انظر الأعلام – للزركلي (١/ ٣٠٨).

(٣) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص١٣٩-١٤١.

(٤) أي: طبقة ذات امتيازات، أو الطبقة الغنية (الملكية)، أو ما يسمى بالنخبة، والصفوة، والأعيان، أو بحكومة النبلاء كما عرفت في فرنسا في القرن الرابع عشر الميلادي. انظر المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة – د. عبد المنعم الحلبي ص٤٠، ن: مكتبة مدبولي، ط: الثالثة ، ١٤٢٠هـ.

أما البرجوازية[١] الصناعية والتجارية قد عرقلت نشوها باستثناء التجار ورجال الأعمال الأوربيين، ولكن بعض الأعمال التي قام بها الاحتلال كانت مسؤولة عن حدوث تغييرات كمية كبيرة، فعن طريق الإدارة الجديدة التي أدخلها إلى مصر وإلغاء السخرة والضرب بالكرباج نقل الاحتلال طوعاً أوكرها إلى المصريين المفهوم الخاص بأن السلطة خدمة اجتماعية وليست تسلطا، وأن الوظيفة خدمة عامة وليست إقطاعية، وأن الناس متساوون بالفعل أمام القانون، وأن حقوقهم هي التي تحدد سلطة الحكومة وإن لم ينص على ذلك دستور مكتوب[٢].

وأما عن الوضع الأمني الذي وصل إليه حال البلاد، ففُقِدَ المجتمع المصري الأمن والعدل الاجتماعي، وازدادت الجرائم داخل المجتمع المصري ازدياداً مطرداً، وكان الأمر قبل ذلك في وسع النساء والسيدات أن تجوب مصر دون حراسة، ودون أن يُتعرض أحدٌ منهن أدنى تعرض أو أذى؛ والسبب في ذلك كله هو الاحتلال البريطاني التي قضى على هذا المجنمع المحافظ في مصر[٣].

وفي مجال الإدارة أصبح الصراع في تبوء المناصب الرئيسية والتنافس على إدارة البلاد في أجهزة الدولة بين ثلاث فئات استولت على أهم المناصب وأعلاها نفوذاً في الدولة، وأكبرها أجراً:

١- وهم الأجانب الذين يحتلون المناصب العليا والوسطى في النشاط الاقتصادي، وهؤلاء يجدون الحماية الكاملة في ظل نظام الامتيازات الأجنبية، بينما يتركون للمصريين الفتات من الوظائف البسيطة.

٢- السوريون وخاصة المسيحيين منهم فقد كان معظم أفراد الطبقة العليا من هذه الجالية ومن كبار رجال الطبقة الوسطى فيها من الموظفين، واحتلوا هذه المناصب العليا بسبب امتيازهم عن المصريين في اللغة وقدرتهم على التكيف مع الثقافة الغربية، وعلى استيعاب طريقة الإدارة الأوربية وتمثيلها في مصر، وعندما احتل الانجليز مصر ساعدت الظروف على احتضانهم للسوريين.

٣- الإنجليز أنفسهم، في بداية الأمر استخدم الاحتلال عدد معين من الموظفين للاستشارة والمساعدة في الدوائر المالية والري، و من ثم توسعت الدائرة وازداد عدد الموظفين

---

(١) أي: هي الطبقة المسيطرة في المجتمع الرأسمالي. انظر المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة – د. عبد المنعم الحلبي ص١٦٧.

(٢) تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٤٢١.

(٣) انظر تاريخ مصر قبل الاحتلال البريطاني وبعده – للمسيو تيودور روذستين ص ٤٦٢- ٤٦٧.

البريطانيين واستولوا على المناصب العليا، ومن ثم سيطروا على شؤون البلاد بأسرها [(١)].

بهذا الأسلوب الذي جاء به الاحتلال لقد قضى دفعة واحدة على سلطة الوطنيين كلها وأحل محلها سلطة أجانب لا علم لهم بعادات المصريين ولغتهم، فكانوا لا يعرفون سوى إصدار الأوامر المشدّدة والعقوبات الصارمة إذا ما أخلّ بهذه الأوامر، فبدلاً من أن يعمد الاحتلال إلى الإصلاح ذاته انشغل بالأمور المالية دون غيرها وترك الإصلاح الاجتماعي والأدبي [(٢)].

ولذا عندما ضُيِّقَ عليهم الخناق من قبل الاحتلال، وقاسى الشعب الضنك والكرب انفجر الشعب المصري، وسرعان ما تحول هذا الانفجار إلى ثورة شعبية عارمة، عندما اشتمل على عناصر جديدة في النضال الوطني دلت على وقوع تغيير عميق في كيان المجتمع المصري، وتقصد بهذه العناصر الأقباط والمرأة المصرية .

وقد استجابت المرأة المصرية للسفور الوطني، فنزلت لأول مرة في حياتها إلى ميدان النضال السياسي مسجلة الخطوة الأولى في أخطر تطور اجتماعي في تاريخ البلاد، ففي عام: ١٩١٩م قامت النساء بمظاهرة كبرى مكونة من عدد يربوا الثلاثمائة من كرام العائلات [(٣)]، فما أن لبثت الثورة الوطنية التي خرجوا لأجلها حتى تحولت من مسارها، فخلعوا الحجاب أمام الملأ وأحرقوه ونادوا بتحرير المرأة من عوامل التقاليد والدين.

كان اشتراك المرأة في ثورة ١٩١٩م تعتبر علامة حاسمة في حركة تحرير المرأة المصرية التي بدأت في السنوات الأولى من القرن العشرين، غير أن هذا التطور في الحركة النسائية كان مشوباً بكثير من الشوائب، لأن الحركة النسائية بدلاً من أن تتطور طوراً ثورياً حدث لها ما حدث للحركة العمالية، إذ عجزت الحركة النسائية المصرية بسبب طبيعة العناصر المسيطرة عليها، من أن تتطور تطورا ثوريا نضالياً، فظلت تتسم بطابع الانحلال إلى حد كبير [(٤)].

هكذا تطورت الأحداث الاجتماعية في مصر وتحولت الثورة من نضال سياسي إلى ثورة اجتماعية، ومعها تغير مسار المجتمع المصري من البيئة المحافظة التي كانوا عليها منذ قرون إلى التطبع بالبيئة الغربية التي تتسم بطابع الانحلال والسفور، بعدها جاء تقليد المجتمع المصري للغرب في جميع مجالات الحياة حتى وصل ذلك في شؤون حياتهم الخاصة.

---

(١) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٥١٣.

(٢) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٥١٣، وتاريخ مصر قبل الاحتلال البريطاني وبعده – للمسيو تيودور روذستين ص ٤٦٢– ٤٦٧.

(٣) تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز عمر ص٤٩١.

(٤) الرمرجع السابق ص٥١٩.

ولقد تجلى في مستهل القرن العشرين أثر الحضارة الغربية في دعوات كثيرة برزت من بينها: **ثلاث دعوات شغلت الرأي العام، وهي:**

الدعوة الأولى: فكانت تطالب بكفالة الحرية الشخصية، وبالحياة النيابية، **والدعوة الثانية:** تطالب بتحرير المفكرين من سلطة الدين؛ وذلك بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية على النمط الذي قامت عليه النهضة الأوربية الحديثة، **والدعوة الثالثة:** كانت تطالب بتحرير المرأة من الجهل والحجاب[(١)].

المطلب الثالث: الناحية العلمية في عصره:

قد انحط العلم بين المسلمين في القرن الثامن عشر الميلادي وما قبله بقدر انحطاطهم السياسي[(٢)]، وكانت الشعوب الإسلامية ومصر واحدة منها تعيش في حالة مزرية[(٣)]، إذ لم يكن بمصر نظام تعليمي بالمعنى الدقيق الذي يدل عليه هذا التعبير، فلم يكن سوى الأزهر وبعض المدارس الملحقة بالمساجد والكتاتيب بالمدن والقرى ولم تكن تتمتع بنظام يصل ما بينها ويجعل منها وحدة تعليمية، ولم تخضع لسلطان الحكومة ورقابتها.

فكان للركود العلمي الذي ساد مصر في العهد العثماني له الأثر السلبي على الحالة العلمية بالأزهر والمدارس الدينية خصوصاً والتعليم عموماً، فالكتاتيب قد انحصر نشاطها في تحفيظ القرآن وتعليم القراءة والكتابة فقط، وأما الأزهر فصارت الدراسة فيه مهتمة بقراءة كتب الدين واللغة وشرحها[(٤)]، حتى صار علماً قديما بالياً لا جدوى فيه، ومع هذا بقي أهله جامدين عليه جموداً شديداً حتى إنهم كانوا لا يرون غيره علما، وكان أهل الأزهر يؤمنون بهذا القول المشهور: "لا علم إلاّ أزهري"، ويرى أنّ العلم هو علم الأزهر[(٥)].

فإن الكثرة الغالبة من علماء الأزهر ورجاله كانوا يفاخرون بأنهم بمعزل عن هذه التيارات الحديثة التي تأثرت بها أكثر المعاهد المصرية بالآراء الغربية الحديثة آنذاك، ويزعمون أنّ إصلاح الأزهر إفساد له وقضاء عليه[(٦)]، وأنّ أوربا تمتاز على أهل مصر بالصناعة فقط، مع أنّ علماءه كانوا قد وصلوا في تلك القرون إلى حالة بلغ اليأس من إصلاحهم غايته، لأنهم كانوا مع هذه

---

(١) في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص٣٩.

(٢) المجددون في الإسلام – لعبد المتعال الصعيدي ص٤٤٨.

(٣) في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص٣٩.

(٤) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٢٦٥

(٥) انظر المجددون في الإسلام – لعبد المتعال الصعيدي ص٤٤٩.

(٦) انظر الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين – لعلي الزهراني ص٦٣٣.

المنهجية العلمية في حالة عجز تام عن القيام بأي عمل نافع ولو كان في مصلحة دينهم[(١)].

قال: د. أحمد قوشتي[(٢)]: ((وانحصرت جهود العلماء في القرون الأخيرة عند مجرد الجمع والتصنيف والتهذيب والاختصار والشرح والتعليق والتحشية، وصارت الحالة العلمية والثقافية في مصر وغيرها من أقطار العالم الإسلامي بصفة عامة رتيبة غير متنوعة، جامدة غير متحركة، مقلدة غير مبتكرة لفظية غير موضوعية، تكاد تدور حول نفسها، تلخص الأفكار العلمية في متون ثم توضحها في شروح، وقد تفسر الشروح في حواشي وتقارير، وكل ذلك أُخذ عن السابقين لأنه ما ترك الأول للآخر شيئا، وهي أيضاً ثقافة محصورة قصرت على طائفة معينة وقفت نفسها عليها، وكأنما كانت تعيش في الماضي دون أن يكون لها بالحاضر صلة، تجهل التطور والتقدم، إلى اجتهاد أو حرية.

وقد شمل هذا التدهور والضعف كافة العلوم تقريباً، لا فرق في ذلك بين العلوم الشرعية وغيرها، فغالب أهل الأزهر لا يشتغلون بشيء من العلوم الرياضية إلاّ بقدر الحاجة الموصلة إلى علم الفرائض والمواريث كعلم الحساب.

وأما ما عدا العلوم الشرعية من طبيعة، وطب، ورياضة، وجغرافيا، وعلوم عسكرية، وما أشبه ذلك فالخطب فيها كان أشد والوضع أسوأ بكثير، حتى إنّ كثيراً من الناس أصبحوا ينظرون إلى علوم الجغرافيا والطبيعة والكيمياء كأنها الكفر البواح أو السحر المزيف))[(٣)].

وأما الأزهر والمعاهد الشرعية كانت مجافية للعلوم الحديثة من طب وهندسة ورياضة وفلك ونحوه، حيث إنَّ منهاج الدراسة بالأزهر كان خلواً من علوم الدنيا، تلك العلوم التي تفيد صاحبها في زراعة أو صناعة أو تجارة أو في غيرها من وسائل الحياة، وكانت العناية فيها منصرفة إلى تحقيقات لفظية ليس لعامة الشعب فيها غناء، وقد أدى هذا الانغلاق أمام العلوم الحديثة إلى استنكار الأزهريين القول بأن الشمس تغرب على قوم لتطلع على آخرين[(٤)].

---

(١) المجددون في الإسلام – لعبد المتعال الصعيدي ص٤٤٩.

(٢) هو د. أحمد قوشتي عبد الرحيم مخلوف، أستاذ العقيدة في كلية دار العلوم، بجامعة القاهرة، وجامعة أم القرى بمكة، وله عدة مؤلفات ومنشورات علمية، منها: أثر السنة النبوية في تكوين العقلية العلمية، وموقف الاتجاه الحداثي من الإمام الشافعي، والدليل النقلي في الفكر الكلامي بين الحجية والتوظيف وغيرها، انظر سيرته الذاتية في صفحته الخاصة على موقع: https://uqu.edu.sa/akmakhloufh/App/CV، وhttps://ar.islamway.net/scholar

(٣) مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة – د. أحمد قوشتي ص٥٧-٦٠.

(٤) الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين – لعلي الزهراني ص٦٣٥.

إلاّ أنّ هذا الوضع المزري والتدهور الفكري الذي آلت إليه الأحوال العلمية بمصر وسائر الأقطار الإسلامية في تلك الفترة إنما هو حكم من حيث الجملة، وبالنظر إلى الطابع العام الذي كان سائداً حينذاك، وإن كان ذلك لا يعني بحال انعدام أي بصيص من الأمل، أو انتفاء أية محاولات للنهوض بالأمة من كبوتها[(١)].

النهضة العلمية في مصر:

بدأ الحراك العلمي يظهر في الوجود مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بعد الركود الذي ساد مصر فترة طويلة، لكن كل ذلك كان على ما يقتضي به مصالح حكام مصر[(٢)]، فاهتم محمد علي باشا بتطوير نظام التعليم وتكوين طبقة من المتعلمين لمواجهة احتياجات جيشه ونظامه الإداري الجديد، فأنشأ عدداً من المدارس، كانت أولاها مدرسة الهندسة التي أسسها في القلعة عام١٨١٦م، ثم بعدها بعشر سنوات أسس مدرسة أخرى في مجال الطب، لتخريج الأطباء المصريين للجيش، كما لعبت الترجمة دوراً مهماً في نظام التعليم بنقل المحاضرات التي كانت تلقى بالفرنسية إلى العربية، وتعريب الكتب الإفرنجية في مجال العلوم والأدب، وأسند نظارة مدرسة الألسن التي أنشئت فيما بعد إلى رفاعة رافع الطهطاوي[(٣)]، وفي مدرسة الألسن درست آداب اللغة العربية واللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية والتركية والفارسية ثم الإيطالية والإنجليزية، وعلوم التاريخ والجغرافيا، والشريعة الإسلامية، والشرائع الأجنبية.

لم يكن لحركة الترجمة أي تأثير أو فائدة لولا إنشاء مطبعة بولاق عام/١٨٣٢م، لأنها كانت الوسيلة العملية لنشر العلوم والمعارف المختلفة، واختار لتصحيح مطبوعاتها طائفة من علماء الأزهر، وطبعت فيها الجريدة الرسمية للحكومة، وهي أول جريدة عربية صدرت في مصر، وهكذا ساعدت مطبعة بولاق على تطور النهضة العلمية في مصر.

ومن ناحية أخرى اهتم كذلك بإرسال البعثات العلمية إلى الخارج لإعداد خبراء وصناع مدربين في كل النواحي المختلفة في الهندسة والرياضيات والطبيعيات ومختلف الصناعات والنظم

---

(١) انظر مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة – د. أحمد قوشتي ص٥٧-٦٠.

(٢) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي– أحمد شلبي، (٤٦٢/٥)، وتاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر – لعمر الإسكندري وسليم حسن ص٢٣٦.

(٣) هو رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، عالم مصري، ولد في طهطا سنة: ١٨٠١م، فتعلم في الأزهر، وله مؤلفات عدة منها: مبادئ الهندسة، والمرشد الأمين في تربية البنات والبنين، ونهاية الإيجاز في السيرة النبويّة، وتاريخ قدماء المصريين، وهو مؤسس مدرسة الألسن وناظرها، توفي بالقاهرة سنة: ١٨٧٣م، ولأحمد أحمد بدوي كتاب: رفاعة طهطاوي بك. انظر الأعلام – للزركلي (٢٩/٣).

الحربية والعلوم السياسية والطب والحقوق[١]، وأصبح المصريون بفضل هذه البعثات أعواناً للوالي في حكومة الدولة بعد أن أقصاهم الجهل والاستعباد قروناً عدة[٢].

وقد أُنشئت إدارة عامة للمعارف سنة/١٨٣٨م للإشراف على شؤون التعليم وتنظيمه في جميع جهات القطر، بمقتضى التنظيم الإداري الذي أحدثه الوالي، وهي أول وزارة للتربية والتعليم في مصر الحديثة، وقد ساعد على تنظيم هذه الإدارة تخرج أعضاء البعثات وعودتهم إلى مصر، فأراد أن يستفيد من خبراتهم ومواهبهم في تنظيم نهضة التعليم، وتحت إشراف ديوان المدارس[٣].

واستمر على هذا النهج حفيده إسماعيل باشا ، وجدد إرسال البعثات المصرية إلى الخارج، وانتظمت الحركة العلمية في عهده وانتشرت المدارس في البلاد، بعدما خبت الحركة العلمية التي قام بها جده محمد علي فترة من الزمن ما بين سنة/١٨٤٨م وسنة/١٨٦٣م، وكانت معدومة من جهة التعليم العام[٤].

ولا ريب أنَّ البعثات والمدارس التي أحدثها محمد علي وأحفاده الذين تولوا السلطة من بعده قد أدَّتْ إلى ظهور طبقة جديدة من المثقفين بالثقافة الغربية ولا سيما الفرنسية من أمثال رفاعة رافع الطهطاوي[٥].

وبذلك نمى الاتجاه العلماني على حساب التعليم الديني، نتيجة عدم اهتمام الدولة وقتذاك بتطوير الأزهر، ولوقوف رجالات الأزهر موقف الجمود أمام التيارات الغربية الحديثة التي غزت البلاد، ولاعتماد أجهزة الدولة خريجي المدارس الأميرية وفتح المجال لهم في التوظيف، وربما أدى فتح هذه المدارس إلى خلق "ثنائية فكرية" بين مدرسة الأزهر والمدرسة الجديدة في التعليم، إذ استطاعت الطبقة الجديدة أن تتنزع القيادة الفكرية من رجال الدين، وساهمت بالنصيب الأكبر في قضايا التغيير الاجتماعي، وفي تحرير المرأة والحياة النيابية في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[٦].

ولقد أسهم هؤلاء بجهد ملحوظ في نمو الوعي القومي في مصر حتى ظهرت بعد ذلك

---

(١) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٢٦٥– ٢٦٨.

(٢) تاريخ مصر الحديث – لمحمد صبري ص ٥٦.

(٣) انظر تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٢٦٧– ٤٢٠.

(٤) تاريخ مصر الحديث – لمحمد صبري ص١٣٢.

(٥) انظر المرجع السابق ص ٥٦، و تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٢٧٣.

(٦) تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٥١٢.

مدرسة الاصلاح الديني والسياسي والاجتماعي التي تمخضت عن جهود جمال الدين الأفغاني[1] وجهود تلامذته من بعده[2] أمثال محمد عبده المصري[3] وغيره.

قال د. أحمد قوشتي ((وكان من المتوقع أن تؤتي هذه الحركات الإصلاحية أكلها لو تركت وشأنها دون تدخل خارجي وتواطؤ داخلي، إلا أنها كانت في كثير من إنتاجها وأدبياتها والقضايا التي تعالجها تدور حول محور الغرب بفكره وحضارته، سواء بالتبعية والانسياق الكامل، أو بالنقد والرفض الصارم، أو باتخاذ موقف متأرجح بين الطرفين السابقين، وهو المواءمة والتوفيق، والمهم أنَّ الغرب كان هو الغائب الحاضر في جلّ القضايا، وإن كان ذلك لا ينفي بالطبع بقاء ثلة من مفكري هذه الأمة، ظلوا متمسكين بهويتهم وثقافتهم الإسلامية العربية، ومناضلين أمام الغزو الفكري التغريبي، ودعاة المنتشرين في مراكز التأثير المختلفة))[4]

المطلب الرابع: الناحية الدينية في عصره:

ازدادت الحالة الدينية سوءاً بين المسلمين عندما دخلت الدولة العثمانية دور الانحطاط في أخر عهدها، وضعفت حالها في الجوانب السياسية والاجتماعية، ومما زاد في ذلك جمود علماء المسلمين في تلك الفترة وتمسكهم بالقديم خاصة علماء الأزهر، وقد شجعهم على هذا كره أصحاب السلطة في تلك الفترة للإصلاح أياً كان نوعه، وكثيرا ما يعدون صاحبه كافراً، حيث

---

(١) هو محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين: فيلسوف الإسلام في عصره، ولد في أفغانستان سنة: ١٨٣٨م ونشأ بكابل، وتلقى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات، وسافر إلى بلدان كثيرة حتى استقر في مصر، فنفخ فيها روح النهضة الإصلاحية، في الدين والسياسة، وتتلمذ له نابغة مصر الشيخ محمد عبده، وكثيرون.
ثم نفته الحكومة المصرية، وفي آخر حياته مرض بالسرطان في فكه إلى أن توفي بالآستانة، ١٨٩٧ م ونقل رفاته إلى بلاد الأفغان سنة ١٣٦٣هـ.، كان يجيد لغات كثيرة، منها: العربية والأفغانية والفارسية والسنسكريتية والتركية، وتعلم الفرنسية والإنجليزية والروسية، ومن مؤلفاته: تاريخ الأفغان، ورسالة الرد على الدهريين. انظر الأعلام – للزركلي (١٦٨/٦)، والمجددون في الإسلام لعبد المتعال الصعيدي ص٤٩٠.

(٢) تاريخ مصر الحديث والمعاصر – د. عمر عبد العزيز ص٣٥٢.

(٣) هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، ولد في مصر سنة: ١٨٤٩م،. وتصوف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف.
وناضل ضد الاحتلال البريطاني. وتولى منصب القضاء، ثم عمل مستشارا في محكمة الاستئناف، ثم مفتيا للديار المصرية إلى أن توفي بالإسكندرية عام: ١٩٠٥ م، ودفن في القاهرة، وله مؤلفات عدة منها: تفسير القرآن الكريم، ورسالة التوحيد، ورسالة الواردات في الفلسفة والتصوف، وحاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية و شرح نهج البلاغة، والإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية. انظر الأعلام – للزركلي (٦/ ٢٥٢).

(٤)مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة الإسلامية– د. أحمد قوشتي ص٦٥.

أطلق أصحاب السلطة العنان لأهل البدع والمتصوفين[1].

وتبوأ أصحاب الطرق الصوفية مكانة كبيرة في نفوس العامة وأصحاب السلطة حتى صار لهم من التأثير على الناس ما ليس لغيرهم، وعلا شأنهم عند العامة واعتقدوا فيهم الولاية، فأُسيء فهم الدين[2]، وانحصرت العبادة في مفهومها الضيق في الشعائر التعبدية التي فقدت روحها وصارت تؤدى بصورة تقليدية عند غالب المسلمين الذين اهتموا بمظاهر العبادات[3] فقط، غافلين عن غيرها من الجوانب الكثيرة التي حث الشارع الحكيم عليها .

أولاً: الانحراف في أصول الدين الإسلامي وثوابته:

أصيبت العقيدة الإسلامية في القرن التاسع عشر الميلادي بموجة انحراف شديدة، ودخل الضعف والتراخي في أصول الدين، ومن أبرز تلك الانحرافات التي دخلت في ثوابت الدين وأصولها:

١- التشريع بغير ما أنزل الله، حيث ألغيت المحاكم الشرعية في أكثر البلدان، ومن بقيت فيها حُجِمَ دورها وقلصت صلاحيتها، وشيدت المحاكم الوضعية التي تحكم بالقانون الملفق من شرائع شتى وقوانين كثيرة كالقانون الفرنسي وما شابه ذلك من القوانين الوضعية[4]، كما حصل في مصر عند ما أراد إسماعيل باشا أن يصلح نظام المحاكم في القرن الثالث عشر الهجري، وكانت لا تزال تأخذ بالأحكام الشرعية، ولكن حالها لم يكن مناسباً لما جد من أحداث في العصر الحديث، وكانت جامدة على مذاهب فقهية معينة قد يكون العمل بغيرها أنسب منها لهذا العصر، فأراد إسماعيل باشا أن يكلف علماء الأزهر بذلك الإصلاح، لينهض بهذه المحاكم الشرعية، ولا يضطر إلى إنشاء محاكم غيرها تعمل بالقوانين الوضعية.

ووكَّل هذه المهمة إلى رفاعة ليذهب إلى شيخ الأزهر وغيره من كبار العلماء ليقنعهم بالقيام بذلك الإصلاح، لكنه اعتذر منه، فأقاله إسماعيل باشا من هذا الأمر، وكانت نتيجة هذا اليأس من علماء الأزهر قيام المحاكم الأهلية التي عملت بقانون نابليون، وكانت هذه أكبر نكبة أصيب بها الفقه الإسلامي، ولا شك أن هذه النكبة يتحمل أكثر تبعتها علماء

---

(١) انظر مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد. (١١٩/٢١)

(٢) انظر حركة التجديد والإصلاح في نجد – لعبد الله العجلان، ص٢٣.

(٣) انظر الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين – لعلي الزهراني ص٩٧، وحركة التجديد والإصلاح في نجد – لعبد الله العجلان، ص٢٣.

(٤) المراجع السابق ص١٣٥.

الأزهر[1]،

٢- ضعفت عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين والتمييع فيها وخاصة عند الحكام، إذ كانت عقيدة الولاء والبراء في مصر متماسكة وقوية إلى درجة كبيرة وذلك على المستوى الجماهيري للأمة، أما الضعف والخلل الذي طرأ على هذه العقيدة فهذا إنما كان وجوده عند فئة من حكام المسلمين الذين أمعنوا في موالاة الكافرين، وألقوا إليهم بالمودة، وركنوا إليهم واتخذوهم بطانة من دون المؤمنين[2].

٣- انتشار مظاهر الشرك والبدع والخرافات[3] في مصر، حيث ظهرت في المجتمع المصري البدع والخرافات والمذاهب المنحرفة وتعظيم الأموات وأقيمت البنايات والقباب فوق قبور الأولياء والصالحين وقصدها الناس لطلب النفع ودفع الضر وقضاء الحاجات، فظهر الشرك يعلن عن نفسه بين أظهر المسلمين، وانتشر الشرك الأكبر في غالب القرى والبلدان، وشب على ذلك الصغير وهرم عليه الكبير[4]، ولقد كانت عمارة الأضرحة والقباب على القبور ظاهرة بارزة لتلك الفترة، ولم يكن يعمر مسجد أو جامع إلاّ على ضريح، وقلّ أن يعمر مسجد لغير ذلك.

إذ أنّ الأضرحة المشهورة في مصر وقتذاك يزيد عددها على الألف، في القاهرة وحدها مائتان وأربعة وتسعون ضريحا، وأشهرها ما يسمى بضريح السيد البدوي في طنطا[5].

٤- تقديم القرابين وطلب الاستغاثة والاستعانة بأصحاب هذه الأضرحة في الشدائد والأزمات ودعاؤهم من دون الله ﷻ، والاستشفاء وطلب البرء منها، ويستشفون بأصحابها، ويطلبون معافاة المرضى منهم وعلاج ذوي العاهات فيهم فبانوا عن الطب الذي يقوم على اتخاذ الأسباب بوناً شاسعاً وأوغلوا في الانحدار في هاوية الدجل والخرافة والشرك[6].

٥- ومن الأمور البدعية التي انتشرت في مصر آنذاك: العكوف على قراءة صحيح البخاري لحصول النصر عند المدلهمات، وقد ظل علماء الأزهر وشيوخه يحافظون على هذه البدعة كلما ألمت بالبلاد مصيبة، أو داهمتها كارثة، كما فعلوا ذلك عندما غزا مصر من قبل

---

(١) انظر المجددون في الإسلام - لعبد المتعال الصعيدي ص٤٤٩.

(٢) انظر الانحرافات العقدية والعلمية - لعلي الزهراني ص٢٠١.

(٣) المرجع السابق ص٢٦٩ وما بعدها.

(٤) انظر حركة التجديد والإصلاح في نجد - لعبد الله العجلان، ص٢٣.

(٥) انظر الانحرافات العقدية والعلمية - لعلي الزهراني ص٢٩٤.

(٦) المرجع السابق ص ٣٣٦.

الاحتلال الانجليزي[1].

٦- إقامة الموالد والأعياد المبتدعة التي ليس لها أصل في الشرع ولا دل عليها من قريب ولا بعيد، حتى ذكر الشيخ محمد رشيد رضا[2] بأنَّ الاحتفال بالموالد تكاد تستغرق أيام السنة كلها من كثرة ما يحتفلون بها في مصر.

بالإضافة إلى احتفالات الموالد كانت هناك احتفالات كثيرة، استحوذت على اهتمامات الناس أيضاً، مثل الاحتفال بالإسراء والمعراج ليلة السابع والعشرين من رجب وقد كان يحتفل به في الأزهر، والاحتفال بليلة النصف من شعبان بالصلاة والعبادة والذكر، والاحتفال بيوم عاشوراء ومثلها الكثير من الاحتفالات البدعية التي كانوا يحتفلون بها وليس لها أصل في الشرع.

أصبحت حياة الناس ممزوجة بالبدع في تلك الفترة الزمنية، وأنها قد سيطرت على شؤون الناس الدينية والدنيوية فقلما خلا شأن منها، إذ فشت الخرافات والأساطير في جموع المسلمين بشكل منقطع النظير، وأضحت كحقائق مسلَّمة لا تقبل النقاش مطلقا، وليس ذلك فحسب، وإنما غدت عند كثير منهم أموراً مقدسة، لا يجوز التهاون بها، فضلاً عن التشكيك في صحتها[3].

كل ذلك كان على حساب مذهب السلف الذي كانت عليه هذه الأمة من عهد النبوة حتى عصور الجمود المتأخرة من عهد الخلافة العثمانية والتي بلغت من السوء غايته في القرن الثاني عشر الهجري، وما تلاه من عهود حتى سقوط الدولة العثمانية بل استمرت آثارها ماثلة إلى يومنا هذا في كثير من ديار المسلمين[4].

---

(١) المرجع السابق ص٣٣٧.

(٢) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ولد ونشأ في القلمون وتعلم فيها، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له، ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، وتوفي في القاهرة، ودفن بها.
وله مؤلفات كثيرة: من أشهرها: مجلة (المنار) و (تفسير القرآن الكريم). انظر الأعلام – للزركلي (٦/ ١٢٦)، والمجددون في الإسلام – لعبد المتعال الصعيدي ص٥٣٩.

(٣) انظر المجددون في الإسلام – لعبد المتعال الصعيدي ص٥٣٩.

(٤) حركة التجديد والإصلاح في نجد – لعبد الله العجلان، ص٢٣.

ثانياً: ظهور الإلحاد[(١)]:

فبالإضافة إلى مشاكل الحياة الدينية الموجودة التي ذكرناها آنفاً والتي انتشرت في شتى بلاد المسلمين في القرون المتأخرة، فإنه ظهرت في تلك الفترة الزمنية مشاكل جديدة على الحياة الدينية في مصر لم تكن من قبل والتي أتى بها الأوروبيون المصلحون معهم، فيما حملوه من متاعهم من خلال الاحتكاك المباشر في مصر لما أتوا مستعمرين، وفي أوروبا لما ذهب المصريون مبتعثين متعلمين.

هكذا انتقلت عقلية الإلحاد الأوروبي إلى العقلية المصرية وفشت بين المتعلمين العصريين في المدارس الجديدة التي لم يكن فيها صبغة دينية، ومن خلالها تسللت هذه الأفكار حتى وصلت إلى عقول بعض العلماء، وبدأت هذه الفكرة تسيطر على عقول الكتاب والمفكرين حتى برزت في الصحف والمجلات السيارة. وتبعاً لإنكار هذه الفكرة جاءت فكرة أخرى هي: إنكار كل ما يتصل بعالم الغيب.

فتبين من هنا أنَّ الفتنة المثارة ضد الدين، الواصلة إلى حد إنكار وجود الله تعالى، وإنكار معجزات الأنبياء المستلزم لإنكار النبوة، لكونها أيضاً من الخوارق التي لا يقدر على تجربتها في هذا الزمان، والتشكيك في أخبار الأنبياء عن الغيب والمستقبل، بل وإخبارهم عما سبق أيضاً من أخبار الأمم السابقة، قد طمَّت وعمَّت ووصلت إلى علماء الأزهر الجدد والكتاب العصريين وقد قويت هذه الفتنة وشد أزرها العلم الحديث، وتهيبها علماء الأزهر الباقون على عقيدة الإسلام وسكتوا عنها[(٢)].

ثالثاً: التنصير[(٣)]:

ومن ناحية أخرى، ومع وصول الأوروبيين وسيطرتهم على مقاليد الأمور في مصر، شعر النصارى بقوة لم تكن قد دبت في جسدهم المنهوك من قبل، وقد شد أزرهم المستعمر الأوروبي

---

(١) المقصود منها في هذا العصر،: هو إنكار وجود الله، والقول بأن الكون وُجِدَ بلا خالق أو أنَّ المادة الأزلية أبدية، وهى الخالق والمخلوق في ذات الوقت. انظر مذاهب فكرية معاصرة – محمد قطب، ص٦٠٥، وكواشف زيوف – عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، ص ٤٣٣، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – د. مانع الجهني (٨٠٣/٢).

(٢) انظر منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة – لتامر محمد محمود متولي ص٥٣.

(٣) حركة دينية سياسية استعمارية، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب. انظر والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – د. مانع الجهني (٦٦٥/٢).

الذي يدين بدينهم ـ ولو بحسب الدعوى الظاهرة مع هزيمة دولة المسلمين ووصولها إلى أقصى دركات ضعفها، فدفعهم ذلك إلى التقوي بهذا الأوروبي القوي على المسلم المهزوم الضعيف، وبدأت دعوة قوية للتنصير في مصر على صفحات الصحف والجرائد والمجلات والتي كانت تصل إلى كبار علماء الدين الإسلامي حتى شيخ الأزهر، وأصبح عمل المنصرين جهاراً نهاراً، والدعوة إلى المسيحية تزداد نشاطاً، وقد تتخذ شكل القوة والإرهاب أيضاً.

لقد بلغت القوة المتوهمة لدى النصارى أنْ ألفوا وعقدوا مؤتمراً لهم ينادون فيه بمطالبهم الدينية وبلغت الدعوة هذه مبلغاً حتى عقد علماء الأزهر مؤتمراً نادوا فيه بوقف هذه الموجة [1].

رابعاً: العلمانية[2]:

فبالإضافة لحركات التبشير أو التنصير الصريحة والمستترة، ودعوات التغريب الفجة، ارتفعت أصوات البعض تنادي بفصل الدين عن الدولة، وتسللت العلمانية إلى العالم الإسلامي لأول مرة، بعد أن ظلت حتى القرن التاسع عشر الميلادي خصوصية غربية لا مبرر لوجودها، أو الحاجة إليها أصلاً في المجتمعات الإسلامية، وكانت مصر في طليعة الدول الإسلامية التي تسرب إليها هذا الفكر، وكذلك دعوة اتخاذ الرابطة الوطنية بديلاً عن الرابطة الإسلامية، وقد ترتب على ذلك كله أن نحيت حدود الله وشريعته عن الحكم بين الناس[3]، وأزيلت الرابطة الدينية.

وبعد هذا العرض الموجز للحالة المضطربة، التي مرت بها مصر في القرنين الماضيين الميلادي في شتى جوانبها – الساسية والاجتماعية والعلمية والدينية – حيث كان لها الأثر الواضح في شخصية طنطاوي جوهري رحمه الله .

فلهذا كان يؤمل نفسه منذ شبابه في تغيير الأحوال السياسية والإجتماعية والعلمية والفكرية السائدة آنذاك، وقد بذل جهدا كبيراً في سبيل إصلاح هذه الأوضاع.

ففي الجانب السياسي فقد اتخذ لنفسه موقفاً بطولياً مع الاحتلال بما يشهد له بأنه كان من أخلص أنصار القضية المصرية، فكان ينشر بين أوساط طلابه روح الوطنية، ويسطر للدفاع عن حياض الوطن الأناشيد الوطنية، ليبث في نفوس شباب مصر الأمل وترك التواني واليأس.

---

(١) انظر منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، لتامر محمد محمود متولي ص٥١ وما بعدها.

(٢) يقصد بها إقامة الحياة بعيدا عن الدين، أو الفصل الكامل بين الدين والحياة، انظر مذاهب فكرية معاصرة – محمد قطب، ص٤٩٥، وكواشف زيوف – عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، ص ١٦٢، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – د. مانع الجهني (٦٧٩/٢).

(٣) انظر مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة – د. أحمد قوشتي ص٦٤.

وقد كتب في الذود عن وطنه المقالات المنددة للدول التي تؤسس وجودها على أسنة الحراب وأصوات المدفع وتخريب البلاد ودك الحصون [1].

أما في الجانب الإجتماعي والعلمي يتضح لنا جلياً من خلال حركته الإصلاحية التي لطالما دعى بها الأمة بوحدة الصف والعمل على إصلاح ما فسد من خلال مؤلفاته ومقالاته، وكذلك عن طريق إنشائه بعض الجمعيات وانخراطه في بعضها كعضو داعم لها؛ كان الهدف من ذلك كله؛ هو إصلاح مارآه في صغره من الظلم الاجتماعي في قريته التي تربى فيها، وعزوف المسلمين عامة عن العلوم النظرية التي بسببها تفوقت الغرب على المجتمع الإسلامي.

يقول طنطاوي عن ذلك: ((اعلم أني كنت وأنا في حال الطفولة أقول في نفسي: ياليت شعري؛ لم لا يكون الناس كلهم أسرة واحدة يساعد بعضهم بعضاً. ثم إني أجد في نفسي نزوعاً إلى أمر عظيم؛ فأحسُّ بأنَّ هناك مجداً أو ملكاً قد فقده قومي وأريد إرجاعه...

ولقد ظهر أثر الفكرة الأولى، وهي أنَّ العالم يكون أسرة واحدة في كتاب " أين الإنسان"، وأما فكرة إرجاع المجد و مسألة تقصير المسلمين في العلوم، فهي مقاصد أكثر كتبي، وأهمها هذا التفسير، هذه هي الخواطر)) [2].

و من أثر الحالة العلمية البائسة التي كانت في عصر طنطاوي على شخصيته، عتابه الشديد على علماء المسلمين لانشغالهم بالعلوم الشرعية فقط، وعدم الاكتراث للعلوم الطبيعية والنظرية والفلكية.

يقول طنطاوي عن ذلك: ((يا معاشر المسلمين، ويا علماء الأمة اقتصاركم على الأحكام الشرعية جهالة عمياء ونذالة حمقاء، افتحوا عيون الشعوب للجمال الإلهي والأخلاق والفضائل)) [3].

وقد كان كان يدعوا المسلمين إلى دراسة العلوم النظرية والطبيعية؛ لتنهض الأمة ولتكون في مصاف الأمم المتقدمة علمياً وحضارياً.

يقول طنطاوي: ((ياأيها الإخوان المسلمون؛ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن نعبد الله ونحمده ونشكره، وليس فيكم من لا يعظم القرآن، أليس القرآن كلام الله؟ ها أنا ذا أعرض عليكم بعض آياته... التي تشوق وتحض على علم الفلك وعلم الطبيعة، وبعبارة أخرى: العلوم الرياضية والطبيعية)) [4].

---

(١) انظر في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ٢١.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٧٤/٧).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣١/٣).

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٩/٢٦).

ولهذا كان من أمنياته أن يكون "تفسيره الجواهر" – وما بث فيه من العلوم الطبيعية والرياضية – سبباً لرجوع المسلمين إلى العزِّ والمجد الذي فقده المسلمون في عصره.

يقول طنطاوي: ((إنّ ظني بالله جميل أن يجعل هذا التفسير نافعاً للأمة الإسلامية، وأن يكون مساعداً على الإنقلاب الفكري في العالم الإسلامي، حتى يصبح المسلمون أمة حكم وعلم)) [(١)].

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٣/١١).

المبحث الثاني: حياته الشخصية والعلمية

المطلب الأول: حياته الشخصية:

اسمه ولقبه ومولده ونشأته:

اسمه ولقبه: هو طنطاوي بن جوهري المصري المفسر والأديب [(١)].

مولده: ولد في قرية كفر عوض الله حجازي، إحدى قرى الشرقية بمصر بالقرب من الآثار الفرعونية في (بوباستس) أي (تل بسطه) جنوب شرق الزقازيق سنة/ ١٨٦٢م على الصحيح من الأقوال [(٢)]، وقيل ولد سنة:١٨٧٠م [(٣)].

نشأته: لقد تربى طنطاوي جوهري في قريته التي ولد فيها على الحياة البسيطة، فكان يشتغل في الزراعة والحقل، وذاق مرارة الحياة الريفية.

يقول علي الجمبلاطي [(٤)] عن نشأته: ((ترعرع طنطاوي جوهري في البلدة التي ولد فيها، وعاش في قريته الأعوام الخمسة عشرة الأولى من حياته، وكان يشتغل فيها بالأعمال الزراعية مع أسرته، وتأثر كثيراً بظروف المعيشة التي كانت سائدة بين أهل الريف، واحتفظ من طفولته الريفية بطريقة الخشونة والصراحة في مواجهة بعض الموضوعات، وانطبعت في ذاكرته ظواهر الظلم الاجتماعي في القرية، وعانى شخصياّ من فقر أسرته، مما جعله يرغب في تغيير الأحوال السياسية، وبذل جهوده في إصلاح هذه الأوضاع.

ولقد اصطدم منذ طفولته بالتقاليد الشائعة التي كانت في بيئته، ومن البؤس الذي يحيط به، مما جعله يفكر في (الغرض من الحياة) وينظر إلى الدنيا نظرة بعيدة الغور، وقد تحدث عن

---

١)) الأعلام للزركلي (٣/٢٣٠)، وانظر الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية – زكي محمد مجاهد، ص٣١٨ – ٣١٩.

(٢) بدليل أنه تخلى عن التدريس عام/١٩٢٢م لبلوغه السن القانونية للمعاش، انظر في ذكرى طنطاوي جوهري لعلي الجمبلاطي ص٩- ٢١.

(٣) الأعلام للزركلي (٣/٢٣٠).

(٤) هو علي محمد علي الجمبلاطي، شاعر مصري، ولد في قرية العزيزيّة الواقعة في المحافظة الشرقيّة بمصر، درس في دار العلوم وعمل مدرسا للغة العربية وترقى في عمله حتى وصل إلى وظيفة مستشار اللغة العربية في وزارة التعليم والتربية حيث شارك في تأليف بعض الكتب المقررة في مادته. توفي سنة ١٩٧٦م.

انظر **https://ar.wikipedia.org/wiki** ، و**http://wiki.kololk.com/wiki37203-aladab** .

ذلك في موضوعات كثيرة من تفسيره للقرآن))[1].

هكذا نشأ طنطاوي بين أسرته التي كان لها اتصالٌ حميدٌ بعلماء الجامع الأزهر يَفِدُون كل عام على سراة الأسرة و أكابر بلدة (الغار) التي فيها أسرة أخوال والدته، فأثر ذلك كله في والده الذي كان يشوّقه دائماً أن يكون له ابن يضارع أولئك العلماء الذين يجوبون البلاد[2]، ويتصدرون المجالس أمام الملأ بعلمهم وسمتهم فكان له ما أراد.

المطلب الثاني: حياته العلمية والعملية:

المسألة الأولى: حياته العلمية:

كانت حياة طنطاوي جوهري ﷺ حافلة بالجد والاجتهاد في طلبه للعلم.

١- حيث تلقى تعليمه الأول في قرية (الغار) بالقرب من الزقازيق، بلد جدته لأمه، وكان مشهوراً بجودة الحفظ والذكاء المفرط[3]، فألحقه أهله منذ صغره بـ(كتَّاب) القرية ليحفظ القرآن، وكانت له جدة في تلك البلدة من أسرة عريقة لها نفوذ وسلطة تسمى أسرة (الغنائمة)، وكانت جدته هذه تعني به عناية خاصة، ولما أتمّ حفظ القرآن في (الكتّاب)، بدأ يشعر بغرام العلم وولع للدرس شديد، وشاقه الوجد والهيام، وزاد به الولع والغرام وهو في السن الثالثة عشر من عمره ولا سيما مع ما كان يراه من اشتغال أولاد عمه بالعلم والحضور بالجامع الأزهر[4].

٢- ولما بلغ الحد الذي يسمح له بدخول الأزهر عام/ ١٨٧٧م أرسله والداه إليه، والشوق يدفعه إلى العلم، والرغبة تستحثه إلى الدأب وراء العلوم والمعارف وفهم الدروس، ولقد ظهر ذكاؤه الحاد بالرغم من كثرة الحواشي والمتون، وبالرغم من الأساليب التربوية المتبعة وقتذاك وطرق التعليم العقيمة التي كانت قائمة في هذا الجامع العريق، وقد كانت لهذا الجامع مكانته المرموقة في قرى مصر[5].

وكان لقرار والديه بالسفر إلى القاهرة حيث الأزهر الشريف أعظم الأثر في تعليمه، فقد درس فيه اللغة العربية والفقه الإسلامي، ومذهب الإمام الشافعي والعلوم الأخرى من نحو

---

(١) في ذكرى طنطاوي جوهري - لعلي الجمبلاطي ص١٢.

(٢) انظر الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص - د. عبد العزيز جادو ص١١، و مرآة العصر في تاريخ و رسوم أكابر الرجال بمصر – إلياس زخورا (٢/٢٢٥- ٢٢٨).

(٣) المفسرون مدارسهم ومناهجهم - د. فضل حسن عباس ص٣٠١، وفي ذكرى طنطاوي جوهري - لعلي الجمبلاطي ص٩.

(٤) انظر الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص - د. عبد العزيز جادو ص١١، و مرآة العصر في تاريخ و رسوم أكابر الرجال بمصر – إلياس زخورا (٢/٢٢٥)..

(٥) انظر الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص - د. عبد العزيز جادو، ص١٢، وفي ذكرى طنطاوي جوهري - لعلي الجمبلاطي ص١٢.

وتوحيد وعروض وبلاغة ومنطق....إلخ[(١)].

بيد أنَّ ظمأه للمعرفة لم يروِ له، وهناك في الأزهر أحس أنّ حظه من المعرفة لم تكن تحت أقبية الجامع بل في قريته، فكانت الاجازات التي تعود به إلى قريته تعوضه عما عجز عنه الأزهر، حيث كان يقضي وقته بين المزارع والحقول، وبين حنايا الطبيعة يسبح في ملكوت السموات والأرض، ويتأمل الكواكب وعجائبها بجوار بقايا الآثار الفرعونية، وكلما أحس بالجهل توجه إلى الله أن ينير بصيرته[(٢)]، ولجأ إليه ﷻ بالذكر والدعاء حتى تهدأ نفسه.

ولقد تعثرت مسيرته العلمية بسبب مرضه الشديد الذي ألمّ به، وبسبب الأزمات السياسية التي مرَّت بها مصر فاضطر إلى التوقف عن الدراسة بالأزهر؛ بعد أن قضى به خمس سنوات، وذلك عام: ١٨٨٢م.

وعاد إلى أسرته في القرية حيث وجد أباه أيضاً يعاني من المرض، واضطر إلى البقاء مع أسرته الفقيرة لمساعدتها بالرغم من مرضه، وأخذ يعمل مع الفلاحين في الحقول بنفسه، ويداوي مرضه بالعقاقير التي كان يقرأ عنها في كتب الطب القديمة، ويداوي كذلك والده.

وأثناء مزاولته العمل في الزراعة واشتغاله بالفلاحة اكتسب نزعة جديدة اتجه فيها إلى البحث عن وجود الله، فقد تجلت له الطبيعة بأحلى مظاهرها، وانفتحت لبصيرته أبواب العلوم، هنالك أخذ ينظر إلى الأشجار والأزهار والحقول من حيث منافعها الطيبة لمرضه الذي أصابه وبوالده، ومن حيث دلالتها على المبدع الخالق[(٣)]، ولم يقتنع بالأدلة التي أثبتت وجود الله في الكون، فعكف على الصلاة وقراءة تفسير الجلالين، وفي النهاية بفضل الراحة التي أحسها بين أحضان الطبيعة وبفضل صلواته وتأمله الخاشع زالت أزمته النفسية[(٤)].

وكان في نظره إلى جمال الكون وبهجة الطبيعة يدعو الله أن يشفي له ولوالده، ويعيد إليه صحته، ويعيده هو إلى الجامع الأزهر، واستجاب الله دعوته، وعاد إلى الأزهر ثانية بعد ثلاث سنوات قضاها في قريته عشق فيها الطبيعة وجمالها[(٥)].

وجلس في الأزهر أربع سنوات وطَّد فيها أواصر الصلة بينه وبين أستاذ الخطابة الذي

---

(١) انظر الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو، ص١٢-١٣، وفي ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص١٢، والجواهر في تفسير القرآن الكريم – طنطاوي جوهري (١٦٨/٢٣)، فقد ذكر فيه شيئاً من حياته العلمية حينما كان طالباً في الأزهر.

(٢) في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص١٤، وانظر الجواهر في تفسير القرآن (٥/٢٢).

(٣) انظر الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص١٣.

(٤) في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص١٥.

(٥) انظر الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص١٣، ومرآة العصر في تاريخ و رسوم أكابر الرجال بمصر – إلياس زخورا (٢٢٦/٢).

وجد عند طنطاوي رغبة ملحة في تعلم الفلك، فأعاره كتاباً[(١)] كان يقتنيه خاصاً بهذا العلم، ليقرأه في أثناء إجازة نصف السنة، لينقل ما فيه من العلوم أو يحفظ منه ما يشاء، ثم يعيده له ثانية، ووجد طنطاوي في هذا الكتاب بغيته من أسماء الكواكب والمعلومات الفلكية الطريفة، وكانت سعادته لا توصف إذ هيأ الله له الحصول على هذا الكتاب القيّم[(٢)].

٣- ثم انتقل طنطاوي من الأزهر إلى مدرسة دار العلوم، حيث التحق بها عام/ ١٨٨٩م، وظل يدرس بها حتى تخرج منها عام/ ١٨٩٣م.

ودرس فيها مبادئ العلوم الحديثة التي لم تكن مقررة في الدراسات الأزهرية: كالحساب والهندسة والجبر والفلك وعلم النبات والطبيعة والكيمياء، ودرس فيها الفقه الحنفي كذلك.

وقد عرفه فيها إخوانه وأقرانه بميله الشديد إلى جمال الطبيعة، والنظر إلى الكون، والغرام لسماع الطيور والنظر إلى الأشجار والأزهار، وشاهدوا منه عشقاً مفرطاً للرياضيات والطبيعيات، وكانت درجاته في علم الفلك والعلوم الرياضية والطبيعية والعربية عالية جداً[(٣)].

وحين كان يكمل دراسته في دار العلوم كان يتتبع هوايته في الحياة ولم تؤثر عليه الناحية الدنيوية والمادية لمدينة القاهرة، فلما كان طالباً بالسنة الأولى في المعهد لم تكن اتصالاته الخارجية تزيد على معرفته بالأزهر والحقول[(٤)].

يخبرنا طنطاوي جوهري ﷺ عن الفترة الزمنية التي قضاها في دار العلوم، ويفضي لنا بما يكن صدره وبما كان يشعر به من أحاسيس وانطباعات في تلك الفترة.

فقال: ((اتصلت بدار العلوم، فدرست فيها علم الفلك الحديث، بعد ما درست القديم في الفلسفة، هنالك دهشت أعظم الدهش وقلت في نفسي: هذه فرصة سانحة، فها هم أولاء علماء الأمم قديماً وحديثاً نظروا فيما كنت حائراً فيه حقلنا))[(٥)].

ويتبين لنا من خلال النظر والدراسة عن حياة طنطاوي التعليمية، أنّ القرية التي ولد فيها والذي عاش بين جمال طبيعتها وحدائقها، وإجازته الدراسية التي كان يتمتع بها أيام دراسته في الأزهر لعبت دوراً هاماً في حياته، وكيف كان لدار العلوم أثرها العظيم في تقدمه الثقافي، وفي

---

(١) لم يذكر طنطاوي عنوان هذا الكتاب ولا مؤلفه، وكذلك الذين كتبوا عن طنطاوي وتترجموا له لم يذكر أحدهم اسم هذا التأليف.

(٢) انظر الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص١٤.

(٣) انظر الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص١٤، ومرآة العصر في تاريخ و رسوم أكابر الرجال بمصر – إلياس زخورا (٢/٢٢٦).

(٤) في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص١٨.

(٥) الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص١٥، و مرآة العصر في تاريخ و رسوم أكابر الرجال بمصر – إلياس زخورا (٢/٢٢٦).

فتح عينيه على الحياة أوسع من قبل[1].

المسألة الثانية: حياته العملية ومنهجه في التدريس:

بدأ طنطاوي جوهري حياته العملية بعد ما تخرج في دار العلوم، حيث عكف على التدريس منذ ذلك الوقت ومارس مهنة التعليم بادئ ذي بدأ: بمدرسة دمنهور الابتدائية حيث بقي فيها ثلاثة أشهر، ثم عمل بعد ذلك مدرساً بمدرسة الناصرية الابتدائية بالجيزة، وتركها بعد اثنتي عشرة سنة عندما ما وقع خلاف بينه وبين ناظر المدرسة، فدعت الحال إلى نقله لمدرسة الجيزة ثم المدرسة الخديوية الثانوية بالقاهرة في حي الجماميز، حيث بقي فيها عشر سنين من سنة: ١٩٠٠م إلى ١٩١٠م[2].

وفي أثناء وجوده بها عكف على تعلم اللغة الانجليزية حتى أتقنها واختلط بكبار الانجليز وترجم من مؤلفاتهم، وفي خلال هذه الفترة رشح لتدريس الفلسفة العربية في جامعة لندن، ولكن دسائس زملائه منع من السفر.

وفي عام: ١٩١١م عاد إلى دار العلوم ليقوم بتدريس التفسير والحديث والنحو، إذ بدأ تفسيره للقرآن الكريم من هذا التاريخ، وقد اختير أيضاً ضمن هيئة التدريس بالجامعة المصرية القديمة حين إنشائها ليلقي بها محاضرات على طلابها في الفلسفة الإسلامية.

وبعد إعلان الحرب العالمية الأولى عام:١٩١٤م أخرج طنطاوي جوهري من دار العلوم لموقفه المندد ضد الاحتلال وما قام به من دعوته للوطنية وبنشر الوعي بين الناس لطرد الانجليز من البلاد، لأن حنقه على الدول الأوربية التي تحتل البلاد الإسلامية كانت تفيض بها خطبه وكتابته وأحاديثه، فحاول بعض مواطنيه بالدس له عند الانجليز، وأشيع عنه كذلك أنه ينشر بين طلابه روح الوطنية، فكان ذلك سبباً في إخراجه من المدرسة.

وفي اكتوبر عام:١٩١٤م انتقل إلى المدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية، وكان يُدَرِّسُ فيها إلى أن دُعي إلى القاهرة للتدريس بالمدرسة الخديوية ثانية في اكتوبر ١٩١٧م، واستمر فيها حتى عام:١٩٢٢م.

بعدها تخلى عن التدريس لبلوغه السن القانونية للمعاش[3] بعد أن قضى في مجال التدريس أكثر من ربع قرن، وبعد ذلك خصص فراغه في مجال البحث والكتابة والتأليف.

---

(١) انظر الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص١٥.

(٢) انظر الأعلام للزركلي (٣/٢٣٠)، وفي ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص١٩، وانظر الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص١٦.

(٣) انظر في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص٢٠، و الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص١٧.

منهجه في التدريس

كان طنطاوي عالماً أديباً فيلسوفاً[(١)] مع ما كان يتمتع به من الأسلوب الشيق، المحبب في طريقة تدريسه وفي شرحه الدروس للطلاب، فكان معلماً فريداً من نوعه و أنموذجاً يحتذى به، فتراه في درسه كالطائر في قفص يحاول أن يرد نفسه إلى حدود المنهج المدرسي فلا يطاوعه علمه ولا يساعده تبحره، كان يقرر المسألة فيستشهد في شرحه بصغار الهوام والحشرات ثم يحلق بك في أجواء من عالم الفلك والسموات، فلا يكاد ينتهي من درسه حتى تشعر كأنك قمت برحلة في طائرة شاهدت بها عالم السموات، أو طفت البحار في باخرة شاهدت فيها عجائب البحار، أو طفت بالحقول فتأملت فيها غرائب النبات، أو تنقلت بين السهول والجبال فأدركت عجائب الكائنات غير الناطقات مع عبارة تستهويك، وألفاظ لا تملها، وأمثلة من المشاهدات، تظنها صعبة الفهم والمنال؛ غير أنَّه في طياتها من الدروس والحكم ما يستوقفك ويستوحيك الفكر والتأمل والتعليل، فتعلم أنك تعيش في عالم كله دروس وكل مسائله علمية وكله يسترعي النظر وكله يتطلب الفحص والتأمل.

هذا هو منهجه في شرحه للمسائل وفي تقريره الأبحاث العلمية أو تفسيره الآيات القرآنية في دائرة الدرس المحدود والمنهج الموقوت بالزمن المقيد بعدد المستمعين فإذا كان في محاضراته أو ندواته كان أضعاف ذلك من الانطلاق والافاضة[(٢)].

المطلب الثالث: حياته الاجتماعية وحركته الاصلاحية:

تعتبر شخصية طنطاوي جوهري شخصية اجتماعية اعتبارية، فكان يشارك مجتمعه في جميع نوائب الحياة، وكان يفرح بفرحهم ويحزن ويتألم بألمهم، وقضى حياته كلها في مصر ولم يسافر إلى الخارج إلا في أوائل عام: ١٩٣٤م حيث سافر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج[(٣)].

حيث شارك طنطاوي ﷺ المجتمع المصري في أغلب قضاياهم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية بفكره وخطبه وكتاباته وأحاديثه، وكان من أخلص المخلصين لقضية البلاد واستقلالها من فجر النهضة إلى وقت وفاته، فهو أحد قادة النهضة السياسية والدينية، ومن رؤساء الحركة السياسية والاجتماعية[(٤)].

وعندما انتقل إلى الإسكندرية للتدريس فيها عام: ١٩١٤م انتهز فرصة وجوده بهذه

---

(١) المفسرون مدارسهم ومناهجهم – د. فضل حسن عباس ص٣٠٢.

(٢) انظر في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي٢٥.

(٣) انظر المرجع السابق ٢٥.

(٤) الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو، ص١٧، انظر المفسرون مدارسهم ومناهجهم – د. فضل حسن عباس ص٣٠٣.

المدينة، فكوَّن جمعية من الطلاب والتلاميذ أسماها: (الجمعية الجوهرية) وكان لها أثرها في بث الوعي القومي والثقافي بين الشباب الإسكندري.

فهو لم يكافح ويناضل في سبيل سمو مبادئ الإسلام وقواعده فحسب[(١)]، بل كافح وناضل عن القضية المصرية بما يشهد له بأنه كان من أخلص أنصار القضية المصرية، حيث ناصر الحركة الوطنية وكان ينشر بين أوساط طلابه روح الوطنية، وبث هذه القوة في نفوس الناشئة من معلمي المستقبل الذين ينتشرون في أنحاء البلاد، وكان عضواً في الحزب الوطني الذي أسسه الزعيم مصطفى كامل[(٢)].

وفي أثناء المظاهرات التي قامت ضد الانجليز عام/ ١٩١٩م قام العسكر بتفتيش مسكنه، لما عرف عنه من وطنيته وتحمسه لقوميته، وما اشتهرت به مقالاته وما يسطر به من الأناشيد الوطنية، التي كان ينشرها في جريدة اللواء عن الأمم المستعبدة والأمم المستضعفة ووسائل الاصلاح، وكان يندد فيها الدول التي تؤسس وجودها على أسنة الحراب وأصوات المدفع وتخريب البلاد ودك الحصون، والتي جمعت بعد ذلك في كتاب (نهضة الأمة وحياتها)[(٣)].

وكما أسس جماعة الأخوة الإسلامية، وكانت تجمع طلاب المسلمين من الشرق الأوسط ومن الشرق الأقصى حين جاؤوا إلى مصر ليتعلموا فيها، وقد أضعفت الحرب العالمية الثانية سنة: ١٩٣٩م – ١٩٤٥م نشاط هذه الجمعية، وقد تسلمت هذه الجمعية مكتبة طنطاوي جوهري إذ كان قد أوصى بذلك قبل وفاته.

وكان أيضاً رئيساً لجمعية المواساة الإسلامية التي بدأت على يديه وكان أحد مؤسسيها، كما كان عضواً بجمعية البر والإحسان وكان يرى في (جمعية الشبان المسلمين) مثلاً طيباً للحركة الإسلامية في الشبيبة الناهضة فكان عضواً فيها[(٤)].

ولم يكن طنطاوي جوهري رحمه الله عالماً كسائر العلماء، بل كان ممتازاً في كل النواحي، فهو عالم ديني إسلامي وطني، وهو عالم اجتماعي عالمي، جمع بين الثقافتين الدينية والحديثة، ومزج المسائل الدينية بالآراء الاجتماعية والسياسية[(٥)].

---

(١) الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو، ص٤٦.

(٢) هو مصطفى كامل باشا ابن علي محمد: أحد مؤسسي نهضتها الوطنية، ولد في القاهرة سنة: ١٨٧٤م، قاوم الاحتلال الإنجليزي بخطبه ومقالاته وكتبه، وتوفي شابا في القاهرة سنة: ١٩٠٨م، فرثاه شعراء مصر وكتابها، وله مؤلفات منها: حياة الأمم والرق عند الرومان، وفتح الأندلس، والمسألة الشرقية، ودفاع مصري عن بلاده، وغيرها. الأعلام – للزركلي (٢٣٨/٧).

(٣) انظر في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ٢١.

(٤) انظر المرجع السابق ٢٢.

(٥) الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص١٦.

لقد كان عالماً متمكناً بطبيعة الأرض وبحياة أهل الأرض، وكان مجاهداً صادقاً من الرعيل الأول من المجاهدين الصادقين في الصف الأول[(١)]، جاهد حق الجهاد بقلمه وبرأيه في رفعة شأن الإسلام، والانتصار لمبادئه مظهراً أنه دين العقل والتجديد لا دين التسليم والتقليد، يرمي في كل أحاديثه وتآليفه إلى التوفيق بين العلم الحديث وما جاء به القرآن، وإلى أنَّ العلم إذا حسن فهمه كان أداة صالحة لتفهم روح الدين.

وكانت الثقة بمستقبل المسلمين وبسيادتهم العالم وبنشرهم العلم بين ربوعه وإقامتهم السلام والطمأنينة مقام الحروب والقتال، أخذ المسؤولية على نفسه، وهي تملأ كتابه (القرآن والعلوم العصرية) كما تجدها في ثنايا كتابه الكبير (الجواهر)، وقد كانت ثقته باجتماع شمل المسلمين وصلاح أمر أهل الأرض تنزل من نفسه منزلة اليقين الذي لا يخالطه ريب[(٢)].

كان طنطاوي يتابع ما ينشر في الصحف والمجلات من اكتشافات علمية ارتبطت في ذهنه والتطور الحضاري للغرب، لهذا نراه يقرن بين الجمهور والتخلف من ناحية وبين عزوف المسلمين عن العلوم الحديثة، وقاد دعوة إلى الاصلاح الاجتماعي قوامها نشر هذه العلوم مؤيداً قوله بالأدلة والأمثلة التي لا حصر لها بأنه لا جفوة بين القرآن وهو مصدر العقيدة الأول وبين هذه العلوم، بل إنه أكد القول بأنَّ القرآن يحث المسلم على طلب العلم بمعناه الشامل: وطريق ذلك في نظره نشر المدارس وإنشاء الجامعات الحديثة.

وتبلورت هذه الدراسات الموسوعية في نوع من الفلسفة الاجتماعية، وأصبح داعياً إلى نظام دولي يقوم على السلام والإخاء منددا باستخدام الدول العظمى للقوة في إقرار سياستها، وضمن ذلك عدة كتب منها (نظام العالم والأمم) و (النظام والإسلام)[(٣)] و (نهضة الأمة وحياتها) لهذا كان يرى نفسه في آخر حياته أحد دعاة السلام العالمي.

وكان يرى أنه جدير بنيل (جائزة نوبل للسلام)[(٤)]؛ وذلك لمؤلفاته الكثيرة في هذا المضمار، ولا سيما أنَّ بعضها أو فقرات منها قد ترجمت إلى اللغات الأوربية[(٥)].

---

(١) المرجع السابق ص٤٠.

(٢) المرجع السابق ص١٧.

(٣) المرجع السابق ص٤١.

(٤) هي إحدى جوائز نوبل الخمسة التي أوصى بها ألفرد نوبل. ولم تعرف أسباب أختياره للسلام كأحد مواضيع جوائزه. وتمنح جائزة نوبل سنويا في العاصمة النرويجية أوسلو في العاشر من ديسمبر من قبل اللجنة النرويجية لجائزة نوبل، ويتم اختيار المترشحين للجائزة من قبل هيئة يعينها البرلمان النرويجي وذلك حسب وصية نوبل. حيث يتم منحها للذين "قاموا بأكبر قدر أو أفضل عمل للتآخي بين الأمم، من أجل إلغاء أو تخفيض الجيوش الدائمة ومن أجل الحفاظ على السلام وتعزيزه. انظر صفحة/ https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٥) المرجع السابق ص١٠٥.

و على ذلك فقد تقدم طنطاوي عام/ ١٣٣٩م إلى لجنة هذه الجائزة بالبرلمان النرويجي لينال هذه الجائزة، واللجنة سألت عنه وزارة الخارجية المصرية، وبدورها سألت عنه وزارة المعارف فنظرت الوزارة في طلب الأستاذ، وأحالت كتبه إلى عميد كلية العلوم آنذاك لفحصها وإبداء رأيه فيها، فأخذت وزارة الخارجية بهذا الترشيح وأرسلت مؤلفاته إلى البرلمان النرويجي مشفوعة بتقرير عن جهوده في سبيل العلم والسلام، وشهادات علماء انجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا في قيمة مؤلفاته[(١)]، لكن وافته المنية قبل الحصول عليها.

المطلب الرابع: مؤلفاته وآثاره العلمية:

ترك طنطاوي جوهري ﷺ تراثاً فكرياً قيّماً، يكاد يشكّل وحده مكتبة كبيرة، فهو يعد من كبار المؤلفين العرب، فقد ترك من بعده أكثر من ثلاثين كتاباً، وعشرات المقالات الصحفية في ميادين التربية والتعليم، واللغة والأدب، والفلسفة، والسياسة، والتاريخ، والعلوم، والتفسير، يمكن أن تكون موسوعة ضخمة في مختلف فروع المعرفة.

يقول طنطاوي ﷺ عن نفسه: ((كنت أختلس من الوقت ما أقدر عيه وأؤلف كتباً، فبلغت الرسائل والكتب ما يقرب من أربعين ونشرت بين المسلمين))[(٢)].

يقول د. عبد العزيز جادو[(٣)] عن مؤلفات طنطاوي بأنها ((كلها كُتِبَتْ بطريقة سلسة ومحببة للقارئ بأسلوب شيق ويسير يبدو فيها وكأنه قاصٌ يقص عليك أمتع القصص وأغرب الوقائع صاعداً هابطاً يجوب بك الآفاق، ويخترق الحجب، ويغور وينجد، ثم لا تجد له صعوبة في كل ذلك.

اللهم إلاّ ما تحس من أنك أمام مشكلات علمية ونظريات دقيقة ونتائج مدهشة ما كنت لتدركها لو لم تقرأ هذا الكتاب وذلك في سعة اطلاع ورسوخ قدم في البحث والتحقيق.

ولقد ترجم بعض هذه الكتب إلى اللغات الأخرى، مثل الانجليزية والفرنسية والأمهرية والهندوكية والاندونيسية وغيرها من لغات العالم))[(٤)].

ويمكن تصنيف معظم هذه المؤلفات وفق الترتيب الموضوعي التالي:

---

(١) في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ٥٩.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن (٨٦/١١).

(٣) هو عبد العزيز جادو، له مؤلفات عدة منها في علم النفس وغيره، منها الروحية طرق الحكمة، والعقل منبع الحكمة، قل الروح من أمر ربي، وغيرها، انظر https://www.goodreads.com/author/show/5456214.

(٤) الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص٢٠، وانظر في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص٢٥.

(١) **مؤلفات دينية علمية:** مزج فيها الحديث عن العلوم الكونية، والمكتشفات العلمية بالآيات القرآنية الكريمة، وحاول من خلالها إعادة فهم الدين في ضوء التطورات العلمية الحديثة، ووفق ظروف ومقتضيات العصر الحديث بشكل يضمن للإسلام دوره الحيوي والفاعل في بناء وإدارة عملية النهضة والتقدم في العالم الإسلامي، ومنها:

- **جواهر العلوم: النظر في الكون بهجة الحكماء وعبادة الأذكياء،** وطُبِعَ هذا الكتاب عدة مرات في حياته، وهو أول مؤلفاته، وقف فيه على كثير من حقائق الكون التي اكتشفها العلم الحديث، وقرنها بذكر ما يتعلق بها من الآيات القرآنية.

وقد كتب طنطاوي ﷺ هذا الكتاب على شكل رواية أدبية ليقربه من نفوس وعقول طلبة المدارس، ونابتة الجيل الجديد بشكل عام، فلذا قررته وزارة المعارف المصرية آنذاك مقرراً دراسياً على طلاب المدارس.

- **التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم،** وهذا الكتاب يحتوي على اثنتين وخمسين جوهرة، كل جوهرة منها تفسر آيات القرآن الكريم في ضوء الاكتشافات العلمية الحديثة.

وانتشر هذا الكتاب في بلدان شتى منها: تركيا، وإيران، وروسيا، والصين، وأفغانستان، وماليزيا، وإندونيسيا، واليابان، وبلاد شمال أفريقيا بعد أن ترجم إلى لغات أهل هذه البلاد.

وقدمه طنطاوي كتابه هذا إلى مؤتمر اليابان الديني عام (١٣٢٤هـ/١٩٠٦م) ليساعد اليابانيين على فهم مبادئ الإسلام، ويبين لهم مدى انسجامه مع مقتضيات المدنية الحديثة على أملٍ منه أن يختاروا الإسلام ديناً لهم.

- **جمال العالم:** وهو عبارة عن سلسلة من الدراسات في الحيوان والطير والحشرات والهوام، مقرونة بما يتوافق معها من آيات القرآن الكريم.
- **القرآن والعلوم العصرية:** دعا فيه جوهري المسلمين إلى الإقبال على دراسة العلوم الكونية الحديثة، ليكونوا على مستوى رسالة القرآن الكريم – الذي أبدى اهتماماً كبيراً بدراسة الكون والطبيعة في كثير من آياته، وأمر بدراستهما – وحتى يستحقوا بذلك شرف قيادة البشرية إلى ما فيه رفعة شأنها.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة المالاوية المنتشرة في ماليزيا وإندونيسيا.

- **نهضة الأمة وحياتها:** تحدث طنطاوي في هذا الكتاب عن حياة الأمة الإسلامية، وكيفية تنظيم حياتهم الاجتماعية، وأمورهم العلمية والأدبية، وجال في علوم الإسلام والأزهر ورجال الدين، وفصل في شرح المجالس النيابية.
- **ميزان الجواهر في عجائب هذا الكون الباهر:** وهذا الكتاب مكونٌ من ثلاثة أبواب؛ الباب الأول قد تحدث فيه طنطاوي عن الإصلاح عموماً فبدأ بالتعليم؛ ثم تطرق للأزهر وطريقة إصلاحه، ثم تحدث عن التمدن والمدنية والوطنية، وفي الباب الثالث تحدث عن

النظر والتأمل في الكون وعن الشعر والتاريخ، واللغة العربية ومكانتها منذ القدم، وقد طبع هذا الكتاب سنة: ١٣١٨هـ.

(٢) مؤلفات دينية فلسفية: دعا فيها إلى دراسة نظام الكون، وبناء نظام الأمم وفقه، حتى يحل العدل والسلام والمحبة بين الشعوب.

- **نظام العالم والأمم أو الحكمة الإسلامية العليا:** قدمه طنطاوي هدية إلى مدرسة ساكنة الجنان والدة الخديوي عباس باشا الأول.

وقد ترجم إلى اللغة الهندية والفارسية وانتشر انتشاراً طيباً بين مسلمي الهند وأفغانستان[(١)].

- **النظام والإسلام:** كان هذا الكتاب في الأصل عبارة مجموعة مقالات نشرها طنطاوي في مجلة ((المؤيد)) ذات الاتجاه الإسلامي.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغتين التركية، والأردية.

- **بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم العصرية:** تحدث فيه عن نشأة الفلسفة، وتطورها عند اليونان، وعن مدى عناية وإسهامات المسلمين بالفكر الفلسفي، وحاول فيه بكل قوة التوفيق بين الفلسفة والدين.
- **أصل العالم:** مباحث فلسفية في الجغرافية الطبيعية.
- **المدخل إلى الفلسفة:** حاول فيه طنطاوي مقارنة الحضارتان اليونانية والإسلامية في العلوم الفلسفية.
- **كتاب التربية للحكيم الألماني (كنت):** وموضوع هذا الكتاب في التعليم، وفي كيفية تربية الأطفال والتلاميذ، وأنّ الإنسان محتاج إليه... وهكذا، وقد ترجم من الألمانية إلى الإنجليزية بواسطة (آنيت تشرتون) ثم ترجم طنطاوي بتصرف وزيادة منها إلى العربية، وقد أعاد نشر هذه الترجمة بشكل كامل تقريباً في تفسيره[(٢)].

(٣) مؤلفات مدرسية وتربوية وأخلاقية وأدبية:

- **الفرائد الجوهرية في الطرق النحوية:** ألفه ودرسه لطلابه في مدرسة دار العلوم.
- **جواهر التقوى في الأخلاق:** وهو كتاب في علم الأخلاق درسه لطلابه في دار العلوم.
- **جوهرة الشعر والتعريب:** يحتوي هذا الكتاب على بعض قصائد طنطاوي التي كتبها بنفسه، ونشرها على صفحات بعض المجلات الأدبية في عصره.

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢/١٢٠).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٨/٢٥٠-٢٥٧).

- **مذكرات في أدبيات اللغة العربية:** وضعها لطلابه في المدرسة الخديوية.

(٤) رسائل في مسائل متفرقة:

- **رسالة القول الصواب في مسألة الحجاب:** وهي عبارة عن ثلاثة مقالات حاور وناقش فيها جوهري آراء قاسم أمين في كتابه ((تحرير المرأة)).
- **رسالة في الهلال:** ترجمت إلى عدة لغات منها: اللغة الهندية، والتركية، والقازانية (لغة أغلب مسلمي روسيا).
- **براءة العباسة أخت هارون الرشيد**[(١)]: وتروي هذه الرسالة قصة روحية حدثت مع طنطاوي جوهري، مفادها أن روح هارون الرشيد اتصلت بطنطاوي سنة (١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م) وطلبت منه تبرئة أخته العباسة مما نسب إليها من علاقة سيئة مع جعفر البرمكي!
- **رسالة عين النملة:** عرض فيها آخر الاكتشافات العلمية التي تظهر إبداع الخالق في تركيب عين النملة.
- **السر العجيب في حكمة تعدد أزواج النبي ﷺ:** تحدث فيها عن الوضع في الأحاديث النبوية، وسبب الكذب على رسول الله ﷺ، وقد ترجمت إلى اللغة الأوردية.
- **الموسيقى العربية:** هي عبارة عن بحث في الموسيقى فإن كل ما فيها هو بحوث في الكيمياء، حيث أثبت جوهري بالقوانين الكيمائية أن هذا الكون إن هو إلا موسيقى.
- **مجموعة رسائل تتضمن الرسائل التالية:**

الحكمة والحكماء، ما المقصود من هذا العالم؟، وجهة العالم واحدة في النظام العام، قطع شعرية معربة عن الإنجليزية، قصائد شعرية، طبعت هذه الرسائل عام (١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م).

- **سوانح الجوهري:** وهو عبارة عن مذكرات يومية له، رصد فيها كثيراً من مشاهداته وتجاربه وأحداث حياته اليومية، وما كان يدور في خلده من أفكار ذاتية تتعلق بالأمور السياسية والتربوية، وشؤون الأمم وسبل نهضتها.

يتضمن هذا الكتاب مشروعه الإصلاحي والعلمي الذي سعى إليه طوال حياته.

---

(١) هي علية بنت المهدي بن المنصور، أخت هارون الرشيد. ولدت سنة: ١٦٠هـ، تزوجت محمد بن سليمان بن علي ثم إبراهيم بن صالح بن علي وماتا عنها ثم تزوجها موسى بن عيسى العباسي، وقيل: أنه قد لا يكون من التاريخ ما يقال عن صلتها بجعفر بن يحيي البرمكي. و لها " ديوان شعر " وفي شعرها إبداع وصنعة. مولدها ووفاتها ببغداد، انظر الوافي بالوفيات – صلاح الدين الصفدي (٣٨٢/١٦)، والأعلام – للزركلي (٣٥/٥).

● **أين الإنسان:** وضعه بطريقة روائية فلسفية، قام فيها المؤلف برحلة خيالية للكواكب، دعا من خلالها إلى السلام العالمي، وبناء المجتمع الإنساني الفاضل، وقد قدم طنطاوي كتابه هذا إلى مؤتمر الأجناس الذي انعقد في لندن سنة: ١٩١١م [(١)].

وقد شرح فيه فكرته الإصلاحية التي رددها مراراً وتكراراً في تفسيره وكتبه الأخرى، وقد لقي هذا الكتاب استحسان الكثير من فلاسفة الغرب وكتابه وخاصة صدر هذا الكتاب إبان الحرب العالمية الأولى، التي جلبت الويلات والبؤس إلى البشرية.

● **الأرواح:** يمثل هذا الكتاب جانباً رئيساً من الجوانب التي استحوذت بل هيمنت على مجمل تفكير طنطاوي جوهري، وصبغت هذا الفكر بصبغتها العامة.

حاول طنطاوي في كتابه هذا إثبات عالم الأرواح، واستحضار أرواح الموتى، وإثبات قدرتها على مخاطبة البشر، والتدخل في شؤونهم، وحاول فيه إثبات الكشف الروحي، وكل أبعاد الطاقة الروحية فضلاً عن إثبات وجود الله ﷻ، ويوم القيامة، والجنة والنار، والملائكة والجن، ضمن رؤية تأويلية تنسجم مع ما أسفرت عنه نتائج البحوث الروحية في الغرب.

وانظر على سبيل المثال ما قاله طنطاوي في الفقرة التي عنونها بـ(معجزة القرآن التي ظهرت مطابقة لما تقدم عند بعض علماء النصارى الذين حدثوا الأرواح)، وكذلك تأويله للعذاب والنعيم بعد الموت [(٢)].

وبشكل عام، فقد حاول في كتابه هذا تأويل نصوص الكتاب والسنة، وقراءة التراث الصوفي في الإسلام، وبشكل خاص أفكار الغزالي والرازي وإخوان الصفا بشكل يتوافق مع النظريات الروحية الحديثة التي ظهرت في الغرب في عصره.

ولعله في هذا الكتاب كان مأخوذاً ومنبهراً بالاكتشافات الغربية الحديثة في هذا المجال التي أظهرت توافقاً ولو ظاهرياً مع مقررات العقيدة الإسلامية، فأراد أن يوظفها في مشروعه الخاص، وهو إقناع مثقفي عصره المنبهرين بالغرب وحضارته المادية، بضرورة العودة إلى الإيمان، والتمسك بالإسلام الذي أثبت الفكر الغربي نفسه أهم ثوابته العقدية التي تخلخلت الثقة بها في نفوس هؤلاء المثقفين.

يقول طنطاوي جوهري ((هذا كلام الأرواح، وقد ألفت كتاباً في هذا الصدد سميته (كتاب الأرواح). وقد أشرت إليه في هذا التفسير من قبل، وهذا من أعظم معجزات القرآن، وكيف يوافق الكشف والعلم الحديث ما جاء في القرآن الكريم، ويكشف الغامض من عجائب هذه العوالم الغائبة عنا، وكيف تنطق الأرواح اليوم بنفس ما شرحه نبينا ﷺ، وما جاء في

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٤/٣).

(٢) انظر كتابه الأرواح ص ٢٨٣ – ٢٨٨، و ٢٩٧ – ٣٠٨.

القرآن))[1].

● **أحلام في السياسة وكيف يتحقق السلام العام:** كتبه باللغة الإنجليزية، ثم ترجمه بنفسه إلى العربية عام: ١٩٣٥م، وهو في هذا الكتاب يمضي في شرح أفكاره بضرورة السلام العام بين البشر جميعاً، ووأضح فيه أن مدنية اليوم أصبحت مدنية حيوانية، فدعا الناس إلى الإنسانية الحقة التي يقوم فيها السلام على المحبة الشاملة، وتبادل المنافع بين جميع البشر على اختلاف أديانهم وأوطانهم وأعراقهم.

● **الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات:** وهو آخر مؤلفاته ﷺ، وأهمها، ويمكن اعتباره خلاصة عامة جامعة ومركزة لكل الأفكار التي أفنى عمره كله في سبيل دراستها ونشرها بين الناس، إذ ضمنه الكثير من كتاباته ورسائله التي ألفها سابقاً.

وقد طبع في حياته بين عامي: (١٩٢٢م – ١٩٣٥م)[2].

وهذا الكتاب هو الذي يصب بحثنا فيه فلذا نتكلم عنه بشيء من التفصيل والبيان ، ونرجئ الحديث عنه في الفصل الثاني من هذا الباب.

المطلب الخامس: وفاته:

عاش طنطاوي جوهري ﷺ ثمانية وسبعين عاماً قوي الذاكرة، مشرق المحيا، بفضل الله ثم بفضل ما اختَطَّ من نظام صحي خاص بعد إحالته على المعاش[3].

وكان يواصل جهاده الحافل في العمل على توحيد شعوب الإسلام تحت راية التوحيد، ولم يقعد به مرضه الأخير عن هذه الدعوة حتى لزم الفراش.

وبعدها انتقلت روحه إلى الرفيق الأعلى، ووافته المنية صباح يوم الجمعة ٣ من ذي الحجة سنة/ ١٣٥٨هـ – ١٢من يناير سنة/١٩٤٠م، وقد بلغ من العمر الثامنة بعد السبعين، بعد أن أفنى عمره في خدمة المجتمع والرقي بشأنه بكل ما أوتي به من قوة، واستطالت خدماته وتواصلت منذ فجر النهضة المصرية، وكان من طبقة أبطال النهضة الحديثة وأقطاب التجديد وحملة لواء القلم وحماة الدين القويم في مصر، بل في الشرق، بل في العالم الإسلامي كله.

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم – طنطاوي جوهري (٤/٢٥٥)، وانظر أيضاً (٢/١٧٣).

(٢) انظر هذا التقسيم لمؤلفات طنطاوي مقدمة كتاب نهضة الأمة وحياتها لطنطاوي جوهري الذي قدمها حازم زكريا محيي الدين ص ٢٦– ٣٩، وكتاب في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ٢٦، وكتاب الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص ٢٠– ٣٩.

(٣) المفسرون مدارسهم ومناهجهم – د. فضل حسن عباس ص٣٠٢.

وعندما عَلِمَ الناس نبأ وفاته وتسامع المسلمون بنعيه، أقبلوا من كل فج لتوديعه، وتوافد جم كثير من المسلمين، وحضر ممثلو الجماعات والهيئات الإسلامية وفي طليعتها (جماعة الأخوة الإسلامية المؤلفة من جميع الأقطار الإسلامية) التي كان الفقيد علماً من أعلامها، وركناً من أركانها[1].

(١) انظر كتاب في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي٥٩، و كتاب الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو ص١١٧.

المبحث الثالث: انتمائه الفكري، ومذهبه الفقهي

المطلب الأول: انتمائه الفكري:

لقد تباينت آراء المؤلفين والباحثين عن ماهية المدرسة الفكرية التي كان ينتمي إليها طنطاوي جوهري ﷺ، فمنهم من يرى بأنه كان مستقلاً بفكره وآراءه وأنّه لا ينتمي إلى أي مدرسة فكرية، لأنه كان يمتاز بحرية الفكر والتحرر الفكري، ولم يكن يتعصب أو يقيد نفسه بفكرة بعينها أو برأي بعينه بلا حجة أو برهان، بل يصدح بالشيء الذي يؤمن به ويدافع وينافح عن الأمر الذي يصل إليه نتائج سبره واختباره.

يقول عنه د. علي عبد الجليل راضي[(١)]: ((كانت أظهر صفة للشيخ هي التحرر الفكري وعدم التعصب الأعمى، والقابلية لتفهم الديانات والأجناس الأخرى والمساعدة على الأخذ بيد المتأخرين بالرفق والكلمة الطيبة))[(٢)].

ومنهم من يرى بأنه كان ينتمي إلى مدرسة محمد عبده الفكرية[(٣)]، وخاصة فيما دعا إليه من حركة الإصلاح الديني الذي نادى بها، و ما قام به من محاولته التوفيق بين ما جاء في القرآن وغيره من المصادر الأساسية في الإسلام وبين أكثر الآراء العلمية تقدما في العصر الحاضر.

فلذلك عدّه بعض المؤلفين بهذا الاعتبار أنه من أتباع الإمام محمد عبده، وجعلوا يقارنون بين أفكاره وبين أفكار الإمام محمد عبده، وخرجوا بتشابه كبير بينهما في مراحل حياتهم الفكرية.

يقول علي الجمبلاطي: ((نثبت أنّ الشيخ طنطاوي كان من مدرسة الإمام – محمد عبده – ومن العاملين المفكرين المؤمنين بفريضة الإصلاح ورسالة التقدم وكان مثله يكافح

---

(١) هو علي عبد الجليل راضي رئيس (جمعية الأهرام الروحية) له كتاب بعنوان: مشاهداتي في جمعية لندن الروحية.انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٨٣٦/٢).

(٢) الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص – د. عبد العزيز جادو، ص٩٩.

(٣) وقد ذهب بعضٌ من المستشرقين إلى هذا الرأي، ومن ذلك: البارون (كرادیفو)، هارتمان، انظر في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص٤١-٤٩.

الجمود من جهة ويكافح التفرنج الذميم من الجهة الأخرى.

وقد سلك سبيل أستاذه في الدعوة الإسلامية فحارب أولا ما استولى على المسلمين من ضعف وفتور العزائم والانصراف عن الدنيا وعن مكافحة العدو والتخلص من الاستعباد بمقالاته وكتبه وخطبه، ثم خروجه على الناس بحملة تقدمية كبرى في تفسيره العلمي، ثم برده على ما يتهم به الإسلام من أنه دين متخلف فأعرض عنه الشباب حتى جمع الشيخ بينه وبين أساليب العلم والمدنية...))[1].

يقول د. محمد محمد حسين[2]: ((إنَّ الشيخ طنطاوي أسرف في الاعتماد عل كثير من الآراء الحديثة في الدراسات التجريبية والرياضية، التي لا تتجاوز مرتبة الفروض العلمية، فحمل القرآن عليها وأنزله عل أحكامها الظنية.

وهو من هذه الناحية، يتابع مدرسة محمد عبده ويشاركها في كثير من النتائج الخطيرة التي تترتب على هذه المتابعة))[3].

وبعد البحث والنظر المتمعن في كتاباته ومقالاته ومؤلفاته، نجد أنَّه متأثر بأفكار من سبقه من العلماء والمفكرين، وقد استفاد منهم وأخذ عنهم الكثير من الآراء والأفكار، مع ما يتميز به من الجدة والإضافة في بعضها.

وهو في الحقيقة ﷺ متأثر فكرياً **بالإمام الغزالي**[4]،

---

(١) انظر في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص٤٩.

(٢) هو محمد محمد حسين، أديب إسلامي، باحث، مفكر، ناقد، ولد في سوهاج بمصر، وعمل أستاذاً للأدب العربي بجامعة الإسكندرية، وله محاضرات متعددة، أبرزها محاضراته عن الإسلام والحضارة الغربية. وقد حقق بعض الكتب المخطوطة. لكن أبرز مؤلفاته كتابه: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، وله كتب غيرها. انظر تَكملَة مُعجم المؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ – ١٤١٥ هـ) – (١٩٧٧ – ١٩٩٥ م) – محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، ص٥٤٢.

(٣) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر – د. محمد محمد حسين، (٣٢٥/٢).

(٤) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي، فيلسوف، متصوف، ولد في الطابران قصبة طوس، بخراسان، عام: ٤٥٠هـ، وقد رحل في سبيل طلب العلم والتعليم إلى بلدان كثيرة، وقد عين للتدريس في المدرسة النظامية بمدينة بغداد، وسلك سنة: ٤٨٨هـ طريق الزهد والانقطاع، وفي آخر حياته اهتمَّ بالقرآن ومجالسة أهل القلوب والقعود للتدريس، إلى أن انتقل إلى ربه، عام: ٥٠٥ هـ، وله مؤلفات كثيرة منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، ومحك النظر، ومعارج القدس في أحوال النفس، والفرق بين الصالح وغير الصالح، ومقاصد الفلاسفة، والمضنون به على غير أهله، وغيرها. انظر وفيات الأعيان – لابن خلكان البرمكي (٤/ ٢١٦)، وسير أعلام النبلاء – للذهبي (١٩/ ٣٢٣)، والأعلام – للزركلي (٢٢/٧).

وبالفخر الرازي[(١)]، وبالأخص فيما ذهبا إليه من التفسير العلمي[(٢)]، والإمام الغزالي في كتابه (جواهر القرآن) أكثر من عمل على ترويج هذا النوع من التفسير في الأوساط العلمية الإسلامية، ويرى أنَّ القرآن يحوي كل العلوم – الدينية والدنيوية واللغوية– والعلوم التي كانت واندرست والعلوم التي هي كائنة ولا يعرفها الناس، والعلوم التي ستكون في المستقبل، وأنه يشير إلى جميع مسائلها[(٣)].

يقول د. محمد حسين الذهبي[(٤)]: ((أنَ هذه النزعة – نزعة التفسير العلمي – تمتد من عهد النهضة العلمية العباسية إلى يومنا هذا، ولوجدنا أنها كانت في أول الأمر عبارة عن محاولات، يُقصد منها التوفيق بين القرآن، وما جَدَّ من العلوم، ثم وُجِدت الفكرة مركَّزة وصريحة على لسان الغزالي، وابن العربي، والمرسي، والسيوطي، ولوجدنا أيضاً أنَّ هذه الفكرة قد طُبِّقت علمياً، وظهرت في مثل محاولات الفخر الرازي، ضمن تفسيره للقرآن.

ثم وُجِدت بعد ذلك كتب مستقلة في استخراج العلوم من القرآن، وتتبع الآيات الخاصة بمختلف العلوم، وراجت هذه الفكرة في العصر المتأخر رواجاً كبيراً بين جماعة من أهل العلم، ونتج عن ذلك مؤلفات كثيرة تعالج هذا الموضوع، كما أُلِّفت بعض التفاسير التي تسير على ضوء هذه الفكرة))[(٥)].

ونجد كذلك أنه متأثر **بالإمام محمد عبده** في فكرة التوفيق بين نصوص القرآن وغيره من

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي القرشي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولد، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، الإمام المفسر، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، ولد سنة: ٥٤٤هـ، وتوفي في هراة، سنة: ٦٠٦ هـ.
من تصانيفه: (مفاتيح الغيب – في تفسير القرآن الكريم، و(لوامع البينات في شرح أسماء الله تعالى والصفات) و (معالم أصول الدين) و (المسائل الخمسون في أصول الكلام)، وغيرها.
انظر وفيات الأعيان – لابن خلكان البرمكي (٤/ ٢٤٨)، وسير أعلام النبلاء – للذهبي (٢١/ ٥٠٠)، والأعلام – للزركلي (٦/ ٣١٣).

(٢) يأتي الحديث عنه في المبحث الرابع من هذا الفصل.

(٣) انظر في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص٤٤، واتجاهات التفسير في العصر الراهن – عبد المجيد عبد السلام المحتسب، ص٢٤٧.

(٤) هو محمد حسين الذهبي، عالم أزهري كبير، عُرف ببحوثه القيمة في مناهج التفسير، اغتيل في شهر رجب، عام: ١٣٩٧هـ، ومن مؤلفاته: الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: دوافعها ودفعها، والتفسير والمفسرون، وغيرها.
انظر تَكملَة مُعجم المؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ – ١٤١٥ هـ) – محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، ص٤٧٤.

(٥) التفسير والمفسرون – د. محمد حسين الذهبي، (٢/٣٥٥).

المصادر الأساسية في الإسلام وبين أكثر الآراء العلمية تقدما في العصر الحاضر[(١)].

فتبنى طنطاوي هذه الفكرة، وهي فكرة التوفيق بين الدين و مجالات الحياة وعمل على ذلك وطورها، إلى أن برز بفكرة التوفيق بين الدين والعلم، مظهراً أنه دين العقل والتجديد، لا دين التسليم والتقليد، فكان يرمي في كل أحاديثه إلى التوفيق بين العلم وما جاء به القرآن، وإلى أنّ العلم إذا حسن فهمه كان أداة صالحة لتفهم روح الدين[(٢)]، وعلى إثر ذلك خرجت كتاباته ومؤلفاته فبهذا يُعَدُّ طنطاوي جوهري أحد رُوَّادَ **الاتجاه العلمي التجريبي**.

يقول د. محمد حسين الذهبي: ((إنَّ أعظم علماء العصر الحديث تشيعا للنزعة التفسيرية العلمية، وأكثرهم إنتاجاً لهذا التفسير العلمي، هو المرحوم الشيخ طنطاوي جوهري، إذ إنه على حسب ما رأينا أكثر من جمع في هذا وأطال في تفسيره (الجواهر)))[(٣)].

فالمتصفح في رسائله وكتبه ومؤلفاته، يجد هذا الأمر جلياً ملموسا واضحاً في تقريراته، وخاصة الناظر في تفسيره الذي كان هو آخر تأليف له في حياته، إذ أقرَّ فيه بكل تقريراته الفكرية والعقدية المؤيدة لمذهبه العلمي التجريبي التي وصل إليها درجة رفيعة من الإيمان واليقين به.

المطلب الثاني: مذهبه الفقهي:

المذهب الذي يتبعونه غالبية سكان مصر في الفقه هو المذهب الشافعي.

يقول أحمد شلبي[(٤)]: ((مذهب الشافعي هو مذهب الأغلبية الساحقة من سكان مصر، ولا يزال يدرس المذهب الشافعي بحماسة في الجامع الأزهر))[(٥)].

أما عن مذهب طنطاوي جوهري الفقهي، فإني لم أجد أحداً من الباحثين والدارسين لشخصيته قد تطرق لهذا الأمر، ولم أجد له كذلك تصريح بين واضحٌ في مؤلفاته بأنه يتقيد

---

(١) انظر في ذكرى طنطاوي جوهري – لعلي الجمبلاطي ص٤٤.

(٢) انظر المفسرون مدارسهم ومناهجهم – د. فضل حسن عباس ص٣٠٣.

(٣) التفسير والمفسرون – د. محمد حسين الذهبي، (٣٥١/٢).

(٤) هو أحمد جاب الله شلبي ، مؤرخ إسلامي موسوعي، ولد في مصر، سنة:١٣٣٤هـ، وتوفي: عام: ١٤٢٤هـ، وقد تبوأ مناصب علمية في مصر وخارجها، وله مؤلفات أهمها: موسوعة التاريخ الإسلامي. انظر تكملة معجم المؤلفين (١٠١/١). ط: الثانية.

(٥) انظر نظرة في تاريخ حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها عند جمهور المسلمين – أحمد تيمور باشا، ص٧٣، وانظر موجز دائرة المعارف الإسلامية – مجموعة من المؤلفين (٦٠٨٣/١٩)، وانظر صفحة:http://www.feqhweb.com/vb/t٣٣٦٨ixzz#html.oBzyDauA٥.

بمذهب معين من المذاهب الفقهية، بل وجدت من خلال اطلاعي لكتبه، وخاصة كتابه (الجواهر) أنه كان يرى هذا ضرباً من ضروب الاختلاف والفرقة بين الأمم الإسلامية[(١)]، فلذا كان يذم من يشتغل به عن العلوم الكونية والطبيعية، ويصف المعرضين عن دراسة تلك العلوم بالجهالة والحماقة[(٢)].

ومن خلال ما سبق تبين لنا بعد الدراسة والنظر في سيرة طنطاوي جوهري أنَّه كان من خريجي الجامع الأزهر، فهو أزهري قبل كل شيء[(٣)]، فكان الطلبة يدرسون فيه الفقه الإسلامي على جميع المذاهب الفقهية، فلذلك كان منهجه في تفسيره مع المسائل الفقهية هو سرد أقوال الفقهاء الأربعة في المسألة، أو ما يسمى بدراسة الفقه المقارن دون أن يصرح فيها برأيه أو مذهبه خروجاً عن الخلاف[(٤)].

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن (٢٨٣/١٥).

(٢) انظر المرجع السابق (١٣١/٣).

(٣) المفسرون مدارسهم ومناهجهم – د. فضل حسن عباس ص٣٠٤.

(٤) انظر في تفسير الجواهر أمثلة لذلك على سبيل المثال لا الحصر، ذكر أقوال الفقهاء في مسألة صلاة المسافر والخوف (٨٠/٣)، وانظر كذلك مسألة مسح الرأس في الوضوء (١٤٥/٣).

المبحث الرابع: التفسير العلمي التجريبي

لقد اعتنى المهتمون من الباحثين بدراسة مدارس التفسير ومناهجهم بهذا اللون من التفسير في مؤلفاتهم، لكثرة التأليف فيه في هذا العصر، وعليه حاولوا أن يعرفوا التفسير العلمي بتعريف جامع مانع.

منهم د. محمد حسين الذهبي، فقد عرفه بتعريف فقال فيه: ((هو التفسير الذي يحكم الاصطلاحات العلمية في عبارات القرآن، ويجتهد في استخراج مختلف العلوم والآراء الفلسفية منها))[1].

وقد عقب د. فهد الرومي على تعريف الذهبي، وقال بأنه غير جامع مانع، لأنَّ في قوله العلوم على إطلاقها يشمل جميع العلوم، والواقع خلاف ذلك، بل التفسير العلمي يهتم بعلوم محددة؛ كالطب والرياضيات والفلك وعلم الحيوان والنبات والكيمياء وعلم طبقات الأرض، ونحو ذلك من العلوم التجريبية.

يقول في ذلك: ((والتعريف الأقرب إلى أن يكون جامعًا مانعًا أن يقال: هو اجتهاد المفسر في كشف الصلة بين آيات القران الكريم الكونية ومكتشفات العلم التجريبي على وجه يظهر به إعجاز للقرآن يدل عل مصدره، وصلاحيته لكل زمان ومكان))[2].

إذاً يمكن لنا القول بأنّ التفسير العلمي؛ هو التفسير الذي يربط آيات القرآن الكريم بالمكتشفات العلمية التجريبية الحديثة، للبرهنة على صحتها والاستدلال من خلالها بأنَّ القرآن قد سبق إليها.

وبعد هذا يجدر بنا التنويه إلى تاريخ هذا النوع من التفسير، ولعل المطلع

---

(١) التفسير والمفسرون – محمد حسين الذهبي (٢/٣٤٩).

(٢) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د. فهد الرومي (٢/٥٤٩).

في ذلك يجد هنالك شبه اتفاق بين العلماء بأنَّ الإمام الغزالي هو من أوائل من تكلم فيه وأيد على ترويجه [(١)].

فقد تحدث في كتابيه " إحياء علوم الدين" و"جواهر القرآن" عن اشتمال القرآن بأنواع من العلوم، **فقال في ذلك نقلاً عن العلماء** ((بأنَّ القرآن يحوي أكثر من سبعين ألف علم، وأنَّ لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر، وأنَّ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع...

ثم قال: وبالجملة، فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله ﷻ وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها، والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرآن، ومجرد ظاهره التفسير لا يشير إلى ذلك؛ بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات؛ ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فيكف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره)) [(٢)].

ثم تبعه في ذلك الفخر الرازي والتزم هذا النوع التزامًا بلغت درجته فيه، وطبق العلوم والمعارف التي توصل إليها العلماء في عصره على آيات القرآن الكريم حتى قيل عن تفسيره، فيه كل شيء إلا التفسير، هذا وإن كان الغزالي قد روَّج هذا النوع من التفسير، ومهد له السبيل لمن أراد سلوكه وإن كان هو لم يسكله؛ لكن جاء مِن بعده الفخر الرازي وأكمل مانظرّه الغزالي وأتمَّ مشروعه وفكرته [(٣)].

مثال ذلك ما ذكره الرازي عن تفسير السموات السبع، فقال: ((القرآن هاهنا قد دل على وجود سبع سموات، وقال أصحاب الهيئة أقربها إلينا كرة القمر، وفوقها كرة عطارد، ثم

---

(١) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د. فهد الرومي (٥٥٠/٢)، والتفسير والمفسرون – محمد حسين الذهبي (٣٤٩/٢)، واتجاهات التفسير في العصر الراهن – د. عبد المجيد المحتسب، ص٢٤٧.

(٢) إحياء علوم الدين – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، (٢٨٩/١) ن: دار المعرفة – بيروت

(٣) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د. فهد الرومي (٥٥٥/٢)، والتفسير والمفسرون – محمد حسين الذهبي (٣٤٩/٢)، واتجاهات التفسير في العصر الراهن – د. عبد المجيد المحتسب، ص٢٥١.

كرة الزهرة، ثم كرة الشمس، ثم كرة المريخ، ثم كرة المشتري، ثم كرة زحل، قالوا ولا طريق إلى معرفة هذا الترتيب إلا من وجهين: الأول: الستر، وذلك أن الكوكب الأسفل إذا مر بين أبصارنا وبين الكوكب الأعلى فإنهما يصيران ككوكب واحد، ويتميز الساتر عن المستور بكونه الغالب كحمرة المريخ وصفرة عطارد، وبياض الزهرة، وزرقة المشتري، وكدورة زحل كما أنَّ القدماء وجدوا القمر يكسف الكواكب الستة، وكوكب عطارد يكسف الزهرة، والزهرة تكسف المريخ، وهذا الترتيب على هذا الطريق يدل على كون الشمس فوق القمر لانكسافها به ولكن لا يدل على كونها تحت سائر الكواكب أو فوقها لأنها لا تنكسف بشيء منها لاضمحلال سائر الكواكب عند طلوعها...)) [(١)].

وهذا مثال عن الفخر الرازي في تطبيق العلوم النظرية عند تفسره لآيات القرآن، ومن يطالع تفسيره يجد الكثير من تلك الأمثلة.

ثم سار على هذا النهج طائفة من المفسرين عند تفسيرهم لآيات القرآن[(٢)]، وقد كان موقف العلماء من هذا النوع من التفسير متباين بين التأييد والرفض، والقول المختار فيه هو القول الوسط الذي لا رفض للتفسير العلمي مطلقًا ولا تأييد وتسليم له مطلقين؛ بل يجمع بين حقيقتين: حقيقة قرآنية ثابتة بالنص الذي لا يقبل الشك، وحقيقة علمية ثابتة بالتجربة والمشاهدة القطعيين [(٣)].

أما نحن هنا في هذا المقام نقتصر التدليل على هذا النوع من التفسير على الإمام الغزالي والفخر الرازي؛ لكثرة استشهاد طنطاوي جوهري بأقوالهم وآرائهم في تفسيره عن غيرهم من العلماء ممن سار على هذا اللون من التفسير.

مثال ذلك، ما نقل طنطاوي عن الإمام الغزالي في معرض رده على من اتهمه

---

(١) التفسير الكبير – للفخر الرازي (٣٨١/٢)

(٢) كالإمام الزركشي، والسيوطي، والبيضاوي، وغيرهم. انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د. فهد الرومي (٥٥٧/٢)، والتفسير والمفسرون – محمد حسين الذهبي (٣٥١/٢)، واتجاهات التفسير في العصر الراهن – د. عبد المجيد المحتسب، ص٢٥٢.

(٣) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د. فهد الرومي (٦٠٣/٢).

بتفسيره للقرآن بالرأي، فقال: ((أولو جئتك بشيء مبين؟ فقال: وأيُ بيان بعد وأنى لك أن تدحض هذه الحجج الدامغة؟ ولكن سأسمع ما تقول، فإن كانت لديك حجج فأت بها إن كنت من الصادقين، فقلت: سألخص ما جاء في "الإحياء" ...)) [(١)]. ثم ذكر كلام الإمام الغزالي الذي أوردناه قبل فليل عن القرآن وأنه يحوي أكثر من سبعين ألف علم.

ومثله ما نقل طنطاوي عن الفخر الرازي في سياق ذم تقصير المسلمين عن العلوم الكونية والنظرية: ((انظر إلى ما جاء في هذه الآيات كيف طلب الله من المسلم أن يفكر في السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وإنزال المطر، وبث الحيوان، وخلق النبات، بمجرد عقله ونظره لا بالتقليد والسماع...وانظر كيف كان علماؤنا يقولون ذلك والشعب غافلٌ عما يقولون.

يقول العلامة الرازي في هذه الآيات ما نصه:واعلم أنَّ كثيراً من الفقهاء يقولون أنه ليس في القرآن العلوم التي يبحث عنها المتكلمون....)) [(٢)].

ولذلك عد العلماء المعاصرين تفسير طنطاوي جوهري من أهم التفاسير التي ألفت في مجال العلمي التجريبي في العصر الحديث، وجعلوه في مقدمتهم، و اعتبروا مؤلفه طنطاوي أحد رواد هذا اللون من التفسير [(٣)].

ونورد هنا بعض النماذج من تفسيره، والتي تدل على التفسير العلمي التجريبي.

قال طنطاوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾[طه:٦] **بأنّ هذا تحريض ودعوة للمسلمين على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الثرى، وأن الأمم الأوربية اليوم تقرأ علماً يسمى "علم الآثار المصرية".**

((لما ذكر العرش والاستواء عليه، أخذ يشرح العوالم التي استولى عليها؛ فبدأ بأهمها؛ وهي

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم – طنطاوي جوهري (٢٨٠/١٥).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم – طنطاوي جوهري (٦٣/٢١).

(٣) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د. فهد الرومي (٦٣٨/٢)، والتفسير والمفسرون – محمد حسين الذهبي (٣٧٠/٢)، واتجاهات التفسير في العصر الراهن – د. عبد المجيد المحتسب، ص٢٧٢.

السماوات بخلاف إنزال القرآن، فإنه من عالم أعلى إلى عالم أدنى كما تقدم، ثم ثنى بالأرض لأنها أدنى منزلة، فمقام تعداد الممالك غير بيان المكان الذي أنزل القرآن لأهله.

وقوله: ﴿ وَمَابَيْنَهُمَا ﴾،دخل في ذلك عوالم السحاب والكهرباء وجميع العلم المسمى "الآثار العلوية"، وهو من علوم الطبيعة قديما وحديثا.

وقوله: ﴿ وَمَاتَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾يشير لعلمين لم يعرفا إلا في زماننا، وهما علم طبقات الأرض المتقدم مرارا في هذا التفسير وعلم الآثار المتقدم بعضه في سورة يونس، والآتي بعضه في سورة سبأ، وأن قوله هناك: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾ [سبأ:٢]، يشير إلى ما ظهر من بلاد اليمن التي تشتمل على "سبأ"؛ فقد ظهرت هناك نقوش ومدائن لم تكن معروفة من قبل، وظهر "سد العرم" وسيأتي رسمه، كل ذلك والمسلمون لا علم لهم بذلك مع أنه في بلادهم وعلى مقربة منهم.

فالله هنا يقول: ﴿ وَمَاتَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾ليحرض المسلمين على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الثرى المذكورين في هذه السورة، وأن سحرتهم شهدوا بصدق النبوة الموسومة؛ لأنهم وجدوا علما فوق علمهم؛ وهو علم النبوة، فجدير بعلوم هؤلاء أن تدرس وتعلم؛ لهذا كله قال: ﴿ وَمَاتَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴾!!

واعلم أن الأمم الأوربية اليوم يقرءون علما يسمى "علم الآثار المصرية" فهو فن خاص، وقد انتشرت الآثار هناك في زماننا ويسمى بعلم الاجيتلوجي))[1].

وهذه محاولة من طنطاوي لإخضاع المكتشفات العلمية التي ظهرت في هذا العصر في تفسير كلام الله حتى ولو لم يكن هناك أي صلة بالمعنى من قريب أو بعيد.

ومن ذلك كذلك ما استشهد به طنطاوي على رحمة الله عند تفسيره للبسملة بما توصل إليه العلماء الباحثون في أمر النحل والنمل والعنكبوت والحشرات.

((نزلت هذه السورة لتعليم العباد: كيف يتبركون باسم الله عز وجل في سائر أحوالهم،

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم – طنطاوي جوهري (٧٨/١٠).

وكيف يحمدونه ويستعينون به، فيبتدئ القارئ قائلا: أقرأ متبركاً باسم الله الرحمن المنعم بجلائل النعم؛ كالسماوات والأرض والصحة والعقل، الرحيم المنعم بدقائقها؛ كسواد العين، وتلاصق شعرات أهدابها المانعات من دخول الغبار المؤذي لها، مع أنَ النور يلمع من خلالها، وينقل صور المرئيات إلى حدقتها فشبكيتها فالدماغ، فهذه الدقة في الصنع والحكمة في الوضع التي أباحت لضوء الشمس والكواكب مثلا أن يلج، ومنعت الغبار أن يدخل يعبر عنها بلفظ: الرحيم؛ تتميما للنعمة، وتكميلا للهناء والسعادة.

ولما كان أكثر الناس لا يلحظون العجائب الكامنة فيهم، ولا يعرف نفسه إلاَّ قليل منهم، وهم أكابر الحكماء والأولياء؛ وجب أن أبين في هذا المقام بعض رحمة الله عز وجل في العالم المشاهد: فمنها ما أشار إليه "العلامة الأستاذ ميلن إدوارد: أنَّ حيوانا يسمى اكسلوكوب" يعيش منفرداً في فصل الربيع، ومتى باض مات حالاً، فمن رحمة الله، وجميل صنعه، ورأفته بالخلق أنَّ ألهم هذا الحيوان أنْ يبني بيتا قبل أن يبيض على منوال ما كانت تفعله عاد من اتخاذ البيوت بالحفر؛ ولكن هذا في خشب، وأولئك في صخر، فيعمد ذلك الحيوان إلى قطعة من الخشب، فيحفر فيها حفرة مستيطلة، ثم يجلب طلع الأزهار، وبعض الوراق السكرية، ويحشو بها ذلك السرداب، ثم يبيض على ذلك بيضة، ثم يأتي بنشارة الخشب ويجعلها عجينة، ويجعل منها سقفا لذلك السرداب، والحكمة في ذلك: أنَّ هذه البيضة متى فقست وخرجت الدودة كفاها ذلك الطعام سنة، وهي المدة التي لا تستطيع تلك الدودة أنْ تحصل فيها قوتها، ومتى الحشرات لولده الذي سيخلق.

"ومن هذه العجائب" ما شاهده العلماء الباحثون في أمر النحل والنمل والعنكبوت: "فأما النحل" فتعجب كيف جعل الرحمن الرحيم له سبلا مذللة، فإنه متى فتح زهرة أول النهار ليمتص رحيقها المختوم ويرجع به إلى الخلية فيضعه فيها، يلهم ألا يفتح زهرة في ذلك اليوم، إلاَ ما كان من جنس تلك الزهرة لرحمة النحل ورحمة الناس، أما رحمة النحل: فإنه لا يعوزه أن يحتال في فتح زهرات أخرى من نوع آخر فيطول عناؤه، وأما رحمة الناس: فإن ما يعلق برجلي النحلة من حبوب طلع الذكور من النبات، إذا وصل إلى زهرة أنثى علق بها من ذلك الطلع بعضه؛ فأثمر ذلك النبات لحصول الإلقاح بهذه الرحمة العجيبة.

"وأما النمل" فمن عجائب الرحمة الخاصة به أنَّ الله خلق له حشرة تسمى "إفس" باللسان الإفرنجي، يحاربها النمل ويغلبها، ومتى غلبها أخذ يستولدها ويربيها ويسميها في ورق الورد، ومتى أكلت وشبعت أقبل النمل عليها وامتص منها مادة حلوة؛ فكأنه بقر له بشرب لبنه.

"وأما العنكبوت" فإنها ألهمت النسج البديع بهندسة فاقت هندسة الإنسان، وعلل ذلك العلماء بقولهم: إن هندسته إلهية وهندسة الإنسان بتعليم البشر؛ فلذلك يغلط الإنسان، ولا يغلط العنكبوت في الهندسة. ولما كان بيت العنكبوت أضعف بيت ألهمها الله أنْ تبحث عن صمغ وغراء من أماكنها وأشجارها، وتلطخ بها خيوطها التي نسجتها؛ فتكسبها لزوجة؛ فلذلك لا تمزقها الرياح إذا فاجأتها، ولا الأعاصير إذا ساورتها، وإذا مر بها الذباب التقطته بمادتها اللزجة.

فانظر إلى آثار رحمة الله كيف كانت المادة الصمغية صائنة بيت العنكبوت الضعيف من التمزيق إذا هبت الزعازع واهتاجت الأعاصير، مع أنها قد تقتلعالأشجار وتخرب المساكن، ثم تكون شبكة صائد وحيلة محتال، هذا هي الرحمة والحكمة.

وهكذا ألهم الله الأنبياء وأوحى إليهم أنْ يعلموا العباد كيف يتبركون باسم الله في أول أعمالهم؛ كالقراءة والأكل، ذاكرين ربهم ورحمته الواسعة التي عمت سائر العوالم، فيمتلئ قلب العبد إيقانا بالرحمة، واستبشارا بالنعمة، وفرحا برحمة الرحمن الرحيم)) [(١)].

ومعلوم أنّ الله ﷻ أنزل كتابه الكريم لإرشاد الناس وهدايتهم وصلاح حالهم، لا ليكون موسوعة علمية يورد فيها النظريات والعلوم المكتشفة في العصر الحاضر التي لا فائدة من ذكرها والصارفة عن مرادها ثم محاولة ربطها بالآيات القرآنية.

ومنها كذلك ما قال طنطاوي عن علم تحضير الأرواح عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [سبأ:٢] فقد اتخذ منه موقفاً مؤيداً مستشهداّ بهذه الآية.

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم – طنطاوي جوهري (٦/١).

فقال: ((وأما علم تحضير الأرواح؛ فإنه من هذه الآية استخراجه، إنَّ هذه الآية تتلى والمسلمون يؤمنون بها حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولاً، ثم سائر أوروبا ثانياً... يجب على المسلمين أن يكونوا هم البادئين بعلم إحضار الأرواح لا أمريكا))[1].

وشواهد هذا كثيرة ومليئة تجدها عند عرضنا لآراءه على أبواب العقيدة.

وبعد هذا يتضح لنا أنّ طنطاوي جوهري يعد من رواد مدرسة التفسير العلمي التجريبي، وطريقتهم في ذلك، هو توظيف المعارف والمكتشفات التي توصلت إليها العلوم التجريبية الحديثة، والاستشهاد بها عند تفسيرهم لآيات القرآن، من أجل البرهنة على صدق الحقائق العقدية التي جاء بها الإسلام، أو نصرة العقيدة ودفع الشبه عنها، أوالاستدلال من خلالها بأنَّ القرآن قد سبق إليها قبل اكتشاف هذه العلوم النظرية[2].

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣٧/٢).

(٢) انظر مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة على مسائل العقيدة – د. أحمد قوشتي ص١٢٠، ٤٠٨.

الفصل الثاني
الجواهر في تفسير القرآن الكريم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مصادره.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير.

تمهيد

سبق أن تحدثنا عن مؤلفاته ﷺ التي تربو على الأربعين مؤلفاً، وكان من بين ذلك كتابه هذا الذي نحن بصدده، والذي عنونه المؤلف ﷺ بـ((**الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات**)) ويعد هذا الكتاب من آخر مؤلفاته ﷺ، بل يعتبر هذا الكتاب خلاصة عامة جامعة ومركزة لكل الأفكار التي أفنى عمره كله في سبيل دراستها ونشرها بين الناس، إذ ضمنه الكثير من كتاباته ورسائله التي ألفها سابقاً.

وتفسيره هذا يقع في ثلاثة عشر مجلداً على ستة وعشرين جزءاً، فكل مجلد منها يشتمل على جزئين، متوسط صفحات كل جزء منها مائتان وخمسون صفحة من الحجم الكبير، واستغرق في تأليفه أكثر من عقد من الزمن دون توقف فيه من عام: ١٩٢٢م حينما أحيل إلى المعاش وحتى عام: ١٩٣٥م، وطبع في حياته بين عامي: (١٣٤١هـ - ١٣٥٤هـ / ١٩٢٢م - ١٩٣٥م)[(١)] .

فنستطيع القول بأنه أول تفسير علمي كامل للقرآن الكريم في العصر الحديث ولا يزال حتى الآن لم يؤلف أحد مؤلفاً مثله في شموله لآيات القرآن الكريم كما أنه من أوائل إن لم يكن أول تفسير كامل للقران الكريم في مصر في القرن الرابع عشر الهجري[(٢)] .

وكان لهذا التفسير صدىً كبيرٌ في الشرق الأقصى، وفي إيران بوجه خاص كان له سمعة طيبة وشهرة واسعة النطاق، وأصبح علماء الوعظ يخطبون به على المنابر في إيران وغيرها وقتئذ[(٣)]، وقد ترجم هذا التفسير إلى اللغة الأوردية، فأقبل عليه أهل الهند إقبالاً عظيماً، كما

---

(١) انظر كتاب في ذكرى طنطاوي جوهري، ص ٢٦، و كتاب الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص، ص٣٨-٣٩، و مقدمة كتاب نهضة الأمة وحياتها لطنطاوي جوهري - حازم زكريا محيي الدين ص ٢٦- ٣٩.

(٢) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر- د. فهد الرومي، (٦٣٩/٢).

(٣) يلاحظ هنا ترحيب الإيرانيين قبل الثورة الخمينية بتفسير كتبه عالم سني؛ وأنّ الطائفية والعنصرية ضد السنة جاءت بعد الخميني.

انتشر هذا التفسير انتشاراً عاماً في السودان وشمال إفريقيا وبلاد جاوة[1].

و قد حاول المؤلف من خلاله أن ينزّل آيات القرآن على النظريات الحديثة، أو استخراج النظريات العلمية من نصوص كتاب الله، فجاء مزيجاً من علوم الأمم قديمها وحديثها، مع التوفيق بين الآراء الحديثة والأفكار الدينية، بهذا قد جمع فيه كل العلوم العصرية وطبقها على الدين[2].

الأسباب والدوافع التي دفعته إلى كتابة هذا التفسير:

سبب شروع طنطاوي ﷺ في كتابة هذا التفسير هو رؤياه للنبي ﷺ في المنام مراراً يعلمه التفسير، وهو الدافع الأكبر الذي دفع به إلى كتابة هذا التفسير، وكذلك ما رأى في المنام من إخبار الله ﷻ له بأن الأمة الإسلامية سيعلو شأنها وترتقي، وكأنه يشير إلى الرقي بنمو هذه العلوم التي جاء بها هذا التفسير.

يقول طنطاوي ﷺ عن ذلك: ((أصل تأليفي لهذا التفسير من رؤيا النبي ﷺ مراراً فلقد رأيته وأنا لا أزال تلميذاً بالأزهر، وقد كنت نائماً في منزلنا بكفر عوض الله حجازي، والمرحوم والدي نائم بجانبي وكأني في المكتب الذي كنت أتعلم فيه ببلدة تسمى الغار بجوارنا، وكأن النبي ﷺ جالس وأنا واقف أمامه، وكأنه أخذ يعلمني تفسير القرآن فأسمعني كلاماً، ثم قلت: زدني، فزادني وأنا أقول في نفسي إنّ هذا هو النبي فيلزم الأدب أمامه، هذا هو النبي، ثم خرجت من عنده... ولولا هذه المنبهات ما سطرت حرفاً واحدا...))[3].

وكذلك من أسباب تأليفه ﷺ لهذا الكتاب: هو ما قد جبل عليه من حب النظر والتأمل في ملكوت الله وخلقه، ووجد أنّ القرآن يأمر بذلك أيضاً، وما خلج له في نفسه من بعض الخواطر[4] تجاه ذلك في بداية حياته.

يقول طنطاوي عن ذلك: ((خُلِقتُ مغرماً بالعجائب الكونية، معجباً بالبدائع الطبيعية، مشوقاً إلى ما في السماء من جمال، وما في الأرض من بهاء وكمال، آيات بينات، وغرائب باهرات، شمس تدور، وبدر يسبر، ونجم يضيء، وسحاب يذهب ويجيء، وبرق يأتلق، وكهرباء

---

(١) انظر كتاب في ذكرى طنطاوي جوهري، ص ٢٦- ٢٧، وكتاب الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص، ص٣٨-٣٩، وانظر مقدمة كتاب نهضة الأمة وحياتها لطنطاوي جوهري - حازم زكريا محيي الدين ص ٢٦- ٣٩،، والمفسرون مدارسهم ومناهجهم - د. فضل حسن عباس ص٣٠٤.

(٢) انظر كتاب في ذكرى طنطاوي جوهري، ص ٢٦، وكتاب الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص،ص٣٨.

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٠/٤، ٧٥/٧).

(٤) انظر المرجع السابق (٧٥/٧).

تخترق، ومعدن بهي، ونبات سني... إلى أن **قال**: ((لما تأملت الأمة الإسلامية وتعاليمها الدينية، ألفيت اكثر العقلاء، وبعض أجلة العلماء عن تلك المعاني معرضين، وعن التفرج عليها ساهين لاهين، فقليل متهم من فكر في خلق العوالم وما أودع فيها من الغرائب، فأخذت أؤلف كتبا لذلك شتى ، كـ(نظام العالم والأمم) و (جواهر العلوم) و (التاج المرصع) و (جمال العالم) و (النظام والإسلام) و (نهضة الأمة وحياتها)، وغير ذلك من الرسائل والكتب، ومزجت فيها الآيات القرآنية بالعجائب الكونية، وجعلت آيات الوحي مطابقة لعجائب الصنع، وحكم الخلق... ولكن كل ذلك لم يشف مني الغليل، ولم يقم على غنائه من دليل.

فتوجهت إلى ذي العزة والجلال، أن يوفقني أن أفسر القرآن، وأجعل هذه العلوم في خلاله، وأتفيأ في بساتين الوحي وظلاله، ولكم طلبت منه ﷻ بالدعوات في الخلوات، وابتهلت إليه وهو المجيب فاستجاب الدعاء))[1].

ويعد تأليفه هذا رداً وجواباً على الأسئلة الثلاثة التي كانت تدور بخلده منذ صغره وهي: هل لهذا الكون صانع؟ وهل الغرب علموا أنَّ لهذا الوجود صانعاً وخالقاً؟ وما سبب تأخر الأمم الإسلامية في العلوم والمعارف والصناعات؟

يقول طنطاوي عن ذلك: ((كان يدور بخلدي...هل العالم منظم حتى أعرف أنّ له صانعاً؟ وماذا يقول أهل أوربا في وجودك؟ هل هم يقولون إنك موجود؟ لأني رأيت لهم تفوقاً على المسلمين. فهل هؤلاء الذين فاقوا الشرقيين يعرفون أنّ للكون صانعاً؟... وهناك سؤال ثالث وهو: لماذا تأخرت أمم الإسلام؟[2] هذه هي الأسئلة الثلاثة التي كانت ترد على خاطري، وذهبت بلبي، وأقضت مضجعي، وحرمتني النوم في أكثر الأوقات، والآن أقول وأصرح بأعلى صوتي إني عرفت أنّ العالم منظم وله صانع.

وهذا التفسير هو الذي جمع أجمل ما اطلعت عليه ووثقت به، وما أسعد حظي إذ كتبت فيه ما سمعته... وإني أعلن اليوم أني قد نلت ماكنت أطلبه من الله وهو الوقوف على حقائق نظام الدنيا بقدر طاقتي البشرية، واطلاعي على آراء الأمم المحيطة بنا في الديانات وما الحق منها، ثم إدراجي في هذا التفسير بذور الإصلاح والإسعاد لأمم الإسلام، وأنا موقن أنّ الذي

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٤).

(٢) سبب تأخر المسلمين وقتئذ هو بعدهم عن الدين الإسلامي الصحيح، وترك العمل بما جاء في الكتاب والسنة؛ كما جاء في حديث ابن عمر ﷺ ، ، قال: سمعت رسول الله ﷺيقول:)) إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم)) رواه أبو داوود في سننه (٢٧٤/٣)، وصححه الألباني.

نصرني في أدوار حياتي وأنالني ما أتمنى من تلك الآمال الثلاثة هو الذي سينصر أمم الإسلام بعد قراءتهم أمثال هذا التفسير...)) [1].

إذا هذه هي الأمور التي دفعت طنطاوي ﷺ إلى كتابة هذا التفسير.

أما حياته مع التفسير:

فقد ابتدأ المؤلف تفسيره للقرآن الكريم حين كان مدرّساً بمدرسة دار العلوم، حيث كان يلقي بعض الآيات على طلبتها، وبعضها كان يكتب في مجلة الملاجئ العباسية، ثم تابع سيره في التفسير حتى خرج بهذه الموسوعة الكبيرة على هذا الشكل [2].

(١) انظر المرجع السابق (١٤/٢٣١).

(٢) انظر المرجع السابق (١/٥).

المبحث الأول: مصادره

لقد تنوعت مصادر تفسير الجواهر، وتعددت نقولاته ومراجعه، حيث نقل طنطاوي في تفسيره كثيراً عن العلماء والمفكرين الإسلاميين السابقين، والفلاسفة الغربيين، بل وجعل يستشهد بأقوال علماء الغرب وينقل عنهم تارة بالفصول والأبواب، أو مقالاتهم بأتمها وأكملها.

يقول الشيخ طنطاوي ﷺ: ((ولقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق، وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق، مما يشوق المسلمين والمسلمات، إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات، في الحيوان والنبات والأرض والسماوات))[(١)].

ويقول كذلك في مجلة (الفتح) عما ضمنه في تفسيره الجواهر: (وها هو ذا خمسة وعشرون مجلداً ضمنته خلاصة آراء حكمة اليونان وآبائنا أيام جدهم، وحكمة علماء عصرنا بأوروبا، ونموذج التاريخ وأحوال الإسلام العامة في زماننا))[(٢)].

ويشير كذلك إلى السبب الذي جعله يهتم بهذه العلوم في تفسيره هذا ويقول: ((إنّ في القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، فأما علم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة عن مائة وخمسين آية))[(٣)].

((ومن هذا ندرك أن هذا التفسير يعتبر موسوعة علمية، أشبه ما يكون بدائرة معارف، وندرك كذلك ما يعلقه الشيخ من أهمية على تفسيره، وما يرتسم في نفسه وكلماته من آمال مشرقة ومن مستقبل زاهر سيحدثه هذا التفسير لهذه الأمة))[(٤)].

مصادر طنطاوي جوهري من كتب التفسير:

استفاد طنطاوي في تفسيره هذا من كتب المفسرين السابقين بصفة عامة، وبالأخص من كتب الغزالي[(٥)] والرازي[(٦)] كما تقدم، حيث أبدا اهتماما بالغاً بتلك االشخصيتين؛ وقد حاول

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٥).

(٢) المفسرون مدارسهم ومناهجهم– د. فضل حسن عباس، ص٣٠٦.

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٥).

(٤) المفسرون مدارسهم ومناهجهم– د. فضل حسن عباس، ص٣٠٦.

(٥) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٤١/١، ٢٥٧، ١٣١/١٧).

(٦) انظر المرجع السابق (٧٢/١، ١٩/٤، ١٣١/١٧).

طنطاوي أن يحذو حذوهما ويقتدي بهما في تفسيره، فلذا تجده قد ينقل عنهما كثيرا في شرحه وتفسيره لآيات القرآن، ولربما نقل عنهما في بعض المواضع بالنص كما هو مذكور في كتبهم[1].

مصادره من غير كتب التفسير:

وقد كان أيضاً يستشهد كثيراً في تفسيره بأقوال علماء الشرق والغرب في القديم والحديث[2]، وقد برز في تفسيره بروزاً واضحاً استشهاده بنصوص من التوراة[3][4]، وإنجيل برنابا[5][6]، وجمهورية أفلاطون[7][8]، ورسائل إخوان الصفا[9][10]،

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦٣/٢١).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤٨/١، ٩٢، ٩٥، ١٣٧، ٢٢٩، ٢٠٤/٧-٢١٨، ١٩٥/١٤-٢٢٩، ١٣٢/١٧).

(٣) هو كتابٌ منزّلٌ من عند اللهﷻ على نبيه الكليم موسى عليه السلام ليدعوا به قومه بني إسرائيل إلى توحيد الله ، وقد دخل التحريف بعد موت موسى عليه السلام. انظر معجم ألفاظ العقيدة ص١٠٧.

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨٧/١، ١١٩).

(٥) وهو أحد الأناجيل الغير معتمدة عند النصارى، وذلك لما يناقض عقيدتهم التثليث والصلب وغيرها، وكذلك لاشتماله على عقيدة التوحيد، وأنّ عيسى رسول الله وليس ابن الله، ولا إلهاً، وأنه لم يصلب ولكن شبه لهم، وبرنابا هذا قد اتفقوا على أنه قديس من قديسي المسيح، أي: من المقربين له، ومن حواريي عيسى عليه السلام. انظر محاضرات في النصرانية – محمد أبو زهرة ص٥٧-٦٦.

(٦) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٧٣/١).

(٧) هذا الكتاب هو عبارة عن حوار فلسفي سياسي، يَعرض من خلاله أفلاطون رؤيتَه للدولة المثالية أو المدينة الفاضلة السقراطية؛ تبرز هذه الدولة المثالية بطريقة الحوار مع سقراط، في جمهورية أفلاطون يتحدث فيها عن العدالة المجتمعية وذلك بتحقيق التوازن بين القوى الثلاث التي يتكوَّن منها المجتمع: القوة العاقلة، والقوة الغضبية، والقوة الشهوانية. وبينما يحاول تقديمَ تعريفٍ للحاكم العادل ويقابله بالحاكم المستبِد، يُقسِّم الحكومات إلى أربعة أنواع: الأرستقراطية، والأوليغاركية، والديمقراطية، والاستبدادية. وهو من جهةٍ يعلن ميْلَه إلى الملكية الدستورية، ومن جهةٍ أخرى يُقِرُّ بأن العدالة المطلَقة تظلُّ عَصِيةً على التحقُّق. انظر جمهورية أفلاطون، ت: حنا خباز، ن: مؤسسة هنداوي، ط: الأولى: ٢٠١٧.

(٨) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣٧/١، ٢٥٥/١٧).

(٩) هي مجموعة من ٥١ رسالة، كتبها جماعة من فلاسفة الشيعة سميت بـ(إخوان الصفاء وخلان الوفاء)، وهذه الرسائل كانت موسوعة فلسفية شملت الرياضيات، والمنطق، والموسيقى، والفلك، والعلوم الطبيعية، والأخلاق، والدين، ويظهر فيها تأثرهم بالأفلاطونية المحدثة، والفيثاغورية والغنوصية، والهدف منها هو محاولة تشكيل نظرة باطنية، ولم يعرف مؤسس هذه الجماعة، إلاّأنها تبين بأنّ لها علاقة بالطائفة الإسماعلية الباطنية. انظر المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة – د. عبد المنعم الحلبي ص٣٣.

(١٠) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٨٦/١٧، ١٣٢).

وألف ليلة وليلة[١] [٢]، وكليلة ودمنة[٣] [٤]، والعديد من الجرائد والمجلات الغربية والعربية[٥].

إضافة إلى ذلك فهو يذكر شواهد أخرى عجيبة من التنويم المغناطيسي[٦] [٧]، وتحضير الأرواح[٨] [٩]، وحساب الجمل[١٠] [١١]، وخوضه في فواتح السور[١٢] خوضاً عجيباً[١٣].

---

(١) هو مجموعة من القصص التراثية، وتعرف باسم الليالي العربية، ارتبط كتاب ألف ليلة وليلة في أذهان الناس بعالم السحر والخيال، ينتظرون مشاهدة الأفلام الخيالية المقتبسة منه أو أفلام الكارتون. انظر https://sotor.com/.

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٥٦/٢٠).

(٣) هذا الكتاب أصله من وضع علماء الهند ذكروا فيه الأمثال والحكم والآداب؛ على هيئة قصص وحكايات ليستأنس منها القارئ والمتلقي، وقد ترجم هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية ثم ترجم منها إلى اللغة العربية منتصف القرن الثاني من الهجرة، على يد عبد الله بن المقفع. انظر كليلة ودمنة – عبد الله بن المقفع، ت: عبد الوهاب عزام، طه حسين، ن: مؤسسة هنداوي، ط: ٢٠١٢م.

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٧٥/٩، ٢٦٠/١٧).

(٥) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٢٧/١، ٢٥٠، ٢٣٢/٢٠، ٢٣٦).

(٦) هو الحالة المصطنعة الشبيهة بالنَّوم التي يصبح فيها الشَّخصُ المنوَّم تحت تأثير المنوِّم فيوحى إليه ببعض الأعمال، أو التأثير بكلمات إيحائيَّة على شخص ما، تنقله إلى حالة شبيهة بالنَّوم ولا يفقد شعورَه، بل يستجيب لإيحاءات المنوِّم وأوامره. انظر معجم اللغة العربية المعاصرة – د أحمد مختار عبد الحميد عمر ، (٢١١١/٣).

(٧) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢١/١، ٢٢٧/٢٢).

(٨) هو الاتصال بالعالم الروحي غير المنظور، اعتقاداً ببقاء الروح بعد الموت، وأنَّ لها – في زعمهم – اتصالاً بالأحياء بواسطة فعل – مادة أو روح – متمثلاً في ظواهر روحانية مختلفة من كشف وتخاطر وكلام ورؤية، أو في ظواهر أخرى فيزيقية مثل تحرك المنضدة أو الكتابة الآلية ونحو ذلك. انظر انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – د. مانع الجهني (١٠٠٩/٢).

(٩) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٠٠/١).

(١٠) هو طريقةٌ حسابية تُوضَع فيها أحرف الهجاء العربية مقابل الأرقام، بمعنى أن يأخذ الحرف الهجائي القيمة الحسابية للعدد الذي يقابله وفق جدول معلوم.

يقوم حساب الجُمَّل، الذي يسمّى أيضًا حساب الأبجدية، على حروف أَبْجَدْ أو الحروف الأبجدية، وهي: أَبْجَدْ، هوز، حطِّي، كَلَمُنْ، سَعْفَص، قَرَشَتْ، ثَخَذْ، ضَظَغْ. ومجموعها ثمانية وعشرون حرفًا؛ تسعة منها للآحاد، وتسعة للعشرات، و تسعة للمئات، وحرف للألْف. انظر https://www.marefa.org/

(١١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢١٠/١٧).

(١٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦/٢).

(١٣) انظر اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر– د. فهد عبد الرحمن الرومي، (٦٥١/٢)، والمفسرون مدارسهم ومناهجهم – د. فضل حسن عباس، ص٣٠٨.

المبحث الثاني: منهجه في التفسير

المنهج الذي سار عليه المؤلف رحمه الله في تفسيره هو أنه يفسر الآيات القرآنية تفسيراً لفظياً مختصراً، كل سورة بمقدمة يذكر فيها ما للسورة من أسماء مكية هي أو مدنية وعدد آياتها وترتيبها في النزول وأحياناً صلتها بالسورة التي قبلها وهذا كله في أسطر قليلة جداً.

مثال ذلك: ما ذكر طنطاوي عند تفسير سورة الناس فقال: بأنها مكية، وعدد آياتها٦، نزلت بعد سورة الفلق، ثم بدأ بالتفسير اللفظي، فقال بعد ذكر البسملة ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس:١]، ((أي: مربيهم ومصلحهم، ﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس:٢]،أي: مالكهم ومدبر أمورهم ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾[الناس:٣]،أي: معبودهم، ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴾ [الناس:٢]، أي: الشيطان ذي الوسوسة، وهي الصوت الخفي..))[(١)] . وعلى ذلك سار في جميع تفسيره.

ثم يبدأ طنطاوي بتقسيم السورة إلى أقسام، كل قسم يتكون من عدد من آيات السورة، وغالباً ما يفرد البسملة في أوائل كل سورة بقسم خاص هو القسم الأول، وأحيانا يسميه الفصل الأول وأحيانا مبحث في التسمية ثم يتبعه بالقسم الثاني وفيه التفسير اللفظي لآيات هذا القسم، وهو تفسير لفظي مختصر جداً أقرب ما يكون لتفسير الجلالين، ثم يتبعه بما يسميه (لطائف هذا القسم) وأحياناً يسميها أبحاثا وأحياناً جواهر وأحياناً حكايات، وأحيانا يضع عنوانا خاصاً بما تحته من أبحاث ويفعل مثل ذلك في القسم الثالث ودواليه.

ولنأخذ سورة الإسراء **كنموذج له،** فقد قسم طنطاوي إلى قسمين اثنين: الأول إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾[الناس:٤٩]، والثاني: حتى نهاية السورة، ويعرض في القسم الأول الموضوعات التالية:الإسراء، وتاريخ بني إسرائيل...الخ، والقسم الثاني: يشتمل على الموضوعات العملية، وهي٢٥ نوعاً.

وقسم النوع الأول بعد التفسير اللفظي المختصر إلى اثنتي عشرة لطيفة، وذكر في بعض لطائفه التي ذكرها طنطاوي جواهر، ثم قسم الجوهرة إلى زبرجد... وهكذا[(٢)] .

وأما مثال ما يفرد البسملة في أوائل كل سورة بقسم خاص ويجعل تفسير البسملة

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن – طنطاوي جوهري (٣١٨/٢٥).

(٢) انظر المرجع السابق (٣/٩).

القسم الأول منه.

كسورة الدخان مثلاً: فقد قسم طنطاوي إلى قسمين اثنين: القسم الأول: في تفسير سورة البسملة، والقسم الثاني: في تفسير السورة كلها.

فقال: ((القسم الأول: في تفسير سورة البسملة، ثم ذكر حكاية عن الشخص الذي يعتاد سؤاله دائماً، فقال: لم يبق في المسألة معنىً إلاّ ظهر في السورة السابقة. فقلت: إنّ المعاني التي خطرت في هذه البسملةأجلُّ قدراً، وأوسع مدى، وأعظم ذخراً، وإني قبل أن أذاكرك فيها أسألك في مقدمتها، وهو ما تقدم من آراء الحكماء شرقاً وغرباً...الخ.

ثم أسهب في إيراد آراء الفلاسفة في الأخلاق، مع ذكره بعض الحوادث التي حصلت له، وخلط الآيات بذكر شيء من العلوم الكونية... إلى أن قال: انظر في الأمور الأربعة التي هي المقصود الحقيقي، وهي: العلم والرحمة والجمال والحب، **– ثم أخذ يضرب أمثلة لذلك – إلى أن خلص فقال:** فهذا معنى قولي لك: إنّ ما خطر لك هو نفس تفسير البسملة في سورة "الدخان"))[1]. **أظنُّ والله أعلم كأنه يريد قول: أنَّ البسملة في هذه السورة تبرز العلم والرحمة والجمال والحب.**

ثم يكتب طنطاوي جوهري في نهاية السورة تذييلا لتفسير السورة وتحته فصول، وأحيانا يضع لطائف عامة آخر السورة لكل أقسامها وكل هذه الأبحاث ما عدا التفسير اللفظي مليء بالأبحاث العلمية التجريبية البحتة[2]، موضحة بالصور والتفصيل الدقيق.

كما فعل مثلاً: في سورة " الجاثية" بعد الانتهاء من تفسير السورة بدأ بذكر لطائف فيها، ثم قسمها إلى ست لطائف، وذكر تحت كل لطيفة أقسام، مرة ذكرها باسم الأغراض، ومرة قسمها باسم الفصول، مع حشوه في بعض اللطائف ببعض الصور للمرجان والجبال البركانية وما أشبه ذلك[3]، والتي لا تمت بصلة بالتفسير.

وكثيراً ما يذكر في هذه الأبحاث؛ الأحداث التي تقع له في حياته اليومية.

كما ذكر ذلك مثلاً أثناء تفسيره لسورة "يس" بعد ما ذكر عن الكشف الحديث في الحرارة والضوء، وعظمة الأجرام السماوية، واختراع تليسكوب..**بدأ يتكلم عن أحداثه اليومية التي وقعت له، فقال:** ((عملي في الحقل وعواطفي فيه. في ليلة

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن – طنطاوي جوهري (٦١/٢١).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم – طنطاوي جوهري (١٧١/١).

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن – طنطاوي جوهري (٤/٢١).

الثلاثاء١٠يوليوسنة:١٩٣٠م، بينما أنا جالس بمنزلنا بالقاهرة، وكان معي ذلك الصديق العالم ونحن نتجاذب أطراف الحديث من قديم وحديث... **ثم سرد القصة، ثم تبع تلك الحادثة بحادثتين أخرى، وهكذا**[(١)] .

وأحياناً يذكر ما يراه في منامه.

كما ذكر عن رؤياه للنبي ﷺ في المنام، وأنّ أصل تأليفه لهذا التفسير جاء من خلال رؤيا النبي ﷺ ...)) [(٢)] .

وأحياناً خيالات يتحول بها من عالم الأشباح إلى عالم الأرواح فيلتقي بروح البصيرة فيحدثها وتحدثه الأمر العجاب.

فيقول طنطاوي عن تلك الخيالات: ((وما جاء يوم السبت حتى خرجت من القاهرة ضحي لأتوجه إلى بلدة شبين القناطر لمعالجة الحادث الخارجي في نزاع أثاره جار سوء في الحقل، فما جلست في العربة الجارية في الطريق التي تسير بالكهرباء وهي مزدحمة ازدحاماً تاماً بالراكبين وتخترق المزارع؛ حتى أحسست بهذه النفس قد بارحت هذا الجو وعرجت إلى عالم السماوات، أنا جالس مع الناس وأحس بمن حولي وأحفظ قواي وموازنتي مع الراكبين، ولكن سرعان ما رأيت في خيالي أن هناك سلماً منصوباً بين السماء والأرض، فأخذت روحي تعلوه درجة فدرجة حتى وصلت إلى عالم السماوات. كل هذا تخيلته وأنا في اليقظة والناس حولي. ولما وصلت إلى عوالم فوق هذه الطبقات الكوكبية، خيل إلي أن هناك عالماً من النور بهيجاً بدياً، عجيب الألوان، سريع التقلب، جماله يسبي العقول ويحير الألباب، فما قوس قزح ، وما الصور الجميلة في أرضنا، وما البدائع الأرضية، وما الشموس والأقمار، وما الكواكب، هو فوقها جمالاً وبهاءً وحسناً...

هنالك حار لبي وأخذت أقول: يا ليت شعري، ما هذا الخيال؟ أنا في العربة والركاب حولي، فأين الثريا وأين الثرى، هنالك خيل إلي أنَ روح لطيفة تمثلت لي بهيئة إنسان مصنوع من النور جميل المحيا بهيج المنظر، فسلم علي وحياني وهو باسم الثغر منشرح الصدر فقال : لعلك في حيرة ما رأيت.. الخ.))[(٣)] .

وأحياناً كثيرة يسميها إلهاماً أو نفحة ربانية وإشارة قدسية أو بشارة رمزية أمر بها

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن – طنطاوي جوهري (٢٠١/١٧).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٠/٤، ٧٥/٧).

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨/٢١).

بطريق الإلهام.

كما ذكر ذلك في مقدمة الحديث عن تفسيره، فقال: ((ولتعلمن أيها الفطن: أنّ هذا التفسير نفحة ربانية، وإشارة قدسية، أمرت به بطريق الإلهام...))[1] .

بل أحياناً يختلط عليه الأمر فلا يدري عما كتبه حلم أو هو حديث نفس أم إلهام.

فيحدثنا طنطاوي عن نفسه بهذا الأمر فقال: ((خطر لي وقت الصباح خاطر لم أقدر على مدافعته، وظل يملك عليّ وجداني وأنا به ثمل، فقد خيلت لي هذه الدنيا كأنها قصرٌ جميل ذات بهجة وحسن، وكأنّ السماء جميعها مضيئة مشرقة تحيط بي من كل جانب، وكأني في حياة أسعد من حياة أهل الأرض التي أعيش فيها، فلم أرَ بداً من كتابة ما ألا حظه في هذا المقام.

وهنا أخذني ما يشبه سنة النوم، وكأن هذه السماء التي تبدت لخيالي مضيئة قد صارت قصراً جميلاً بهياً بديعاً، فأخذت أنظر في جوانبه وأتأمل عجائبه وأسرح الطرف في محاسنه، هنالك تبدت لي حيطانه الأربعة مصنوعة من الذهب مزخرفة باللآلئ البديعة والأحجار الثمينة وأنواع المرجان وكل ما هو جميل، وتخيلت أنّ في أركان القصر نوراً يشع، ثم أخذ يزداد شيئاً فشيئاً فأخذ بمجامع لبي لما تنوعت ألوانه وأشرقت صوره، فكنت أرى صوراً مشرقة بديعة بهيئة ألوان قوس قزح، وهنا رأيتني في عالم غريب عجيب فحرت في أمري وصرت أقول: يا ليت شعري أين أنا الآن؟ أنا أكتب في موضوع ذلك النبات الآكل اللحم الذي كشفه القوم، وها هي ذه صورته مرسومة أمامي، فما هذا القصر وما هذا الجمال؟.

فبينما أنا على تلك الحال إذ رأيت شخصا كأنه طيف خيال، فقال: أراك في حيرة فاسألني عما تريد. فقلت: ما هذا القصر ولمن هو؟ فقال: هذا القصر لك أنت ولأمثالك. فقلت: وكيف ذلك؟ فقال: قد حضر في خيالك ليمثل ما تكتبه الآن. فقلت: لم أفهم ما تقول . فقال : ألم تعلم أنك الآن في عالم الحيوان والنبات وقد أتيت بأعجب ما فيهما وهو النبات الذي يأكل اللحم؟ فقلت : بلى....

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٥).

إلى أن قال في نهاية حديثه: فلما سمعت ذلك وعيته وفتحت عيني وكتبته، فأنا لا أدري أكنت في أحلام، أم كان ذلك حديث نفس في اليقظة، أم هو إلهام)) [1] [2] .

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١١٩/٧)، وذكر قصة شبيهة حدثت له في (١٢٧/٨).

(٢) انظر بإسهاب عن منهج طنطاوي في التفسير في اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر- د. فهد عبد الرحمن الرومي، (٦٤٩/٢)، والمفسرون مدارسهم ومناهجهم - فضل حسن عباس، ص٣٠٨.

الفصل الثالث

منهجه في تقرير مسائل العقيدة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موقف طنطاوي جوهري من الدليل النقلي.

المبحث الثاني: موقفه من الدليل العقلي.

المبحث الثالث: موقفه من الاستدلال بالعلم الحديث على مسائل العقيدة.

تمهيد

الدارس لحياة طنطاوي جوهري العلمية والفكرية، يدرك أنه قد نشأ بين مدرستين متباينتين في الفكر-كما أشرنا إليه سلفاً- فكانت كل منهما تحمل فكراً معيناً، فالجامع الأزهر كان مختصا ومهتماً بدراسة علوم الدين والشريعة...، ودار العلوم كان يدرس فيها العلوم الطبيعية والرياضة والفلك...، وتلك المدرستان قد أثرتا تأثيراً كبيراً في حياته العلمية والفكرية والمنهجية، وتبلور منهجه وفكره في مؤلفاته، وخاصة في كتابه التفسير وعند شرحه لآيات كتاب الله ﷻ.

و إذا نظرنا في تقريراته العقدية التي يشير إليها في تفسيره، يتضح لنا هذا الأمر جلياً، حيث يتسم منهجه عند تقريره لمسائل الاعتقاد بالاجتهاد والخروج عن المألوف وعدم التقيد بمذهب معين أو التمسك بقول طائفة معينة، مما يوصله كثيراً إلى الوقوع في الاضطراب في رأيه وتقريره في المسألة.

فمن ذلك أنه يذم كثيراً علم الكلام وطرقهم التي كانوا يستدلون بها في باب العقائد، محتجاً على المشتغلين به بأنه مضيعة للعقول العظيمة التي خلقت في البلاد الإسلامية.

يقول طنطاوي ﷺ في ذلك: ((فإنَّ العقول الكبيرة التي خلقت في البلاد الإسلامية قد حكم عليها أن تضيع الذكاء المفرط في علم الكلام من الرد على المشاغبين الذين ماتوا، فكتب التوحيد أول مصيبة حلت بالأمم الإسلامية.... فهذه الكتب لاهي بمعطية لليقين ولا هي بمرقية للعلوم، وأنها منعت الناس عن النظر في القرآن والتفكر في الكون)) [(١)].

ثم تجده في مسائل أخرى يسلك مسلك المتكلمين في استدلاله لبعض المسائل، كعلم التوحيد، وفي إثبات بعض الصفات لله تعالى.

حيث **يقول طنطاوي ﷺ في ذلك**: ((أما نحن الآن فإنما نتكلم في العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف، ثم ليكن المدرس لهم مقتنعاً بما يقول متأثراً به، فيلقي إليهم عجائب الطبيعة ويصف لهم بدائعها، ثم يعرج على خالقها فيصفه بأوصاف الجلال، أي: الصفات السلبية، وأوصاف الجمال وهي أوصاف المعاني، فيقول: إنه عالم وقادر ومتكلم وسميع

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٧٨، ١٩٨، ١١/١٦٠).

وبصير))[1].

ويقول: ((إنّ الأمم قديماً وحديثاً لا يبرحون يفكرون في الحق ﷻ، ومعلوم أنه ليس بجسم ولا عرض في جسم منزه عن الحوادث))[2].

وانتهج كذلك منهج التأويل[3] في تفسيره لآيات القرآن الكريم، حيث يؤول النص بالتأويل الخارج عن مفهوم السلف وعن المعنى المراد منه، وشواهد ذلك كثيرة في تفسيره، وتجد بعضاً منها وخاصة ما يتعلق بمسائل الاعتقاد في ثنايا هذا البحث.

كما تأول الآيات الواردة في يأجوج ومأجوج تأويلاً مخالفاً للسلف ولأقوال أهل العلم والمفسرين، ثم تكلف بإنزالها في الواقع، واحتج بأنّ ما اختاره هو المراد من الشارع.

حيث قال بأنّ قوم يأجوج ومأجوج المقصود بهم المغول والتتار، **فقال:** ((أصل يأجوج ومأجوج من أولاد يافث بن نوح أخوذان من أجيج النار وهو ضوؤها وشررها، تشيران لكثرتهم وشدتهم، وذكر بعض المدققين في البحث عن تأصيلهم أنّ أصل المغول والتتر من رجل واحد يقال له « ترك »... فيظهر من هذا أن المغول والتتر هم المقصودون بيأجوج ومأجوج... وفي «رسائل إخوان الصفا » فقد ذكروا أن هؤلاء هم يأجوج ومأجوج))[4].

والفساد المقصود به في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [الكهف:٩٤]، هو ما حصل من المغول والتتار من الخراب والعبث في البلاد من قتال وسبي وهدم للبيوت وارتكاب للفواحش...إلخ.

وكذلك تفسيره لمعنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾[الأنبياء:٩٧]، قال طنطاوي بأنّ يأجوج ومأجوج في الآية هو جنكيز خان وجنوده.[5].

وسار كذلك على منهج التوفيق والتقريب، تجده يحاول كثيراً التوفيق بين النصوص الشرعية وبين ما وصل إليه العلم الحديث من النظريات والعلوم التطبيقية[6]، ثم يبني

---

(١) انظر المرجع السابق (٤٧/١٠).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٢٥/١٥).

(٣) هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، أو هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنىً آخر يحتمله اللفظ لقرينة يقترن به وهذا الذي يعنون به في باب الاعتقادات. انظر التعريفات الاعتقادية – سعد آل عبد اللطيف ص٩١.

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٤٥/٩).

(٥) انظر تفصيل ما قاله طنطاوي في هذه المسألة في ص٣٧٣.

(٦) كما هو صرح بذلك في تفسيره الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٨/٨).

عليه مذهبه الاعتقادي ويقرر برأيه في تلك المسألة.

منها ما ذكره طنطاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

يقول طنطاوي رحمه الله: ((قد عرفت أنَّ ذلك كله عبارة عن العلم بالجلال والإكرام، ولا معنى لمعرفة صفات الإكرام إلاَّ بدراسة العجائب الإلهية، **وبعبارة أخرى:** دراسة العلوم التي امتازت بها أوربا علينا هذا هو الذي يفهم من التسبيح والحمد)) (١).

وهو بهذا يحاول التوفيق بين ما جاءت به أوربا من العلوم النظرية والتجريبية وبين ما جاء في القرآن الكريم، ظناً منه بأنه لا يمكن فهم مراد آيات القرآن الكريم من التسبيح والتحميد إلاّ إذا توسع المسلم في دراسة هذه العلوم.

ومنها كذلك ما قاله طنطاوي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [الرعد: ١٧]. ((إنّ هذه الآية ملخصها: أن لا يبقى إلاّ الأنفع، فهي عين نظرية الترقي وبقاء الأصلح؛ فالماء والفلزات أشبه بالأمم الراقية العاقلة الكاملة، والزبد أشبه بالأمم الجاهلة التي تظهر غلبتها في أول الأمر ثم يعتريها الاضمحلال والانحلال)) (٢).

ومنها كذلك ما استدل به طنطاوي من اكتشاف عالم الأرواح باالقرآن الكريم، **فقال في ذلك:** ((وقد جاء في هذا العلم أنّ الأرواح بعد الموت تسير في الطريق التي سارتها في الحياة،فإن كانت ناقصةلا زمها النقص...وهذا من أعجب العجب أن يأتي القرآن ويكون الكشف الحديث مطابقاً له، سارياً على نهجه)) (٣).

وشواهد هذا النوع من الأمثلة مليئة في تفسيره وتجد شيئاً منها في هذا البحث عند حديثنا عن خلق **خلق آدم** عليه السلام (٤).

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٤/١٩).
(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٧٥/٧).
(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣٠١/٢٤).
(٤) انظر تفصيل هذه المسألة في ص١٣٧.

المبحث الأول: موقف طنطاوي جوهري من الدليل النقلي

القرآن الكريم هو المصدر الأول ودليله المعتمد عند طنطاوي جوهري ﷺ في استدلاله على مسائل الاعتقاد عامة، وعلى وجود الله والربوبية بصفة خاصة.

يقول طنطاوي ﷺ في مقدمة كتابه القرآن والعلوم العصرية: ((أيها المسلمون أدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والنظر فيهما بالعقل الصحيح والرأي الرجيح، والعمل بهما، المنجي في الدنيا والآخرة)) (١).

وقد تحدث كذلك هو عن نفسه في استدلاله على وجود الله، **يقول ﷺ في ذلك:** ((إذ فتح لي باب آيات من القرآن، ولم أكن إذ ذاك أعرف تفسيره، فاستحضرت بعض التفاسير وطالعت آيات العجائب، وكان أول ما طالعت قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: ١٩٠]، فتأملتها تأملاً صحيحاً فانفتح لي باب الفكر... حتى اتضح لي أن كل هذا العالم على غاية النظام والإحكام، وفهمت آيات القرآن في تلك العجائب فهماً يقينياً لا تقليدياً، وصار كل شيء من العالم دروساً توحيدية)) (٢).

وقال أيضاً: ((القرآن كله علم، وأهم العلم ذات الله وصفاته وأفعاله)) (٣).

غير أنه سلك في ذلك منهج التأويل، يؤول بعض آيات القرآن ويصرفها عن مرادها، وقد يأتي بمعان لم يقل به أحد من سلف الأمة، وخاصة في مسائل الصفات.

كما تأول طنطاوي صفة مجيء الرب ﷻ يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد، فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١] ((هذا تمثيل لظهور جبروته واقتداره، فإن حضور الملك بنفسه أكثر أثراً من حضور جنده وحده، فإذن المراد ظهور العظمة)) (٤).

ويستدل طنطاوي ﷺ كذلك بالأحاديث النبوية في مسائل الاعتقاد، وهي المصدر الثاني عنده بعد القرآن الكريم، ومثال ذلك ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ

---

(١) القرآن والعلوم العصرية – طنطاوي جوهري ص٤.

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٥/١٩).

(٣) انظر المرجع السابق (٢٧٦/١).

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم طنطاوي جوهري (١٧٤/٢٥).

نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [ق: ٣٠]، ((يقول ابن عباس ﷺ: سبقت كلمته: ﴿ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩]، فلما سيق أعداء الله إليها صارت لا يلقي فيها فوج إلاّ ذهب فيها ولا يملأها شيء، فتقول: ألست قد أقسمت لتملأني؟ فيضع قدمه عليها فيقول: هل امتلأت؟ فتقول: قط قط امتلأت وليس من مزيد.

وروى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: ((لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العرش – وفي رواية – رب العزة فيها قدمه، فيزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط بعزتك، ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضول الجنة))[(١)]، ولأبي هريرة نحوه، وزاد: ((ولا يظلم الله من خلقه أحدا))[(٢)].

وهو في هذا يسير على منهج أهل السنة والجماعة من حيث استشهاده بالسنة وإيراده لها تفسيراً وشرحاً وبياناً لآيات القرآن الكريم، **لكنه خالف مذهب أهل السنة والجماعة في دلالة السنة على مسائل الاعتقاد، لأنه يرى أنّ المسائل العقدية لا يستدل فيها بالأحاديث النبوية، بحجة أنّها ظنية الدلالة والعقائد يقينية ولا يحتج بالدلائل الظنية عل اليقينية.**

يقول طنطاوي ﷺ في معرض ذكره نزول المسيح عليه السلام إلى الأرض في آخر الزمان: ((إنّ هذه المسألة ليست من العقائد اليقينية، لأنّ العلماء يجعلون الأحاديث الصحيحة كالتي في البخاري ومسلم ظنية لا يقينية، كما في فتح الباري على البخاري[(٣)]، والعقائد عندنا هي اليقين لا الظن))[(٤)].

ويقول كذلك في أحاديث رسول الله ﷺ بالمجاز[(٥)]، **يقول طنطاوي ﷺ في الأحاديث التي وردت فيها صفات المسيح الدجال:** ((واعلم أنّ الحديث الذي أخرجه

---

(١) رواه البخاري في: (كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته) (٨/ ١٣٤) حديث رقم: (٦٦٦١)، ومسلم في : (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (٤/ ٢١٨٨) حديث رقم: (٢٨٤٨).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣/٢٣)، وانظر كذلك ما استشهد من الأحاديث عند تفسيره لآيات القرآن الكريم في مواضع أخرى، الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٧٩/١٣).

(٣) استعرضت كتاب فتح الباري؛ ولم أجد فيه قولاً لابن حجر – ﷺ – في هذه المسألة.

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٩/٣).

(٥) انظر المرجع السابق (١٢٩/٣)، ويراد به: صرف المعنى الظاهر إلى معنى غير مراد، ووقع خلاف كبير بين العلماء في وقوع المجاز في اللغة والقرآن. انظر معجم ألفاظ العقيدة – أبي عبد الله عامر فالح، ص٣٦١.

رزين[(١)] هو الذي كفانا مؤونة القول بالمجاز، أما وقد جاء عن النبي ﷺ ذلك فلا قول لنا ولو لم يأت لتكلفت المجاز في حديث الشيخين))[(٢)].

ويقول أيضاً بعدما أورد جملة من الأحاديث والآثار عن حملة العرش: ((ولست أقول لك إنّ هذه الأحاديث أو الآثار ذكرتها لك على أنها صحيحة أو حسنة أو ضعيفة إنّما المقام مقام ذكر ما قيل بدون نظر إلى مقدار صحته، لتعلم كيف كان التعبير الذي يعبر به عن عظمة ملك الله، وما دام المقام مقام مجاز فلا بأس بذكر ذلك كله))[(٣)].

(١) لم أجد في كتب السنة رواية رزين التي ذكرها طنطاوي، والتي وجدت هو لفظ قريب من هذه الرواية؛ وهو مارواه الحاكم في مستدركه من حديث أبي سعيد الخدري ((معه مثل الجنة ومثل النار، فالنار روضة خضراء، والجنة غبراء ذات دخان، ألا وإن بين يديه رجلين ينذران أهل القرى كلما دخلا قرية أنذرا أهلها، فإذا خرجا منها دخلها أول أصحاب الدجال)). الحديث. رواه الحاكم في مستدركه (٥٨١/٤).

(٢) انظر المرجع السابق (٤٧/٣).

(٣) التاج المرصع – طنطاوي جوهري ص٨٧.

المبحث الثاني: موقف طنطاوي جوهري من الدليل العقلي

تميز طنطاوي جوهري ﷺ في تفسيره بشحذ الأمة الإسلامية لإعمال العقل ونبذ التقليد، والتفكر والنظر بعقولهم في هذا الكون، ويهيب بهم كثيراً في تفسيره وغيره من مؤلفاته على ذلك.

قال: ((فإذا كان العقل عند رسول الله ﷺ بهذه المنزلة من الشرف، وأنّه لا إيمان ولا دين وعلم ولا دنيا ولا آخرة إلاّ بالعقل، فليكن هذا الدين دين العقل والفكر، لا دين تقليد))[1].

أما موقفه من الدليل العقلي، فقد تتبعت تفسيره فوجدتُ من خلال تقريراته في المسألة؛ أنه يقول بتقدم العقل على النقل عند التعارض.

يقول في ذلك: ((إنّ العقل مقدم على الشرع لأننا إذا قدمنا الشرع على العقل بلا بحث، وهذا معناه أنّ العقل قد يكذب، وإذا كذب العقل فهذا يرجع على الدين بالنقض، لأنّ التصديق به بناء على العقل، والعقل قد سقط، فإذن سقط الدين بسقوط أساسه. فإذن نلتجئ إلى الأمر الثاني وهو أن نقول: إننا نؤول الشرع ليطابق العقل وحينئذ نكون قد وفقنا بين العقل والشرع، هذا كلام حكماء الإسلام في مثل هذا المقام، أي: مقام العقل والدين))[2].

ويقول أيضاً ﷺ : ((إنّ العقل إذا صادم النقل يقدم العقل عليه، والنقل مؤول لمعنى يناسبه وإلاّ كان مما اختص الله بعلمه))[3].

وهو في هذا قد أقرَّ طريقة المتكلمين: وهو تقديم العقل على النقل عند التعارض، واستشهد بمنهجهم كذلك، وعلى هذا قد خالف طنطاوي مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة: أيهما يقدم إذا تعارض النقل مع العقل؟، وأما طريقة السلف في هذا: هو تقديم النقل على العقل عند التعارض.

---

(١) التاج المرصع – طنطاوي جوهري ص٨٧.

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٣٢/٩).

(٣) التاج المرصع – طنطاوي جوهري ص٨٧.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[(١)] ﷺ: ((إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع للنقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، وإذا أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأنَّ ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجبا عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه))[(٢)] .

ويقول الشاطبي[(٣)] ﷺ: ((إذا تعاضد النقل والعقل على المسائل الشرعية؛ فعلى شرط أن يتقدم النقل فيكون متبوعا، ويتأخر العقل فيكون تابعا، فلا يسرح العقل في مجال النظر إلا بقدر ما يسرحه النقل))[(٤)] .

---

(١) هو شيخ الإسلام تقي الدّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام ابن عبد الله بن تيميّة الحرّاني الحنبلي، بل المجتهد المطلق، ولد بحرّان، سنة:٦٦١هـ، وتوفي، سنة: ٧٢٨ هـ، ومن تصانيفه: الإيمان، و الجمع بين النقل والعقل، ومنهاج السنة، والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، والصارم المسلول على شاتم الرسول، ونظرية العقد، وكتاب الاستغاثة – يعرف بالرد على البكري، وكتاب الرد على الأخنائي، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام، وشرح العقيدة الأصفهانية وغيرها الكثير من مؤلفاته – ~ –. انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/ ١٦٨)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨/ ١٤٢)، والأعلام للزركلي (١/١٤٤)، ومعجم المؤلفين (١/ ٢٦١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل – لابن تيمية (١/١٧٠).

(٣) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ. من أهل غرناطة. كان من أئمة المالكية، ولد عام: ٧٩٠هـ، من كتبه: الموافقات في أصول الفقه، و الافادات والانشادات، والاتفاق في علم الاشتقاق، وأصول النحو، والاعتصام، وشرح الألفية، سماه: المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية، وغيرها من مؤلفاته. انظر الأعلام للزركلي (١/٧٥).

(٤) الموافقات – للشاطبي (١/١٢٥).

المبحث الثالث: موقفه من الاستدلال بالعلم الحديث على مسائل العقيدة

لم يقف الإسلام موقفا سلبياً من العلم، بل أمر المسلمين بالاستزادة منه في كل عصر وكل حين، فكانت الأمة الإسلامية منذ فجر الرسالة المحمدية شامخة عزيزة مثل ما أراد منها الشارع الحكيم نتيجة اهتمام المسلمين بالعلم والمعرفة، فعلا شأنهم حينها وارتفع صيتهم بين الأمم الأخرى في شتى المجالات، ومنها مجال العلم والمعرفة، إلى أن جاء العصر الحديث.

فتقهقر المسلمون فيه عن مكانتهم السامقة بسبب زهدهم عن العلم، وتفوق الغرب على المسلمين في العلوم التطبيقية والنظرية والتجريبية حينما اجتهدوا وبذلوا وسعهم في ذلك، ووقف المسلمون موقف التابع من المتبوع، وأصبحوا ينظرون إليهم نظرة إعجاب وإكبار بما لديهم من تفوق علمي ومادي.

وهنا جاء طنطاوي جوهري ﷺ محاولاً إنقاذ الأمة من سباتها العميق وإرجاعها إلى مجدها ومكانتها التي كانت عليها بين الأمم، ويبين لنا الحال التي وصل إليها المسلمون في زمانه، ويعاتبهم على غفلتهم عن العلوم والمعرفة.

يقول ﷺ: ((ادعى الفرنجة في أول أمرهم أنهم كاشفون لما سبقهم به العرب، ثم جاء بعدهم علماء كشفوا عجائب مما خبأه الله في أرضه، والمتأخرون من المسلمين ساهون لا هون، نقلت أوربا علومكم وأنتم نائمون، أفلا تعقلون؟ أفلا تتفكرون؟ فهل أنتم لا تشعرون؟ أيها المسلمون أنتم اليوم عالة على أوربا، إنها قد فتح لها كنز العلم وأنتم نائمون))[1].

ثم أخذ طنطاوي جوهري ﷺ بأيدي المسلمين يناشدهم ويحثهم على طلب العلم والرجوع إلى إرث الآباء والأجداد، لأنه لا سبيل للمجد والرقي للأمة إلا بالعلم.

يقول ﷺ: ((إنّ الله خلقنا في الأرض ورزقنا مواهب بدنية، ونعماً أرضية، ومنحاً سماوية، وقال: يا عبادي هذه نعمي فاشكروها، وهذه آياتي فابتغوها، وهذه أرضي فاضربوا فيها، وزينوا أنفسكم بالعلوم والصناعات، واستخرجوا كنوزي... أيها المسلمون: كنتم قديماً أولى من غيركم فسلمتكم قياد أرضي، والآن وجدت تعاليمكم مشوهة، وعلومكم منحرفة، ودروسكم مظلمة، فسلبتكموها وأعطيتها لغيركم، وها هو ذا آن الآوان لظهور ما لم يظهر من كوامن غرائزكم وبواطن أرضكم، ومزايا نفوسكم، وإشراق علومكم، ولذلك بدت طلائع العلم

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٠٨/٧) بتصرف.

والحكمة في بلاد الإسلام، وظهر أرباب العقول اليوم في بلاد العرب والترك والفرس وسيزداد الأمر وتأخذ الأمم الإسلامية مكانتها))[1].

وقد أبدى طنطاوي جوهري ﷺ اهتماماً بالغاً بهذه العلوم – الكونية والطبيعية– حتى بلغ به الأمر أن جعل مقام هذه العلوم مقام التوحيد، بل هو التوحيد ذاته.

قال ﷺ: ((العلوم الطبيعية ترجع إلى معرفة النبات والحيوان والإنسان والمعدن، وعجائب النور والكهرباء والمغناطيس ونواميس الضوء، وكل هذه تدل على حكمة القادر المبدع، وهي التوحيد الحقيقي))[2].

وقال ﷺ **أيضاً**: ((أما نظام التوحيد فهو يرجع إلى جميع العلوم. أما التوحيد الجدلي فهو للعامة وصغار العلماء))[3].

وهو بهذا جعل التوحيد على ضربين:

التوحيد الجدلي: هو التوحيد المبثوث في كتب أهل الكلام، **والتوحيد الحقيقي**: هو التوحيد المعرفي الذي يجمع بين العلوم الكونية والطبيعية التي يقاس بها تقدم الأمم.

يقول ﷺ: ((إنّ معرفة هذه العلوم لا بدّ منها لبقاء الأمة وحياتها في هذا الزمان، فالأمة التي جهلت العلوم الطبيعية أصبحت اليوم ذليلة مستعبدة حقيرة تباع بيع السلع، فانظر إلى أمتنا الإسلامية ألست ترى أنّ بعض دول أوربا كإنكلترا وفرنسا ونحوهما يقولون: خذ أمة كذا وأنا أخذ أمة كذا في نظيرها، لماذا هذا؟ لأنها أمم جاهلة جهلت العلوم التي نتكلم فيها الآن وغيرها، فإذن قراءة هذه العلوم لا يتم حياة الأمة إلاّ بها، ولن يعرف الناس ربهم إلاّ إذا كانوا آمنين في بلادهم، ولا أمان في البلاد للجهلاء الذين يستعبدهم العلماء بما خلق الله))[4].

ولشغف طنطاوي جوهري ﷺ بهذه العلوم وإيمانه بالعلم ومعطياته في العصر الحديث، جعل تعلم العلوم الطبيعية ودراستها كالكيمياء، والفيزياء، والأحياء، وغيرها، واجباً على المسلمين.

يقول ﷺ: ((لقد قرأنا في كتب آبائنا الفقهية قاعدة عجيبة توقظنا إلى حوز الحكمة

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣٢١/٢٤) بتصرف.

(٢) انظر نهضة الأمة وحياتها – طنطاوي جوهري، ص٣٧.

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٧٠/١٥).

(٤) انظر المرجع السابق (٦١/٢٥).

والعلم، فقالوا: ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب، أفليس هذا منهم تعليماً لنا كأنهم يقولون: أيها الأبناء: إنّ الله أمرنا بالنظر، والنظر لا يتم إلاّ بهذه العلوم، وما لا يتم الواجب إلاّ به في معرفة الله تعالى فهو واجب، إذاً هذه العلوم واجبة في معرفة الله)) (١).

ولم يقف طنطاوي جوهري عند حد الوجوب في تعلم هذه العلوم، بل تعدى ذلك إلى القول بفرضية تعلُّم هذه العلوم ولزوم دراستها، ومن ترك دراسة هذه العلوم فكأنما ترك فرضاً من فروض الدين، وبالتالي يكون ترك الفرض كفراً.

يقول ﷺ: ((إنّي أعتقد اعتقاداً جازماً أنّ معرفة هذه العلوم فرض واجب لأنها هي نفس التوحيد، هي نفس ما يطلبه القرآن، هي نفس الشرع الإسلامي، أنا في غاية العجب من هذا الانقلاب والكفران المبين، كيف يكون ما هو توحيد كفر؟ إنّ الكفرَ كل الكفر هو هجر هذه العلوم)) (٢).

ولا شكَّ أنَّ هذا قياس خاطئ في غير محله لم يقل به أحد لا من السلف ولا من الخلف، فلذا أخذوا عليه بعض أهل العلم المعاصرين له (٣) موقفاً سلبياً تجاه مؤلفاته ومنشوراته.

ويظهر بهذا جلياً موقف طنطاوي جوهري ﷺ من العلم الحديث الذي أفنى حياته كلها في الدفاع عنه، ومن شدة إيمانه بالعلم وما توصل إليه من نتائج، وجدنا طنطاوي يسلم له بكل ما جاء به محاولاً الربط بينه وبين الإسلام (٤)، وهو ﷺ قد أراد من ذلك أن يستشهد للغرب بما عندهم من العلوم بالقرآن الكريم، وليثبت لهم أنّ القرآن قد سبق إلى هذه العلوم تلميحاً أو تصريحاً أو ضمناً، ويتجلى لنا ذلك في حديثه عن مسألة علم تحضير الأرواح، والتنويم المغناطيسي، ورأيه في نظرية التطور.

ومن استدلالاته بالعلم الحديث على مسائل العقيدة كذلك: تفسير طنطاوي رؤية الله بالعلم، إيماناً وتصديقاً منه بمعطيات العلم الحديث، حيث جعل طنطاوي رؤية الله في الآخرة على ضربين:

---

(١)ا نظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦١/٢٥) بتصرف.

(٢) انظر نهضة الأمة وحياتها – طنطاوي جوهري ص٣٦.

(٣) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي كان من المنقدين لطنطاوي جوهري على طريقة تفسيره؛ وقد بعث الشيخ السعدي برقية إلى محمد رشيد رضا في ذلك لينصحه وليترك هذا المنهج في تفسير القرآن الكريم، وقد منع تفسير الجوهري من الدخول إلى المملكة العربية السعودية وقتئذ، ولهذا أرسل طنطاوي خطاباً إلى ملك نجد والحجاز في ذلك الوقت. نظر نص الخطاب في الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦٦/٢٥)

(٤) انظر الآراء الاعتقادية والصوفية للشيخ طنطاوي جوهري – محمد عاشور عبد اللطيف، ص٣٦.

رؤية لعامة الناس الذين ليس لديهم شغف للعلم ولا يستلذون به، فهؤلاء يتصورون لهم شكلاً ينظرونه كما ينظرون الملوك.

أما الرؤية الحقيقية بالنظر لوجه الله فتكون لخاصة الناس الذين يعشقون العلم وينفعون الناس بعلومهم.

يقول طنطاوي ﷺ:((فتأمل كيف يتجلى الله لكل أحد كأنه له خاصة، بحيث يناجيه الإنسان والحيوان حشرة ودابة، فكل هذه تسأله الرزق وشؤون الحياة كأنه خاص بها، فأما الرؤيا فخاصة بأقوام من نوع الإنسان، بخلاف السؤال فهو عام.

واعلم أن الوصول للحقائق العلمية بعد التخلي من الأخلاق الشائنة هو الوسيلة لرؤية الله تعالى، والرؤية بالبصر أمر حيواني، أما الرؤية بالإحاطة بالعلوم فهو الموصل لذلك المقام، ومن لم يجد في نفسه شعوراً بالنظام الجميل في هذه الدنيا، فكيف يتصور أن يرى موجد هذا النظام))[1].

ويقول طنطاوي ﷺ عند تفسير قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، قال طنطاوي: ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ ((أي: الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: هي النظر إلى وجه الله الكريم.

والنظر لوجه الله الكريم هنا معناه ازدياد العلم بآياته وجماله وحكمه وعجائبه وبدائعه ، وكلما ازداد علماً ازداد بهجة، فهذا النظر بهجة الحكماء والأنبياء.

فقد تبين هنا كيف تكون دار البلاء، ثم كيف تكون دار السلام، ثم كيف يكون ازدياد العلم بالله المعبر عنه بالنظر، وأنت أيها الذكي تعرف من نفسك الآن أمن أهل الجنة أنت أم من أهل النظر لوجه الله ، فإن كنت صالحاً ولكن لا شغف لك ولا لذة في العلم بهذا العالم فأنت تكون في الجنة وهي دار السلامة ، فأما إذا كنت في جمال العلوم راغباً، ورأيت في نفسك لذة وغراماً بها ، فاعلم أنك ستنظر وجه الله حتماً بعد الاستعداد التام.

فالعامة يتصورون شكلاً ينظرونه كما ينظرون الملوك؛ فأما الخاصة فإن النظر لوجه الله يبتدئ لهم في الدنيا بعشق مصنوعاته وقراءة العلوم قديمها وحديثها، فينفع أحدهم الناس بالعلم كما ينفعهم الله بالخلق))[2].

وكذلك علَّق طنطاوي محبة الله ﷻ للعباد بالعلم، في إثباته لصفة المحبة، وقال: من كان مشتغلاً بالعلوم الكونية والتجريبية، فقد نال محبة الله.

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥/٤٥).

(٢) انظر المرجع السابق (٦/٦٤).

فقال ﷺ: ((فتبين أنَّ حب الله راجعٌ إلى الغرام بالعلم، والغرام بالعلم يرقي الأمم.

ونتيجة القول: إن حب الله قليل بين المسلمين لأنهم عن العلم معرضون، وبالجهل قابعون، ولقد اكتفى الصوفية الصادقون منهم بمحبة الله الجزئية لا الكلية ، وبالفتوح في الدوائر التي خلقوا فيها من تهذيب الأخلاق أو نحوها ، وهذا والله قصور وعيب، فالعلم بالتعلم، وحرام على رجال الصوفية أن يقصروا في حث تلاميذهم المستعدين على قراءة العلوم الغربية والشرقية، والتفكر، والتعقل، وليكن ذلك على مقدار الاستعداد ، فحب الله يرقي المسلمين ، وبالإعراض عن حبه وجهلهم به أصبحوا عرضة للطامعين، فأين حب الله أيها المسلمون، وما الحب إلا نتيجة العلوم، فأين العلوم، وأين الحب؟ إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد ذكر محبة الله بعد ذكر السماء والأرض، والليل والنهار، والسفن، والنبات، والحيوان، والرياح، والسحب، ليقول: إنّ حبي تبع للعلم، فعلى مقدار العلم يكون الحب)) [(١)] .

ثم قال: ((وقد جاء في القرآن: قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: ٥٤]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وإنما كان الذين آمنوا أشد حباً له لأنهم هم الذين يعرفون العلوم فيدركون جماله، وأين المدركون الجمال إلا القليل، وسيكثر فينا هؤلاء إن شاء الله، نعم فينا محبون عاشقون لله من طائفة الصوفية، ولكن يجب أن يكون طوائف من المسلمين منهم، أو من غيرهم، تدرس هذا الوجود كما درسه غيرنا، فإن التقصير في ذلك نقص في حب الله، وعيب فاضح في الأمة، والله هو الولي الحميد)) [(٢)] .

وقال في موضع آخر: ((والحب على مقدار العلم)) [(٣)] .

ومنها كذلك ما يستدل طنطاوي جوهري ﷺ بالعلم الحديث على ثبوت نبوة النبي للثقلين الجن والإنس، قال: أنَّ بعثة النبي ﷺ للإنس، والجن – خاصة – لم يثبت إلاّ عن طريق السمع فقط، ولا دخل للعقل فيه، وأنّ البحث العلمي أثبت صدقه في هذا العصر، فبذلك ترقى هذا الأمر من السمعيات إلى اليقينيات عند طنطاوي على حد زعمه.

فقال: ((النبي ﷺ أرسل للطائفتين، ومثل هذا القول علمه سماعي ليس للعقل فيه دخل، ولكن العلم الحديث الروحي جاء بتصديقه، والحق أنَّ مثل هذا لا يعرف إلا بالعلوم

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٨٨- ١٩٣).

(٢) انظر المرجع السابق (١/١٨٨- ١٩٣).

(٣) المرجع السابق (٦/٦٥).

الحديثة، فأما بغير ذلك فإنها سماعية وليس عليها دليل إلاّ السمع)) [1] [2].

ومنها كذلك ما استدل به طنطاوي لوجود وبقاء الأرواح بما يزعم بعلم تحضير الأرواح، وقد استدل به طنطاوي بآيات القرآن على هذا الأمر، ولا ريب أنَّ هذا خطأ فاحش وسوء فهم منه – غفر الله له –، فإنَّ قتيل بني إسرائيل وكذا طيور إبراهيم قامت بأرواحها وأجسادها معًا معجزةً من الله تعالى لنبيه موسى وإبراهيم عليهما السلام وبدون وسيط.

وأما مدعوا تحضير الأرواح إنما يحضرون قرين الميت من الجنِّ الذي عاش معه طوال حياته، وعرف كل شيء عنه، فإنَّ كل إنسان له قرين

فقال: ((أفلا يرى المسلم ما جاء في هذه السورة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٣٦٠]، وفعل إبراهيم ذلك، وقطع الطير ودعاها فأجابت فاطمأن، وهل نحن أكثر إيماناً من إبراهيم؟ كلا، فإذا كان إبراهيم يطلب اليقين بالمعاينة فنحن أولى، والأنبياء أعلم منا، فكان يجب على المسلمين أن يكونوا هم البادئين بعلم إحضار الأرواح لا أمريكا، لأن الله ذكر لنا في سورة البقرة هنا انهم ضربوا القتيل فحيي وأخبر بمن قتله، وهو الذي كان وارثاً له فحرم الميراث، وإذا صح هذا في نفس واحدة فجميع الأنفس يجب أن تكون كذلك وأنها حية بعد الموت، وليس يمكن أن يكون هذا يقيناً إلا إذا رأيناه بأنفسنا في زماننا بلا شك، وأنى لنا ذلك الا بالكد، والنصب، والتعب، والسهر ليلاً ونهاراً في العلم والعمل)) [3].

ونكتفي بهذا القدر من صور ونماذج استدلالات طنطاوي بعلم الحديث في مسائل العقيدة، وتفاصيل ذلك تجده في ثنايا هذا البحث بإذن الله.

---

(١) المرجع السابق (١١٦/٤).

(٢) انظر تفصيل هذه المسألة ص٢٧٧.

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٠٠/١).

الباب الثاني

آراء طنطاوي جوهري في مسائل التوحيد

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: آراء طنطاوي جوهري في مسائل توحيد الربوبية.

الفصل الثاني: آراء طنطاوي جوهري في مسائل توحيد الألوهية.

الفصل الثالث: آراء طنطاوي جوهري في مسائل توحيد الأسماء والصفات.

الفصل الأول
آراء طنطاوي جوهري في مسائل توحيد الربوبية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: أدلة وجود الله – ﷻ –.

المبحث الثاني: تعريف التوحيد، وأقسامه.

المبحث الثالث: توحيد الربوبية.

المبحث الرابع: خلق آدم – عليه السلام –.

المبحث الأول: أدلة وجود الله - ﷻ -

المطلب الأول: طرق معرفة الله - ﷻ - عند طنطاوي جوهري:

أولاً: الإيمان بوجود الله - ﷻ -:

الإيمان بوجود الله - ﷻ - من أهم مرتكزات إيمان العبد بالله، والإيمان بأن هناك خالقاً وموجداً لهذا الكون أمر مغروز وفطري في النفوس، ونفس الإنسان السويّ - التي خلصت من الشوائب - تؤمن بأنَّ الله - ﷻ - هو الرب الخالق المالك المدبر المتصرف في كل شيء كما قال تعالى ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وأنَّ كل أركان الإيمان بالله تعود إلى هذه الركيزة الأساسية في مباحث العقيدة، والمسائل العقدية التي تأتي بعدها كلها تنبني على هذا الأصل العظيم.

فأهل السنة والجماعة يقررون ذلك، ويرون أنَّ وجود الله - ﷻ - والإقرار بربوبيته أمر فطري مركوز في نفوس البشر معلوم بالضرورة، والشرك طارئ عليه، فإنَّ الله - ﷻ - جبل فطرة الإنسان على هيئة وقوة تقتضي اعتقاد الحق وإرادة الخير بوجود الخالق ومحبته، قال تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠]، وعن أبي هريرة - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»، ثم يقول أبو هريرة - ﷺ - : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠]))[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - ﷺ -: ((إذ الرب تعالى معروفٌ عند العبد بدون الاستدلال بكونه خَلَقَ، وأنَّ المخلوق مع أنه دليلٌ وأنه يدل على الخالق لكن هو معروف في الفطرة قبل هذا الاستدلال؛ ومعرفته فطرية مغروزة في الفطرة؛ ضرورية بديهية أولية))[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في: (كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام) (٩٤/٢) (١٣٥٨) (١٣٥٩) (١٣٨٥) (٤٧٧٥) (٦٥٩٩)، ومسلم في (كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (٤/ ٢٠٤٧) (٢٦٥٨) (٢٦٥٨) (٢٦٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (٣٢٤/١٦)، ، وانظر درء تعارض العقل والنقل (٧٢/٣).

ويقول – ﷺ– في موضع آخر: ((الإقرار بالصانع فطري ضروري بديهي لا يجب أن يتوقف على النظر والاستدلال))[1].

يقول ابن أبي العز الحنفي[2] **– ﷺ–:** ((ولا شك أنَّ العلم بإثبات الصانع ووجوب وجوده أمر ضروري فطري، وإن كان يحصل لبعض الناس من الشبه ما يخرجه إلى الطرق النظرية))[3].

وطنطاوي جوهري – ﷺ– عُنِيَ عناية فائقة بهذه المسألة، وبادئ الأمر قد ذهب في تقريرها إلى ما قرره أهل السنة والجماعة من أنَّ وجود الله – ﷻ – والإقرار بربوبيته أمر فطري مركوز في نفوس البشر معلوم بالضرورة، بيد أنّه في مواضع أخرى يصرح بأنه لا سبيل إلى معرفة الله إلاَّ بالنظر والاستدلال، فلذا من المستحسن أن نجمع أقواله من الاتجاهين، ثم ننظر فيها الراجح من المرجوح.

أ– من المواطن التي صرح فيها بفطرية معرفة الله – ﷻ –:

يقول طنطاوي جوهري – ﷺ–:((اعلم أنّ من فطرة الله تعالى الإذعان للربوبية، فهذه فطرة لا تفارق الناس مركوزة في النفوس سارية فيها سريان الماء في العود الأخضر والكهرباء في كل جسم جامد وغاز وسائل))[4].

وقال أيضاً – ﷺ–: ((أنَّ كافة بني آدم يميلون إلى عبادة الخالق في كل صقع من أصقاع الأرض، حتى أهل جزائر المحيط الهادي الذين تباعدت ديارهم عن المتمدينين، وإنما اختلافهم في تعيينه، فمنهم من ظنه شجراً ومنهم من ظنه تمثالاً ومنهم مما لا يحصى كما هو معلوم مستفيض شائع، ولا شك أنّ هذه الفطرة وحدها كافية للاستدلال على صانع هذا الملك العظيم))[5].

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – لابن تيمية، (٥٧٠/٤).

(٢) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز، الحنفي الدمشقيّ الحنفي: فقيه. كان قاضي القضاة بدمشق، ثم بالديار المصرية. ولد عام/٧٣١هـ، وتوفي عام/٧٩٢ هـ، من مؤلفاته: التنبيه على مشكلات الهداية، و النور اللامع فيما يعمل به في الجامع، شرح العقيدة الطحاوية. انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١٠٣/٤) والأعلام للزركلي (٤/ ٣١٣)، ومعجم المؤلفين (١٥٦/٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي، ص٧٧، ٢٤٠، ٣٨٦.

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨٨/١٥).

(٥) انظر المرجع السابق (٢٤/٢٠).

ب- من المواطن التي صرح فيها بوجوب النظر في معرفة الله - ﷻ -:

يقول طنطاوي - ﷺ -: ((الإيمان بالله هو الاعتقاد بوجوده ووحدانيته، ولا يتم ذلك إلا إذا استقلت النفس من أسر العادات والأوهام بالنظر والفكر في مصنوعات الله، وهذا هو الإيمان الذي يبعث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر))[(١)].

وقال طنطاوي - ﷺ -: ((أنَّ كثرة الأنوار تكاد تعمي الأبصار، وهكذا كثرة أنوار الدليل تكاد تعمي البصيرة، لذلك احتاج الإنسان إلى إقامة الدليل على وجود ما كان في غاية الوضوح للبصيرة حتى أعماها، فاضطر إلى البحث من جديد، لهذا كان لابد في معرفة الله تعالى من دليل، هذا هو السبب في استدلال الناس على وجود الله))[(٢)].

وبعد الجمع لأقواله في المسألة والنظر فيها تبين أنّ مراده من النظر والفكر، هو التدبر والتفكر والتذكر، ما يكون فيما للعقل إليه سبيل، من دلالات الآفاق والنفس، وليس بالطرق الفلسفية والبراهين المنطقية التي لا تستوعبها كثير من العقول، كحدوث الأجسام ونحو ذلك من أدلتهم الشائكة، والتي تخالف الكتاب والسنة، بدليل أنه - ﷺ - يذم أهل الكلام وطريقتهم التي يتبعونها في استدلالهم على وجود الله.

فقال- ﷺ -: ((أنَّ معرفة الله جلية واضحة لأجهل الجهلاء، مع أنك تراهم لا يكادون يخلصون إلى الله في المعرفة إلا بعد الجهد الجهيد مع التشويش، ويدخلون في الأعراض والجواهر، وأنَّ العرض لا ينتقل ولا يكمن، والقديم لا ينعدم))[(٣)].

وقال أيضاً - ﷺ -: ((سهل على عقل الإنسان أن يفهم وجود زيد وحيوانه، لأنه صغير فهم الصغير، ولكنه قد يعسر عليه فهم خالق العالم، لأنه عظيم ودلائله لا نهاية لها، فبهرت بصيرته، فصار يبحث عن هذا الخالق في ظلمات البراهين، والمناقشات والكتب أن جميع ما نطقت به الأدلة المنطقية والعلوم الوضعية المكتوبة بالحروف اللفظية أشبه بظلمات الليالي والناس فيها خفافيش، فأما الدلائل التي عرفتها هنا فهي أشبه بالنهار، فغابت عن العقلاء فتاهوا في البيداء))[(٤)].

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٨٩/٤).

(٢) المرجع السابق (٢٦٦/٢١).

(٣) نهضة الأمة وحياتها ص٥٢.

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٩٨/٤).

وكذلك من تقريرات أهل السنة والجماعة أنّ الفطرة السليمة السوية من الزيغ والضلال لا تحتاج إلى دليل لمعرفة الله إلاَّ في حال فسادها حينها يؤخذ بالدليل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((المعرفة وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطر السليمة فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر، والإنسان قد يستغني عنه في حال ويحتاج إليه في حال)) (١).

ويقول – ﷺ – **أيضاً** ((أنَّ الإقرار والاعتراف بالخالق فطري ضروري في نفوس الناس وإن كان بعض الناس قد يحصل له ما يفسد فطرته حتى يحتاج إلى نظر تحصل له به المعرفة)) (٢).

فطنطاوي جوهري – ﷺ – مع تقريره لمذهب السلف في التنظير من فطرية معرفة الله والإقرار بربوبيته إلاّ أنه في حياته اضطر للنظر والبحث عن صانع هذا الكون، لما حصل له من تشويش في النفس والفكر وتشكيك في مبدع هذا العالم، وهذا ما سنشير إليه في التالي:

ثانياً: رحلة البحث عن خالق الكون عند طنطاوي جوهري:

لقد مر طنطاوي جوهري – ﷺ – في حياته بمرحلتين مهمتين في طريقه للبحث عن موجد هذا الكون الفسيح حتى توَصَّلَ إلى الخالق – ﷻ – وتيقن بذلك ، مع حس النظر والتفكر والتأمل الذي جبل عليه منذ نشأته، وكان يقضي جُل أوقاته في التفكر والتأمل في هذا الكون.

فيقول – ﷺ –: ((خُلِقْتُ بطبعي أميل إلى النظر والتأمل في العالم فكانت السنة عندي نصفين: نصف أقضيه في الدرس والطرس في الجامع الأزهر الشريف في القواعد العربية والمسائل الفقهية كالمعاملات والعبادات العملية، فإذا عدت إلى الحقول والمزارع في النصف الآخر أجلت فيها النظر وسرحت فيها الفكر، فأرى جمالاً باهراً ومنظراً زاهراً وحسناً ناضراً وسلطاناً قاهراً.

فما تركت فاكهة ولا أباً ولا نجماً ولا شجراً إلاّ تأملت أشكالها الظاهرة، ومحاسنها الناضرة، وروائحها الذكية، وألوانها الزاهية الباهية...ثم أظل نهاري مفكراً في ذلك؛ فإذا جنّ

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣٠٤/٣).

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣٣٨/١٦).

الليل وأرخى سدوله عليّ أخذت أفكر في النجوم وجمالها، والسماء وبهائها، والأرض وجلالها وأحضر القرون الخالية والوحوش السانحة))[1].

هكذا كانت بدايته مع النظر في هذا الكون، إذ أحدث هذا التأمل في ملكوت الله ﷻ صراعاً داخلياً في نفسه بين الإيمان بموجد هذا الكون إيماناً تقليدياً بلا تعقل ولا فكر – على حد زعمه – وبين البحث عن خالقه من خلال ما أودع فيها من حكم وعبر، حتى وصل به هذا الأمر إلى الاضطراب في النفس والفكر وهي:

١/ المرحلة الأولى التي مر بها طنطاوي في معرفة وجود الله: هي الحيرة والشك والتردد والارتياب (الشك المنهجي).

فقال – رحمه الله –: ((كنت أُفَكِّرُ في هذه الدنيا، وأقول: يا ليت شعري ألها خالق؟ وهل الأنبياء كلموه؟ إني لا أصدق إلاَّ إذا عرفت أنا بنفسي ولا أتكل على أحد، هل لهذا العالم إله؟ أنا لا أصدق إلاَّ إذا عرف عقلي إن هذا العالم ليس فيه شيء من النظام، إنه مبعثر، إنه مختل معتل، فهذه الدنيا مضطربة مرتبكة مختلة لا أرى فيها نظاماً ولا إحكاماً، و إذا فقد النظام والإحكام فلا إله خالق، إن هي إلا أحوال متغيرة وأمور مبعثرة ولدها الاتفاق وأظهرها المصادفات))[2].

ومما زاده حيرةً وارتياباً في نفسه ما كان يجده من أساتذته من صدهم لمن تكلم عن هذا الأمر وإغلاق هذا الباب دونه.

كما ذكر ذلك طنطاوي – رحمه الله –: **عنه فقال:** ((أجد أساتذتي لا يحومون حول ذلك إلاّ عرضاً وينبذونه نبذاً، وغاية ما يقولون: إنَّ هذا العالم حادث والحادث لا بد له من محدث.

أما التعويل على حكمه وآياته والاغتراف من ينابيعه وأنهاره فذلك منبوذ نبذ النواة، فإذا روأ مسائل طبيعية في كتاب قالوا فليقفل هذا الباب، فظللت حائراً بين نظري والدين والتقليد واليقين.

---

(١) انظر التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم ص٢٥.

(٢) انظر حديثه بالتفصيل الذي ذكره المؤلف عن هذه المرحلة التي مر بها في تفسيره الجواهر (١٩٥/٤-٨٣/١١ – ١٤٤/١٤)

ومن العجب أني رأيت العلماء يقولون لا يصح الإيمان إلا بالعقل والبرهان، لا بالتسليم والإذعان فإذا نظرت إلى تعاليمنا أجدها تقليدية، وإن نظرت ورجعت إلى فطرتي ألفيتها تسعى إلى اليقين))[1].

ثم قال- ﷺ-: ((وما زلت أروح وأغدو في تيهاء تلك الحيرة وبيداء تلك الفكرة حتى اهتديت إلى تاريخ حياة الإمام الغزالي- ﷺ- المتوفى في أوائل القرن السادس، فرأيته درج على ما درجت عليه حتى اهتدى وذكر السر في حياته والهدى في أوبته، ففهمت رمزه وعرفت خبره))[2].

٢/ المرحلة الثانية التي مر بها طنطاوي : هي الالتجاء إلى الله - ﷻ- بالدعاء والتضرع له في الطلب ليوصله إلى معرفة خالق هذا الكون.

يقول طنطاوي - ﷺ- عن تلك المرحلة من حياته: ((فلما أحسست بهذه الخواطر رجعت إلى نفسي، وقلت إنَّ العلماء في الدين يقولون: إننا ننظر للعالم العلوي والسفلي، فها أنا إذا نظرت فلم أجد إلاّ خللاً ولم أزد إلاّ شكاو فلم يبق عندي أمل إلاَّ في أمر واحد، وهو أن أوجه قلبي إلى من صنعني، فإن كان موجوداً أجابني، وهذا هو الأمر اجعله نصب عيني، حينئذ شمرت عن ساعد الجد وأخذت أصوم بعض الأيام وأصلي بعض الليالي، فكنت أجد في ذلك لذة وسروراً وتوجهت إليه سائلاً بقلب مخترق، ولكم قلت: يا خالق هذه الدنيا أنا لم أخلق نفسي بل وجدت أني هكذا، وإني أوجه قلبي إلى ذلك الموجود الذي خلقني، وإذا كان خالقاً لي فهو عظيم وكبير ورحيم، وأنا لي جسماً وروحاً، فلتتوجه الروح إليه ولتسأله أن أقف على الحقيقة، يا الله أنت خلقتني فعلمني، أواه. ومن لي بأن أقف على هذا الوجود وسره فأكتب ما أقف عليه لمن بعدنا))[3].

وقال أيضاً - ﷺ-: ((فصمَّمْتُ أن أقرأ القرآن بتعقل في الصلاة، وصرت أطلب ذلك في الحقول وعلى شطوط الأنهار، ولكم دعوت في الخلوات وناجيت في الصلوات في المنزل وعلى شطوط الأنهار، وأفكر في أكثر الأحوال في هذا الوجود، وفي صانع العالم، وما الدليل عليه، وهل العالم منظم؟ وإذا كان منظماً وعرفت ذلك كل مطلوبي من حياتي. فليفكر الذكي في موقفي، لا علم عندي ولا علماء حولي، ولا كتب تهديني ولا مدارس ترشدني، ولا أعرف

---

(١) انظر التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم ص٢٥.

(٢) المرجع السابق ص٢٩، وانظر كذلك حديثه عن الشك الذي حصل له في شبابه في كتابه نهضة الأمة وحياتها ص٣٣.

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٤٣/٧ – ١٢٠/٨ - ٨٥/١١ – ١٤٤/١٤).

إلاّ علم التوحيد[1]، وعلم التوحيد بصورته في البلاد الإسلامية مبعد عن الحقائق إلاّ قليلا، أخذ وردّ، والقرآن في ناحية والناس في ناحية، وكنت أقول هل القرآن يترك نظام هذه الدنيا؟ وهل ديننا قاصر على هذه المشاغبات في علم التوحيد؟ وكيف يكون دين الفطرة؟

وهكذا تمر الشهور تلو الشهور وأنا على هذه الحال، وكنت لا أجد محيصاً من هذا إلاّ التضرع لموجد هذا الكون ليلاً ونهاراً أن يرجعني إلى الجامع الأزهر، فأجاب الدعاء ووصلت لطلب العلم مدة كافية، ثم دخلت دار العلوم فدهشت أيضاً، إذ وجدت العلوم الطبيعية والفلكية هي هي التي كنت أبحث عنها وأنا أصلي، حتى ضجّ إخواني الطلبة من فكرتي، وتوجهوا إلى أستاذنا المرحوم الشيخ حسن الطويل[2]، وقالوا: إنّ طنطاوي متهوّس في هذه العلوم التي أتى بها النصارى وهي كلام لا طائل تحته، فأجابهم قائلاً: دعوه يبحث عن ربه في سماواته وأرضه، دعوه دعوه، فكنت إذ ذاك أرى أنّ ما طلبته في الحقول وفي الصلاة هو عين ما يدرس في المدارس العالم الإنساني كله))[3].

هكذا تدرج طنطاوي في معرفة وجود الله، فبدأها بالشك والارتياب ثم أخذ يبحث عن مبدع هذا الكون في السموات والأرض وفي النبات والزرع والطير والحشرات -كما يذكر ذلك هو عن نفسه - حتى وصل به إلى درجة اليقين وعرف الله - ﷻ - وتيقن بوجوده.

وقال- رحمه الله-: ((والآن أقول وأصرح بأعلى صوتي إني عرفت أنّ العالم منظم وله صانع))[4].

ولقد تشابه في طريقته تلك بعض من سبقه من المسلمين كالإمام الغزالي- رحمه الله-، فكان بداية حياته بدأ مقلداً حتى ترك منهج التقليد والعقائد الموروثة التي نشأ عليها وأخذ يبحث في

---

(١) علم التوحيد المقصود به هو علم أهل الكلام الذي يدور مباحثه في وجود الله وصفاته - ﷻ -، أما علم التوحيد الذي ينادي بدارسته طنطاوي هو/ جميع العلوم من الفلك وعلم النبات والحيوان والإنسان وطبقات الأرض وجميع ما خلق الله يقول الله ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٥] انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٠٧/٥).

(٢) هو حسن بن أحمد بن علي، أبو محمد الطويل: فاضل مصري مالكي ولد في منية شهالة بالمنوفية، سنة: ١٨٣٤م. وتعلم بطنطا ثم بالأزهر. واشتغل بالتدريس، وكان شديد الإنكارعلى المبتدعة. وصفه تلميذه أحمد تيمور بالورع. له (عنوان البيان) في التفسير طبعت مقدمته. انظر الأعلام للزركلي (١٨٣/٢).

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٩٥/٤، ١٢٤/١٩).

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٣١/١٤).

الأمور عن طريق الشك[1] .حتى وصل به الحال إلى مرحلة اليقين.

لذلك **يقول طنطاوي**- ﷺ-: ((الإيقان أعظم من الإيمان، لأن الإيمان بالتسليم، والإيقان بالاستدلال والتعقل والتأمل، وهو الغاية العظمى للإنسان في هذه الحياة))[2] .

وخلاصة القول: أنّ معرفة الله – ﷻ – والإقرار بربوبيته أمر فطري مركوز في نفوس البشر ومعلوم بالضرورة، إلاّ من فسدت فطرته فإنه حينئذ يستدل به على وجود الله بأدلة شرعية عقلية ثابتة بالكتاب والسنة.

وهذا ما قرره أهل السنة والجماعة في مسألة الإيمان بوجود الله – ﷻ –، وطنطاوي جوهري – ﷺ– قد وافق مذهب السلف في تنظيره للمسألة، بيد أنّه في التطبيق ونظراً لما طرأ له في حياته من شك وريب في الصانع فقد احتيج إلى النظر والاستدلال إلى أن وصل من خلال ذلك معرفة الخالق – ﷻ –.

المطلب الثاني: استدلال طنطاوي جوهري على وجود الله – ﷻ –:

الأدلة على وجود الله – ﷻ – كثيرة لا تحصى، إذ ما من مخلوق في هذا الكون الفسيح إلاَّ يدل على الخالق – ﷻ – بالضرورة، ويجد الإنسان السويّ هذا الأمر بداهة في نفسه، لذا لم يقل أحداً من السلف بالنظر والاستدلال في إثبات وجود الله إلاَّ أهل البدع من المتكلمين، ومع ذلك لم ينكروا السلف الاستدلال على وجوده – ﷻ – لمن فسدت فطرته وحاد عن الصواب.

وطنطاوي جوهري – ﷺ – ذكر في تفسيره جملة من الأدلة على وجود الله – ﷻ – في مجملها يوافق ما قرره مذهب أهل السنة والجماعة من الأدلة على وجوده – ﷻ –، و يمكن لنا جمعها في **أربع أدلة، وهي:**

١– الدليل العقلي:

استدل طنطاوي جوهري – ﷺ– في تفسيره على وجود الله بالبرهان العقلي، وأنَّ منْ أعَمَلَ عقله في التدبر والتفكر في ملكوت السموات والأرض يدرك أنَّ هناك موجداً وخالقاً لهذا الكون الفسيح، حيث يقول ذلك: في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٤ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن

(١) انظر كتاب المنقذ من الضلال – للغزالي، ص١٦٨.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦٦/٤)، والإيقان هو العلم الذي يستفاد بالاستدلال، انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٨/١٣).

رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية: ٦] ((تشير الآية هنا إلى أنَّ الإيقان وتربية العقل إنما تكون بما ذكر من العالم العلوي والسفلي، والمسلمون ينامون ويعرضون، ويكتفون بإيمان العجائز وعقول العامة إلاّ قليلاً منهم .....

إلى أن قال: والمراد بالعقل هنا: هو الذي تربى تربية إلهية، والتربية الإلهية بقراءة الكتاب الذي خطه الله بيمنه ووضعه، وهو هذا الوجود الذي لا يقرأه إلاَّ المفكرون، ولا يعقله إلاَّ العالمون، فلفظ العقل إذا أطلق في هذا المقام إنما يراد به: العقل الذي تربى على المبادئ الإلهية بالتفكر في نظام الوجود، هكذا عقول الحكماء والمفكرين تتربى تربية خاصة بالنظر في العوالم، فإنها تتغذى تغذية روحية، وكل نظرة من نظراتها، وكل خطرة من خطراتها تزيدها نمواً وتكاملاً إلى أن يتم مزاجها ويكمل وجودها، وحينئذ تصبح تلك النفس خليفة الله في الأرض، لأنها قرأت ما خطه بيمنه، وصنعه بيده، وهندسه بحكمته، وزوقه بعلمه ونماه، وأحكمه وسواه، فتطبع تلك النظم في عقله، فتصبح تلك النفس إلهية حكيمة مشرفة عالمة)) [(١)] .

ثم قال- ﷺ-:((انظر إلى ما جاء في هذه الآيات كيف طلب الله من المسلم أنْ يفكر في السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، وإنزال المطر، وبث الحيوان، وخلق النبات، بمجرد عقله ونظره لا بالتقليد والسماع، وانظر كيف ذكر أنَّ هذا النظر به إيمان وبه إيقان وبه عقل)) [(٢)] .

ومما يؤخذ على طنطاوي في قوله ((ويكتفون بإيمان العجائز وعقول العامة إلاّ قليلاً منهم)).

أنّ هذا القول "إيمان العجائز" أؤثر عن الرازي[(٣)] – وقولاً قريباً منه –كذلك أؤثر عن الجويني[(٤)]،

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢١/٥٥).

(٢) انظر المرجع السابق واهر في تفسير القرآن الكريم (٢١/٦٣).

(٣) انظر شرح العقيدة الكبرى "المسماة عقيدة أهل التوحيد" – أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني ص٣٤، ت:٨٩٥هـ، ت: السيد يوسف أحمد، ن: دار الكتب العلمية.

(٤) هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه، الجويني، الفقيه الشافعي الملقب ضياء الدين، المعروف بإمام الحرمين، كان على مذهب الأشاعرة في الاعتقاد، ولد في أول سنة: ٤١٩هـ، وتوفي سنة: ٤٧٨ هـ. ⇦=

وبعض المتأخرين الذين أشغلوا نفسهم بعلم الكلام[1]، ولم يثبت شيئاً من هذه المقولة عن الصحابة والتابعين – رحمهم الله–.

وقد أراد طنطاوي من هذه المقولة العتب على المسلمين؛ بعدم إعمال عقولهم وتفكيرهم؛ وإهمالهم النظر في العالم العلوي والسفلي، وإن كان قصده هو شحذ همم المسلمين ليأخذوا بهذه العلوم التي تنمي عقولهم ومدركاتهم العقلية والفكرية؛ إلاّ أنه يؤخذ عليه في قوله بأنّ المسلمين مكتفين بماهم عليه من إيمان العجائز، **لأنَّ المراد منه:** هو ما كان المرء على دين الإسلام بالفطرة؛ وهذا الأمر محمود ولا يذمُّ به.

وفي معناه **قال الإمام الذهبي**[2] – رحمه الله–:((هذا معنى قول بعض الأئمة: عليكم بدين العجائز. يعني أنهن مؤمنات بالله على فطرة الإسلام، لم يدرين ما علم الكلام))[3].

وأيّد طنطاوي كذلك ما ذهب إليه الرازي في استدلاله على وجود الله بالعقل، ناقلاً لقول الرازي في ذلك: ((فيا عجباً لأمة يقول علماؤها: إنّ الدين لا يقوم بالاستدلال بآياته إلاّ بعد ثبوت القدرة والعلم والحكمة والوجود والنبوة ثبوتاً عقلياً، ومعنى هذا أنّ الإيمان به – ﷻ – وبالله وبعلمه وقدرته وحكمته إنما يكون بالعقل، ثم بعد ذلك نكون قد قررنا أنَّ الدين حق، فلا دين إلاَّ إذا بنى على العقل أولاً ثم النقل ثانياً))[4].

واستشهد كذلك ببعض الآثار عن السلف – رحمهم الله – في طريقة استدلالهم على وجود الله مع الخصوم، ويعتبر إيراده لمثل هذه الآثار فيها دلالة من طنطاوي جوهري – رحمه الله– على صحة إثبات هذا الدليل العقلي.

= وله مصنفات كثيرة، منها: غياث الأمم والتياث الظلم، والعقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، والبرهان، ونهاية المطلب في دراية المذهب، والشامل في أصول الدين، وغيرها. انظر وفيات الأعيان (١٦٧/٣)، وسير أعلام النبلاء (١٧/١٤)، والأعلام للزركلي (١٦٠/٤).

(١) انظر منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية – لابن تيمية (٢٧١/٥).

(٢) هو شمس الدين أبو عبد الله: محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، حافظ، مؤرخ، علامة محقق. تركمانيّ الأصل، من أهل ميافارقين، مولده ووفاته في دمشق. رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١ هـ، وتوفي سنة: ٧٤٨هـ، تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، منها: تاريخ الإسلام الكبير، وسير أعلام النبلاء، وتهذيب تهذيب الكمال، وغيرها، انظر الأعلام للزركلي (٣٢٦/٥).

(٣) العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ص ٢٥٨، ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ن: مكتبة أضواء السلف – الرياض، ط: الأولى، ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.

(٤) انظر المرجع السابق (٦٤/٢١).

يقول في ذلك: ((جاء جماعة من الدهرية لأبي حنيفةﷺ فقال: ما تقولون في خشب قطع من الأشجار بلا نجار، واجتمع ثم كون سفينة تجري في البحر، وهي مشحونة بالأحمال محمولة من الأثقال قد احتوشها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة، وهي من بينها تجري مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها، **هل يجوز ذلك في العقل؟** قالوا: لا، هذا شيء لا يقبله العقل، فقال أبو حنيفة: يا سيحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة تجري في البحر مستوية من غير تعهد ولا مجر، فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها، وتغير أعمالها، وسعة أطرافها، وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ فبكوا جميعاً، وقالوا: صدقت))[1].

وقال أيضاً – رحمه الله–:((سأل جماعة من الدهريين الشافعي ﷺ، ما الدليل على وجود الصانع؟ فقال: ورقة الفرصاد التوت طعمها، ولونها، وريحها، وطبعها، واحد عندكم؟ قالوا: نعم. قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم، والنحل فيخرج منها العسل، والشاة فيخرج منها البعر، ويأكلها الظبي فينعقد في نوافجها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أنَّ الطبع واحد، فاستحسنوا منه وأسلموا على يده))[2].

وكذلك استدل طنطاوي – رحمه الله– على وجود الله بنوع آخر من الدليل العقلي، وهو ضرب المثل واستخدام القياس الأولى.

فقال: ((اعلم إنَّ هذه النفوس الناطقة فينا لم نرها، فإني إلى اليوم لم أرَ بعيني إلاّ أجساماً، أمَّا النفوس فإني لم أرها؛ والذي رأيته حركات وسكنات وأعمال، فاستدللت بذلك على وجودها، إذن وجود الإنسان ووجود الحيوان، أي: وجود نفس صديقك ورئيسك وخليلك، لم تعلم إلاّ بآثارها، وهكذا وجود الله، لا فرق بين الاستدلال على الله والاستدلال على وجود روح صديقك، ولكنا لم نجد امرأة اشتكت في وجود زوجها، ولا أماً شكت في وجود ابنها، ولا صديقاً اشتبه في وجود صديقه، بل كلهم يقولون هم موجودون بداهة كوجود الشمس في رابعة النهار، هكذا وجود الله، فوجود الله كثرت الدلائل عليه...وبراهين وجوده لا نهاية لها))[3].

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤١/١).

(٢) المرجع السابق (٤٢/١).

(٣) انظر المرجع السابق (١٩٨/٤-٢٦٦/٢١) بتصرف.

٢- الدليل الكوني:

وكذلك استدل طنطاوي جوهري - ﷺ - كثيراً على وجود الله بالآيات الكونية، وبما ذرأ الله - ﷻ - فيها من نبات وزرع وكلأ وعشب، وتفسيره مليئة من نوع هذا الاستدلال فكل ما في هذا الكون دليل على وجود الخالق، فلذا كان جُل اهتم طنطاوي في تفسيره بالآيات الكونية، وذكر أنّ في القرآن (سبعمائة وخمسون) آية في وصف الكون وهذا كله هو المعجزة الحقيقية[(١)].

يقول طنطاوي جوهري - ﷺ -:((علم التوحيد في الحقل والجبل والزرع والشجر والثمر والقمر لا في الكتب المصنفة المشهورة، هي والله مبعدة عن حكمة الله ومعرفة آياته هي مجلبة للشك، إن القرآن الكريم أمركم بالنظر في جمال صنعة الله، ودقائق حكمته، وجمال بهجته، ذلك هو القرآن، اتبعوا ما أرشد إليه))[(٢)].

وقال - ﷺ -:((لقد ذكر الله الزرع والنخل تارة للاستدلال على الخالق، وتارة على البعث، وتارة على فناء الناس، وتارة على قرب الارتحال... وجاء في قوله تعالى ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾ [البقرة: ١٦٤] للاستدلال على الوحدانية بالوحدة في هذا الكون))[(٣)].

واستدل على هذا أيضاً ما قام به الأنبياء والمرسلين من النظر والفكر والتأمل في ملكوت الله – ﷻ - واستدلالهم على وجود مبدع هذا الكون من خلاله.

فقال في ذلك - ﷺ -:((إنّ إبراهيم الخليل عليه السلام فهو وإن كسر الأصنام لم يترك النجوم التي عبدوها، بل جعلها وسيلة للاستدلال على مبدعها وفاطرها، وأنها تدل على أنه مدبرها ومكملها، ثم ترى النبي - ﷺ - في غار حراء ينظر في النجوم، وكان آخر الليل وقت التهجد حين يقوم يقرأ :﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ** ﴾ [آل عمران: ١٩٠]))[(٤)].

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٣٠٧).

(٢) انظر المرجع السابق (١٤/٢٣٠).

(٣) انظر المرجع السابق (٢/١٧٢- ٢/٢٠٥).

(٤) المرجع السابق (٤/٧٥).

واستدل أيضاً على وجود الله - ﷻ - بالعلوم الطبيعية[1] و خلق الإنسان.

فقال- رحمه الله-:((في الطبيعة عجائب واضحات لا تتناهى كعظام الإنسان وانتظامها وجمالها، وأنها جرت على النظام الأكمل.... فهذا هو المحكم في الطبيعة، الدال مبدع مدبر حكيم ودود كثير الود لعباده، لإتحافهم بالجميل وإدخال السرور عليهم))[2].

٣- الدليل الفطري:

استدل طنطاوي جوهري - رحمه الله- كذلك على وجود الله بالفطرة التي فطر الله عليها عباده مستدلاً بقوله تعالى ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

قال- رحمه الله - ((أي أنّ الله خلقهم قابلين للتوحيد والإسلام غير منكرين له لكونه مساوقاً له للنظر الصحيح، فمن غوى منهم فإنَّ الشياطين هم المغوون، ثم **استدل** على هذا بحديث النبي - ﷺ -: ((كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما نتج البهيمة بهيمة جمعاء أي مستوية لم يذهب من بدنها شيء هل تحسون فيها من جدعاء، أي هل تشعرون أو تعلمون بها من مقطوعة الأذن والأنف))[3]

وقال أيضاً - رحمه الله- ((واعلم أنَّ الإيمان إيمانان: إيمان فطري، فالعقل الإنساني كصحيفة بيضاء قابلة لنقش ما يراد فيها، فهو أشبه بالمادة التي خلقنا منها، وكل ما يغرس فيه من حسن أو قبيح أو شريف أو وضيع ينبت كما تنبت الأرض حنظلاً وفاكهة ودواء وسماً، فالأرض نوعت الزروع فيها وهي قابلة لها، والنفوس تزرع فيها الديانات والعلوم فتقبلها، ولكن من صفات الفطرة والخلقة الكونية أن يكون الخير عليها أغلب، ولو ترك الطفل وشأنه لعرف وحدانية الله، فهذا الاستعداد الفطري والإيمان الفطري))[4].

---

(١) مثلاً انظر في المرجع السابق (٣٤٤/٢٤).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦٣/٢).

(٣) رواه البخاري في: (كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين) (١٠٠/٢) (١٣٨٥)، ورواه مسلم فيما معناه في (كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) (٤/ ٢٠٤٧) (٢٦٥٨).

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨٣/١٥).

والراجح في معنى الفطرة شرعاً: هو أنها قوة علمية وإرادية خلق الله مزوداً بهما نفس الإنسان، فيعلم الخير ويريده ويطلبه، ويعلم الشر ويبغضه ويحجم عنه[(١)]**، وليست الفطرة مجرد قابلية كما ذكر طنطاوي-** ﷺ-.

ويقول أيضاً - ﷺ- ((أنَّ معرفة الله جلية واضحة لأجهل الجهلاء، مع أنك تراهم لا يكادون يخلصون إلى الله في المعرفة إلا بعد الجهد الجهيد مع التشويش، ويدخلون في الأعراض والجواهر، وأنَّ العرض لا ينتقل ولا يكمن، والقديم لا ينعدم))[(٢)] .

وقال- ﷺ- ((أنّ النفس إذا بها ملمٌ أو حدث لها حادث عظيم؛ كأن ينزل أمر عظيم من السماء كصاعقة، أو من الأرض كزلزلة، او تقوم الساعة، فبالله ماذا يحس الإنسان في نفسه؟ لا جرم أنه يحس باضطرار والتجاء إلى قوة فوقه يلتجئ إليها فيدعوها، وما هي هذه القوة؟ هي الحضرة العلية، فإنَّ الناس عند عظائم البلايا يلتجئون إلى ربهم بفطرهم، ولا يحسون بأصنام ولا شيوخ ولا عظماء، فهذا هو البرهان على وجود الله تعالى... ركز في الفطر من توجه النفوس إلى من فطرها، فمن هذا فلتؤخذ البراهين الدالة على وجود الله))[(٣)] .

وقال - ﷺ-: ((وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده وندركه بالحواس الظاهرة والباطنة من حجر ومدر.... بل أول شاهد عليه أنفسنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا، وأظهر الأشياء في علمنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدركاتنا بالعقل والبصيرة، وكل واحد من هذه المدركات له مدرك واحد وشاهد واحد ودليل واحد، وجميع ما في العالم شواهد ناطقة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدبرها ومصرفها ومحركها، ودالة على علمه وقدرته ولطفه وحكمته، والموجودات المدركة لا حصر لها))[(٤)] .

وقد سمى طنطاوي هذا النوع من الاستدلال على وجود الله بالبرهان الوجداني الإقناعي[(٥)]، بما يجد الإنسان في نفسه من الالتجاء إليه عند الضرورة.

---

(١) انظر دلائل الربوبية "أدلة وجود الله – توحيد الربوبية – قضية الإلحاد" د. أبو زيد بن محمد مكي، ص٣٠، ن:تكوين للدراسات والأبحاث، ط: الثانية، ١٤٣٩هـ.

(٢) نهضة الأمة وحياتها، ص٥٢.

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣٥/٤).

(٤) انظر المرجع السابق (٥٦/١٨).

(٥) انظر المرجع السابق (٦١/٦).

الظاهر والله أعلم أنه لا يقصد به الحجة الإقناعية التي لدى المتكلمين الدالة على إفادة الظن عندهم لا اليقين[1] .

(١) انظر معجم الفلسفة – للخطيب ص٢٢.

المبحث الثاني: تعريف التوحيد، وأقسامه

المطلب الأول: تعريف التوحيد:

أولاً: التوحيد: في اللغة:

هو مصدر وحَّدَ يوحِّدُ توحيداً وكلمة وحَّدَ تدل على التفرد، وعدم النظير والمثيل للشيء فيما اختص به[(١)]، وقيل هو الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد[(٢)].

أما التوحيد: في الاصطلاح:

هو الإيمان بالله وحده لا شريك له، كما عرفه بذلك أهل اللغة المتقدمين[(٣)]، وهذا هو التوحيد الشرعي الذي جاء في كلام الله – ﷻ – وكلام رسوله – ﷺ– وعليه بنى أهل السنة تعريفهم للتوحيد.

يقول الإمام أبو حنيفة[(٤)] – رحمه الله– في بيان معنى وحدانية الله تعالى: ((أنَّ الله تعالى واحد لا من طريق العدد، ولكن من طريق أنه لا شريك له، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، لا يشبه شيئا من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه، لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته الذاتية والفعلية))[(٥)].

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (٩٠/٦)، والنهاية في غريب الحديث والأثر – لابن الأثير (١٥٩/٥)، والقاموس المحيط – للفيروزآبادى (٣٢٤/١).

(٢) التعريفات – للجرجاني (٦٩/١).

(٣) انظر كتاب العين للفراهيدي (٢٨١/٣)، ولسان العرب – لابن منظور (٤٥٠/٣).

(٤) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة، الإمام، عالم العراق، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد: سنة ثمانين، في حياة صغار الصحابة، وتوفي ببغداد عام: ١٥٠هـ، و له مسند في الحديث، جمعه تلاميذه، و المخارج في الفقه، رواه عنه تلميذه أبو يوسف. وتنسب إليه رسالة الفقه الأكبر ولم تصح النسبة. انظر سير أعلام النبلاء (٣٩٠/٦)، وفيات الأعيان (٤٠٥/٥)، والأعلام للزركلي (٣٦/٨)، و معجم المؤلفين (١٠٤/١٣).

(٥) الفقه الأكبر – لأبي حنيفة ص١٣.

ويقول الإمام الطحاوي[(١)] – ﷺ – في بيان التوحيد: ((نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له ولا شيء مثله ولا شيء يعجزه))[(٢)] .

ويقول الإمام الآجري[(٣)] – ﷺ – ((أن التوحيد هو قول لا إله إلا الله محمدا رسول الله موقنا من قلبه وناطقاً بلسانه أجزأه، ومن مات على هذا فإلى الجنة))[(٤)] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – عن التوحيد، فقال: ((**التوحيد**: هو عبادة الله وحده لا شريك له، وأن لا نعبده إلاَّ بما أحبه وما رضيه، وهو ما أمر به وشرعه على ألسن رسله – صلوات الله عليهم – فهو متضمن لطاعته وطاعة رسوله، وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه، وأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد من كل ما سواهما))[(٥)] .

وقد عرف العلامة السعدي[(٦)] التوحيد: ((بأنه العلم والاعتراف بتفرد الرب بصفات الكمال، والإقرار بتوحده بصفات العظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة))[(٧)] .

---

(١) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي، الحجري، المصري، الطحاوي، الحنفي، صاحب التصانيف من أهل قرية طحا من أعمال مصر، محدث الديار المصرية وفقيهها، مولده كان في سنة: ٢٣٩هـ، وتوفي بمصر ودفن بالقرافة سنة:٣٢١هـ، من تصانيفه: العقيدة الطحاوي، وشرح معاني الآثار، وبيان السنّة، ومشكل الآثار، وأحكام القرآن، والمختصر في الفقه، و الاختلاف بين الفقهاء. انظر سير أعلام النبلاء (٢٨/١٥)، وفيات الأعيان (٧١/١)، والأعلام للزركلي (٢٠٦/١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي، ص٧٧.

(٣) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، فقيه شافعيّ محدث، نسبته إلى آجر (من قرى بغداد) ولد فيها، وحدث ببغداد، قبل سنة:٣٣٠هـ ثم انتقل إلى مكة، فتنسك، وتوفي فيها سنة: ٣٦٠ هـ ، وله مؤلفات كثيرة، منها: منها: كتاب (الشريعة في السنة) كبير، وكتاب (الرؤية)، وكتاب (الغرباء)، وكتاب (الأربعين)، وكتاب (الثمانين)، وكتاب (آداب العلماء)، وكتاب (مسألة الطائفين)، وكتاب (التهجد)، وغير ذلك

انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٩٢)، والأعلام للزركلي (٩٧/٦)، ومعجم المؤلفين (٩/ ٢٤٣).

(٤) الشريعة – للآجري، ص٥٥٢.

(٥) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣٧٨/١٤)

(٦) هو عبد الرحمن بن ناصر السعدي، النجدي مفسر، محدث، فقيه، اصولي، متكلم واعظ، ولد في عنيزة القصيم بنجد، سنة: ١٣٠٧هـ، وحفظ القرآن، وطلب العلم على علماء نجد، وقد درس ووعظ وافتى وخطب في جامع عنيزة، وتوفي فيها عام: ١٣٧٦هـ، ومن مؤلفاته الكثيرة: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة مقاصد القرآن، والقواعد الحسان في تفسير القرآن، وطريق الوصول إلى العلم المأمول من الاصول، والحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين، وغيرها. انظر معجم المؤلفين (١٣/ ٣٩٦).

(٧) القول السديد شرح كتاب التوحيد – للسعدي ص١٨.

يتبين لنا من خلال التعريفات السابقة بأنَّ حقيقة التوحيد تدور على محور واحد، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإفراده – ﷻ– بالعبادة، وبعض التعريفات فيها تفصيل إثبات أسماء الله وصفاته وربوبيته.

وقد كان التركيز على توحيد الله بالعبادة والألوهية؛ لأنه يتضمن إثبات أسماء الله وصفاته وإثبات ربوبيته، ولأنَّ العبادة هي الغاية من خلق الإنس والجن، فمن وحَّدَ الله بأسمائه وصفاته وربوبيته ولم يعبده لم يكن موحداً، ومن عبده ولكن ألحد في أسمائه وصفاته لم يكن موحداً [(١)].

وعليه فيمكن **لنا أن نعرف التوحيد ونقول: التوحيد هو** إفراد الله بالربوبية فلا رب سواه، وبألوهيته فلا مستحق للعبادة إلاّ إيَّاه، وبأسمائه وصفاته فلا ند له فيها ولا نظير [(٢)].

أما التوحيد المقصود به عند طنطاوي جوهري – ﷺ– فهو مغاير تماماً عن مفهوم السلف لمعنى التوحيد، فالتوحيد عنده هو النظر والتأمل والتفكر في مخلوقات الله – ﷻ – ودراسة العلوم الكونية والتجريبية.

كما ذكر ذلك في معرض تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

قال: ((وهي تقابل ما جاء في سورة الأنعام من نظرات إبراهيم الخليل للعلويات والزهرة والقمر والشمس واستخراج الحكمة البالغة منها وهو التوحيد)) [(٣)].

وقال ((إنّ آيات القرآن كلها ناطقة بأنّ النظر في العوالم هو طريق التوحيد، وإنّ المعلم متى أوقف المتعلم على كل عجيبة وذكر عند ذلك القدرة والعلم، وصفات التقديس والتنزيه، بحيث تكون جميع صفات الربوبية تذكر تطبيقاً على تلك العجائب كان أثبت في الذهن، ورسخ الإيمان رسوخاً لا تزلزله الرياح والعواصف.

إنّ ذلك مع كونه علم التوحيد هو أيضاً تاريخ طبيعي وطبيعة وتشريح وفلك وهكذا، فيكون ما صرفه من الزمن في تعليمه قد اكتسب به التلميذ علوماً تنفعه في دنياه وهو لا يشعر... فيكون قد أراد معرفة خالقه، وهو في الحقيقة يقرأ علوماً كثيرة إذ التوحيد هو جميع العلوم)) [(٤)].

---

(١) انظر الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية – آمال بنت عبد العزيز العمرو ص ١٤وما بعدها.

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٥٧/١)، والقول المفيد على كتاب التوحيد – لابن عثيمين، (٨/١).

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٥٤/١) والتاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم ص٣٣.

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٦/١٩).

وقال أيضاً: ((بالنظر والتأمل يعرفون وحدانية الله تعالى))[1].

وقال أيضاً: ((أنّ التوحيد هو النظر في ملكوت الله – ﷻ –، وفي عجائب الطبيعة، ونظام الموجودات وبهجة القمر والنجوم والكواكب ثم يعرج إلى خالقها فيصفه بأوصاف الجلال أي "الصفات السلبية" وأوصاف الكمال وهي "أوصاف المعاني"، فيقول إنه عالم وقادر ومتكلم وسميع وبصير مثل ما جاء في القرآن))[2].

ويزعم أيضاً أنّ المفهوم الذي فهمه طنطاوي لمعنى التوحيد هو السبيل الموصل إلى الجنان، والنجاة من عذاب الله يوم القيامة، وأنّ سعادة الدنيا والآخرة مرتبطة بدراسة هذه العلوم.

يقول: ((اقرؤوا سائر علوم الطبيعة والفلك... وفكروا في كل جبل وشجر وزرع، وتأملوا واذكروا الله على مقدار طاقتكم... إنّ ذلك هو علم التوحيد، إنّ ذلك هو علم الدين.

إنّ ذلك هو حب الله، إنّ ذلك هو الموصل إلى الله، إنّ ذلك هو الرقي للأمم، فحب الله وخشيته وارتقاء الأمم في الدنيا وعلو درجاتهم في الجنة ووصولهم إلى رؤية الله تعالى، وتمتعهم بالنظر لوجه الله الكريم، كل ذلك بهذه العلوم))[3].

وبذلك نجد طنطاوي جوهري – رحمه الله – قد خالف مذهب أهل السنة والجماعة في مفهوم التوحيد، وأنه قد فسر التوحيد بمفهومه الخاص الذي لم يقل به أحدٌ لا من السلف ولا من الخلف، وأما التوحيد عند أهل السنة والجماعة كما قررناه هو: إفراد الله – ﷻ – بالربوبية وبالألوهية و بما له من الأسماء والصفات.

ثانياً: أقسام التوحيد:

وقد قسم العلماء – رحمهم الله – التوحيد إلى **ثلاثة أقسام**:

١– توحيد الربوبية: هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير.

٢– توحيد الألوهية: هو إفراد الله بالعبادة.

---

(١) المرجع السابق (٧/٢٥٠).

(٢) انظر ما قاله عن علم التوحيد في الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٠/٤٧ – ١٧/٢٠)، بتصرف.

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٧/٢٠).

٣- توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله بما له من الأسماء الحسنى والصفات العلى[(١)].

والبعض منهم قسم التوحيد إلى **قسمين اثنين:**

١- توحيد المعرفة والإثبات: أو توحيد القولي العلمي.

٢- توحيد القصد والطلب: أو توحيد العملي الإرادي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله-:((التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية، وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له وهو متضمن لشيئين:

أحدهما/ القول العلمي: وهو إثبات صفات الكمال له، وتنزيهه عن النقائص، وتنزيهه عن أن يماثله أحدٌ في شيء من صفاته، فلا يوصف بنقص بحال ولا يماثله أحدٌ في شيء من الكمال، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[الإخلاص: ٤] فالصمدية تثبت له الكمال، والأحدية تنفي مماثلة شيء له في ذلك.

والتوحيد العملي الإرادي: أن لا يعبد إلاَّ إياه، فلا يدعو إلاَّ إياه، ولا يتوكل إلاَّ عليه، ولا يخاف إلاَّ إياه، ولا يرجو إلاَّ إياه، ويكون الدين كله لله))[(٢)].

يقول ابن القيم[(٣)] - رحمه الله-:((**التوحيد نوعان:** نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القصدي الإرادي، لتعلق الأول

---

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية - لأبي العز الحنفي، الدمشقي ص٨٥، ولوامع الأنوار البهية- للسفاريني (١/١٢٨)، والقول المفيد على كتاب التوحيد - لابن عثيمين (١/٩).

(٢) الصفدية – لابن تيمية، ٢٢٨ص.

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزُّرْعي الدمشقيّ، أبو عبد الله، شمس الدين: من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولد سنة: ٦٥٨هـ، وتوفي عام: ٧٥٠هـ، وألّف تصانيف كثيرة منها: إعلام الموقعين، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، وشفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ومفتاح دار السعادة، وزاد المعاد، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، والكافية الشافية، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، وإغاثة اللهفان، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، وغيرها الكثير من مؤلفاته. والأعلام للزركلي (٦/٥٦)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ١٣٧)، ومعجم المؤلفين (٩/ ١٠٦).

بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة، وهذا الثاني أيضا نوعان: توحيد في الربوبية، وتوحيد في الإلهية، فهذه ثلاثة أنواع))[1].

يقول ابن أبي العز الحنفي- ﷺ-:((التوحيد الذي دعت إليه رسل الله ونزلت به كتبه **نوعان:** توحيد في الإثبات والمعرفة، وتوحيد في الطلب والقصد.

فالأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه، ليس كمثله شيء في ذلك كله، كما أخبر به عن نفسه، وكما أخبر رسوله - ﷺ -، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح ...**والثاني:** وهو توحيد الطلب والقصد، مثل ما تضمنته سورة : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[الكافرون: ١]، و ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[آل عمران: ٦٤]،...وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد، بل كل سورة في القرآن.

فإنَّ القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي))[2].

وكان هذا التقسيم من السلف – رحمهم الله – جاء بعد التتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسنة[3] إذ لا منافاة بينهما ولا مشاحة في ذلك، لأنّ من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام جعله باعتبار ما يستحقه الرب - ﷻ -، ومن قسم التوحيد إلى قسمين كان باعتبار ما يجب فعله على العبد، فالتوحيد يشمل جميع هذه الأنواع.

وطنطاوي جوهري - ﷺ - مع بدعة القول الذي جاء به في تفسير التوحيد، وذمه الشديد لطرق المتكلمين في بيانهم للتوحيد[4] إلاَّ أنه لم يخرج عن مسلك المتكلمين في تقسيم التوحيد.

فقال - ﷺ- ((أنّ الله -ﷻ- منزه عن مقام المحدثين، كونه لا أول له ولا آخر لبقائه، وأنه مخالف للحوادث في ذاته وصفاته وأفعاله))[5].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين - لابن قيم الجوزية (٤٨/١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - لابن أبي العز الحنفي.

(٣) كما بين ذلك الشيخ الشنقيطي في: أضواء البيان (١٧/٣)، والقول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد - عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ص٢٨.

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٧٥/٩).

(٥) المرجع السابق (١٠/١٩).

ويقول – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] ((أي: شهد الله والملائكة وأولوا العلم أن الدين عند الله الإسلام، بسبب أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، حال كونه قائماً بالعدل في المخلوقات كلها، فتصير وحدانيته وتوحيد أفعاله بالعدل في هذا النظام سبباً في أن الله شهد بأنّ الدين إنما هو الإسلام، وأنّ العلماء والملائكة شهدوا بذلك، أي لأنهم شهدوا الوحدة في هذا الوجود، والوحدة يصحبها العدل، لأن العدل وحسن النظام أثر وحدة الخالق جلّ وعلا))[(١)] .

وعلى هذا فقد قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

١– توحيد الذات ٢– توحيد الصفات ٣– توحيد الأفعال

وهو بذلك قد وافق أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم في تقسيمهم للتوحيد، مع ذمه الشديد لطريقة أهل الكلام في علم التوحيد[(٢)] ، فالتوحيد عندهم يشمل أموراً ثلاثة:

١– أن الله واحد في ذاته لا قسيم له.

٢– وأنه واحد في صفاته لا شبيه له.

٣– وأنه واحد في أفعاله لا شريك له[(٣)] .

وتعريفهم للتوحيد هذا لم يسلم من النقض والنقد لأنه تعريف ناقص، فقد أهملوا في تعريفهم للتوحيد جانب الألوهية الذي هو لب التوحيد، و الذي لأجله أنزل الله الكتب وبعث الرسل، بل الرسول – ﷺ – وأصحابه – رضي الله عنهم – لم يقاتل المشركين إلاّ لتحقيق هذا التوحيد – عبادة الله وحده لا شريك له – مع أنهم كانوا مقرين بالربوبية، قال الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[العنكبوت: ٦٢]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ((فإن هذا التوحيد الذي قرروه لا ينازعهم فيه المشركون بل يقرون به مع أنهم مشركون كما ثبت بالكتاب والسنة والإجماع وكما علم بالاضطرار من دين الإسلام))[(٤)] .

---

(١) المرجع السابق (٣/١٦٤).

(٢) انظر ما قال عنهم طنطاوي جوهري، ونقده لطريقتهم التي سلكوها في علم التوحيد، (١/١٠٨).

(٣) انظر الملل والنحل – للشهرستاني، (١/٤٢)، ونهاية الإقدام في علم الكلام – للشهرستاني، ص٥٦.

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣/٩٩).

وكذلك تعريفهم هذا يشمل بعض الألفاظ المجملة التي يقصدون منها بعض المعتقدات الفاسدة، كنفي علو الله على عرشه -ﷻ-، ومباينته لخلقه، وامتيازه عنهم، ونحو ذلك من المعاني المستلزمة لنفيه وتعطيله[(١)].

وخلاصة القول: أنّ طنطاوي جوهري - ﷺ- قد خالف أهل السنة والجماعة في مفهوم التوحيد وبيان أقسامه، وتأثر في تقسيم التوحيد بمذهب أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم.

المطلب الثاني: توحيد الربوبية:

أولاً: معنى الربوبية في اللغة:

أصل مادة الربوبية هو الرَّبُّ، والرَّبُّ في الاصل التربية وهو إنشاء الشيء حالا فحالا إلى حد التمام، يقال ربه ورباه وربه[(٢)].

وكلمة الرَّبُّ في اللغة تطلق على معانٍ ثلاث:

المعنى الأول: المالك والصاحب، ويسمى ربُّ كلِّ شيء: مالكه ومستحقه؛ وقيل: صاحبه، ويقال: فلان ربُّ هذا الشيء أي ملكه له، وكل من ملك شيئا، فهو ربُّه يقال: هو رب الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت[(٣)].

المعنى الثاني: السيد المطاع، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ﴾[يوسف: ٤١]، أي سيده.

المعنى الثالث: المصلح للشيء، والله جل ثناؤه هو الرب؛ لأنه مصلح أحوال خلقه، يقال رَبَّ فُلَانٌ ضَيْعَتَهُ ، إذا قام على إصلاحها[(٤)].

وهذه المعاني كلها تطلق على الله - ﷻ - لأنه هو المربي لجميع العوالم وهو مالكهم وسيدهم، وهو المدبر والمصلح لجميع شؤون الخلق أجمعين.

---

(١) انظر المرجع السابق (١٠٠/٣)، والتدمرية – لابن تيمية، ص١٨٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن - للراغب الأصفهاني، (٣٣٦/١).

(٣) لسان العرب -لابن منظور (٣٩٩/١).

(٤) انظر تهذيب اللغة - للأزهري، (١٢٨/١٥)، و معجم مقاييس اللغة - لابن فارس، (٢/ ٣٨٢)، ولسان العرب – لابن منظور (٣٩٩/١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله– ((الرَّبُّ هو الذي يربي عبده فيدبره))[1].

ويقول أيضاً: ((الرَّبُّ سبحانه هو المالك، المدبر، المعطي، المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعز، المذل))[2].

يقول ابن القيم– رحمه الله–: ((الرَّبُّ هو السيد والمالك والمنعم والمربي والمصلح والله تعالى هو الرب بهذه الاعتبارات كلها فلا شيء أوجب في العقول والفطر من عبادة من هذا شأنه وحده لا شريك له))[3].

وقد عرف طنطاوي جوهري – رحمه الله – **الرَّبَّ بجزء من هذه المعاني التي ذكرها العلماء، وأشار في ذلك بشيء مما ذكره أهل اللغة وسلف الأمة.**

فقال في تفسير قوله تعالى ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، ((أي مربي العوالم كلها ومرقيها من حال النقص إلى حال الكمال وغايات التمام...))(٤).

وقال أيضاً في تفسير ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢]، ((هذه هي العوالم العلوية والسفلية التي تضمنها لفظ ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، والله هو المربي لها والمكمل لذواتها))[5].

وقال أيضاً – رحمه الله– في تفسيره لسورة الفاتحة ((إنّ هذه الصفات التي حصرت الرحمة والملك في ذات الله وأنه هو المربي للعوالم كلها))[6].

وهو بذلك لم يخالف مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الرب في المعنى اللغوي.

---

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١/ ٢٢، ١٠/٢٨٤).
(٢) المرجع السابق (١/٩٢).
(٣) بدائع الفوائد – ابن قيم الجوزية (٤/ ١٣٢).
(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١١).
(٥) المرجع السابق (١/٢٢).
(٦) المرجع السابق (١/١٩).

ثانياً: مفهوم توحيد الربوبية في الشرع:

توحيد الربوبية كما قررناه سلفاً هو إفراد الله – ﷻ – بالخلق والملك والتدبير، أو: هو الاعتقاد الجازم والإقرار بأنّ الله رب كل شيء ومليكه، وأنه هو الخالق الرازق المدبر لشؤون الخلق أجمعين[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – مبيناً ومعرفاً توحيد الربوبية فقال: ((فتوحيد الربوبية: أنه لا خالق إلا الله فلا يستقل شيء سواه بإحداث أمر من الأمور؛ بل ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن))[2].

ويعرف ابن القيم – رحمه الله – توحيد الربوبية فقال: ((هو أن يشهد انفراد الرب تبارك وتعالى بالخلق والحكم، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته))[3].

وقال السفاريني[4] **– رحمه الله –:** ((فتوحيد الربوبية أن لا خالق ولا رازق، ولا محيي ولا مميت، ولا موجد ولا معدم إلا الله تعالى))[5].

والعلامة السعدي – رحمه الله – عرف الربوبية، فقال: هو((أن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وربى خواص خلقه– وهم الأنبياء وأتباعهم– بالعقائد الصحيحة، والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين))[6].

---

(١) انظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية – علماء نجد الأعلام، (١/١٣٧– ١٥٣، ٢/٢٥٠)، والقول المفيد على كتاب التوحيد – لابن عثيمين (١/٩ –١١)،

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (١٠/ ٣٣١)

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – ابن القيم، (١/٤١٢).

(٤) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس) سنة: ١١١٤هـ، وتوفي فيها عام: ١١٨٨هـ، ومن تصانيفه الكثيرة: البحور الزاخرة في علوم الآخرة، لوامع الانوار الالهية لشرح منظومة الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، الملح الغرامية على منظومة ابن فرح اللامية أي غرامي صحيح، معارج الانوار في سيرة النبي المختار، شرح ثلاثيات مسند أحمد ، وغيرها من تصانيفه. انظر الأعلام للزركلي (٦/١٤)، ومعجم المؤلفين (٨/٢٦٢).

(٥) لوامع الأنوار البهية– للسغاريني، (١/ ١٢٩).

(٦) القول السديد شرح كتاب التوحيد – للسعدي ص١٩.

وطنطاوي جوهري – ﷺ – أقرَّ بتوحيد الربوبية، وأنه هو الخالق والمدبر لشؤونهم، وربط معرفة ذلك بدراسة العلوم.

فقال – ﷺ –: ((ولا جرم أنّ الجسم الواحد مدبره واحد، فارتباط العوالم واستمدادها يدل على أنّ مدبرها واحد))[1].

وقال – ﷺ – **في تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾[البقرة: ١٦٣] ((ولن تستشعروا هذه الوحدة إلاّ إذا قرأتم العلوم وعشتم بها، وصوّرت في عقولكم شكلاً منظماً كما وضعناه، فتدركون مزاجه وجسده، ومنه تعرفون أنّ المدبر واحد))[2].

وقال أيضاً: ((فهذا العالم منظم المكون من حركات، صانعه واحد، وهذا هو برهان التوحيد))[3].

و في موضع آخر **قال** – ﷺ – **في تفسير قوله تعالى:** ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[الأعراف: ٥٤] ((فالخلق وأمر الكائنات بيديه))[4].

وقال – ﷺ –: ((فإذا كان هذا الخلق له والأمر له، أفلا يكون مستحقاً للتعظيم والإجلال))[5].

و في موضع آخر **أيضاً قال** – ﷺ – **في تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٦] ((خالقهما ومتولى أمورهما))[6].

وقال– ﷺ – في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠]، ((﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾ أي الرحمن خالقي ومتولى أمري))[7].

وقال – ﷺ – ((له ملك السموات والأرض وهو المتصرف في الوجود وحده، والحياة والموت من صنعه))[8].

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٦١).
(٢) المرجع السابق (١/١٦١).
(٣) المرجع السابق (١/١٧٤).
(٤) المرجع السابق (١/١٧٤).
(٥) المرجع السابق (٤/١٨٩).
(٦) المرجع السابق (٧/٩٢).
(٧) انظر المرجع السابق (٧/١٨٢).
(٨) المرجع السابق (٤/٢٧٤).

وطنطاوي جوهري – ﷺ – في الجملة وافق مذهب أهل السنة والجماعة في مفهوم توحيد الربوبية، وأقرّ بأنّ الخلق والأمر والتدبير لله وحده –ﷻ–.

ثالثاً: استدلال طنطاوي جوهري على توحيد الربوبية:

استدل طنطاوي جوهري – ﷺ – على توحيد الربوبية بجملة من الأدلة الشرعية والعقلية، منها:

١– قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قال – ﷺ –: ((فإذا كان هذا الخلق له والأمر له، أفلا يكون مستحقاً للتعظيم والإجلال... وإذا كانت هذه صفات الله وأنه خالق هذه الكائنات واستوى على عرشها وسخرها ونظمها فلم يبق إلاّ أن يتوجه له عبيده بالدعاء))[(١)].

٢– و قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣]، قال – ﷺ –: ((أي يقدر أمر الكائنات على ما اقتضته حكمته، وسبقت به كلمته، ويهيئ بتحريكه أسبابها وينزلها بقدر، والتدبير: تنزيل الأمور في مراتبها وعلى أحكام عواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي، فهو يدبر أحوال الخلق في ملكوت السموات والأرض فلا يحدث في العالم السفلي ولا العلوي حادث إلا بتدبيره))[(٢)].

٣– و قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]، قال – ﷺ –: ((إذا اعترفتم بالربوبية للذي تولى هذه الأمور المستحق للعبادة... الثابت ربوبيته، فهو الذي أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم، وهو المالك لسمعكم وأبصاركم، كيف تفعلون ذلك وتصرفون العبادة لغير الله))[(٣)].

---

(١) المرجع السابق (١٨٩/٤).

(٢) المرجع السابق (٨/٦).

(٣) انظر المرجع السابق (٦٨/٦).

استدل طنطاوي جوهري – ﷺ – بهذه الآيات على توحيد الربوبية وأنّ الله هو المتفرد بالخلق والأمر والتدبير، وأنّ من يتولى هذه الأمور فهو من يستحق التذلل والخضوع والعبادة وحده دون سواه.

٤– واستدل طنطاوي جوهري – ﷺ – كذلك على توحيد الربوبية بدليل التمانع، وهو برهان صحيح في إثبات وحدانية الله – ﷻ –.

فقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠] ((فقد اتحدت الأسباب السماوية والأرضية وتعاونت على رزق الإنسان والحيوان، ولا يصح هذا الاتحاد إلاّ إذا كان الصانع واحداً، ولو تعدد فكان لكل إله عمل من هذه الأعمال لم تكن النتيجة كما هي حاصلة بهذا الوحدة، لأن اختلاف المدبرين يقتضي اختلاف النتائج، والنتائج متحدة متعاونة. إذاً الإله واحد)) [(١)] .

وقال عند تفسير قوله تعالى ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ((أي: لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل إله بما خلقه وحارب الإله الآخر وتغالبوا، كما نرى في ملوك الدنيا، فلم يكن إذن بيده ملكوت كل شيء وقد أقررتم بذلك)) [(٢)] .

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ((أي: لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله، أي: أيُّ إله غيره لا اختلف أو اتفقا، فاختلافهما يستلزم أن يصح العدم والوجود على شيء اختلفا فيه وهو محال، واتفاقهما يوجب توارد خالقين على مخلوق واحد، وهو مستحيل، فيكون وجود الإلهين محالا.

على أنّ هذا البرهان إذا سلمنا جدلاً أنهم آلهة، ولكن الإله كما قلنا يسبح له من في السموات في الأرض والملائكة، فكيف تجعل هناك موازنة بينه وبين الأحجار والصور الأرضية)) [(٣)] .

---

(١) المرجع السابق (١٣/٢٥٥).

(٢) المرجع السابق (١١/١٧٨).

(٣) المرجع السابق (١٠/٢٢٧).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – عن دليل التمانع: ((أنه لو كان للعالم صانعان لكان أحدهما إذا أراد أمرا وأراد الآخر خلافه، مثل أن يريد أحدهما إطلاع الشمس من مشرقها، ويريد الآخر اطلاعها من مغربها، أو من جهة أخرى.

امتنع أن يحصل مرادهما ؛ لأن ذلك جمع بين الضدين، فيلزم إما أن لا يحصل مراد واحد منهما، فلا يكون واحد منهما ربا، وإما أن يحصل مراد أحدهما دون الآخر، فيكون الذي حصل مراده هو الرب دون الآخر))[1].

يقول ابن أبي العز الحنفي – ﷺ – عن دليل التمانع أنه ((لو كان للعالم صانعان فعند اختلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم وآخر تسكينه، أو يريد أحدهما إحياءه والآخر إماتته: فإما أن يحصل مرادهما، أو مراد أحدهما، أو لا يحصل مراد واحد منهما.

والأول ممتنع، لأنه يستلزم الجمع بين الضدين، والثالث ممتنع، لأنه يلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون، وهو ممتنع، ويستلزم أيضا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلها، واذا حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان هذا هو الإله القادر، والآخر عاجزا لا يصلح للإلهية))[2].

ويقول ابن أبي العز – ﷺ – أيضا:((فإنَّ الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً، يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر، فلو كان معه سبحانه إله آخر يشركه في ملكه، لكان له خلق وفعل، وحينئذ فلا يرضى تلك الشركة، بل إن قدر على قهر ذلك الشريك وتفرده بالملك والإلهية دونه فعل، وإن لم يقدر على ذلك انفرد بخلقه وذهب بذلك الخلق، كما ينفرد ملوك الدنيا بعضهم عن بعض بممالكه، إذا لم يقدر المنفرد منهم على قهر الآخر والعلو عليه. **فلا بد من أحد ثلاثة أمور:**

إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه، بل يكون وحده هو الإله، وهم العبيد المربوبون المقهورون من كل وجه.

وانتظام أمر العالم كله وإحكام أمره، من أدل دليل على أنَّ مدبره إله واحد، وملك واحد، ورب واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه. كما قد دل دليل التمانع على أنَّ

---

(١) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية – لابن تيمية، (٣/٣٠٥).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي، ص٨٧.

خالق العالم واحد، لا رب غيره ولا إله سواه، فذاك تمانع في الفعل والإيجاد، وهذا تمانع في العبادة والإلهية. فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان.

فالعلم بأنَّ وجود العالم عن صانعين متماثلين ممتنع لذاته، مستقر في الفطر معلوم بصريح العقل بطلانه، فكذا تبطل إلهية اثنين. فالآية الكريمة موافقة لما ثبت واستقر في الفطر من توحيد الربوبية، دالة مثبتة مستلزمة لتوحيد الإلهية.

وقريب من معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]))[(١)] .

إذن دليل التمانع برهان عقلي شرعي صحيح لإثبات وحدانية الله، وهو من مقتضى الضرورة العقلية في امتناع صدور العالم عن إلهين اثنين، وليس مقصود القرآن تقرير توحيد الربوبية، وإنما مقصوده تقرير توحيد الألوهية والعبادة المتضمن لتوحيد الربوبية.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((والمقصود هنا أنَّ هؤلاء اعتقدوا أنَّ قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، إنما يدل على نفي الشركة في الربوبية، وهو أنه ليس للعالم خالقان، ثم صار كل منهما يذكر طريقاً في ذلك، بل مقصود القرآن توحيد الإلهية، وهو مستلزم لما ذكروه من غير عكس))[(٢)] .

ويقول شيخ الإسلام – رحمه الله – **أيضاً**: ((أولئك المتقدمين من المتكلمين ظنوا أنها هي طرق القرآن، وليس الأمر كذلك.

بل القرآن قرَّرَ فيه توحيد الإلهية المتضمن توحيد الربوبية، وقرره أكمل من ذلك. واعتبر ذلك بقوله تعالى: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٩١] فهذه الآية ذكر فيها برهانين يقينيين على امتناع أن يكون مع الله إله آخر بقوله: ﴿ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ ، وقد عرف أنه لم يذهب كل إله بما خلق ولا علا بعضهم على بعض، وترك ذكر هذا لعلم المخاطبين به وأن ذكره تطويل بلا فائدة))[(٣)] .

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – ابن أبي العز الحنفي، ص٩٣.

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل – لابن تيمية، (٣٤٨/٩-٣٦٩).

(٣) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية – لابن تيمية، (٣١٣/٣).

وخلاصة القول: أنّ المفهوم الشرعي لتوحيد الربوبية عند أهل السنة والجماعة هو: إفراد الله – ﷻ – بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والإحياء والإماتة...

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – أقرّ بذلك في مجملها، واستدل على ذلك أيضاً بما استدل عليه السلف في توحيد الربوبية عموماً، غير أنه لم يشر إلى أنَّ المقصود من إيراد دليل التمانع هو إثبات توحيد الألوهية.

المبحث الثالث: رأي طنطاوي في خلق آدم عليه السلام

المطلب الأول: خلق آدم عليه السلام في الكتاب والسنة:

خلق الله ﷻ آدم عليه السلام من الطين، فهو أول البشر خلقه الله بيده ثمَّ صوره بعد ذلك، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، كما جاء ذلك صريحاً في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

قال الله تعالى في كتابه العزيز ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ [فاطر: ١١] وقال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ [الروم:٢٠] وقال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ﴾ [الأنعام: ٢] وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢] وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧] وقال تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ [الصافات: ١١] وقال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [ص: ٧١] وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر: ١٦] وقال تعالى ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [الرحمن: ١٤] وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١].

لقد أخبر الله – ﷻ – عن كيفية بدء خلق آدم – عليه السلام – من تراب، فجعله طيناً لازباً، ثم جعله حمأ مسنونا، ثم جعله صلصالا كالفخار، ثم نفخ فيه من روحه[(١)].

وقد أخبرنا رسولنا – ﷺ – في السنة النبوية كذلك عن كيفية خلق آدم – عليه السلام – وبين لنا فيها بيانا شافيا كافيا، وهاك جملة من الأحاديث التي ورد فيها نبأ خلق آدم – عليه السلام –.

– عن أبي موسى الأشعريُّ – رضي الله عنه – قال: ((إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، فجاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسَّهل، والحزن، والخبيث، والطيب))[(٢)].

---

(١) انظر التوحيد – لابن مَنْدَه، ص ٢٠٧.

(٢) رواه أبو داوود (٤/ ٢٢٢)، والترمذي (٥/٢٠٤) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

- وعن عبد الله بن الحارث -رضي الله عنه-، عن أبيه قال: قال النبي - ﷺ - ((إنَّ الله - عز وجل - خلق ثلاثة أشياء بيده: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده))[1].

- وفي حديث الشفاعة الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي - ﷺ - قال: ((وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه، إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون إلى من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس: أبوكم آدم فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، وأسكنك الجنة، ألا تشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه وما بلغنا؟... الحديث))[2].

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- ، عن النبي - ﷺ - قال: ((خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك، النفر من الملائكة، جلوس، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن))[3].

- وعن عائشة - رضي الله عنها-، قالت: قال رسول الله - ﷺ -: ((خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم))[4].

- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه-، قال : قال رسول الله - ﷺ - :((احتج آدم وموسى - عليهما السلام - عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض، فقال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا، فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق، قال موسى: بأربعين

---

(١) رواه ابن المبارك في الزهد والرقائق (١/ ٥١٢)، والآجري في الشريعة (٣/ ١١٨٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ١٢٥)، إسناده ضعيف من قبل أبي معشر، ضعفه يحي بن معين، والنسائي، والدارقطني، قال البخاري: منكر الحديث. انظر جامع الآثار في مولد النبي المختار – ناصر الدين المقدسي (١/٥٠١).

(٢) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [نـــــوح: ١]) (٤/١٣٤) (٣٣٤٠)، (٤٤٧٦)، (٤٧١٢)، (٧٤١٠)، (٧٤٤٠)، (٧٥١٠)، (٧٥١٦)، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (١/١٨٠) (١٩٣)، (١٩٤)، (٢٦٥٢).

(٣) رواه البخاري في(كتاب الاستئذان، باب بدء السلام) (٨/٥٠) (٦٢٢٧)، ومسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير) (٤/٢١٨٣) (٢٨٤١).

(٤) رواه مسلم في (كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة) (٤/ ٢٢٩٤) (٢٩٩٦)

عاماً، قال آدم: فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى، قال: نعم، قال: أفتلومني على أن عملت عملا كتبه الله علي أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ قال رسول الله – ﷺ –: فحج آدم موسى))[(١)] .

– وعن أنس – رضي الله عنه –، أن رسول الله – ﷺ – قال ((لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يطيف به ، ينظر ما هو ، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك))[(٢)] .

ولذا بوَّب الإمام البخاري[(٣)] ومسلم[(٤)] – رحمهم الله – في صحيحيهما عن خلق آدم – عليه السلام – **فقال الإمام البخاري** – رحمه الله – **في صحيحه**: ((باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته ﴿صَلْصَٰلٍ﴾[الحجر: ٢٦]: طين خلط برمل، فصلصل كما يصلصل الفخار، ويقال: منتن، يريدون به صل، كما يقال: صر الباب وصرصر عند الإغلاق، مثل كبكبته يعني كببته "، فمرت به: ((استمر بها الحمل فأتمته))[(٥)] .

هذا بدء خلق آدم– عليه السلام –، خلقه الله أول بدء من تراب، ثم من طينة حمراء وسوداء وبيضاء، ومن طينة طيبة وسبخة، فكذلك ذريته طيب، وخبيث، أسود وأحمر وأبيض، ثم بل ذلك التراب فصار طينا، فذلك قوله: "من طين" فلما لصق الطين بعضه ببعض، فصار طينا لازبا، بمعنى لاصقا، ثم قال: ﴿مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، يقول: مثل الطين إذا

---

(١) رواه البخاري في (كتاب القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله) (١٢٦/٨) (٦٦١٤) (٧٥١٥)، ومسلم في (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى – ^ –) (٤/ ٢٠٤٢) (٢٦٥٢) (٢٦٥٢) (٢٦٥٢).

(٢) رواه مسلم في (كتاب البر والصلة والآداب، باب خلق الإنسان خلقا لا يتمالك)(٢٠١٦/٤) (٢٦١١).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف بروذيه الجعفي بالولاء، البخاري الحافظ الإمام في علم الحديث، صاحب الجامع الصحيح والتاريخ، وغيرهما. ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة: ١٩٤هـ، ومات ليلة الفطر سنة: ٢٥٦هـ، وعمره اثنتان وستون سنة إلاَّ ثلاثة عشر يوماً. انظر شذرات الذهب (١/ ٢٥)، ووفيات الأعيان (١٨٨/٤)، وسير أعلام النبلاء (٣٩١/١٢)، وتذكرة الحفاظ ص ٢٠٧.

(٤) هو مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، الحافظ، أحد أركان الحديث، وصاحب الصحيح، قيل: إنه ولد: سنة: ٢٠٤هـ، وتوفي: في شهر رجب، سنة: ٢٦١هـ، بنيسابور، عن بضع وخمسين سنة، وأشهر كتبه: صحيح مسلم، وله مؤلفات أخرى: مثل: المسند الكبير، الكنى والأسماء. انظر شذرات الذهب (٣/ ٢٧٢)، وتاريخ بغداد (١٥/ ١٢١)، ووفيات الأعيان (١٨٨/٤)، وسير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٥٨)، وتذكرة الحفاظ ص ٢٤٩، والأعلام للزركلي (٧/ ٢٢١).

(٥) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – ﷺ – وسننه وأيامه (١٣١/٤).

عصر انسل من بين الأصابع، ثم نتن فصار حمأً مسنوناً، فخلق من الحمأ، فلما جف صار صلصالا كالفخار، يقول: صار له صلصلة كصلصلة الفخار، له دوي كدوي الفخار[1].

وهذا ما قرره أهل السنة والجماعة في خلق آدم– عليه السلام – على الوصف الذي ذكره الله – عز وجل – في كتابه العزيز، وعلى الهيئة التي بينها لنا رسولنا – صلى الله عليه وسلم – في السنة المطهرة، خلقه الله – عز وجل – بيده من التراب فهو أول البشر، ثمَّ صوره بعد ذلك، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنته.

المطلب الثاني: رأي طنطاوي في خلق آدم – عليه السلام – :

إنَّ من يتصفح تفسير طنطاوي جوهري "الجواهر" تنتابه الحيرة بادئ الأمر في تحديد موقفه من مسألة **خلق آدم – عليه السلام –**، لما تجد في حديثه عن مبدأ خلق الإنسان بعض التناقضات في آراءه، تارة تجده ينقد مذهب التطور ويذم قولهم بشدة، مع تأييده ما جاء في الكتاب والسنة من أنّ آدم – عليه السلام – أبو البشر خلقه الله بيده من التراب.

وثمت أخرى تجده يوافق مذهب القائلين بالنشوء والارتقاء في خلق الإنسان، مع الميل لمذهبهم هذا واعتضاده بنصوص القرآن التي يتحدث فيها عن مراحل خلق الإنسان في بطن أمه، محاولاً منه إبراز موافقة القرآن للعلوم العصرية الحديثة بأي طريقة كانت.

وعلى هذا كان لزاماً علينا حصر أقواله في كلا الجانبين، ثم مناقشتها وتحديد موقفه من خلال ذلك.

الجانب الأول: القول بمذهب التطور في خلق آدم – عليه السلام –: وفي قوله هذا له ثلاثة آراء في ذلك:

أولاً: لقد ذهب طنطاوي جوهري إلى نفي وجود دليل قطعي في كيفية خلق آدم – عليه السلام – في القرآن والكتب السماوية، وجعل علم تفاصيل كيفية الخلق لعلماء الغرب تأييداً منه للقائلين بمذهب التطور.

قال طنطاوي – رحمه الله –:((القرآن والتوراة فإنهما نصا على أنّ آدم خلق من التراب وحواء خلقت منه[2]... وأنّ خلق آدم وحواء ليس هناك دليل قطعي على كيفيته، والقرآن أتى مجملاً

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة – لأحمد بن حنبل، ص٦٧.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٧/٣).

على مقتضى ما تقبله العقول وتفهمه النفوس، فأما التفصيل فليس للكتب السماوية وإنما هذه مقدمات يؤتى بها للمقاصد. فأما التفصيل فقد قام به علماء الأمم من عجم وعرب))[1].

ثانياً: تأييده للقائلين بمذهب التطور مستشهداً لذلك على ما ورد في القرآن الكريم من مراحل خلق الجنين في بطن الأم، وما وصل إليه علماء الغرب عن طريق التجربة من أنّ الحيوانات والحشرات والطيور قد تطور في مراحل خلقتهم.

ثم يبين طنطاوي كذلك أنَّ أصل الإنسان خُلِقَ على مراحل عدة وتطور في الخلق حتى وصل إلى هذا الشكل الذي وصل إليه على هذه الهيئة.

وهذه بعض أقوال طنطاوي جوهري – ﷺ – في تأييده لمذهب التطور والنشوء والارتقاء على سبيل المثال لا الحصر، وقد حاول فيه جاهداً التوفيق بين ما جاء في القرآن الكريم وبين ما ادعى به مذهب التطور والنشوء والارتقاء.

يقول طنطاوي في ذلك:((انظر كيف جعل للإنسان هذه المراتب وهو جنين، ينتقل مراتب في الرحم، فمن دودة صغيرة وهي العلقة إلى قوقعة إلى سمكة وهكذا حتى يصل إلى هيئة القرد فهيئة الإنسان...

هكذا هنا مر الإنسان على الأدوار الحيوانية وهو جنين، لأنه أولاً: سيكون له بها علاقة في الحياة الجثمانية زراعة وركوبا....وثانياً: ليدرسها دراسة علمية إذا كان من أهل الحكمة ورجال العلم، وثالثاً: ليدرس نفسه وأحوالها، فإنه يجد صفات هذه الحيوانات فيه وهو يجاهد ليخرج منها إلى عالم أرقى من عالم الأرض.... فهذه وغيرها من صفات الحيوان معرّض لها الإنسان))[2].

وقال– ﷺ–:((إنّ مرور الإنسان على العوالم الحيوانية أعطاه أنسه بالحيوان في أحواله المادية، ودراسة العلوم التشريحية والخلقية، وجهاده في الحياة ليخرج من حال الحيوانية إلى حال الملكية))[3].

---

(١) المرجع السابق (٦/٣).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٣/١٩).

(٣) انظر المرجع السابق (١٢٤/١٩).

وقال- ﷺ-:((إنّ الإنسان مخلوق من نطفة، والنطفة مكونة من امشاج، وما الأمشاج في الإنسان إلا الأوكسجين، والأدوروجين، والكربون، والآزوت، والكبريت..... فهذا الإنسان مبدؤه من الحديد والفوسفور والكبريت الخ))[(١)] .

وقال - ﷺ- ((يمر الجنين في أطوار الحيوانات النقاعية والهلامية والفقرية من الطير وذوات الثدي وأخرها القرد))[(٢)] .

واستدل بقوله تعالى ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤] وقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ [الانفطار: ٧] وقال- ﷺ- ((فهذا هو الحسن الذي ذكره الله، لأنه أولاً انتقى أجمل الأشكال الجسمية، فمر على أدنى المخلوقات من الإسفنجيات، وانتهى به في الشكل إلى ما ذكرناه))[(٣)] .

وقال - ﷺ- ((لقد استبان لك أن خلقة الجنين في الرحم تصور أنواعاً من صور الحيوان مرتقية من أدناها إلى أعلاها))[(٤)] .

ثم قال:((فانظر أيها الذكي إلى قوله تعالى﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ [الحج: ٥] كأنه يقول: جعلت المضغة أولاً غير مسواة، بل ناقصة الخلقة تشبه الحيوانات الأخرى، كالكلب والسلحفاة والطيور وغيرها وثانياً تامة الخلقة بالصورة الإنسانية، لماذا هذا؟ لنبين لكم. ماذا يبين الله لنا؟ يبين لنا أننا خلقنا في أحسن تقويم لأن صورتنا مرت على صورة الحيوانات الأخرى ثم أكملها...[(٥)] .

وقال - ﷺ- ((**القائلين بنظرية التطور عند الغرب**: أن هذه العوالم قد ظهرت بعضها من بعض بالاشتقاق، والدليل على ذلك: مشابهة الإنسان لأدنى الحيوانات في أول تكونه في الرحم، ثم يتمادى في الرقي حتى يصير كالقرد، ثم يصير إنساناً، وهذه السلسة بعينها هي التي نراها في الحيوانات المشاهدة ...، **قال هيجل الألماني**: إنّ الإنسان نشأ بالتدريج من الحيوانات السفلي، فالتدرج في الرحم من الأدنى إلى الأعلى كالتدرج في السلسة من الأدنى إلى الأعلى من الحيوانات التفاعلية إلى الهلامية إلى الحلقية إلى الفقارية))[(٦)] .

---

(١) انظر المرجع السابق (٣٥٣/٢٤).

(٢) المرجع السابق (٥٧/٢).

(٣) المرجع السابق (٥٨/٢).

(٤) المرجع السابق (٥٩/٢).

(٥) المرجع السابق (٥٩/٢).

(٦) انظر المرجع السابق (٦٠/٢).

قال طنطاوي - ﷺ- عن نظرية النشوء والارتقاء: ((وهناك سلسة أخرى من حيث النشء والارتقاء، فأنواع الحيوان والنبات كثيرة.... أدنى الحيوان: دودة في جوف أنبوبة تنبت تلك الأنبوبة على الصخرة الذي في سواحل البحار وشطوط الأنهار، أوسط الحيوان: أكثر الحيوانات. أعلى الحيوان: القرد والفرس وهكذا... أعلى من الأعلى: الإنسان، فهذه السلسلة الإجمالية من ابتداء المعادن القريبة من الطين إلى الإنسان الذي هو الأعلى))[(١)] .

وقال- ﷺ-:((أن أول أمر حياتنا بيضة تصلح للنبات والحيوان ثم ترتقي فتصير حيواناً ثم تصير إنساناً))[(٢)] .

فقال- ﷺ-:((بدأت الحياة بمادة هلامية في قعر البحر كشفها العلماء وسماها طنطاوي مثل بيضة الدجاجة تسهيلاً للفهم، فكل نبات وكل حيوان وكل إنسان في الأصل بيضة واحدة تنقسم إلى قسمين كل منهما يصير بيضة، وهكا هاتان تنقسمان ويطرد الانقسام ويصبح كل قسم بيضة كاملة تامة الحياة تتغذى بغذاء خاص... وهكذا هذه صورة الحياة على وجه الأرض))[(٣)] .

وقد عنون طنطاوي في تفسيره عنواناً فقال فيه- ﷺ-:((نظام الإنسان والحيوان والنبات والمعادن.

إنَّ هذه المواليد سلسلة واحدة متصل أعلاها بأدناها، ثم ذكر التراب والجص والنبات...والحيوان يرتقي من الأدنى إلى الأعلى، وهو الإنسان، وهو درجات من أدنى إلى أعلى، وأعلاه الأنبياء ومن نالوا حكمة وعلما، وبعد هؤلاء عالم الملائكة، وفوق ذلك الله فهو منزه عن المادة والمخلوقات))[(٤)] .

وعنون طنطاوي بـ ((صورة ارتقاء الحياة على الأرض واستهل بأنّ الحياة على وجه الأرض سلسلة غير منقطعة...وهكذا ترتقي الحيوانات حتى تصل إلى القرد ثم الإنسان.

---

(١) انظر المرجع السابق (٨٦/٢).

(٢) انظر المرجع السابق (١٢٠/١٩).

(٣) انظر المرجع السابق (١١٩/١٩).

(٤) انظر المرجع السابق (١٤٦/١٤).

فهذه هي السلسة التي نظمها الله – ﷻ من ((من أدنى إلى أعلى، فبينما تكون الحياة مادة رخوة في البحر إذا هي ارتقت في النبات من أدناه مرتقية إلى أعلاه، وفي الحيوان الأدنى مما يلي النبات وترتقي فيه إلى أعلاه حتى تصل إلى الإنسان)) (١).

وقد ذهب طنطاوي إلى القول بنظرية التطور واستشهد بأنَّ العالم المشاهد ترقى من حشرة إلى غزال إلى أسد إلى قرد إلى إنسان إلى حكيم عالم (٢).

وقال في ذلك – رحمه الله– ((ولقد رسموا جنين الدجاج والإنسان والسلحفاة والكلب، فلم يجدوا بينها فرقاً، فبهذا تشابه الطائر وذوات الثدي والإنسان والسلاحف في أول نشأتها، ثم يأخذ كل منها في التميز شيئاً فشيئاً. هذه هي الآراء المعروفة في علم الأجنة)) (٣).

وحاول طنطاوي أن يربط فكرة النشؤ والارتقاء بالجانب الأخلاقي لدى الإنسان، وذكر أنّ أخلاق الإنسان كذلك تطور حتى تصل إلى صفة الملائكية.

وقال – رحمه الله– ((ليبين لنا أن الإنسان فيه قابلية لأخلاق سائر الحيوان... ثم إنه لا نجاة لنا إلاّ بالارتقاء عن هذه الخصال الحيوانية إلى الصفات الملكية..... يبين لنا أنّ الإنسان لا ينال أعلى الدرجات إلاّ بعد أن يتخطى أدناها بنظام...يبين لنا أن سنة الكون الترقي من أسفل إلى أعلى)) (٤).

وبعد ما نقل طنطاوي عن خلقة الحيوانات البحرية والبرية، وأنّ كل حيوان أنقص خلقة مقدم على ما هو أكمل، قرّر أن آدم وحواء خلقا كما خلقت سائر الحيوانات.

فقال– رحمه الله–:((والإنسان أيضاً كتلك الحيوانات، وأبونا آدم وزوجه حواء خلقا كما خلق من كل نوع زوجان تحت خط الاستواء، وتفرقت الذرية في الأرض كسائر الحيوانات، ثم آباؤنا نقلوه عمن قبلهم من الأمم)) (٥).

ثالثاً: إقرار من طنطاوي جوهري على أنّ علماء الغرب يتخبطون في الوصول إلى المعرفة الحقيقية في أصل الخلق.

---

(١) انظر المرجع السابق (١١٩/١٩).
(٢) انظر المرجع السابق (٦٧/١).
(٣) المرجع السابق (٥٧/٢).
(٤) المرجع السابق (٥٩/٢).
(٥) المرجع السابق (٧/٣).

يقول طنطاوي – رحمه الله –:((اعلم أنّ خلق آدم وحواء ليس هناك دليل قطعي على كيفيته، والقرآن أتى به مجملاً على مقتضى ما تقبله العقول وتفهمه النفوس؛ فأما التفصيل فليس للكتب السماوية وإنما هذه مقدمات يؤتى بها للمقاصد، فأما التفصيل فقد قام به علماء الأمم من عجم وعرب، ومن عجب أنهم لم يهتدوا للحقائق ولم يصلوا إلى أصل الخلق؛ ألا ترى كيف قال آباؤنا السابقون: إن الحيوانات أول ما خلق منها البحرية، لأن البحر قبل البر، ثم كانت البرية، وكل حيوان أنقص خلقة مقدم على ما هو أكمل، وقالوا: إنَّ الحيوانات التامة الخلقة لم تكن من البحر بل خلقت تحت خط الاستواء، وكل منها تناسل من ذكر وأنثى والحرارة هناك كافية للتوليد، فلما أن انتشرت تلك الحيوانات كالبقر والغنم والآساد والنمور في الأرض، حفظت تلك الحرارة في الأرحام لتستأهل لنمو الأجنة، والإنسان أيضاً كتلك الحيوانات، وأبونا آدم وزوجه حواء خلقا كما خلق من كل نوع زوجان تحت بخط الاستواء.

وتفرقت الذرية في الأرض كسائر الحيوانات، ثم آباؤنا نقلوه عمن قبلهم من الأمم...والسر الأصلي فيه أنّ الناس قديماً يرون أنّ مهد الجنس البشري في الشرق، وسره الأكبر ظنهم تولد الأبوين الأصليين من كل حيوان في خط الاستواء، أما الفرنجة فإنهم لا يزالون يتخبطون وليس لأقوالهم نهاية، ففريق يرى أن الحيوانات البحرية مقدمة على البرية، والأنقص قبل الأكمل، مثل قدمائنا ولكن يرون أن الحيوانات التامة الخلقة مسلسلة من ناقصة الخلق حتى الانسان، وهذا المذهب قد سار شوطاً بعيداً في القرن الماضي، ولكن علماء العصر الحاضر حقروه ونبذوه ظهرياً وذموا قائله وقابلوه بالنكران وكفروا به، وهم لا يزالون في البحث المجدين ولا يزالون مختلفين، أما القرآن والتوراة فإنهما نصا على أن آدم خلق من التراب وحواء خلقت منه هذا هو كلام الديانات وهذه علوم الناس قد أحضرتها بين يديك على سبيل الإجمال. وياليت شعري إذا كان القرآن والكتب السماوية أجملت المقال، والفلاسفة والحكماء تفرقوا شيعاً، فأين السبيل؟

أقول: اعلم أنَّ الكتب السماوية إنَّما تذكر هذا لغرض أسمى من معرفة أصل الأبوين، وماذا نجني من وراء معرفة أصلهما؟ نعم البحث في العوالم كلها مرق للعقول، ولكن كل ما يعرفه البشر في هذا المقام لا يصل للحقيقة الواقعة ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الكهف: ٥١] إن الناس لم يشهدوا مبدأ العالم ولا مبدأ أنفسهم، وإنّما المقام هنا الدلالة على الوحدة العامة الإنسانية فلئن ذكر الله اتحادنا في المنشأ والتشابه في الأحوال، فإنما ذلك ليدلنا بطريق الكناية على الوحدة العامة الإنسانية والنظام الشامل لهذا الوجود)) [(١)].

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦/٣).

الجانب الثاني: القول بأنَّ آدم – عليه السلام – أول البشر:

قال طنطاوي – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] ((ابتدأ بآدم أبي البشر وجعله مبدأ لنظام الإنسان))[(١)] .

وذكر طنطاوي مراحل خلق آدم – عليه السلام – فأما آدم أبو البشر فإنه بقي أربعين سنة طيناً، وأربعين سنة حمأ مسنوناً وأربعين سنة صلصالاً كالفخار، فتم خلقه في مائة وعشرين سنة[(٢)] .

المطلب الثالث: مناقشة طنطاوي في المسألة:

إنَّ نصوص الكتاب والسنة واضحة وقطعية في كيفية خلق آدم– عليه السلام –، إذ خلقه الله بيده وصوره على أحسن هيئة وصورة، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته وأنه – عليه السلام – خُلِقَ ابتداء بقدرة الله تعالى الخالق – سبحانه وتعالى –.

وأما دعوى طنطاوي بعدم وجود دليل قطعي من القرآن الكريم على كيفية خلق آدم – عليه السلام –، فهي دعوة باطلة واهية؛ بل عارية عن الحقيقة، بل إنَّ نصوص الشرعية دلت على كيفية خلق آدم وحواء – عليهما السلام – فهي تثبت عكس ما دعا إليه طنطاوي كما أشرنا إلى بعض منها في مقدمة هذا المطلب.

هذا وإن دلَّ على شيء فإنما يدلُ على ظنية دلالة الأحاديث النبوية في إثبات العقائد لدى طنطاوي وعدم إفادتها اليقين، – كما بينا ذلك في موقفه من الدليل النقلي[(٣)] –، ولو رجع للسنة النبوية وللأحاديث الثابتة التي بين فيها رسول الله – ﷺ – عن كيفية خلق آدم وحواء – عليهما السلام – لسلم من هذه التناقضات والتخبطات التي وقع فيها، ولوجد فيها تفصيل ما أتى به القرآن مجملاً كما ادعى به طنطاوي.

وقد أخبرنا الله تعالى عن خلق آدم وحواء– عليهما السلام – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

---

(١) المرجع السابق (٦٣/١).

(٢) انظر المرجع السابق (٣٤٩/٢٤).

(٣) انظر ص٩٣.

قال ابن جرير الطبري[(١)] – رحمه الله– في تفسير الآية :((كان مُبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبِّهَهم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة... وخلق من النفس الواحدة زوجها: يعني بـ"الزوج"، الثاني لها. وهو فيما قال أهل التأويل، امرأتها حواء))[(٢)] .

وقال ابن كثير[(٣)] – رحمه الله– في تفسير الآية :((يقول تعالى آمرا خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبها لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم، – عليه السلام – ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ وهي حواء – عليها السلام –، خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه))[(٤)] .

ومرد كلام الإمامين ابن جرير وابن كثير – رحمهما الله – في تفسيرهما لهذه الآية؛ هو حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –، قال: قال رسول الله – ﷺ –: ((استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء))[(٥)] .

وأما الذي يدعي به طنطاوي بأنّ القرآن والكتب السماوية لم يأت بتفاصيل خلق آدم– عليه السلام – ؛ هو تفصيل زائد عن حاجة الناس حيث لا فائدة من ذكرها؛ لذلك سكت عنه القرآن[(٦)]، وأما ما يحتاج إليه البشر من الضروريات والحاجيات فقد أتى به الدين كاملاً، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، من مشاهير المؤرخين والمفسرين وأئمة العلماء، ولد بطبرستان سنة: ٢٢٤هـ، وتوفي عام: ٣١٠ هـ، وله مؤلفات منها: جامع البيان في تفسير القرآن، وأخبار الرسل والملوك، واختلاف الفقهاء، والمسترشد في علوم الدين. انظر وفيات الأعيان (٤/ ١٩١)، ومعجم المفسرين (٥٠٨/٢)، والأعلام للزركلي (١١٧/١).

(٢) تفسير الطبري (٥١٢/٧).

(٣) هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن كثير القرشي البصروي الدمشقي، الإمام الحافظ، المفسّر، المؤرّخ الكبير، صاحب «البداية والنهاية»، و«التفسير»، ولد في الشام سنة: ٧٠٠هـ، وتوفي فيها سنة:٧٧٤هـ. انظر شذرات الذهب (٦٧/١)، والأعلام للزركلي (١/ ٣٢٠)، ومعجم المفسرين (١/ ٩٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٢٠٦/٢).

(٥) رواه البخاري في(كتاب آحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته) (١٣٣/٤) (٣٣٣١)،(٥١٨٥)، ومسلم في (كتاب الوصية، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ) (١٠٩١/٢) (١٤٦٨).

(٦) كمعرفة أسماء إخوة يوسف عليه السلام – –، وأسماء فتية أصحاب الكهف، واسم الشجرة التي أكل منها آدم وحواء – عليهما السلام – ، وغيرها.

وأما قوله: بأنَّ ((التفصيل فقد قام به علماء الأمم من عجم وعرب)) **فتلك تفصيلات فلسفية خالية من دلائل صحتها؛ وهي تخمينات وتخرصات البشر بأنواعهم من مختلف الأمم**[(١)] .

ويكفي في الرد عليه اعترافه وتقريره بأنَّ الغرب لا يزالون يتخبطون وليس لأقوالهم نهاية في هذه المسألة.

وكذلك ما يقال عن الإنسان التطورية وأنه نتاج قفزات تطورية حدثت في الأحياء كلها غير صحيح، وقد بين علماء العصر الحديث عوار هذه النظرية عن الصحة وبطلانها[(٢)] .

وأما قوله: ((أنّ كل ما يعرفه البشر في هذا المقام لا يصل للحقيقة الواقعة)) **بل نقول: الذين لم يصلوا للحقيقة الواقعة، هم علماء الغرب ومن سار على نهج نظرية التطور؛ لأنهم لم يسلكوا المسلك الصحيح الذي أُمِرْنا به؛ وأما من اتبع القرآن وما جاء فيه، واتبع هدي رسولنا - ﷺ - والصحابة والتابعين فهم أقرب للحقيقة الواقعة، لأنّ الله ﷻ -- يقول:** ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، وقال سبحانه عن القصص التي وردت القرآن: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١١١].

فآدم خلق على صورته التي فطره الله عليها ابتداء دون واسطة ودون تسلسل، أما التعليل لوجود سلم ارتقاء للمخلوقات، واحتمالات أن تكون بعض المخلوقات تولدت عن بعض، ووجود مخلوقات شبيهة بإنساننا الحالي وتعتبر أسبق منه بالوجود فذلك كله له تعليلاته والبحث

---

(١) انظر التأويلات المعاصرة حول خلق آدم - عليه السلام - - مريم حسن تيجاني، رسالة دكتوراة - جامعة أم القرى - بمكة. راجع هذه الرسالة فقد ناقشت الباحثة فيها آراء طنطاوي جوهري في خلق آدم - عليه السلام - بشيء من التفاصيل، انظر ص٢٩٢ وما بعدها.

(٢) انظر كتاب العقيدة في الله - عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ص٩١ ن: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط: الثانية عشر، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، وآدم الإنسان أبو البشر رد علمي شامل على كتاب أبي آدم قصة الخلقة بين الأسطورة والحقيقة لمؤلفه الدكتور عبد الصبور شاهين - جواد موسى محمد عفانة، ص١٦، ن: دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، ط: بدون، ٢٠٠٨م، وأصل الإنسان "التفسير الدارويني في ضوء المكتشفات الحديثة" — د. هاني خليل رزق، ص٢٧ وما بعدها، ن: دار الفكر، ط: الأولى، ١٤٣١هـ، وأصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية — د. موريس بوكاي، ص٤١ وما بعدها، ت: فوزي شعبان ن: المكتبة العلمية، والتأويلات المعاصرة حول خلق آدم - عليه السلام - - مريم حسن تيجاني. راجع هذه الرسالة فقد ناقشت الباحثة فيها آراء طنطاوي جوهري في خلق آدم - عليه السلام - بشيء من التفصيل، انظر ص٢٩٢ وما بعدها.

فيه مفتوح. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٢].

إنَّ وجود سلم ارتقاء ليس غريبا على قدرة الله – ﷻ – وذلك من مظاهر حكمته – ﷻ –، سواء كان ذلك من خلال الخلق المباشر أو من خلال توالد وقفزات قديمة، إلاَّ أنَّ أبانا آدم خلق ابتداء على صورته، وكان ذلك بالخلق المباشر من الله – ﷻ – ولكن أن تكون هناك مخلوقات تشبه إنساننا الحالي فذلك يتفق مع اتجاهات مذكورة في كتب الإسلاميين قديما تقول: إنَّ آدمنا – عليه السلام – هو أول آدم وجد على الأرض، ولكن هذا لا يعني أن آدمنا هو ولادة من إنسان آخر.

فالنصوص قطعية في ذلك، ومن عرف أنَّ هذا الكون كله مخلوق بقدرة الله لا يستنكر على قدرة الله أن تخلق آدم ابتداء، والذين يشكون في ذلك عليهم أن يراجعوا أصل أيمانهم[(١)].

وكذلك لم يكن خلق الإنسان بدأ ناقصاً ثم تطور واكتمل بهذا الشكل، كما يقول أصحاب نظرية التطوّر؛ بل خلق خلقاً كاملاً، ثمّ أخذ يتناقص في الخلق، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه –، عن النبي – ﷺ – قال: ((خلق الله آدم وطولُهُ: سِتّون ذراعاً))[(٢)].

ولذلك فالمؤمنون يدخلون الجنّة مكتملين على صورة آدم كما خلق الله ابتداءً في أول الأمر، ففي بقية الحديث السابق: ((فكلّ من يدخل الجنة على صورة آدم وطوله ستون ذراعاً))، ثم يقول – ﷺ –: ((فلم يزل الخلق ينقُصُ بعده حتّى الآن))[(٣)].

و يكفي هذا الحديث في نقد ورد مذهب داروين الذي حاول طنطاوي انتصار هذا المذهب من خلال استشهاده بنصوص القرآن؛ وذلك لغرض أن يقول للغرب أنّ ديننا قد سبق إلى هذا العلم وأشار إليه.

---

(١) انظر الأساس في السنة وفقهها – العقائد الإسلامية – سعيد حوّى (٢/٥٨٠).

(٢) رواه البخاري في(كتاب آحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته) (٤/١٣١) (٣٣٢٦)،(٦٢٢٧)، ومسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير) (٤/٢١٨٣) (٢٨٤١).

(٣) انظر العقيدة في الله – عمر الأشقر ص ٩٥. (بتصرف)

وخلاصة القول: أنَّ الله – ﷻ – خلق آدم – عليه السلام – بيده من صلصال من حماء مسنون، وصوره ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، فهو أول البشر، ثم خلقت حواء – عليها السلام –، من ضلعه الأيسر، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، هذا ما قرره أهل السنة والجماعة في كيفية خلق آدم – عليه السلام – كما جاء في الكتاب والسنة.

وأما رأي طنطاوي جوهري – رحمه الله – متناقض ومضطرب في مسألة خلق آدم – عليه السلام –، وقد حصل ما حصل له في ذلك إلاّ لسلوكه المنهج الخاطيء؛ وهو منهج التوفيق والتلفيق بين آيات القرآن الكريم وبين ما وصل إليه العلم الحديث من نظريات وفلسفات – والتي كشف زيفها فيما بعد – مما أدى به ذلك إلى الوقوع في الحيرة والاضطراب في أفكاره ومعتقداته.

الفصل الثاني
آراء طنطاوي جوهري في مسائل توحيد الألوهية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الألوهية في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني: العبادة.

المبحث الثالث: الطاغوت.

المبحث الرابع: التوكل على الله.

المبحث الخامس: نواقض توحيد الألوهية.

المبحث الأول: تعريف الألوهية في اللغة والاصطلاح

أولاً: مكانة توحيد الألوهية:

أنَّ الله – ﷻ– لم يخلق الخلق إلاَّ لأجل تحقيق توحيد الألوهية، وأنه هو الغاية العظمى والمقصد الأسمى من خلق الجن والإنس، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولأجل هذا التوحيد بعث الله الرسل والأنبياء وأنزل عليهم الكتب، ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

وهذا التوحيد هو ما دعا إليه جميع الرسل تحقيقاً للغاية التي أرسلوا لأجلها، قال تعالى عن دعوة نوح – ﷺ –: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [المؤمنون: ٢٣]، وقال تعالى عن نبي الله هود – ﷺ –: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٦٥]، وقال تعالى عن دعوة نبي الله صالح – ﷺ –: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تعالى عن دعوة نبي الله شعيب – ﷺ –: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وهو أول أمر في القرآن الكريم ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

ولهذا كان هذا التوحيد هو أول واجب يجب القيام به على المكلف، لا النظر ولا القصد إلى النظر ولا الشك في الله، كما قال بذلك أهل البدع من المتكلمين وغيرهم، فإنَّ النبي – ﷺ

– قال لمعاذ – ﷺ – حين بعثه إلى اليمن، ((إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله... الحديث))[1].

وفي رواية ((فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأني رسول الله ... الحديث))[2].

وهو أول ما يدخل به الإسلام، ويعصم به دمه وماله، وبه يحصل له التكافل الاجتماعي لدى المجتمع المسلم.

وعن ابن عمر– ﷺ – أنَّ رسول الله – ﷺ –، قال: ((أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله))[3].

كما هو أول واجب على المكلف فهو آخر واجب أيضاً، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال: – ﷺ –: ((من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة))[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب هو توحيد الإلهية وهو أن يعبد الله وحده لا شريك له))[5].

فتوحيد الألوهية مكانته عظيمة، فهو لُبُّ التوحيد ورأس الأمر، وأنه لا نجاة ولا فلاح ولا سعادة للعبد إلا بهذا التوحيد، وهو حق الله الواجب على العبيد، وهو أعظم أوامر الدين وأصل الأصول كلها، وأساس الأعمال، فلذا عني العلماء بهذا التوحيد غاية الاهتمام والعناية في الماضي والحاضر.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة) (١١٩/٢) (١٤٥٨)، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام) (٥١/١) (١٩).

(٢) رواه مسلم في (باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام)، (٥٠/١) (١٩)

(٣) رواه البخاري في (كتاب الإيمان، باب: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]) (١٤/١) (٢٥)، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله) (٥٣/١) (٢٢).

(٤) رواه أبو داوود في سننه (١٩٠/٣)، وابن ماجة في سننه (٢/ ٤٣٧).

(٥) الصفدية – لابن تيمية (٢٢٨/٢).

ثانياً: معاني الألوهية في اللغة:

الألوهية مشتق من أله يأله إلهة وألوهة وألوهية، ومادة "أله" الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد[(١)].

وفي اللغة يأتي على معانٍ عدة منها:

١- **إله: بمعنى معبود**، كما قال ابن عباس- ﷺ -:((هو الذي يَأْلَه كل شيء، ويعبده كل خلْقٍ، الله ذو الألوهية والمِعْبودية على خلقه أجمعين))[(٢)].

ومنه قولنا: الله: أصله إلاه، على فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه أي معبود، كقولنا إمام فعال بمعنى مفعول لأنه مؤتم به، فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا لكثرته في الكلام، ولو كانتا عوضا منها لما اجتمعتا مع المعوض منه في قولهم الإلاه، وقطعت الهمزة في النداء للزومها تفخيما لهذا الاسم[(٣)].

وقيل: أصل إله ولاه، فقلبت الواو همزة كما قالوا للوشاح إشاح وللوجاح وهو الستر إجاح، ومعنى ولاه أنَّ الخلق يولهون إليه في حوائجهم، ويضرعون إليه فيما يصيبهم، ويفزعون إليه في كل ما ينوبهم، كما يوله كل طفل إلى أمه، وقد سمت العرب الشمس لما عبدوها إلاهة. والألهة: الشمس الحارة.

وكل ما اتخذ من دونه معبوداً يسمى إلهاً عند متخذه، وجمعه آلهة. والآلهة: هي الأصنام، سموا بذلك لاعتقادهم أنَّ العبادة تحق لها، وأسماؤهم تتبع اعتقاداتهم لا ما عليه الشيء في نفسه، وكانت العرب في الجاهلية يدعون معبوداتهم من الأوثان والأصنام آلهة[(٤)].

٢- ويأتي بمعنى العبادة:

ويأتي لفظ الإلاهة والألوهة والألوهية بمعنى العبادة أيضاً، وقد قرئ:﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾[الأعراف: ١٢٧]، وقرأ ابن عباس: ويذرك وإلاهتك، بكسر الهمزة، أي وعبادتك؛ وهذه الأخيرة عند ثعلب كأنها هي المختارة، قال: لأن فرعون كان يُعْبَدُ وَلَا يَعْبُدُ،، فهو على هذا ذو إلاهة لا ذو آلهة، والقراءة الأولى أكثر والقراء عليها[(٥)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة – لابن فارس، (١/١٢٧).

(٢) انظر تفسير الطبري (١/ ١٢٣).

(٣) انظر تاج العروس (١٩/٦).

(٤) انظر لسان العرب (١٣/٤٦٧)، وتاج العروس (١٩/٧)، مختار الصحاح (١/٢٠.

(٥) انظر لسان العرب (١٣/٤٦٨).

والألوهية معناها: العبادة، يقال: أَلَهَ يألَهُ: بمعنى: عبَد يعبُد، فالألوهية معناها: العبادة[1].

٣- ويأتي بمعنى تحير:

قال ابن الأثير[2]: ((هو مأخوذ من إله، وتقديرها فعلانية، بالضم، تقول إله بين الإلهية والألهانية، وأصله من أله يأله إذا تحير، يريد إذا وقع العبد في عظمة الله وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرف وهمه إليها أبغض الناس حتى لا يميل قلبه إلى أحد))[3].

وقيل: أصله وله يوله ولها، ومنه اشتق اسم الجلالة لأن العقول تأله في عظمته، أي تتحير[4].

٤- ويأتي بمعنى الفزع والجزع:

يقال: أله على فلان: إذا اشتد جزعه عليه، مثل وله؛ وقيل: هو مأخوذ من أله إليه إذا فزع ولاذ، لأنه سبحانه المفزع الذي يلجأ إليه في كل أمر[5].

إذاً يتبين لنا من خلال ذلك أنّ معاني الإله والألوهية كلها ترجع لمعنى العبادة والعبودية في كلام العرب، سواءً كان هذا المعبود هو الحق أو غير ذلك.

ثالثاً: معاني الألوهية في الاصطلاح.

فإنّ معنى الألوهية في الاصطلاح لا يختلف كثيراً عن معناه في اللغة، حيث فسر **إمام المفسرين ابن جرير الطبري** – رحمه الله– الإله: بالمعبود، والألوهية بالعبادة[6].

يقول ابن جرير الطبري – رحمه الله– **في تفسير قوله تعالى:** ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٣]، ((معبود الناس، الذي له العبادة دون كل شيء سواه.))[7].

---

(١) انظر إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد – صالح الفوزان (١٨/١).

(٢) هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، ولد سنة: ٥٤٤هـ، وتوفي في إحدى قرى الموصل عام: ٦٠٦هـ، وله مصنفات كثيرة، منها: منها: جامع الأصول في أحاديث الرسول، والنهاية في غريب الحديث والأثر، وكتاب الإنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف في تفسير القرآن الكريم، انظر وفيات الأعيان (١٤١/٤)، وسير أعلام النبلاء (٢١/ ٤٨٨)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٧٢).

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٦٢/١).

(٤) انظر تاج العروس من جواهر القاموس (٨/١٩).

(٥) انظر المرجع السابق (٨/١٩).

(٦) انظر تفسير الطبري (١٢٢/١ – ١٢٦).

(٧) المرجع السابق (٢٤/ ٧٠٩).

وقد فسر القاضى عياض[1] الألوهية بالعبادة فقال:((قال بعضهم: قال الله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١]، ثم بين التفصيل فقال: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[هود:٢]، فهذا فصل الألوهية))[2].

ولا شك أنَّ المعبود الحق هو الله وحده لا شريك له، **ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية** – ﷺ –:((والإله هو المألوه أي المستحق لأن يؤله، أي: يعبد ولا يستحق أن يؤله ويعبد إلاَّ الله وحده وكل معبود سواه من لدن عرشه إلى قرار أرضه باطل وفعال بمعنى مفعول مثل لفظ الركاب والحمال؛ بمعنى المركوب والمحمول))[3].

وبذلك يظهر لنا جلياً تعريف توحيد الألوهية: وهو إفراد الله – ﷻ – بالعبادة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –:((وتوحيد الألوهية: أن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا فيطيعه ويطيع رسله، ويفعل ما يحبه ويرضاه))[4].

ويقول ابن القيم– ﷺ –:((توحيد الألوهية: هو عبادته وحده لا شريك له))[5].

يقول العلامة السعدي – ﷺ –:((توحيد الإلهية ويقال له: توحيد العبادة: وهو العلم والاعتراف بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين لله وحده))[6].

والعبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة؛ فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك حب الله ورسوله،

---

(١) هو أبو الفضل القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السّبتيّ المالكي الحافظ، أحد الأعلام. ولد سنة: ٤٧٦هـ، وتوفي، سنة: ٥٤٤هـ، وقد صنف التصانيف المفيدة منها: الإكمال في شرح كتاب مسلم، والشفا بتعريف حقوق المصطفى، وشرح صحيح مسلم، اولإعلام بحدود قواعد الإسلام، وغيرها. انظر وفيات الأعيان (٤٨٣/٣)، وشذرات الذهب (٢٢٦/٦)، وسير أعلام النبلاء (٢١٢/٢٠)، والأعلام للزركلي (٩٩/٥).

(٢) شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المسَمَّى إِكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم – عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، (١٧٩/٣)، ت: د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، ن: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

(٣) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٧٦/١، ٢٠٢/١٣).

(٤) الفتاوى الكبرى – لابن تيمية (٤٢١/٢)، ومجموع الفتاوى (٦٦٩/١٠).

(٥) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – لابن قيم الجوزية ص٤٦.

(٦) القول السديد – للسعدي، ص١٩.

وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله [(١)].

إذاً توحيد الألوهية عند أهل السنة والجماعة: هو إفراد الله بالعبادة وترك عبادة من سواه، أو يعبر عنه بأنه هو إفراد الله تعالى بأفعال العباد، قلبية كانت أو بدنية، فالبدنية: كالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج... والقلبية: كالمحبة والخوف لخوف والرجاء والخشية والإنابة ونحو ذلك [(٢)].

رابعاً: مفهوم الألوهية عند طنطاوي جوهري.

قد يحصل للناظر من الوهلة الأولى في أقوال طنطاوي جوهري – ﷺ – في تفسيره لمعنى الألوهية بعض اللبس والغموض، لما يرى في فهمه لمعنى الإله والألوهية من اضطراب وتأرجح في ذلك، تجده يفسرها مرة بالوحدانية، وتارة يعرفها بالعبودية أي المعبود.

فلهذا كله كان لزاماً علينا حصر أقواله في كلا الجانبين، حتى يتضح لنا مقصده ومراده من لفظ الألوهية.

أولاً/ تفسير طنطاوي الألوهية بالوحدانية تصريحاً أو تلميحاً أثناء تفسيره لأغلب الآيات الواردة في ذكر الألوهية – الدالة على أنّ الله – ﷻ – هو المعبود الحق الذي يستحق العبادة دون سواه –، والوحدانية التي يقصد بها طنطاوي هي: إفراد الله – ﷻ – بالخلق والملك والتدبير لهذا الكون.

غير أنّ المفسرين وإن فسروا الإله بالوحدانية لدلالة سياق الآية عليها مثلاً؛ لا يهملون الإشارة إلى المعنى الصحيح الذي هو العبادة، وهذا ما لم يفعله طنطاوي في تفسيره للإله، وهذه جملة من أقواله في المسألة على سبيل المثال لا الحصر.

يقول طنطاوي جوهري – ﷺ – عند تفسير قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ((﴿ ٱللَّهُ ﴾ – ﷻ –، وأنه واحد لا شريك له ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ وهو ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾ .... لما اتصف – ﷻ – بالوحدانية والحياة وأنه قائم بتدبير كل شيء على الارتقاء في الوصف من توحده وانفراده وحياته وقيوميته على كل شيء بالتدبير...)) [(٣)]، الشاهد في ذلك هو تفسيره لكلمة الشهادة بالوحدانية.

---

(١) انظر الفتاوى الكبرى – لابن تيمية (٥/١٥٤).

(٢) انظر إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١/٢٠).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٢٧٤).

وأما ابن جرير الطبري – ﷺ– قد فسر الإله بالعبودية في هذه الآية، قال: ((وأما تأويل قوله:"لا إله إلا هو" فإن معناه: النهي عن أن يعبد شيء غير الله الحي القيوم الذي صفته ما وصف به نفسه تعالى ذكره في هذه الآية. يقول:"الله" الذي له عبادة الخلق="الحي القيوم"، لا إله سواه، لا معبود سواه، يعني: ولا تعبدوا شيئا سوى الحي القيوم الذي لا يأخذه سنة ولا نوم)) (١).

وفي موضع آخر يقول طنطاوي – ﷺ – : في تفسير قوله تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، ((فالله يشهد بوحدانيته)) (٢).

وقال – ﷺ –: ((شهد الله والملائكة وأولوا العلم أنَّ الدين عند الله الإسلام، بسبب أنه واحد في ذاته وصفاته وأفعاله، حال كونه قائماً بالعدل في المخلوقات كلها، فتصير وحدانيته وتوحيد أفعاله بالعدل في هذا النظام سبباً في أنَّ الله شهد بأنّ الدين إنما هو الإسلام، وأنّ العلماء والملائكة شهدوا بذلك، أي لأنهم شهدوا الوحدة في هذا الوجود، والوحدة يصحبها العدل، لأنَّ العدل وحسن النظام أثر وحدة الخالق جلّ وعلا)) (٣).

غير أنّ طنطاوي قد تطرق للوحدانية فقط في تفسير هذه الآية؛ و لم يشر إلى معنى الألوهية الصحيح الذي قال به أهل التفسير، يقول ابن جرير الطبري – ﷺ– في تفسير هذه الآية: ((فإنه نفى أن يكون شيء يستحق العبودة غير الواحد الذي لا شريك له في ملكه)) (٤).

وقال طنطاوي جوهري – ﷺ –: ((إذا كانت هذه العوالم ناجمة عن مادة واحدة، كان فاعلها واحداً، فإنَّ ناظم القصيدة وقائل الخطبة يكون واحداً فاعلاً بأعضاء فمه في الهواء أفعالاً مقصودة ينتج منها ذلك القول المسموع المنتظم، فهذا العالم المنظم المكون من حركات، صانعه واحد، وهذا هو برهان التوحيد، لأن الآية مسوقة للوحدانية ثم استدل بقوله تعالى ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣])) (٥).

---

(١) تفسير الطبري (٣٨٦/٥).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٢٩/١١).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٦٤/٣).

(٤) تفسير الطبري (٢٧١/٦)،

(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٧٤/١).

وقال- ﷺ -: في تفسير هذه الآية ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ ((تقرير للوحدانية....ولا جرم أنّ الجسم الواحد مدبره واحد، فارتباط العوالم واستمدادها يدل على أنّ مدبرها واحد...فها هو ذا يقول: إلهكم إله واحد، ولن تستشعروا هذه الوحدة إلاَّ إذا قرأتم العلوم وعشتم بها، وصورت في عقولكم شكلاً منظماً كما وضعناه، فتدركون مزاجه وجسده، ومن تعرفون أنّ المدبر واحد.

ثم افتتح فصلاً إيضاحيا بقوله إيضاح الكلام على قوله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ وصدر فيه بقوله أما الوحدانية فقد عرفناها فيما رأيت من النظام في أحوال العالم... إلخ)) (١).

وطنطاوي لم يشر إلى معنى العبادة والعبودية في هذه الآية لا تصريحاً ولا تلميحاً، وأما **ابن جرير الطبري – ﷺ– قد فسر الإله بالعبودية، مع إشارته إلى الوحدانية بقوله:** ((والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة له، ويستوجب منكم العبادة، معبود واحد ورب واحد، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه سواه، فإن من تشركونه معه في عبادتكم إياه، هو خلق من خلق إلهكم مثلكم، وإلهكم إله واحد، لا مثل له ولا نظير)) (٢).

ويقول طنطاوي- ﷺ - في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ٦٢] ((وليس ثالث ثلاثة... لا أحد يساويه في القدرة التامة، والحكمة البالغة، فإذن ليس له شريك)) (٣).

وأما ابن جرير الطبري – ﷺ– قال في تفسير هذه الآية: ((واعلم أنه ليس للخلق معبود يستوجب عليهم العبادة بملكه إياهم إلا معبودك الذي تعبده، وهو الله العزيز الحكيم.)) (٤).

ويقول طنطاوي - ﷺ - في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ ﴾ [الأنعام: ٤٦] ((فإنهم لو فكروا فيها لعلموا أنّ السمع والبصر والقلب وما يشعر به كل واحد من نفسه لا يخلقه سوى الله تعالى)) (٥).

وأما ابن جرير الطبري – ﷺ– يفسر الإله بقوله: ((أي إله غير الله الذي له عبادة كل عابد ="يأتيكم به"، يقول: يرد عليكم ما ذهب الله به منكم من الأسماع والأبصار

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٥٩).

(٢) تفسير الطبري (٣/٢٦٥، ٥/٣٨٦، ٨/ ٥٩٢).

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن (٢/١٥٣).

(٤) تفسير الطبري (٦/٤٧٦).

(٥) انظر الجواهر في تفسير القرآن (٤/٣٦).

والأفهام، فتعبدوه أو تشركوه في عبادة ربكم الذي يقدر على ذهابه بذلك منكم، وعلى رده عليكم إذا شاء؟))[1].

وكذلك فسر طنطاوي- ﷺ -: الإله بالوحدانية في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] **قال**: ((له ملك السموات والأرض وهو المتصرف في الوجود وحده))[2].

وأما ابن جرير الطبري – ﷺ– يفسر الإله بالعبادة بقوله: ((لا ينبغي أن تكون الألوهة والعبادة إلا له جل ثناؤه، دون سائر الأشياء غيره من الأنداد والأوثان، إلا لمن له سلطان كل شيء، والقادر على إنشاء خلق كل ما شاء وإحيائه، وإفنائه إذا شاء إماتته))[3].

وقال أيضاً: – ﷺ – في تفسير قوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٤]، ((فيها دلالة على وجود الله ووحدانيته...))[4].

وقد فسر جرير الطبري – ﷺ– الإله بالعبادة بقوله: ((وأيقنوا أيضا أن لا معبود يستحق الألوهة على الخلق إلا الله الذي له الخلق والأمر، فاخلعوا الأنداد والآلهة، وأفردوا له العبادة.))[5].

وفي تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [النحل: ٥١]، **قال طنطاوي** – ﷺ – :((إلهين وإله: دلّ كل منهما على الجنسية وعلى العدد المخصوص، فإذا أريد الدلالة على أنّ المقصود منهما العدد أتى بما يؤكده ليدل به على القصد إليه والعناية به، ولو قلت إنما هو إله بلا تأكيد، خيّل أنك تثبت الألوهية لا الوحدانية))[6].

وأما ابن جرير الطبري – ﷺ– يفسر الإله بالعبادة بقوله: ((وقال الله لعباده: لا تتخذوا لي شريكا أيها الناس، ولا تعبدوا معبودين، فإنكم إذا عبدتم معي غيري جعلتم لي شريكا، ولا شريك لي، إنما هو إله واحد ومعبود واحد))[7].

---

(١) تفسير الطبري (١١/٣٦٥).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن (٤/٢٧٤).

(٣) تفسير الطبري (١٣/١٧٠).

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن (٦/١٦٠).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٢٦١).

(٦) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨/١٣٨).

(٧) تفسير الطبري (١٧/ ٢٢٠).

قال- ﷺ - في معرض ذكره لصفات عباد الرحمن عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ((يوحدون الله))[(١)] .

وأما ابن جرير الطبري – ﷺ– يفسر الإله بالعبادة بقوله: ((والذين لا يعبدون مع الله إلها آخر، فيشركون في عبادتهم إياه، ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة))[(٢)] .

ويستدل طنطاوي - ﷺ - على الوحدانية في تفسير قوله تعالى ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾ [النمل: ٦٠]، ((فقد اتحدت الأسباب السماوية والأرضية، وتعاونت على رزق الإنسان والحيوان، ولا يصح هذا الاتحاد إلاّ إذا كان الصانع واحداً، ولو تعدد فكان لكل إله عمل من هذه الأعمال لم تكن النتيجة كما هي حاصلة بهذا الوحدة، لأن اختلاف المدبرين يقتضي اختلاف النتائج، والنتائج متحدة متعاونة. إذاً الإله واحد))[(٣)] .

وأما ابن جرير الطبري – ﷺ– يفسر الإله بالعبادة بقوله: ((أمعبود مع الله أيها الجهلة خلق ذلك))[(٤)] .

ويقول طنطاوي - ﷺ - في تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠] ((جاء في هذه الآية أنّ الله واحد، وأنه محمود أولاً ومحمود آخرا، وأنه سبحانه له الحكم وأنّ المرجع إليه))[(٥)] .

وأما ابن جرير الطبري – ﷺ– يفسر الإله بالعبادة بقوله: ((يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد، المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا معبود تجوز عبادته غيره))[(٦)] .

ثانياً/ تفسيره للألوهية بالعبودية أي بمعنى المعبود، وأنّ الله هو المستحق للعبادة دون سواه، وإليكم بعضاً من أقواله في ذلك على سبيل التمثيل والتدليل لا الحصر.

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٨١/١٢).
(٢) تفسير الطبري (١٩/ ٣٠٣).
(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٥٥/١٣).
(٤) تفسير الطبري (١٩/ ٤٨٤).
(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦٢/١٤).
(٦) تفسير الطبري (١٩/ ٦١٢).

قال طنطاوي – ﷺ – في تفسير هذه الآية ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ ((خطاب عام، أي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح أن يعبد، ويسمى إلهاً))[1].

وقد فسر طنطاوي – ﷺ – الإله بالمعبود فقال في معرض تفسير قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ [الأنعام: ٧٤]، ﴿ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ﴾ ((تعبدها من دون الله))[2].

وكذلك فسر **طنطاوي** – ﷺ – الإله بالمعبود في تفسير قوله تعالى ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، ((لأن الله لا نراه وهذه نراها فنعبدها لتقربنا إلى الله زلفى... ثم قال عند قوله تعالى ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾ [الأعراف: ١٤٠]، ((أطلب لكم معبوداً))[3]، ففسر الإله بالمعبود في هذه الآية.

وكذلك فسر **طنطاوي** – ﷺ – الإله بالمعبود في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١]، ((أي: تعالى الله وتنزه عن أن يكون له شريك في العبادة))[4].

وكذلك فسر **طنطاوي** – ﷺ – الإله بالمعبود في تفسير قوله تعالى ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [هود: ٦١]، ((أي وحدوا الله وخصوه بالعبادة فهو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام))[5].

وكذلك فسر **طنطاوي** – ﷺ – الإله بالمعبود في تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [هود: ٨٤]، ((أي: وحدوا الله ولا تعبدوا معه غيره))[6].

وكذلك فسر **طنطاوي** – ﷺ – الإله بالمعبود في تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ [مريم: ٤٦]، ((أي: أترغب عن عبادتها))[7].

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٥٩).
(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٦٦).
(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٢٤٦).
(٤) المرجع السابق (٥/١١٦).
(٥) انظر المرجع السابق (٦/٢٠٢).
(٦) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦/٢٠٥).
(٧) المرجع السابق (١٠/٤٣).

وكذلك فسر **طنطاوي** - ﷺ - الإله بالمعبود في تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨]، ((أي ﴿ إِلَٰهُكُمُ ﴾ المستحق لعبادتكم ﴿ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ إذ لا أحد يماثله)) (١).

وكذلك فسر **طنطاوي** - ﷺ - الإله بالمعبود في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٢٩]، ((الذين وضعوا الألوهية والعبادة في غير موضعها متبعين في ذلك وسوسة إبليس)) (٢).

وكذلك فسر **طنطاوي** - ﷺ - الإله بالمعبود في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [المؤمنون:٢٣] ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾ ((وحدوا الله ﴿ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ مالكم معبود سواه)) (٣).

وكذلك فسر **طنطاوي** - ﷺ - الإله بالمعبود في تفسير قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [غافر:٦٢]، ((فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره)) (٤).

ويقول طنطاوي - ﷺ - في تفسير قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ((أي: وهو الذي في السماء معبود وفي الأرض معبود لا إله إلاّ هو، وإنما قلنا:))هو في السماء)) لأجل صناعة الإعراب، وقلنا: ((معبود)) بدل ((إله))ليكون مشتقاً يتعلق الظرف به ﴿ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ﴾في إبداعه وصنعه في السماوات ﴿ ٱلْعَلِيمُ ﴾ بجميع النتائج والمقدمات، والأسباب والمسببات، بحيث تخللت الحكمة التي قرنت بالعلم كل رطب ويابس وجليل وحقير، وهذا هو الذي يبرهن أنه المستحق للعبادة في السماوات وفي الأرض، لأنَّ من يشاهد إتقان الحكمة فيهما يجد نظاماً واحداً وحكمة متسقة)) (٥).

وكذلك فسر **طنطاوي** - ﷺ - الإله بالمعبود في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ [الناس:٣]، ((أي: معبودهم)) (٦).

---

(١) المرجع السابق (١٠/١٥٨).
(٢) انظر المرجع السابق (١٠/٢٢٨).
(٣) المرجع السابق (١١/١٥٣).
(٤) المرجع السابق (١٩/٢٦).
(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٠/١٨٩).
(٦) المرجع السابق (١٩/٢٦).

وبعد التتبع والاستقراء لأقواله في المسألة تبين لنا أنَّ طنطاوي – ﷺ – في أغلبها يفسر الإله بمعنى المعبود إن كان مجردا عن النفي والاستثناء، وأما إن كان لفظ الإله مقروناً بالنفي والاستثناء فإنه يفسرها بالوحدانية – أي: بالربوبية –، إلاّ أنّه قد خالف طريقته تلك في موضعين اثنين:

١– في موضع فسر كلمة الشهادة على طريقة المتكلمين وقال: بأنّ معناه لا خالق إلاّ الله، وذكر ذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [الدخان: ٨] ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾، ((إذ لا خالق سواه))[(١)] .

٢– وفي موضع آخر قد وافق فيه طنطاوي – ﷺ – مذهب أهل السنة والجماعة في تفسيره لكلمة الشهادة بالمعبود، فقال أنّ معنى لا إله إلاّ الله، أي: لا معبود بحق موجود إلاّ الله، وبين ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد: ٣٠]، ((﴿قُلۡ هُوَ رَبِّي﴾ أي الرحمن خالقي ومتولى أمري ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لا معبود بحق سواه))[(٢)] .

وبذلك نجد طنطاوي جوهري – ﷺ – متأرجحاً ومضطرباً في مفهومه لمعنى الألوهية بين مذهب أهل السنة والجماعة وبين المتكلمين، ولم يثبت على أحد القولين في ذلك.

يقول الإمام ابن جرير الطبري – ﷺ– في بيانه لمعنى الإله: ((والله الذي له الألوهة في السماء معبود، وفي الأرض معبود كما هو في السماء معبود، لا شيء سواه تصلح عبادته؛ يقول تعالى ذكره: فأفردوا لمن هذه صفته العبادة، ولا تشركوا به شيئا غيره.))[(٣)] .

ويقول البيهقي[(٤)] – ﷺ – :((فمعنى الإله: المعبود ، وقول الموحدين: لا إله إلا الله معناه لا معبود غير الله))[(٥)] .

---

(١) المرجع السابق (١٥/٢١).

(٢) انظر المرجع السابق (١٨٢/٧).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٦٥٣).

(٤) هو أبو بكر احمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخسروجردي الفقيه الشافعي الحافظ الكبير المشهور، ولد سنة: ٣٨٤هـ، وتوفي سنة:٤٥٨هـ، وله مصنفات كثيرة، منها: السنن الكبرى، والسنن الصغرى، والمعارف، والأسماء والصفات، ودلائل النبوة، والآداب، والترغيب والترهيب، والمبسوط، وغيرها. انظر وفيات الأعيان (٧٥/١)، وشذرات الذهب (٢٤٨/٥)، سير أعلام النبلاء (١٦٣/١٨)، والأعلام للزركلي (١١٦/١).

(٥) الأسماء والصفات – أبو بكر البيهقي (٥٦/١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ–: ((والإلهية المذكورة في كتاب الله، هي العبادة والتأله، ومن لوازم ذلك: أن يكون هو الرب الخالق، وأما ما يظنه طوائف من أهل الكلام، أنَّ الألوهية هي نفس الربوبية، وأنَّ ما ذكر في القرآن من نفي إله آخر والأمثال المضروبة البينة، فالمقصود به: نفي رب يشركه في خلق العالم كما هو عادتهم في كتب الكلام، فهذا قصور وتقصير منهم في فهم القرآن، وما فيه من الحجج والأمثال أتوا فيه من جهة أنَّ مبلغ علمهم هو ما سلكوه من الطريقة الكلامية فاعتقدوا أنَّ المقصودين واحد وليس كذلك، بل القرآن ينفي أن يعبد غير الله أو أن يتخذه إلها فيحبه ويخضع له محبة الإله وخضوعه)) [(١)].

وخلاصة القول: أنّ تعريف توحيد الألوهية عند أهل السنة والجماعة: هو إفراد الله – ﷻ – بالعبادة، والإخلاص فيها وترك عبادة من سواه، وانَّ معنى كلمة التوحيد "لا إله إلا الله" لا معبود بحق حقيق سوى الله – ﷻ –، وليس معناه: لا خالق إلاَّ الله كما قال أهل البدع [(٢)].

وطنطاوي جوهري – ﷺ– لم يتطرق في تفسيره ولا في مؤلفاته عموماً لموضوعات توحيد الألوهية إلاّ النزر اليسير من ذلك، ربما كان ذلك الاهمال منه نتيجة لشدة حرصه واعتنائه بالعلوم الحديثة.

وأما مفهومه لمعنى الألوهية وكلمة التوحيد فهو فيه متأرجح ومضطرب بين القول بمذهب أهل السنة والجماعة – لا معبود بحق إلاَّ الله – وبين قول المتكلمين القائلين بأنّ معناها: – لا خالق إلاَّ الله –وقوله هذا هو الأقرب لمفهومه لمعنى الإله والألوهية والله أعلم، وذلك لما حصل له من التشابه والتقارب في منهجه بمنهج المتكلمين مع مسائل التوحيد، وهو الاهتمام البالغ والعناية الفائقة بمسألة وجود الله والربوبية، وعدم التركيز على توحيد الألوهية ومسائله، وهو بذلك قد خالف طريقة أهل السنة والجماعة في عرضهم لمسائل التوحيد.

---

(١) جامع الرسائل – لابن تيمية (٢/٢٠٠).

(٢) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد (١/٤٤٢)، وشرح القواعد الأربع – محمد بن عبد الوهاب، ص١٥.

المبحث الثاني: العبادة

أولاً: تعريف العبادة لغة واصطلاحاً:

العبادة في اللغة: هي التذلل والخضوع.

قال ابن فارس[(١)]: ((العين والباء والدال أصلان صحيحان، كأنهما متضادان، والأول من ذينك الأصلين يدل على لين وذل، والآخر على شدة وغلظ.

قال: وأما عبد يعبد عبادة فلا يقال إلاَّ لمن يعبد الله تعالى. يُقَالُ مِنْهُ عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً، وَتَعَبَّدَ يَتَعَبَّدُ تَعَبُّدًا. فَالْمُتَعَبِّدُ: الْمُتَفَرِّدُ بِالْعِبَادَةِ))[(٢)].

ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع. ويقال طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء، وبعير معبد إذا كان مطليا بالقطران[(٣)].

وأصل العبودية هو الخضوع والذل، و (التعبيد) التذليل، و (العبادة) الطاعة، و (التعبد) التنسك[(٤)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – ((والعبادة أصل معناها: الذل أيضا يقال طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام.

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهى تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له))[(٥)].

والعبادة في الاصطلاح: تطلق على شيئين:

---

(١) هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرازي، اللغوي، بل هو من أئمة اللغة والأدب، ولد سنة: ٣٢٩هـ، وتوفي في الريّ هام: ٣٩٥هـ، من تصانيفه: مقاييس اللغة، والمجمل ،وغيرها. وفيات الأعيان (١/١١٨)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣)، والأعلام للزركلي (١/١٩٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٤/٢٠٥).

(٣) انظر تهذيب اللغة (٢/١٣٨)، ولسان العرب (٣/٢٧١)، ومختار الصحاح، ص١٩٨.

(٤) انظر لسان العرب (٣/٢٧١)، ومختار الصحاح، ص١٩٨.

(٥) العبودية – لابن تيمية، ص٤٨.

الأول: الفعل بمعنى التعبد: أي: أن يخضع العبد ويتذَلَّلَ لله – ﷻ – بفعل أوامره واجتناب نواهيه؛ محبة وتعظيما[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ((**والعبادة**: اسم يجمع غاية الحب له وغاية الذل له فمن ذل لغيره مع بغضه لم يكن عابدا ومن أحبه من غير ذل له لم يكن عابدا والله سبحانه يستحق أن يحب غاية المحبة؛ بل يكون هو المحبوب المطلق الذي لا يحب شيء إلا له وأن يعظم ويذل له غاية الذل؛ بل لا يذل لشيء إلا من أجله))[(٢)].

وابن القيم عرف العبادة بأنها كمال المحبة مع غاية الذلِّ لله – ﷻ – فقال – رحمه الله –:
((وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان))[(٣)].

ويقول الشيخ السعدي – رحمه الله – ((**العبادة** روحها وحقيقتها: تحقيق الحب والخضوع لله فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة، فإن حقيقتها الذل والانكسار لله ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها))[(٤)].

الثاني: المفعول بمعنى المتعبد به، وهي الأعمال الصالحة، كالصلاة والزكاة والصيام...، ففعل هذه الأعمال عبادة باعتبار الفعل وهو التعبد، وهي نفسها عبادة باعتبار المتعبد به.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – ((**العبادة**: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث وأداء الأمانة؛ وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

---

(١) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد – لابن عثيمين (١/١٤).
(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (١٥/١٦٢).
(٣) متن القصيدة النونية – ابن قيم الجوزية، ص٣٥، والكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم) – لابن القيم، (١/١٧٩).
(٤) الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية –للسعدي، ص١١٦.

وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضا بقضائه؛ والتوكل عليه؛ والرجاء لرحمته والخوف لعذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله))[1].

وقال **الشيخ السعدي** – رحمه الله – في ذلك ((**العبادة والعبودية لله:** اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد وأعمال القلوب وأعمال الجوارح، فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال والتروك فهو عبادة؛ ولهذا كان تارك المعصية لله متعبدا متقرباً إلى ربه بذلك))[2].

وطنطاوي جوهري – رحمه الله– في الجملة قد وافق أهل السنة والجماعة في معنى العبادة، وفسرها على المعنى الأول، أي: بمعنى التعبد وهو التذلل والخضوع لله – سبحانه وتعالى – بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

فقال طنطاوي جوهري – رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ [الفاتحة:٥] ((فجميع المحامد التي يفوّه بها الناس لمحسنين راجعة إليه، لأنه المحسن الحقيقي، وفوق الحمد يختص بالعبادة التي غاية الخضوع ، ومنه طريق معبد: أي مذلل... ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أي: نخصك بالعبادة والخضوع فضلاً عن الحمد... وصل القارئ إلى آخر درجات التقرب، وهو الخضوع والتذلل))[3].

ثانياً: شروط العبادة:

المسلم إذا تقرب إلى الله – عز وجل – بالعبادة والطاعة، فعبادته هذه لا تقبل عند الله إلاَّ إذا توفر فيها شرطان وهي:

١– إخلاص النية لله – عز وجل – دون سواه في تلك العبادة، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام:١٦٢]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة:٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل:٢٠]، والآيات في هذا كثيرة.

٢– متابعة النبي – صلى الله عليه وسلم – في القول والفعل، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ

---

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٠/١٥٠)، والعبودية، ص٤٤، والفتاوى الكبرى (٥/١٥٤).

(٢) تفسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن – للسعدي، ص٣٦٠.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٢٢).

﴿ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧].

وفي صحيح مسلم عن عائشة – ﵂ – أن رسول الله – ﷺ – قال: ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) (١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﵀ – ((وجماع الدين أصلان: ألا نعبد إلاَّ الله، ولا نعبده إلاَّ بما شرع لا نعبده بالبدع.

كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وذلك تحقيق الشهادتين: شهادة أن لا إله إلاَّ الله وشهادة أن محمد رسول الله.

ففي الأولى: ألا نعبد إلاَّ إياه.

وفي الثانية: أنَّ محمداً هو رسوله المبلغ عنه فعلينا أن نصدق خبره ونطيع أمره)) (٢).

ويقول ابن القيم – ﵀ –:((فإنَّ الله لا يقبل من العباد إلاَّ ما كان له خالصاً، والأعمال أربعة: واحد مقبولٌ، وثلاثةٌ مردودة؛ فالمقبولُ ما كان لله خالصاً وللسنة موافقاً، والمردود ما فقد منه الوصفان أو أحدهما)) (٣).

وطنطاوي جوهري – ﵀ – أشار إلى شروط العبادة ضمناً في تفسيره غير أنه لم يفصل فيها، حيث تطرق إلى جانب من شروط العبادة، وهو الشرط الأول: الإخلاص في العبادة.

قال طنطاوي جوهري – ﵀– عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، ((أي: هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة من كل شائبة)) (٤).

وقال – ﵀– عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ﴾ [ص:٤٦]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور) (١٣٤٣/٣)، (١٧١٨).

(٢) العبودية – لابن تيمية، ص١٤٨، ومجموع الفتاوى (١٠/ ٢٣٤)، والفتاوى الكبرى (٥/ ٢١٦).

(٣) إعلام الموقعين عن رب العالمين – لابن قيم (٢/ ١٢٤).

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٨٢/١٨).

دِينِي﴾ [الزمر:١٤] ((ومن هذه الست أنه أمر أن يعبد مخلصاً الدين لله، وأن يعلن أنه أمر بذلك، وأن يعلن نفس هذه العبادة مع الإخلاص... ولا إخلاص إلاّ مع الحب))[(١)].

قال طنطاوي جوهري – رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، ((أخلصه وأصوبه))[(٢)].

وقد وافق طنطاوي جوهري – رحمه الله– ما قاله الفضيل بن عياض[(٣)] – رحمه الله– في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، قال: ((أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟. فقال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا، لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً.

والخالصُ: أن يكون لوجه الله، **والصوابُ**: أن يكون متبعاً فيه الشرع والسنة))[(٤)].

وأما عن الشرط الثاني من شروط العبادة، وهو وجوب متابعة النبي – ﷺ – في العبادة، أشار إليه في الفقرة السابقة، وذكر ذلك في موضع آخر، **فقال طنطاوي جوهري** – رحمه الله– عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ((أي: واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي – ﷺ – والعمل بسنته... اعلم أنّ هذه الآية لا مجال للشك فيها أن ما ترمي إليه إنما هو فيما يبدوا للقارئ أنَّ من اتبع نبينا رسول الله – ﷺ –، وقد جاء وصفه في التوراة والإنجيل فإنه ناج، ومن كفر به من النصارى واليهود مع ثبوت وصفه في كتابيهما المقدسين فإنه داخل النار، لأنه جحد حقيقة لمجرد الشهوات الدنيوية والعناد والحسد وحب الرياسة أو التقليد الأعمى))[(٥)].

وقد بحثت عن قوله في شرحه للآيات التي تحث فيها على متابعة النبي – ﷺ – ، لكنه لم يتطرق فيها عن ذلك.

---

(١) انظر المرجع السابق (١٧/١٧٤).

(٢) المرجع السابق (٢٤/٢٢٤).

(٣) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل، الفنديني، الخراساني، المجاور بحرم الله، الزاهد المشهور أحد رجال الطريقة، ولد: بسمرقند، عام: ١٠٥هـ، وتوفي بمكة عام: ١٨٧هـ. انظر سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢٢)، وفيات الأعيان (٤/٤٧)، والأعلام للزركلي (٥/١٥٣).

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – أبو نعيم الأصبهاني، (٨/٩٥)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١/٣٣٣، ٢٦/١٥١)، و مدارج السالكين (١/١٠٥).

(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٢٥٥).

كتفسير لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمـــران:٣٢]، وفي معرض تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ قد أحال المؤلف تفسير هذه الآية إلى قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [آلبقرة:١٦٥]، وبعد النظر لما أحيل إليه طنطاوي[(١)]، وجدتُ أنَّ حديثه في هذا الموضع لا يَمتُّ بأي صلة للآية المراد منه تفسيرها وشرحها، فكان كلامه هنا عن الحب والعشق والشوق وحب الله بالنظر للعوالم والمشاهدات ودراسة العلوم بالحب...[(٢)]، ومعلوم أنّ دلالة الآية لا تدل على ذلك، بل إنها تدل على اتباع – ﷺ – كما ذكر ذلك المفسرون من أهل السنة والجماعة[(٣)].

وخلاصة القول: أنّ طنطاوي جوهري – رحمه الله – قد أقرَّ ما قرَّره أهل السنة والجماعة في شروط العبادة بالجملة، منْ أنّ الله لا تقبل أعمال العباد بعد الإيمان إلاّ إذا كان مخلصاً لله – ﷻ –، وعلى وفق ما جاء به النبي محمدٌ – ﷺ – قولاً وفعلاً وحالاً.

---

(١) المرجع السابق (٢/٩٢).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٨٨).

(٣) انظر تفسير هذه الآية عند الطبري (٦/٣٢٣)، وتفسير (ابن كثير) (٢/٢٦)، و تفسير السعدي، ص١٢٨، وأضواء البيان (١/١٩٩).

المبحث الثالث: معنى الطاغوت

أولاً: تعريف الطاغوت في اللغة:

الطاغوت: مشتقٌ من **طَغَا يَطْغَى** – بفتح الغين فيهما – **وَيَطْغُو طُغْيَانًا وَ طُغْوَانًا**، أي: جاوز الحد. وكل مجاوز حده في العصيان **طَاغٍ وَ طَغِيَ** بالكسر مثله.

وَالطَّاغُوتُ: الكاهن، والشيطان المارد من الجن، وكل رأس في الضلال، والصارف عن طريق الخير، وجمعه طواغيت [(١)].

وقيل: أصله طغووت ولكن قلب لام الفعل، نحو: صاعقة وصاقعة ثم قلب الواو ألفا لتحركه وانفتاح ما قبله [(٢)].

ثانياً: تعريف الطاغوت في الشرع:

وقد اختلف السلف – رحمهم الله – في معناه الشرعي لكلمة الطاغوت، فمنهم من قال بأنّ معناه: الشيطان [(٣)]، ومنهم من قال بأنه الساحر، ومنهم من قال: بأنه الكاهن.

وابن جرير – ﷺ – جمع هذه الأقوال كلها وجعلها كقاعدة لمعنى الطاغوت **فقال**: ((والصواب من القول عندي في **الطاغوت**: أنه كل ذي طغيان على الله، فعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، وإنسانا كان ذلك المعبود، أو شيطانا، أو وثنا، أو صنما، أو كائنا ما كان من شيء)) [(٤)].

---

(١) انظر مختار الصحاح ص١٩١، ومفردات غريب القرآن، ص٣٩٧، ولسان العرب (٧/١٥)، ومعجم مقاييس اللغة، (٤١٢/٣).

(٢) مفردات غريب القرآن – أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني، ص٣٠٥.

(٣) وهذا يروى عن عمر بن الخطاب كما نقل ذلك ابن جرير في تفسيره انظر (٤١٧/٥).

(٤) تفسير الطبري (٤١٩/٥).

قال الراغب الأصفهاني[(١)] - رحمه الله-: ((والطاغوت: عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله))[(٢)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - الطاغوت: ((هو اسم جنس يدخل فيه الشيطان والوثن والكهان والدرهم والدينار وغير ذلك))[(٣)].

وفي موضع آخر يعرف الطاغوت بأنه كل ما عبد من دون الله وهو راض على ذلك، فقال: ((فالمعبود من دون الله إذا لم يكن كارها لذلك: طاغوت))[(٤)].

وقال أيضاً - رحمه الله - ((والطاغوت: كل معظم ومتعظم بغير طاعة الله ورسوله من إنسان أو شيطان أو شيء من الأوثان))[(٥)].

ويقول ابن القيم - رحمه الله-: ((والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله؛ فهذه طواغيت العالم))[(٦)].

وأما الصالحون من عباد الله إذا عبدوا من دون الله وهم غير راضين على ذلك، كالملائكة ونحو ذلك من أولياء الله الصالحين؛ فهؤلاء لا يسمى طاغوتاً[(٧)].

إذاً الطاغوت في الشرع: هو كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ في ذلك.

وقد دلت نصوص الشرع بوجوب الكفر بالطاغوت والإيمان بالله فقال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦]، بل لم يبعث الله الرسل إلاّ للقيام بهذه المهمة العظيمة وهي الدعوة إلى عبادة الله والكفر

---

(١) هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء، توفي: ٥٠٢هـ، من كتبه: محاضرات الأدباء، والذريعة إلى مكارم الشريعة، والأخلاق، وجامع التفاسير، والمفردات في غريب القرآن، وحلّ متشابهات القرآن. انظر سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠)، والأعلام للزركلي (١٥٣/٥).

(٢) مفردات غريب القرآن - للراغب الاصفهاني، ص٣٠٥.

(٣) مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (٥٦٦/١٦).

(٤) المرجع السابق (٢٠١/٢٨).

(٥) جامع الرسائل – لابن تيمية، (٣٧٣/٢).

(٦) إعلام الموقعين (١/ ٤٠).

(٧) انظر مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٥٣/٦).

بالطواغيت، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [آلبقرة:٢٥٦]،

وقد وافق طنطاوي جوهري - ﷺ- لما قرره السلف في معنى الطاغوت فقال: ((الطاغوت يطلق على كل باطل من معبود أو غيره))[(١)] .

وقال أيضاً - ﷺ- : ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ﴾ [آلبقرة:٢٥٦] ((بالشيطان أو الأصنام أو كل ما عبد من دون الله))[(٢)] .

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥٩/٣).

(٢) المرجع السابق (٢٧٨/١).

المبحث الرابع: التوكل على الله

التوكل على الله – ﷻ – نوع من أنواع العبادات القلبية وقد تطرق طنطاوي جوهري – ﷺ– في تفسيره عن هذه العبادة العظيمة، ويستحسن بنا أن نشير إلى تعريفه في اللغة والاصطلاح.

أولاً: التوكل في اللغة:

قال ابن فارس: ((الواو والكاف واللام: أصل صحيح يدل على اعتماد غيرك في أمرك. من ذلك الوكلة، والوكل: الرجل الضعيف. يقولون وكلة تكلة.

والتوكل منه: وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك. وواكل فلان، إذا ضيع أمره متكلا على غيره. وسمي الوكيل لأنه يوكل إليه الأمر))[(١)].

وقيل أصله: من أوتكل، فقلبت الواو ياء، ثم تاء وأدغمت، ويقال: توكل بالأمر، إذا ضمن القيام به.

ووكلت أمري إلى فلان: أي ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه. ووكل فلان فلانا، إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزا عن القيام بأمر نفسه))[(٢)].

إذاً التوكل معناه في اللغة هو: الالتجاء والاعتماد على الغير.

أو هو اعتماد الإنسان على الغير، واظهار عجزه عن القيام بما كلف به من أمر، ليسد عنه الخلل ويقوم مقامه.

ثانياً: التوكل في الاصطلاح:

يتجلى لنا تعريف التوكل اصطلاحاً من خلال معرفتنا لمعنى التوكل في اللغة، **فنقول: التوكل:** هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فيوجب له هذا اعتماداً عليه، وتفويضاً إليه، وطمأنينة به، وثقة به، ويقينا بكفايته لما توكل عليه فيه[(٣)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١٣٦/٦).

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٢١)،و لسان العرب (٧٣٣/١١ – ٧٣٦).

(٣) انظر التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب – د. عبد الله الدميجي، ومدارج السالكين (١٠٣/١).

وسئل الإمام أحمد- ﷺ- **عَنِ التوكل** فقال: ((هو قطع الاستشراف بالإياس من الخلق)) [(١)].

ويقول ابن القيم - ﷺ- عن معنى **التوكل** ((هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون اليها، كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه اليه وثقته به)) [(٢)].

إذاً التوكل: هو أن يعتمد العبد على الله - ﷻ - في حصول ما يطلبه ودفع ما يكرهه، مع الثقة به، وبذل الأسباب المأذون فيها [(٣)].

وطنطاوي جوهري - ﷺ- قد وافق أهل السنة والجماعة في تعريف التوكل، **فقال** - ﷺ- ((التوكل هو: تفويض الأمر إلى الله والاعتماد عليه)) [(٤)].

والتوكل على الله - ﷻ - من أعظم واجبات التوحيد ولوازم الإيمان ومقتضياته، ولا يمكن تحقيق العبادة إلاَّ به، وجعله شرطاً للإيمان [(٥)]، ولهذا أمر الله - ﷻ - عباده أن يخلصوا له وحده في التوكل دون غيره، قال الله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة:٢٣]، و قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢]، و قال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ ﴾ [الطلاق:٣].

والأخذ بالأسباب وإثبات تأثيرها لا ينافي التوكل على الله مع الاعتماد التام على مسبب الأسباب - ﷻ -، و هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في المسألة، وهو الحق الذي دلت عليه النصوص الشرعية، والدلائل العقلية [(٦)].

---

(١) طبقات الحنابلة - أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، (٤١٦/١)، ت: محمد حامد الفقي، ن: دار المعرفة – بيروت.

(٢) الفوائد – لابن القيم، ص٨٧.

(٣) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد (٨٧/٢)، القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص١٢٠.

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥٥/٧).

(٥) انظر موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة – مجموعة من الباحثين، (٨٢٨/٢).

(٦) انظر موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة – مجموعة من الباحثين، (٨٣١/٢)، والتوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب – د. عبد الله الدميجي،ص١٧٦.

قال ابن القيم – رحمه الله –:((الالتفات إلى الأسباب ضربان، أحدهما: شرك، والآخر: عبودية وتوحيد، فالشرك: أن يعتمد عليها ويطمئن إليها، ويعتقد أنها بذاتها محصلة للمقصود، فهو معرض عن المسبب لها، ويجعل نظره والتفاته مقصورا عليها.

وأما إن التفت إليها التفات امتثال وقيام بها وأداء لحق العبودية فيها، وإنزالها منازلها: فهذا الالتفات عبودية وتوحيد، إذ لم يشغله عن الالتفات إلى المسبب، وأما محوها أن تكون أسباباً: فقدح في العقل والحس والفطرة، فإن أعرض عنها بالكلية: كان ذلك قدحا في الشرع، وإبطالا له، وحقيقة التوكل: القيام بالأسباب، والاعتماد بالقلب على المسبب، واعتقاد أنها بيده، فإن شاء منعها اقتضاءها، وإن شاء جعلها مقتضية لضد أحكامها، وإن شاء أقام لها موانع وصوارف تعارض اقتضاءها وتدفعه.

فالموحد المتوكل: لا يلتفت إلى الأسباب، بمعنى أنه لا يطمئن إليها، ولا يرجوها ولا يخافها، فلا يركن إليها، ولا يلتفت إليها – بمعنى أنه لا يسقطها ولا يهملها ويلغيها – بل يكون قائما بها، ملتفتا إليها، ناظرا إلى مسببها سبحانه ومجريها، فلا يصح التوكل – شرعا وعقلا – إلا عليه سبحانه وحده))[1].

وقد وافق كذلك طنطاوي جوهري – رحمه الله – **مذهب أهل السنة والجماعة في مسألة وجوب الأخذ بالأسباب المأذون فيها مع التوكل على الله والاعتماد عليه بقلبه اعتماداً كلياً في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره.**

فقال طنطاوي جوهري – رحمه الله – **في تفسيره للآيات التي نزلت في غزوة أحد** ((أما التوكل: فها هو ذا معروف في نفس هذه القضية، فإن الله أمره بالتوكل بعد أن استشار القوم ورضي القوم، ولم يبق إلاّ العمل. فهناك يكون التوكل والسير إلى الأمام والإقدام لا الإحجام، والرضا بما سيكون. فإما الموت وإما النصر فيرضى العاقل إذ ذاك بما يأتيه، فأما أولئك الجهال الذين يذرون التفكير والتدبير ويقولون هل من مجير، وقد تركوا حبل الأمور على غاربها، فهم المغرورون لا المتوكلون.

إنّ التوكل بعد العزم، فهذا قول الرسول الأمين وهذا قول رب العالمين، فمن أين للناس بعد هذا تبيان؟ ولقد فسر الإمام الغزالي ما روي في هذا المقام من أنّ سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب من هذه الأمة، وذكر منهم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون.

---

(١) مدارج السالكين (٣/٤٦٣).

فجعل الرقية من الأمور التي من عادة الشفاء بها أن يكون موهوماً لا مظنوناً ولا محققاً، وكذلك الكي ليس طباً لكل مرض، بل لكل داء دواء جرت به العادة وغلب على الظن نفعه، هكذا الطيرة والتفاؤل بالشر، فذلك ليس دليلاً على الشر، وإنما أمر موهوم.

فأما الأمور المظنونة المعتادة التي يغلب على الظن نفعها فهي التي يصح معها التوكل: كالطب المعلوم، والزراعة، والتجارة، والصناعة، والإمارة، وما أشبه ذلك.

فهذه يكون التوكل معها مشروعاً والسير على سبيلها محموداً، ولعمرك ما أجهل أكثر أهل العلم بالدين، وما أبعدهم عن التحصيل، وكيف يكون ديننا يأمر بالأسباب المقبولة ويعلق الدخول في الجنة — في تلك الرواية – بغير حساب على الأمور المقبولة المظنونة. فأما ما هو موهوم النتائج كما يفعل الدجالون، فحكمهم أنهم لا يدخلون الجنة إلاّ بحساب، لأنهم لم يحاسبوا أنفسهم في الدنيا، بل ظلوا على البلاهة عاكفين وبالجهالة قانعين وبالتواكل راضين، وقد انخلعوا عن عقولهم ونزلوا عن نفوسهم وعاشوا بحواسهم ومحسوساتهم، ونامت عن العقول قواهم الناطقة فماتوا وهم غافلون، فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين))[1].

وقال طنطاوي – رحمه الله– كذلك عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق:٣] ((وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه، لأنه إذا علم أنّ الرزق وغيره لها أوقات ومقادير محدودة لم يحزن على ما فاته منها... واعلم أيها الذكي أنّ كثيرا من الناس يقرؤون أمثال هذه الآيات ولا يفهمون المقصود منها، فربما ترك الإنسان الحزم في أمر والتفكر فيه والسعي في طلبه فيفوته، فيقول: إني توكلت على الله، وهذا توكل لا قيمة له، بل التوكل أن تعمل كل ما يمكنك عمله، وتكل ما عداه إلى الله... أما من عنده قدرة وعقل فعليه أن يسخرهما في عمله مجداً، ولا يترك فرجة ولا خللاً في نظامه، ويكل أمر النتيجة إلى ربه، فأما من ليست لديه حيلة فليس له إلاّ الرجوع بالقلب إلى الله.

فإذن التوكل للقادر علم وعمل وتوجه بالقلب إلى الله، فأما العاجز فليس له إلاّ الالتجاء بالقلب، هذا تحقيق المقام))[2].

وخلاصة القول: أنّ طنطاوي جوهري قد وافق لما قرره أهل السنة والجماعة عموماً في مسألة التوكل على الله، في التعريف وفي وجوب الأخذ بالأسباب مع التوكل على الله.

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٩٨/٢).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٠٨/٢٤).

المبحث الخامس: نواقض توحيد الألوهية

سبق الحديث عن تعريف توحيد الألوهية وذكرنا أنَّ معناه في الشرع هو إفراد الله – ﷻ – بالعبادة، وأنَّ صرف شيء من هذه العبادات لغير الله – قولية كانت أو فعلية أو قلبية – يوقع العبد في الشرك بالله، ولربما يلج ذلك في الشرك الأكبر الذي يخرج به عن من ملة الإسلام المنافي لأصل التوحيد.

وفي هذا المطلب نتحدث عن المسائل التي تطرق لها طنطاوي جوهري – ﷺ– في ما يناقض توحيد الألوهية ومن تلك ما يلي:

المسألة الأولى: الشرك بالله:

أولاً: تعريف الشرك:

أ– معنى الشرك لغة:

قال ابن فارس– ﷺ–:((الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما: يدل على مقارنة وخلاف انفراد، والآخر: يدل على امتداد واستقامة.

فالأول الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما. ويقال: شاركت فلانا في الشيء، إذا صرت شريكه. وأشركت فلانا، إذا جعلته شريكا لك))[(١)] .

ويطلق الشرك على معانٍ منها:

١– المشاركة والمخالطة[(٢)] .

٢–التسوية بين الشيئين[(٣)] .

ب– معنى الشرك اصطلاحاً:

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٣/٢٦٥).

(٢) لسان العرب (١٠/٤٤٨).

(٣) المرجع السابق (١٠/٤٤٩).

وحقيقة الشرك هي: صرف ما هو من خصائص الربوبية والألوهية إلى غيره – ﷻ – من المخلوقات[(١)].

أو هي تسوية غير الله بالله فيما هو من خصائصه – ﷻ –[(٢)]، أو جعل لله – ﷻ – نداً وشريكاً في عبادته.

يقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((أصل الشرك أن تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده))[(٣)].

ويقول أيضاً – رحمه الله – عن تعريف الشرك بأنَّ: ((من عدل بالله غيره في شيء من خصائصه – ﷻ – فهو مشرك))[(٤)].

ويقول ابن القيم – رحمه الله – عن حقيقة الشرك، هي: ((أن يجعل لله عدلا بغيره في اللفظ أو القصد أو الاعتقاد))[(٥)].

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – أيضاً عرف الشرك بأنه تسوية الله – ﷻ – مع غيره من الخلق.

فقال – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣] ((فإنه تسوية بين من لا نعمة له ومن له جميع النعم))[(٦)].

وقال – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١] ((أي: تعالى الله وتنزه عن أن يكون له شريك في العبادة))[(٧)].

ب– خطورة الشرك:

الشرك بالله تعالى هو أعظم المحرمات، وأكبر الكبائر، وقد وردت في الكتاب والسنة نصوص كثيرة تحذر المسلم من ارتكابه والوقوع فيه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ

---

(١) انظر موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة – مجموعة من الباحثين، (١٦٣٨/٤)، وتفسير السعدي، ص٢٧٩.

(٢) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة – نخبة من العلماء، ص٥٨.

(٣) الاستقامة – لابن تيمية، (٣٤٤/١).

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (١٩/١٢).

(٥) إعلام الموقعين– لابن القيم، (٢٥٢/١).

(٦) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٤٠/١٥).

(٧) انظر المرجع السابق (١١٦/٥).

عَظِيمٌ ﴾ [لقمان:١٣]، وأخبر – ﷻ – بأنه توابٌ يتوب ويغفر للمذنب المخطئ إلاّ المشرك في جناب الألوهيةُ فإنه – ﷻ – لا يغفر له إن لم يتب منه توبة نصوحا، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾[النساء:٤٧]، وتوعَّد الله – ﷻ – المشرك بأنّ مصيره النار ويحرم عليه دخول الجنة، ويحبط عنه العمل، فقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[المائدة:٧٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[الأنعام:٨٨].

عن عبد الله بن عمرو – ﷺ –، قال: جاء أعرابي إلى النبي – ﷺ –، فقال: يا رسول الله، ما الكبائر؟ قال: ((الإشراك بالله، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم عقوق الوالدين، قال: ثم ماذا؟ قال: اليمين الغموس، قلت: وما اليمين الغموس؟ قال: الذي يقتطع مال امرئ مسلم، هو فيها كاذب)) (١).

وعن جابر– ﷺ –، قال: أتى النبي – ﷺ – رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: ((من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار))(٢).

يقول شيخ الإسلام – ﷺ –: ((فإن أصل الشر: هو الإشراك بالله كما أن أصل الخير هو الإخلاص لله)) (٣).

والشرك ينقسم إلى قسمين: شرك أكبر وأصغر، وجاء النهي الشديد في الكتاب والسنة على ارتكابه والاقتراف في قسميه، لكن الشرك الأكبر هو أخطرهما وهو المخرج من ملة الإسلام، فيجب على المسلم الحذر من ذلك.

وطنطاوي جوهري – ﷺ – قد أشار إلى شيء من ذلك، وبين خطورة الشرك في معرض شرحه للآيات التي بيَّن الله فيها عظم جرم الشرك.

فقال – ﷺ – معلقاً على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٧]، ((فالمشرك مخلد في النار،

---

(١) رواه البخاري في: (كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتاله، باب إثم من أشرك بالله، وعقوبته في الدنيا والآخرة) (١٤/٩)، (٦٩٢٠).

(٢) رواه مسلم في: (كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار). (٩٤/١) (٩٣).

(٣) جامع الرسائل – لابن تيمية، (٢٨٤/٢).

﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ﴾ ما دون الشرك صغيراً كان أو كبيرا، ﴿لِمَن يَشَآءُ﴾تفضلاً))[1].

وقال أيضاً - ﷺ - تعليقاً على الآية السابقة، ((قد يغتفر في الفروع مالا يغتفر في الأصول، فالشرك لا غفران في اعتقاده، والمغفرة قد تكون في الأحوال العملية فليس كل ذنب موجباً زلزلة القواعد، وما مثل القواعد الإيمانية إلاّ كمثل القواعد المنزلية في البيوت المبنية، فإن زالت القواعد هدم البناء))[2].

ثانياً: الرياء:

أ- تعريف الرياء لغة:

الرياء: مصدر رأى يرائي مراءاة ورياء، مشتق من الرُّوية[3]، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس، بإرائتهم الخصال المحمودة[4].

ب- الرياء في الشرع:

هو التقرب إلى الله تعالى بالعبادة ظاهراً، وابتغاء مدح الناس والثناء عليه باطناً، أو العمل لأجل محمدة الناس ومدحهم له[5].

يقول القرطبي[6] - ﷺ - :((وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس))[7].

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣/٥٨).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣/٩٤).

(٣) انظر موسوعة العقيدة والأديان والفرق (٣/١٤٥٦)، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص٤٥٢.

(٤)كوثَر المعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري - محمَّد الخَضِر الشنقيطي، (١٢/ ٢٤٦).

(٥) انظر تفسير السعدي ص١١٤.

(٦) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي، من كبار المفسرين، ولد في مصر وتوفي فيها سنة: ٦٧١هـ. ومن آثاره: الجامع لأحكام القرآن "وبعرف بتفسير القرطبي"، وقمع الحرص بالزهد والقناعة، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة، وغيرها. انظر الأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٢)، ومعجم المفسرين (٢/ ٤٧٩).

(٧) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي، (٢٠/٢١٢).

وابن حجر[(١)] – رحمه الله – **يعرف الرياء وبقول:**((هو إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها))[(٢)].

يقول الخازن[(٣)] – رحمه الله –:((الرياء إظهار الجميل ليراه الناس مع إبطال القبيح، والفرق بين الرياء والنفاق، أنَّ النفاق: إظهار الإيمان مع إبطان الكفر، والرياء: إظهار الطاعة مع إبطان المعصية))[(٤)].

يقول سليمان بن عبد الوهاب[(٥)] – رحمه الله – **الرياء:**((هو أن يري الناس أنه يعمل عملا على صفة وهو يضمر في قلبه صفة أخرى))[(٦)].

والرياء شرك أصغر ينافي كمال التوحيد الواجب، فيجب على المسلم التنبه لذلك و الحذر من الوقوع فيه.

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – لم يشر إلى تعريف الرياء في تفسيره، غير أنه أشار إلى حكمه ضمناً وحذر من الوقوع فيه بإيراده جملة من الأحاديث النبوية التي تدل على عظم هذا الأمر.

فقال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [هود:١٥]، ((لقد حملنا الآية على عموم الكافرين والمنافقين والمؤمنين الذين يطلبون بعملهم الرياء والسمعة:

---

(١) هو أحمد بن علي بن محمد، الكناني العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر، حافظ الإسلام في عصره، مؤرخ، أديب، شاعر، من فقهاء الشافعية، ولد في مصر عام: ٧٧٣هـ، وتوفي عام::٨٥٢ هـ. صاحب « فتح الباري بشرح صحيح البخاري»، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، و«الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، وغير ذلك من المصنفات النافعة المفيدة القيّمة. انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٧٤/١) والأعلام للزركلي (٥/ ٣٢٢).

(٢) فتح الباري – لابن حجر، (٣٣٦/١١).

(٣) هو علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر ابن خليل الشيحي، علاء الدين المعروف بالخازن، عالم بالتفسير والحديث، مشارك في بعض العلوم، من فقهاء الشافعية، ولد ببغداد عام: ٦٧٨هـ، وتوفي بحلب سنة: ٧٤١ هـ، وله تصانيف، منها "لباب التأويل في معاني التنزيل" في التفسير، يعرف بتفسير الخازن. انظر معجم المفسرين (١/ ٣٧٩) والأعلام للزركلي (٥/ ٥).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل – للخازن، (٣١٧/٢).

(٥) هو سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: أخو الشيخ زعيم النهضة الإصلاحية محمد بن عبد الوهاب انظر الأعلام للزركلي (٣/ ١٣٠)، ومعجم المؤلفين (٤/ ٢٦٩).

(٦) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص٤٥٢.

أ- روي عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: ((قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك: من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))(١)

ب- وقال - ﷺ -: ((من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار))(٢).

ج- وقال - ﷺ -: ((تعوذوا بالله من جُبّ الحزن، قالوا: يا رسول الله، وما جبّ الحزن؟ قال: واد في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم ألف مرة، قيل يا رسول الله من يدخله؟ قال: القرّاء، والمراؤون بأعمالهم))(٣) .....

ثم علق طنطاوي على هذه المسألة وقال: ((إياك أن تصدك الآيات والأحاديث الواردة في ذم الرياء عن فعل البر والطاعات، فإذا خطر لك أمر فزنه بالشرع، فإن كان مأموراً به فبادر إليه فإنه من الرحمن، فإن خشيت وقوعه على صفة منهية كعجب أو رياء فلا بأس عليك في وقوعه عليها من غير قصد بها، بخلاف ما إذا أوقعته عليها قاصداً لها، فعليك إثم ذلك فتستغفر الله منه...وهذه إحدى مصائب المسلمين اليوم، فالصالحون يخافون الرياء، والطالحون يعملون الشر))(٤) .

وهنا تطرق طنطاوي جوهري - رحمه الله - إلى مسألة أثر الرياء على العبادة؛ وهو ما كان العمل لله خالصا ثم طرأ عليه الرياء أثناء العبادة، فهذا ينقسم إلى قسمين:

الأول: المجاهدة؛ أي: أن يجاهد نفسه ويدافع عما طرأ عليه من العجب والرياء، كمن خطر له شيء في نفسه عند ما علم من يسمع قراءته في الصلاة وما أشبه ذلك، فهذا لا يضره لأنه جاهد نفسه على طرد ما طرأ عليه من الرياء.

الثاني: الاسترسال؛ أي: أن يسترسل معه إلى أخر العبادة، فكل عمل ينشأ عن الرياء، فهو باطل؛ كما لو أطال القيام، أو تباكى؛ أو نحو ذلك، فهذا كل عمله حابط.

وهو في هذا قد وافق فيها ما عليه إليه أهل السنة والجماعة في عدم إلحاق الضرر في العبادة إن كان طارئا وغير مقصود لذلك(٥) .

---

(١) رواه مسلم في: (كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله). (١/ ٢٢٨٩) (٢٩٨٥).

(٢) رواه الترمذي (٥/ ٣٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث أيوب إلا من هذا الوجه.

(٣) رواه ابن ماجة (٩٤/١) الترمذي (٥٩٣/٤) وقال: هذا حديث غريب،

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٦٣/٦).

(٥) انظر جامع العلوم والحكم (٧٩/١)، والقول المفيد على كتاب التوحيد (١١٧/١).

المسألة الثانية: التنويم المغناطيسي، وعلاقته بالسحر:

أولاً: التنويم المغناطيسي:

أ- تعريفه:

التنويم المغناطيسي: هو الحالة المصطنعة الشبيهة بالنَّوم التي يصبح فيها الشَّخصُ المنوَّم تحت تأثير المنوِّم فيوحى إليه ببعض الأعمال، أو التأثير بكلمات إيحائيَّة على شخص ما، تنقله إلى حالة شبيهة بالنَّوم ولا يفقد شعورَه، بل يستجيب لإيحاءات المنوِّم وأوامره[(١)].

وطنطاوي جوهري - ﷺ - عرف التنويم المغناطيسي أو السبات المغناطيسي: ((هو أن ينام الإنسان بدرجات مختلفات لأسباب طبيعية أو كيماوية أو حيوية.

فالأسباب الطبيعية: كالنور والصوت بأن يسمع صوتاً متساوي اللحن، والسائل الكهربائي الخفيف، والقطع الزجاجية اللامعة التي تنوم من حدق نظره إليها.

والمؤثرات الكيماوية: هي الأثير، والكلوروفروم، والأزوت[(٢)]، وهي تلقي أخذها في النوم وتفقده الإحساس.

والمؤثرات الحيوية أخصها: الإرادة، بأن يأمر باللسان، أو السيال العصبي، أو يحدق ببصره إلى الشخص المنفعل، أو يبادئه بالإشارات والحركات المغناطيسية))[(٣)].

ب-: حكم استعمال التنويم المغناطيسي وتعليمه وتعلمه:

قبل الحديث عن حكم استعمال التنويم المغناطيسي وتعليمه وتعلمه، لا بد لنا أولاً أن نفرق بين الإيحاء النفسي والتنويم المغناطيسي، أو ما أدخل فيه من ممارسات السحر والشعوذة.

فالتنويم المغناطيسي: هو كما عرفناه سابقاً.

أما الإيحاء النفسي: إن صح التعبير بذلك يراد به مخاطبة الطبيب المعالج للمريض وإقناعه بقبول علاج ما أو هو محاولة تأثير الطبيب لنفسية المريض اليائسة عن طريق إدخال ما يسره عليه، وتطييب قلبه وبذل جرعات من الأمور المبشرة تجاه مرضه، وإن كانت حالته غير ذلك، فيستبشر بذلك المريض ويستصح بل ربما يكون ذلك علاجه من هذا المرض.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة - د أحمد مختار عبد الحميد عمر ، (٣/٢١١١).

(٢) نوع من أنواع التخدير المنوم، وبهذا جعل طنطاوي التخدير نوع من أنواع التنويم المغناطيسي.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٢٢).

وابن القيم – ﷺ – يحث لمن امتهن مهنة الطب بذلك، ويقول: ((والطبيب إذا كان عارفا بأمراض القلب والروح وعلاجهما، كان هو الطبيب الكامل، والذي لا خبرة له بذلك وإن كان حاذقا في علاج الطبيعة وأحوال البدن نصف طبيب.

وكل طبيب لا يداوي العليل، بتفقد قلبه وصلاحه، وتقوية روحه وقواه بالصدقة، وفعل الخير، والإحسان، والإقبال على الله والدار الآخرة، فليس بطبيب، بل متطبب قاصر.

ومن أعظم علاجات المرض فعل الخير والإحسان والذكر والدعاء، والتضرع والابتهال إلى الله، والتوبة، ولهذه الأمور تأثير في دفع العلل، وحصول الشفاء أعظم من الأدوية الطبيعية، ولكن بحسب استعداد النفس وقبولها وعقيدتها في ذلك ونفعه.

وكذلك التلطف بالمريض، والرفق به، كالتلطف بالصبي، وأن يستعمل الطبيب أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية، والعلاج بالتخييل[(١)]، فإن لحذاق الأطباء في التخييل أموراً عجيبة لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معين))[(٢)].

وسئل أحد الأطباء المتخصصين[(٣)] في هذا المجال عن التنويم المغناطيسي في العلاج الطبّي.

فقال: ((أن المسمى الصحيح لهذا التنويم هو (التنويم الإيحائي)... وهو مجال علمي معروف، ومهمته العلاجية معروفة، وله قواعد وأسس، وتحقق به إنجازات طبية معروفة.

وأن التنويم الإيحائي، يراد منه: إقناع المريض بالعلاج الذي كان يرفضه في أحواله الاعتيادية، وكذلك يُراد من هذا التنويم تشكيل قناعة جديدة إيجابية لدى المريض حتى يتجاوز قناعاته السلبية.

وأن هناك ممارسات اختلطت بالتنويم الإيحائي (المغناطيسي) عند الأداء، وهذه الممارسات احتوت على أمور محرمة، فبدا للناس منها أن هذا التنويم محرم، والحرمة إنما جاءت من الممارسات لا من التنويم كما يحصل في (السيرك) من استعمال السحر والشعوذة.

---

(١) يقصد به الإيحاء، انظر التنويم المغناطيسي بين الحقيقة والخرافة = مجدي محمد الشهاوي، ص٣٥ .

(٢) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد – ابن القيم، (٤/ ١٣٢).

(٣) هو د. عبدالرحمن بن أحمد بن فايع الجرعي – عضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد، انظر فتاوى واستشارات موقع الإسلام اليوم – علماء و طلبة علم، (٣٠/١٥) ن: موقع الإسلام اليوم.

وأن التنويم الإيحائي باعتباره نوعاً من المعالجة يمكن أن يستخدم في الخير ويمكن أن يستخدم في الشر، فالإقناع بفكرة ما يعتمد على مشروعية هذه الفكرة أو عدم مشروعيتها، فإن كانت الفكرة حسنة جازت المعالجة وإلا فلا. والله أعلم))[1].

إذاً إن كان المراد من التنويم هو التنويم الإيحائي، المقصود به: إقناع المريض بالعلاج الذي كان يرفضه في أحواله الاعتيادية، أو تشكيل قناعة جديدة إيجابية لدى المريض حتى يتجاوز قناعاته السلبية، أو تسلية المريض وإدخال السرور في نفس المريض وتبشيره بالتحسن من مرضه وما شابه ذلك، فهذا لا شيء عليه، بل في بعض الأحيان ربما يكون هذا الأمر مطلوب ومأمور به.

إذا تبين هذا قد يردنا سؤال: ما هو التنويم المغناطيسي عند طنطاوي؟ وما استعمالاته؟ وهل يقصد به التنويم الإيحائي، الذي يكون فيه تغيير بعض القناعات السلبية إلى قناعات إيجابية كما ذكر ذلك المتخصصون من الأطباء؟ أم التنويم الذي امتزج فيه بعض الممارسات الخاطئة؟ فلننظر ما يقول طنطاوي عن التنويم المغناطيسي وعن درجاته.

قال طنطاوي- رحمه الله - التنويم المغناطيسي: ((له درجات ثلاث في النوم وهي:

١- أن يفقد الإحساس ويلبث شاخص العين يتلقى أوامر المنوَّم، وتلوح عليه الأمارات الدالة على قبوله لكل ما يريد المنوِّم – بالكسر – وفي هذه الحالة لو أدخل رجل المنوَّم – بالفتح – في ماء مغلي أو قرص جسمه لم يحس.

٢- أن يفقد الإحساس تماماً ويغلق عينيه كالحال الأولى، ولكن تمتاز هذه أنه يسمع ويبصر ويتكلم ويجيب بمعزل عن الحواس، ويقرأ ويكتب كما يراه المنوَّم.

٣- أن يحصل انخطاف روحي بأقصى درجاته، وإذن يعرف النائم نفسه معرفة تامة، ويصف علل جسمه، والعلاجات الملائمة، ويشاهد أفعال الناس ويسمع كلامهم عن بعد سحيق، وينبئ عن حوادث مستقبلة، ويتكلم بلغات شتى، ويرى أرواح الأموات، ويصف هيئتها، وينقل إلى الجالسين أقوالها))[2]. **ثم استشهد ببعض الأمثلة على التنويم الذي وقع في زمنه في بلاد الغرب.**

---

(١) انظر فتاوى واستشارات موقع الإسلام اليوم – علماء و طلبة علم، (٣٠/١٥) ن: موقع الإسلام اليوم.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٢/١).

وعلى ما ذكره طنطاوي عن التنويم المغناطيسي؛ فإنّ هذا يعد من التنويم الذي دخل فيه بعض الممارسات الخاطئة؛ كالإخبار بالغيبيات واستعمال الجن ونحو ذلك.

فلا شكَّ أنَّ حكم استعمال مثل هذا محرم وغير جائز شرعاً، وهو نوع من أنواع السحر، كما قال بذلك مجموعة من أعلام أهل السنة والجماعة في العصر الحاضر[(١)]، وغيرهم من المفكرين[(٢)] والمحققين[(٣)] كذلك. وكذلك اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية قد أفتت بتحريم استعمال ذلك[(٤)]،

---

(١) كالشيخ ابن باز، والعلامة المحدث الشيخ الألباني – رحمهم الله –.

(٢) كالسيد قطب يرى أنه صورة من صور السحر فقال: ((وهذا التنويم المغنطيسي ما هو وكيف يتم؟ كيف يقع أن تسيطر إرادة على إرادة، وأن يتصل فكر بفكر، فإذا أحدهما يوحي إلى الآخر، وإذا أحدهما يتلقى عن الآخر، كأنما يقرأ من كتاب مفتوح؟

إن كل ما استطاع العلم أن يقوله إلى اليوم في هذه القوى التي اعترف بها، هو أن أعطاها أسماء! ولكنه لم يقل قط: ما هي؟ ولم يقل قط كيف تتم؟

وثمة أمور كثيرة أخرى يماري فيها العلم. إما لأنه لم يجمع منها مشاهدات كافية للاعتراف بها، وإما لأنه لم يهتد إلى وسيلة تدخلها في نطاق تجاربه. هذه الأحلام التنبئية – وفرويد الذي يحاول إنكار كل قوة روحية لم يستطع إنكار وجودها – كيف أرى رؤيا عن مستقبل مجهول، ثم إذا هذه النبوءة تصدق في الواقع بعد حين؟ وهذه الأحاسيس الخفية التي ليس لها اسم بعد. كيف أحس أن أمرا ما سيحدث بعد قليل أو أن شخصا ما قادم بعد قليل ثم يحدث ما توقعت على نحو من الأنحاء! إنه من المكابرة في الواقع أن يقف إنسان لينفي ببساطة مثل هذه القوى المجهولة في الكائن البشري، لمجرد أن العلم لم يهتد بعد إلى وسيلة يجرب بها هذه القوى.

وليس معنى هذا هو التسليم بكل خرافة، والجري وراء كل أسطورة ..إنما الأسلم والأحوط أن يقف العقل الإنساني أمام هذه المجاهيل موقفا مرنا ..لا ينفي على الإطلاق ولا يثبت على الإطلاق، حتى يتمكن بوسائله المتاحة له بعد ارتقاء هذه الوسائل من إدراك ما يعجز الآن عن إدراكه أو يسلم بأن في الأمر شيئا فوق طاقته، ويعرف حدوده،ويحسب للمجهول في هذا الكون حسابه.

السحر من قبيل هذه الأمور. وتعليم الشياطين للناس من قبيل هذه الأمور. وقد تكون صورة من صوره)). انظر في ظلال القرآن – سيد قطب، (٩٧/١)، ن: دار الشروق، ط: الخامسة عشرة –١٤٠٨هـ.

(٣) كالعلامة عبد الرحمن المعلمي، يرى أنّ التنويم المغناطيسي نوع من أنواع السحر، لأنه قد يكون الذاهب إلى ذلك المحلّ هو شيطان من الشياطين، ثم يرجع فيتكلّم على لسان النائم كما يتكلّم الشيطان على لسان المصروع. والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم. أعاذنا الله منه، وحفظنا من نزغاته. انظر آثَار الشّيخ العَلاّمَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المعَلّمِيّ اليَماني – مجموعة من الباحثين، (٣٣٨/٤، ٣١/٦)، ن: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤٣٤ هـ

(٤) انظر رقم الفتوى رقم (١٧٧٩) (١)، ونصها:

س/ ما حكم الإسلام في التنويم المغناطيسي وبه تقوى قدرة المنوم على الإيحاء بالمنوم وبالتالي السيطرة عليه وجعله يترك محرما أو يشفى من مرض عصبي أو يقوم بالعمل الذي يطلب المنوم؟

⇦=

=

ج/ التنويم المغناطيسي ضرب من ضروب الكهانة باستخدام جني حتى يسلطه المنوم على المنوم فيتكلم بلسانه ويكسبه قوة على بعض الأعمال بالسيطرة عليه إن صدق مع المنوم وكان طوعا له مقابل ما يتقرب به المنوم إليه ويجعل ذلك الجني المنوم طوع إرادة المنوم بما يطلبه من الأعمال أو الأخبار بمساعدة الجني له إن صدق ذلك الجني مع المنوم، وعلى ذلك يكون استغلال التنويم المغناطيسي واتخاذه طريقا أو وسيلة للدلالة على مكان سرقة أو ضالة أو علاج مريض أو القيام بأي عمل آخر بواسطة المنوم غير جائز، بل هو شرك؛ لما تقدم، ولأنه التجاء إلى غير الله فيما هو من وراء الأسباب العادية التي جعلها سبحانه إلى المخلوقات وأباحها لهم.

وقال الشيخ ابن باز – رحمه الله –: في فتواه بعد ذكره لفتوى اللجنة الدائمة: ((وممن كشف حقيقة هذه الدعوى الباطلة الدكتور محمد محمد حسين في كتابه [الروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها]، وكان ممن خدع بهذه الشعوذة زمنا طويلا، ثم هداه الله إلى الحق وكشف زيف تلك الدعوى بعد أن توغل فيها ولم يجد فيها سوى الخرافات والدجل، وقد ذكر أن المشتغلين بتحضير الأرواح يسلكون طرقا مختلفة، منهم المبتدئون الذين يعتمدون على كوب صغير أو فنجان يتنقل بين حروف قد رسمت فوق منضدة، وتتكون إجابات الأرواح المستحضرة – حسب زعمهم – من مجموع الحروف بحسب ترتيب تنقله فيها، ومنهم من يعتمد على طريقة السلة يوضع في طرفها قلم يكتب الإجابات على أسئلة السائلين، ومنهم من يعتمد على وسيط كوسيط التنويم المغناطيسي.

وذكر أنه يشك في مدعي تحضير الأرواح وأن وراءهم من يدفعهم بدليل الدعاية التي عملت لهم، فتسابقت إلى تتبع أخبارهم ونشر ادعاءاتهم صحف ومجلات لم تكن من قبل تنشط لشيء يمس الروح أو الحياة الآخرة، ولم تكن في يوم من الأيام داعية إلى الدين أو الإيمان بالله. وذكر أنهم يهتمون بإحياء الدعوة الفرعونية وغيرها من الدعوات الجاهلية، كما ذكر أن الذين روجوا لأصل هذه الفكرة هم أناس فقدوا عزيزا عليهم فيعزون أنفسهم بالأوهام، وأن أشهر من روج لهذه البدعة السيد أوليفر لودج الذي فقد ابنه في الحرب العالمية الأولى، ومثله مؤسس الروحية في مصر أحمد فهمي أبو الخير الذي مات ابنه عام ١٩٣٧ م، وكان رزق به بعد طول انتظار.

وذكر الدكتور محمد محمد حسين أنه مارس هذه البدعة فبدأ بطريقة الفنجان والمنضدة فلم يجد فيها ما يبعث على الاقتناع، وانتهى إلى مرحلة الوسيط، وحاول مشاهدة ما يدعونه من تجسيد الروح أو الصوت المباشر ويرونه دليل دعواهم فلم ينجح هو ولا غيره؛ لأنه لا وجود لذلك في حقيقة الأمر، وإنما هي ألاعيب محكمة تقوم على حيل خفية بارعة ترمي إلى هدم الأديان.

وأصبحت الصهيونية العالمية الهدامة ليست بعيدة عنها، ولما لم يقتنع بتلك الأفكار الفاسدة وكشف حقيقتها انسحب منها وعزم على توضيح الحقيقة للناس ويقول: (إن هؤلاء المنحرفين لا يزالون بالناس حتى يستلوا من صدورهم الإيمان وما استقر في نفوسهم من عقيدة ويسلمونهم إلى خليط مضطرب من الظنون والأوهام. ومدعو تحضير الأرواح لا يثبتون للرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلا صفة الوساطة الروحية كما قال زعيمهم أرثر فندلاي في كتابه [على حافة العالم الأثري] عن الأنبياء هم: وسطاء في درجة عالية من درجات الوساطة والمعجزات التي جرت على أيديهم ليست إلا ظواهر روحية كالظواهر التي تحدث في حجرة تحضير الأرواح) .

ويقول الدكتور حسين: (إنهم إذا فشلوا في تحضير الأرواح قالوا: الوسيط غير ناجح أو مجهد أو إن شهود الجلسة غير متوافقين، أو إن بينهم من حضر إلى الاجتماع شاكا أو متحديا) .

ومن بين مزاعمهم الباطلة أنهم زعموا أن جبريل عليه السلام يحضر جلساتهم ويباركها – قبحهم الله – انتهى المقصود من كلام الدكتور محمد محمد حسين.

=

لكونه من جنس السحر المحرم ولو كان له مردود إيجابي؛ فالسحر محرم كله أيا كانت غاية الساحر، بل هو شرك بالله، لأنه التجاء إلى غير الله واستعانة بالجن[1].

وعن هذا التنويم قال د. عبدالرحمن بن أحمد بن فايع الجرعي[2]: ((إنّ بعض الفتاوى التي صدرت في حكم التنويم المغناطيسي إنما كانت بناءً على ممارسات غير صحيحة، وغير داخلة في مسمى التنويم الإيحائي (المغناطيسي)، فالإخبار بالغيبيات واستعمال الجن ينكرها من يمارس هذا النوع من أطباء ومختصين.

وأن التنويم الإيحائي (المغناطيسي) مجال علمي معروف، ومهمته العلاجية معروفة، وله قواعد وأسس، وتحقق به إنجازات طبية معروفة.

وأن التنويم الإيحائي، يراد منه: إقناع المريض بالعلاج الذي كان يرفضه في أحواله الاعتيادية، وكذلك يُراد من هذا التنويم تشكيل قناعة جديدة إيجابية لدى المريض حتى يتجاوز قناعاته السلبية.

وأن هناك ممارسات اختلطت بالتنويم الإيحائي (المغناطيسي) عند الأداء، وهذه الممارسات احتوت على أمور محرمة، فبدا للناس منها أن هذا التنويم محرم، والحرمة إنما جاءت من الممارسات لا من التنويم كما يحصل في (السيرك) من استعمال السحر والشعوذة.

= ومما ذكرناه في أول الجواب وما ذكرته اللجنة والدكتور محمد محمد حسين في التنويم المغناطيسي يتضح بطلان ما يدعيه محادثوا الأرواح من كونهم يحضرون أرواح الموتى ويسألونهم عما أرادوه، ويعلم أن هذه كلها أعمال شيطانية وشعوذة باطلة داخلة فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم من سؤال الكهنة والعرافين وأصحاب التنجيم ونحوهم، والواجب على المسئولين في الدول الإسلامية منع هذا الباطل والقضاء عليه وعقوبة من يتعاطاه حتى يكف عنه، كما أن الواجب علالرازي رؤساء تحرير الصحف الإسلامية أن لا ينقلوا هذا الباطل وأن لا يدنسوا به صحفهم، وإذا كان لا بد من نقل فليكن نقل الرد والتزييف والإبطال والتحذير من ألاعيب الشياطين من الإنس والجن ومكرهم وخداعهم وتلبيسهم على الناس، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وهو المسئول سبحانه أن يصلح أحوال المسلمين، ويمنحهم الفقه في الدين، ويعيذهم من خداع المجرمين وتلبيس أولياء الشياطين إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز (٣١٦/٣).

(١) فتاوى اللجنة الدائمة – اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، (٣٤٨/١).

(٢) هو عضو هيئة التدريس بجامعة الملك خالد، انظر فتاوى واستشارات موقع الإسلام اليوم – علماء و طلبة علم، (٣٠/١٥) ن: موقع الإسلام اليوم.

وأن التنويم الإيحائي باعتباره نوعاً من المعالجة يمكن أن يستخدم في الخير ويمكن أن يستخدم في الشر، فالإقناع بفكرة ما يعتمد على مشروعية هذه الفكرة أو عدم مشروعيتها، فإن كانت الفكرة حسنة جازت المعالجة وإلا فلا. والله أعلم))[1].

وأما عن حكم تعليم التنويم المغناطيسي وتعلمه: فإنَّ طنطاوي جوهري يرى جواز تعلم ذلك؛ إن كان الغرض منه نقده ورده ومحاربته وبيان مفاسده؛ بل قال إنَّ تعلمه واجب كفائي على طائفة من المتخصصين في مجال الطب، لدرأ المفاسد عن الناس ويحذرهم من شره.

فقال: ((يجب على الحكومات الإسلامية وجوباً شرعياً أن تأمر طائفة من الأطباء بتعلم هذا الفن من التنويم كما فعل هاروت وماروت اللذان قصدا التفرقة بين السحر والمعجزة، وإلاّ ادعى الكذابون النبوة وأتوا بشرائع فاجرة خاطئة... فوجب أن تقوم طائفة لدرء المفاسد التي يلقيها هذا العلم على الناس... وتعليمها فرض كفاية كما في سائر الصناعات والعلوم، ويحرم على من تعلم هذا العلم أن يستعمله إلاّ فيما فيه الخير للأمة.

فتعليم هذا العلم واجب كما قلنا على كل حكومة سرت إليها علوم أمريكا وأوربا، ليحترس بعلماء الفن من الفاسقين الذين يفرقون بين المرء وزوجه))[2].

وبذلك يتضح في رأي طنطاوي جوهري أنّ التنويم المغناطيسي ضرباً من ضروب العلم والمعرفة وفناً من فنونها؛ فلها قواعدها وأسسها التي ينبي عليها هذا العلم.

ولهذا يوجب تعلم هذا العلم على الوجوب الكفائي للمتخصصين من الأطباء ونحوهم؛ حتى لا يلتبس على الناس بإدخال ما ليس منها من السحر والشعوذة،ولا ينفذون من خلالها السحرة وغيرهم باسم التنويم المغناطيسي لمارساتهم الدنيئة والمحرمة شرعاً.

إذاً نقول إن كان هذا العلم قد تبين أنه مجال علمي وتحققت به إنجازات طبية معروفة واستعمل في الخير؛ أو لو كان قصد من تعلم هذا العلم بيان ما فيه من الانحراف، والرد على ما تثيره من الباطل، –كمن يتعلم الفلسفة والمنطق للرد عليهم وبيان مساوئهم ومخالفاتهم الشرعية –؛ فلا ريب أنَّ هذا جائز في تلك الحالة، بل قد يكون واجباً كفائياً في حالات أخرى.

---

(١) انظر فتاوى واستشارات موقع الإسلام اليوم – علماء و طلبة علم، (٣٠/١٥) ن: موقع الإسلام اليوم.

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢١/١).

ثانياً: علاقة التنويم المغناطيسي بالسحر:

أ- معنى السحر في اللغة:

قال ابن فارس: ((السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة: **أحدها:** عضو من الأعضاء، **وثانيهما:** خدع وشبهه، **والثالث:** وقت من الأوقات))[(١)].

فالسِحْرُ: الأُخْذَةُ، وكل ما لطف مأخذه ودق فهو سِحْرٌ. وقد سحره يسحره سحرا، أي: إخراج الباطل في صورة الحق، وسحره أيضا: بمعنى خدعه، وكذلك إذا عالله. والتسحير مثله[(٢)].

ومن السحر: البيان في فطنة، كما جاء في الحديث: ((إن من البيان لسحرا))[(٣)].

فأصل السِّحْر: صرف الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأن الساحر لما أرى الباطل في صورة الحق، وخيل الشيء على غير حقيقته فقد سحر الشيء عن وجهه، أي صرفه[(٤)].

إذاً السحر في اللغة: هو ما خفي ولطف سببه[(٥)].

ب- السحر في الاصطلاح:

وقد اختلف العلماء في تعريفه اختلافاً واسعاً، ولعل سبب اختلافهم في ذلك هو خفاء طبيعة السحر وآثاره، فتبعا لاختلاف تصورهم لحقيقته اختلفت تعريفاتهم له.

كما بين ذلك الإمام الشافعي[(٦)] - رحمه الله - أن السحر له معانٍ مختلفة، فقال:

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة (١٣٨/٣).

(٢) انظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦٧٩/٢)، ومختار الصحاح ص١٤٣، ولسان العرب (٣٤٨/٤)، وكتاب العين - ل (١٣٥/٣).

(٣) رواه البخاري: كتاب النكاح، باب الخطبة، (١/ ٢٦٦٤)، (٥١٤٦)، وكتاب الطب، باب إن من البيان سحرا (١/ ٢٩٤٦)، (٥٧٦٧)

(٤) لسان العرب (٣٤٨/٤).

(٥) انظر أحكام القرآن - للجصاص (٥٠/١)، وتيسير العزيز الحميد ص ٣٢٦، والقول المفيد على كتاب التوحيد (٤٨٩/١)، وتفسير الرازي (٦١٩/٣).

(٦) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب ابن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف، القرشي المطلبي الشافعي، يجتمع مع رسول الله - ﷺ - في عبد مناف، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. وإليه نسبة الشافعية كافة. ولد في غزة (بفلسطين) عام: ١٥٠هـ، وتوفي في مصر، عام: ٢٠٤هـ، وله مصنفات كثيرة من أشهرها: كتاب الأم، والمسند، وأحكام القرآن، والرسالة، وغيرها الكثير. انظر وفيات الأعيان (١٦٣/٤)، وسير أعلام النبلاء (٥/١٥)، طبقات الشافعية الكبرى (٧١/٢)، والأعلام للزركلي (٢٦/٦).

((السحر: هو اسم جامع لمعان مختلفة))[1].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي[2] - رحمه الله -:((السحر في الاصطلاح لا يمكن حده بحد جامع مانع، لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعا لها مانعا لغيرها. ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافا متباينا))[3].

ولاختلاف المذاهب في تعريفه بين الحقيقة والتخييل، فالبعض يعرفه بتعاريف لا تصدق إلا على ما لا حقيقة له من أنواع السحر، أو ما هو سحر في اللغة.

فمن هؤلاء ما ذهب إليه أبو بكر الرازي الجصاص[4] - رحمه الله - في معنى السحر **فقد عرفه:** ((بأنه كل أمر خفي سببه وتخيل على غير حقيقته ويجري مجرى التمويه والخداع))[5].

ومن هؤلاء كذلك ما ذهب إليه ابن جرير الطبري[6] - رحمه الله - في معنى السحر، بعد سرده لطائفة من أقوال العلماء في السحر فقد خلص إلى معناه في الشرع، **فقال:** ((هو تخييل الشيء إلى المرء بخلاف ما هو به في عينه وحقيقته))[7].

ومن العلماء من عرف السحر من جانب الحقيقة وبين بأنّ له أثر ملموس في الظاهر **كابن قدامة**[8] - رحمه الله - **فقال:** ((**السحر**: هو عقد ورقى وكلام يتكلم به، أو يكتبه، أو

---

(١) الأم - للشافعي (٢٩٣/١).

(٢) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، مفسر، باحث، من علماء شنقيط بموريتانا وتعلم به، ولد عام: ١٣٢٥هـ، ثم استقرَّ في المدينة، وتوفي في مكة: عام: ١٣٩٣هـ، من كتبه "أضواء البيان في نفسير القرآن بالقرآن،

انظر معجم المفسرين (٢/ ٤٩٦) الأعلام للزركلي (٤٥/٦).

(٣) أضواء البيان - للشنقيطي (٤١/٤).

(٤) هو أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص ، فاضل من أهل الري، سكن بغداد. ولد عام: ٣٠٥هـ، وتوفي فيها، عام:٣٧٠هـ، وألف كتاب (أحكام القرآن، وكتابا في أصول الفقه، انظر معجم المفسرين (٤٨/١) والأعلام للزركلي (١١٧/١)، ومعجم المؤلفين (٧/٢)

(٥) أحكام القرآن - للجصاص (٥١/١).

(٦) هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، من مشاهير المؤرخين والمفسرين وأئمة العلماء، ولد بطبرستان سنة: ٢٢٤هـ، وتوفي عام: ٣١٠ هـ، وله مؤلفات منها: جامع البيان في تفسير القرآن، وأخبار الرسل والملوك، واختلاف الفقهاء، والمسترشد في علوم الدين. انظر وفيات الأعيان (٤/ ١٩١)، ومعجم المفسرين (٥٠٨/٢)، والأعلام للزركلي (١١٧/١).

(٧) تفسير الطبري (٤٦٦/٢)

(٨) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقيّ الحنبلي، موفق الدين: فقيه، من أكابر الحنابلة، ولد في جماعيل - من قرى نابلس بفلسطين- سنة: ٥٤١هـ، وتوفي سنة:٦٢٠ هـ، له تصانيف، منها: ⇦=

يعمل شيئا في بدن المسحور أو قلبه، أو عقله، من غير مباشرة له. وله حقيقة، فمنه ما يقتل، وما يمرض، ويأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يفرق بين المرء وزوجه، وما يبغض أحدهما إلى الآخر، أو يحبب بين اثنين))[1].

والقسطلاني[2] - رحمه الله - **عرف السحر**: ((بأنه أمر خارق للعادة صادر عن نفس شريرة لا تتعذر معارضته))[3].

وقد عرف ابن خلدون[4] **أيضاً بأن السحر له أثر ملموس فقال: السحر** ((علوم بكيفية استعدادات، تقتدر النفوس البشرية بها على التأثيرات في عالم العناصر: إما بغير معين، أو بمعين من الأمور السماوية، والأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات))[5].

ولقد حاول بعض المعاصرين أن يعرف السحر تعريفاً جامعاً مانعاً بحيث يشمل جميع أنواعه وأشكاله.

فمن ذلك ما عرفه - أحد المعاصرين - تعريفاً جمع فيه القسمين.

فقال: ((هو عبارة عن أمور دقيقة موغلة في الخفاء يمكن اكتسابها بالتعلم تشبه الخارق للعادة وليس فيها تحد، أو تجري مجرى التمويه والخداع تصدر من نفس شريرة تؤثر في عالم العناصر بغير مباشرة أو بمباشرة))[6].

= المغني، وروضة الناظر، والمقنع وغيرها. انظر سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢٢)، والأعلام للزركلي (٦٦/٤)، ومعجم المفسرين (١/ ٣٠٤).

(١) المغني لابن قدامة - لابن قدامة المقدسي (٢٨/٩).

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، ولد في القاهرة، سنة:٨٥١هـ، وتوفي فيها عام: ٩٢٣هـ، وله مؤلفات عدة منها: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، والمواهب اللدنية في المنح المحمدية، ولطائف الإشارات في علم القراءات، وغيرها. انظر وفيات الأعيان (١/ ١٩٠)، ومعجم المؤلفين (٨٥/٢) والأعلام للزركلي (٢٣٢/١).

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – للقسطلاني (٤٠١/٨).

(٤) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي، فيلسوف التاريخ الإسلامي، ولد في تونس، سنة: ٧٣٢هـ، وتوفي سنة: ٨٠٨هـ، وقد اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، أوّلها (المقدمة) وهي تعد من أصول علم الاجتماع، وشرح البردة، ورسالة في المنطق، وغيرها. انظر شذرات الذهب (١/ ٧١)، ومعجم المؤلفين (١٨٨/٥) والأعلام للزركلي (٣٣٠/٣).

(٥) مقدمة ابن خلدون (١٩٣/٢).

(٦) انظر السحر بين الحقيقة والوهم

وعرف بعضهم كذلك بأن السحر هو: ((علم سري. تزاوله النفوس الخبيثة، إما بقصد تخييل الشيء على غير حقيقته، أو بقصد الإضرار بخلق من مخلوقات الله، ويستعان في هذا الإضرار بالتقرب إلى الشيطان، بارتكاب القبائح، قولاً: كالرقى والعزائم، والنفث على العقد، بألفاظ فيها شرك. أو عملاً: كعبادة الكواكب، والتزام الجنابة، والفسوق، وسائر المعاصي، أو اعتقاداً: كاستحسان ما يوجب التقرب منه، ومحبته إياه. فينتج عن كل ذلك أثر حقيقي على المسحور بدون إرادته، بإذن الله تعالى))[1].

والبعض قال: ((السحر: هو كل ما فيه مخادعة أو تأثير في عالم العناصر نتيجة الاستعانة بغير الله من شيطان أو نحوه، يشبه الخارق للعادة وليس فيه تحد يمكن اكتسابه بالتعلم))[2].

وهذه التعريفات الثلاثة المعاصرة تقريباً هي أقرب التعريفات الجامعة المانعة لمعنى السحر في الاصطلاح.

وطنطاوي جوهري - ﷺ - قد عرف السحر نظير ما عرفه فخر الدين الرازي.

فقال: هو ((يطلق على كل ما خفي سببه، ويتخيل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع وعند الإطلاق يفيد ذم صاحبه))[3].

ج- أنواع السحر:

اختلفت تقسيمات العلماء للسحر بناء على اختلافهم وتباينهم في مفهوم السحر، فبعضهم اقتصر على ماله حقيقة فقط، وبعضهم اقتصر على المعنى اللغوي فقط، وبعضهم حاول تقصي جميع أنواعه كالرازي[4] - ﷺ -، وهي في الحقيقة كلها ترجع إلى **أنواع ثلاثة:-**

النوع الأول: السحر الحقيقي: هو السحر الذي له أثر على المسحور ويوجد له حقيقة في الخارج.

النوع الثاني: سحر التخييل: هو السحر الذي يجعل الإنسان يتخيل أشياء في مخيلته، أو يرى أشياء ما لا حقيقة ولا وجود له في الخارج.

---

(١) موقف الإسلام من السحر – حياة سعيد عمر با أخضر، (٤٦/١)

(٢) حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة – د عواد بن عبد الله المعتق، ص١٤٠.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٤/١)، وانظر تعريف الرازي للسحر، في تفسيره مفاتيح الغيب (٦١٩/٣-٦٢٥).

(٤) انظر مفاتيح الغيب – للرازي (٦١٩/٣- ٦٢٥).

النوع الثالث: السحر المجازي: وهو خفة يد وحيل يخدع به الشخص على ضعاف النفوس[1].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – قد تبع في ذلك فخر الدين الرازي – ﷺ – ونقل لنا أنواع السحر من كلام الرازي. فقال: ((وهو أنواع:

أولاً: سحر الكلدانيين في قديم الزمان، كانوا يعبدون الكواكب ويزعمون أنها مصادر النحس والسعد، وكانوا يتوسلون إليها، ويتقربون بالبخور والاستحمام، وألوان الملابس المناسبة في زعمهم لتلك الكواكب والساعات المعينة كذلك.

ثانياً: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية كالتي تحدث الإصابة بالعين فتؤثر في الأشخاص وتحدث الضرر في الأجسام كما ذكره كبار الفلاسفة، ويقررون ذلك بأن تصور الإنسان مؤثر في نفسه، ألا ترى أنه يؤثر في جسمه حزنه وفرحه ورجاؤه وخوفه وعشقه وغرامه، فهذه آثارها الحاضرة عندها، فيجوز أنّ النفس إذا قويت أثرت فيما بعد عنها إذا تركت المألوفات، ونبذت الشهوات، كما هي عادة أولئك الذين يزعمون أنهم سحرة، فتخلوا نفوسهم من شواغل الجسد، وتلم شعثها، وترجع إلى عالمها الروحاني، وتفعل الشر، وتكون ممقوتة عند الله وعند الناس، وللوهم آثار كمن يرى يمشي على جذع فوق الأرض فإنه يسهل عليه، وإذا وضع هذا الجذع بين حائطين أو عمودين مثلاً لم يقدر على المشي عليه، ويخر صريعاً لليدين وللفم، وما صرعه إلاّ وهمه.

ثالثاً: الاستعانة بالأرواح الأرضية، وهذا أقوى أنواع الخرافات.

رابعاً: سحر التخيلات كما يفعله المشعوذ ويسمى بالحاوي في البلاد المصرية.

خامساً: ما يسمى السحر بالآلات المتحركة بضروب هندسية وعجائب علم الكيمياء كظهور نار العصفور الموضوع في الماء، وكالحرير الصخري الموضوع في النار الغير محترق، وهو كلما وضع عليها ازداد نطاقة، وكالآلات البخارية، وهذه كلها أصبحت اليوم في عداد العلوم وخرجت من مسمى السحر لشيوعها، وقد كان بعضها عند المتقدمين سراً مكتوما.

سادساً: الاستعانة بخواص الأدوية كما حدث في الحرب الألمان سنة/ ١٩١٤م، أنهم كانوا يلقون البخار على الأعداء، فتارة يعمي أعينهم، وتارة يخدرهم، وتارة يحدث فيهم جنوناً.

سابعاً: تعليق القلب، وهو من فن التنويم المغناطيسي.

---

(١) انظر عالم السحر والشعوذة – د. عمر سليمان الأشقر، ص١٠١-١٤٧.

ثامناً: النميمة والوشاية وضروب الأكاذيب المحولة للقلوب المضلة للنفوس، التي يستعملها الضالون من الناس ليفرقوا بين زيد وعمرو.

ثم قال: بعض هذه الأنواع أصبحت لا تسمى سحراً اليوم، وهي: النوع **الثامن، والسادس، والخامس**، وبعضها أصبح خرافة، وبعضها يجوز في نفسه، فأما وقوعه في الخارج فيحتاج إلى عيان، ونحن لم نشاهده)) (١).

وبهذا جعل طنطاوي جوهري – ﷺ – التنويم المغناطيسي نوعاً من أنواع السحر، ومن المستحسن أن نبين العلاقة التي تربط بين السحر والتنويم المغناطيسي؛ حتى يدرك القارئ ماهيته وكنهه ثم من خلاله نتوصل إلى معرفة العلاقة التي تشبه بينهما.

د– العلاقة بين السحر وبين التنويم المغناطيسي:

يتبين لنا من خلال تعريفي السحر والتنويم المغناطيسي أنَّ بينهما علاقة متشابهة من حيث الحقيقة والوصف.

فمن حيث الحقيقة أنهما يعلقان قلب المرء على حب الشيء وبغضه، ومن حيث الوصف يتصفان بنفس الصفات من الخضوع والتذلل والاستسلام لأوامر الساحر، و كذلك لما يطلبه المنوّم في التنويم المغناطيسي من المنوَّم، فيتمكن ذلك الكذاب منه فينوم بصيرته، ويوقظ خبله وغفلته، ويعلق بحبال الخيال والخبال، فيخدر أعصابه ويحدث في نفسه نوعاً من الاستهواء، وهو أشبه التنويم المغناطيسي (٢). **وقال طنطاوي عن درجاته:** ((١– أن يفقد الإحساس ويلبث شاخص العين يتلقى أوامر المنوَّم، وتلوح عليه الأمارات الدالة على قبوله لكل ما يريد المنوِّم – بالكسر – وفي هذه الحالة لو أدخل رجل المنوَّم – بالفتح – في ماء مغلي أو قرص جسمه لم يحس.

٢– أن يفقد الإحساس تماماً ويغلق عينيه كالحال الأولى، ولكن تمتاز هذه أنه يسمع ويبصر ويتكلم ويجيب بمعزل عن الحواس، ويقرأ ويكتب كما يراه المنوَّم.

٣– أن يحصل انخطاف روحي بأقصى درجاته، وإذن يعرف النائم نفسه معرفة تامة، ويصف علل جسمه، والعلاجات الملائمة، ويشاهد أفعال الناس ويسمع كلامهم عن بعد

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٢٤).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٢١).

سحيق، وينبئ عن حوادث مستقبلة، ويتكلم بلغات شتى، ويرى أرواح الأموات، ويصف هيئتها، وينقل إلى الجالسين أقوالها))[1].

وفي الحقيقة أنَّ هذه الدرجات الثلاث التي ذكرها طنطاوي عن التنويم المغناطيسي كلها يصدق عليها أنها من الأحوال الشيطانية، وأنها لا تحصل لأحد إلاَّ لمن خرج عن الكتاب والسنة، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية- ﷺ -.

فقال - ﷺ - :((ولهذا إذا قرأها الإنسان – أي: آية الكرسي - عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها، مثل من يدخل النار بحال شيطاني، أو يحضر سماع المكاء والتصدية فتنزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلاما لا يعلم، وربما لا يفقه.

وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه، وربما تكلم بألسنة مختلفة، كما يتكلم الجني على لسان المصروع.

والانسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه، فإذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال.

ولهذا قد يضرب المصروع (ضربا كثيرا حتى قد يقتل مثله الإنسي أو يمرضه لو كان هو المضروب) وذلك الضرب لا يؤثر في الإنسي، ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء، لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه... ومن هؤلاء من يستغيث بمخلوق إما حي أو ميت، سواء كان ذلك المخلوق مسلما أو نصرانيا أو مشركا، فيتصور الشيطان بصورة ذلك المستغاث به، ويقضي بعض حاجة ذلك المستغيث، فيظن أنه ذلك الشخص، أو هو ملك تصور على صورته، وإنما هو شيطان أضله لما أشرك بالله... من هؤلاء من يتصور له الشيطان ويقول له: أنا الخضر، وربما أخبره ببعض الأمور، وأعانه على بعض مطالبه، كما قد جرى ذلك لغير واحد من المسلمين واليهود والنصارى.

وكثير من الكفار بأرض المشرق والمغرب، يموت لهم الميت، فيأتي الشيطان بعد موته على صورته، وهم يعتقدون أنه ذلك الميت، ويقضي الديون، ويرد الودائع، ويفعل أشياء تتعلق بالميت، ويدخل إلى زوجته ويذهب... وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة))[2].

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٢٢).

(٢) انظر الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – لابن تيمية، ص١٧٠، ومجموع الفتاوى (١١/٢٨٦).

يتبين لنا من خلال ما تقدم أنَّ التنويم المغناطيسي الذي ذكره طنطاوي جوهري – ﷺ – فيه ممارسات خاطئة، وأعمالا مشينة تخالف الشرع؛ وهي أشبه بما عند السحرة والمشعوذين؛ وقد حرم العلماء المعاصرين المعتبرين – كما تقدم ذكره – استعمال هذا النوع من التنويم.

وأما عن حكم تعليمه وتعلمه لا ضير فيه إن كان هذا التنويم قد تحقق لدى المتخصصين في مجال الطب بأنه مجالٌ علمي، يستفيد منه بعض المرضى في تبديل قناعات سلبية منها إلى قناعات إيجابية، وقُصِدَ منه الدارس تنبيه الناس على بطلانه وبعده عن الحقيقة بعد تقويمه وتمحيصه، ولعل هذا هو مراد طنطاوي من القول بجواز تعلم ذلك، أوبوجوبه على الكفائي على مجموعة من امتهن مجال الطب. والله أعلم.

الفصل الثالث

آراء طنطاوي جوهري في مسائل توحيد الأسماء والصفات

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أسماء الله الحسنى.

المبحث الثاني: قواعد في صفات الله تعالى.

المبحث الثالث: صفات الله ﷻ مفصلاً.

المبحث الرابع: الكرسي و العرش.

المبحث الأول: أسماء الله الحسنى

أولاً: الأسس والقواعد التي بنى عليها السلف في معرفة أسماء الله الحسنى:

وضع أئمة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات بعض القواعد والأسس التي يتم من خلالها معرفة ذلك من غيرها، وكذلك وضعوا هذه الأسس من باب التيسير والتسهيل لمن أراد ضبط مذهب السلف في هذا الباب.

وطنطاوي جوهري أشار إلى شيء من تلك القواعد أثناء تفسيره لآيات القرآن المتعلقة بالأسماء والصفات، فمن تلك الأسس والقواعد ما يلي:

١- أنَّ أسماء الله - ﷻ - كلها حسنى:

وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله تعالى إذ يقررون أنّ أسمائه كلها حسنى وليس فيها اسم غير ذلك أصلا [(١)]، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الأعراف: ١٨٠]، وقال ﷻ ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الإسراء: ١٨٠]، وقال ﷻ ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [طه: ٨]، وقال ﷻ ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ [الحشر: ٢٣].

وضابط الحسنى: هو أن يكون كل اسم دال على صفة كمال ومدح وإلاّ لم تكن حسنى.

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله - عن ضابط الحسنى: ((أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علما محضا لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها)) [(٢)].

---

(١) بدائع الفوائد - لابن القيم الجوزية، (١/١٧١) .

(٢) تفسير السعدي ص٣٠٩.

ولشيخ الإسلام ابن تيمة كلام نفيس في هذا، حيث أصله بأصول وقواعد لمعرفة الأسماء الحسنى من غيرها حتى يدرك الخلق عند إطلاق أي اسم على الله – ﷻ – هل هو من هذا القبيل أم لا؟

فقال– رحمه الله –: ((الأسماء الحسنى المعروفة: هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها))[1] .

أولاً: دعاء الله بها والالتجاء إليه بهذه الاسماء، كما رواه يعض الأئمة أحاديث عن النبي – ﷺ – يذكر فيها بعضاً من أسماء الله الحسنى[2] .

ثانياً: التقيد بما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله الحسنى، وعدم التسمي بأسماء لم يكن لها أصل في الشرع ولم يأت بها، كتسمية الله: بالسخي والماكر والفاعل والصانع ونحو ذلك، فإن اسم الفاعل والصانع منقسم المعنى إلى ما يمدح عليه ويذم.

ولهذا المعنى– والله أعلم– لم يجئ في الأسماء الحسنى المريد كما جاءَ فيها السميع البصير، ولا المتكلم ولا الآمر الناهي لانقسام مسمى هذه الأسماء بل وصف نفسه بكمالاتها وأشرف أنواعها.

ومن هنا يعلم غلط بعض المتأخرين وزلقة الفاحش في اشتقاقه له سبحانه من كل فعل أخبر به عن نفسه اسماً مطلقاً فأدخله في أسمائه الحسنى، فاشتق له اسم الماكر، والخادع، والفاتن، والمضل، والكاتب، ونحوها من قوله: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠] ، ومن قوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] ، ومن قوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١] ، ومن قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ [الرعد: ٢٧] [النحل: ٩٣] [فاطر: ٨] ، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ [المجادلة: ٢١][3] .

ثالثاً: أن تكون في أسماء الله – ﷻ – صفة مدح وثناء في نفسها والله تعالى لا يسمى ولا يوصف إلا بالمحمود دون المذموم[4] .

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية – لابن تيمية، ص٣١.

(٢) كما روى الترمذي وابن ابن ماجة في سننيهما – مع اختلاف في الطرق وفي المتن بالزيادة والنقصان في بعض الأسماء – حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – . انظر سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٦٩)، وسنن الترمذي (٥/٤١١)، (٣٥٠٧). وقد ضعف أهل الحديث تلك الروايات التي فيها ذكر الأسماء٩٩.

(٣) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين – لا ابن قيم الجوزية ص٣٣٠.

(٤) انظر شرح العقيدة الأصفهانية – لابن تيمية، ص٣١.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((أنَّ الله سبحانه له الأسماء الحسنى كما سمى نفسه بذلك، وأنزل به كتبه، وعلمه من شاء من خلقه، كاسمه: الحي، والعليم، والرحيم، والحكيم، والأول، والآخر، والعلي، والعظيم، والكبير، ونحو ذلك، وهذه الأسماء كلها أسماء مدح وحمد تدل على ما يحمد به ولا يكون معناها مذمومًا))[(١)].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – قد أقرَّ بهذه القاعدة وذكر أن أسماء الله كلها حسنى، بهذا قد وافق مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك، حيث أشار إليها في معرض تفسيره لسورة الحشر.

فقال– ﷺ –: ((وختم السورة بوصف القرآن بأن الجبال تصدع من خشيته، وجعل هذا مقدمة لما بعدها، وهو الإشارة إلى أسمائه الحسنى، تلك الأسماء التي تبلغ تسعة وتسعين اسما، وقد دخل في معانيها هذا الوجود كله من سموات وأرضين، ودخل فيها أيضاً أفعال المكلفين ، ففيها العلم وفيها العمل ، وهذا عجب والله وألف عجب! أن يصف القرآن بأن الجبال تخشع من خشية الله لو أنها سمعته، ثم يتبع ذلك بأسمائه التي وصفها بأنها حسنى، وهذه الأسماء تتضمن الوجود كله، والقرآن كله، لأن معاني القرآن كلها، وجميع هذه المخلوقات لا تخرج عن معاني هذه الأسماء))[(٢)].

وقال أيضاً – ﷺ –: ((وهذا هو قوله بعد ذلك﴿لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ لأنها دالة على محاسن المعاني[(٣)].... ومحاسن المعاني تظهر في مظاهر هذا الوجود، فمن جهل نظام هذه الدنيا التي نحن فيها فقد جهل آثار صفات الله، ومن جهل أثر الصفة جهل نفس الصفة ، والله لا يعرف بذاته وإنّما يعرف بصفاته، فهذا كله حث على العلوم التي أنزلها الله على قلوب عباده في الشرق والغرب، والحكمة في هذا الوجود من الفلك وعلوم الطبيعة. ومن ظن أن تلاوة أسماء الله، أو معرفة معانيها وشرحها كافية، فهو جاهل، وانما تعرف الأسماء بالآثار، فمن جهل الآثار فقد بار))[(٤)].

و في موضع آخر قال – ﷺ – في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف: ١٨٠]، : ((الصفات العليا: العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها، أو الأسماء

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – لابن تيمية، (٢٩٨/٣)، ودرء تعارض العقل والنقل – لابن تيمية، (٢٩٤/٦).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٦٠/٢٤).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٦٣/٢٤).

(٤) المرجع السابق (١٥٩/٢٤).

التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معانٍ حسنة، والحسنى تأنيث الأحسن، وحسنها إنما يكون بمعانيها، ولا معنى للحسن في حق الله تعالى إلاّ ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال، وترجع إلى معنيين، عدم افتقاره لغيره، وافتقار غيره إليه، فمن تلك المعاني ماهي حسنة بحقائقها كالقدم والبقاء والقدرة والعلم والوحدة، ومنها ماهي حسنة بآثارها كالغفران والرحمة والشكر والحلم))[1].

٢- أسماء الله توقيفية لا مجال للعقل فيها:

أي ما توقف نفيه وإثباته على الكتاب والسنة، لا يثبت شيئاً ولا ينفيه إلا بدليل شرعي وليس للعقل مجال للخوض فيه لقصوره عن إدراك الغيبيات كما مر معنا سلفاً.

قال ابن القيم- رحمه الله -: ((أنَّ ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفا، كالقديم والشيء والموجود والقائم بنفسه فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه، هل هي توقيفية أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع))[2].

وطنطاوي جوهري - رحمه الله - قد وافق مذهب السلف في هذه القاعدة كذلك، وأقرّ بأن أسماء الله توقيفية، والمرجع في ذلك هو القرآن والسنة.

فقال - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ((أي: يميلون عن الاستقامة، كما كان المشركون يقولون: واللات والعزى ومناة لأصنامهم اشتقاقاً من الإله والعزيز والمنان، وفي هذا دليل على أنّ أسماء الله توقيفية: فلا نقول: يا سخيّ أو عاقل أو يا طبيب، مع أنا نقول: يا جواد و يا عليم و يا حكيم))[3].

وقال - رحمه الله - في موضع أخر: ((وبالإجمال لا يجوز تسمية الله بما لم ينزل به سلطان))[4].

٣- أسماء الله ليست محصورة بعدد:

وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله - عز وجل - إذ أنها ليست محصورة بعدد معين، ولا يستطيع حصرها أحدٌ من خلقه لا نبي مرسل ولا ملك مقرب.

---

(١) المرجع السابق (٤/٢٨٤).

(٢) بدائع الفوائد (١/١٧٠).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٢٨٥).

(٤) انظر المرجع السابق (٤/٢٨٥ – ١٥/١٢١).

كما جاء في حديث ابن مسعود – ﷺ – عن رسول الله – ﷺ – أنه قال: ((ما أصاب أحدا قط هم ولا و لا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، إلا أذهب الله حزنه وهمه وأبدله مكانه فرحا، فقيل: يا رسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال: بلى ينبغي لكل من سمعها أن يتعلمها))[1]

وهذا ما ذهب إليه جمهور أهل العلم في المسألة، ونقل الإمام النووي – ﷺ – اتفاق العلماء عليه. **فقال**: ((ليس في الحديث حصر أسماء الله تعالى، وليس معناه أنه ليس له اسم غير هذه التسعة والتسعين، وانما مقصود الحديث: أن هذه الاسماء من أحصاها دخل الجنة، فالمراد الاخبار عن دخول الجنة بإحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء، ويؤيده قوله – ﷺ – في حديث بن مسعود – ﷺ – الذي أخرجه أحمد وصححه بن حبان – أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك، وعند مالك: عن كعب الأحبار في دعاء وأسألك بأسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وأورد الطبري عن قتادة نحوه ومن حديث عائشة انها دعت بحضرة النبي ﷺ بنحو ذلك))[2] .

وكذلك استدل ابن القيم – ﷺ – بأن الأسماء الحسنى لا تدخل تحت حصر ولا تحد بعدد فإن لله تعالى أسماء وصفات استأثر بها في علم الغيب عنده لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل، فجعل أسماءه **ثلاثة أقسام**:

١– قسم سمى به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه.

٢– وقسم أنزل به كتابه فتعرف به إلى عباده.

---

(١) رواه أحمد في المسند، (٦/٢٤٦) حديث رقم (٢٤٧)، بسند ضعيف كما قال "شعيب االأرنؤوط"، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقاق، باب الأدعية) (٣/٢٥٣)، حديث رقم (٩٧٢)، وقال محققه: إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، والحاكم في المستدرك، (١/٦٩٠)، حديث رقم (١٨٧٧)، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله، عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه، المستدرك على الصحيحين

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/٢٢٠)، .

٣- وقسم استأثر به في علم غيبه فلم يطلع عليه أحد من خلقه، ولهذا قال استأثرت به أي انفردت بعلمه وليس المراد انفراده بالتسمي به لأن هذا الانفراد ثابت في الأسماء التي أنزل الله بها كتابه.

ومن هذا قول النبي - ﷺ - في حديث الشفاعة ((فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن))[(١)] وتلك المحامد تفي بأسمائه وصفاته

ومنه قوله - ﷺ - ((لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك))[(٢)]، وأما قوله - ﷺ - ((إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة))[(٣)]، فالكلام جملة واحدة وقوله ((ومن أحصاها دخل الجنة))صفة لا خبر مستقبل والمعنى له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة وهذا لا ينفي أن يكون له أسماء غيرها

وهذا كما تقول لفلان مائة مملوك وقد أعدهم للجهاد فلا ينفي هذا أن يكون له مماليك سواهم معدون لغير الجهاد وهذا لا خلاف بين العلماء فيه[(٤)].

وطنطاوي جوهري - ﷺ - في الجملة قد وافق مذهب أهل السنة والجماعة في هذه القاعدة، حيث أورد في تفسيره بعض الروايات التي يسرد فيها أسماء الله الحسنى، كحديث أبي هريرة - ﷺ - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً؛ مائة إلا واحداً؛ إنه وتر يحب الوتر، من أحصاها دخل الجنة ، هو: الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب ، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط ، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع البصير، الحكم، العدل، اللطيف ، الخبير، الحليم، العظيم ، الغفور، الشكور، العلي الكبير، الحفيظ ، المقيت، الحسيب ، الجليل، الكريم، الرقيب ، المجيب ، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث ، الشهيد، الحق ، الوكيل، القوي ، المتين ، الولي ،

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة، (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣])، (٨٤/٦)، (٤٧١٢)، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها)، (١٨٤/١)، (١٩٤).

(٢) رواه مسلم من حديث عائشة في (كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود)، (٣٥٣/١)، (٤٨٦).

(٣) رواه البخاري من حديث أبي هريرة، (كتاب التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدا)، (١١٨/٩)، (٧٣٩٢)، ومسلم في(كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها)، (٤/ ٢٠٦٣)، (٢٦٧٧).

(٤) انظر بدائع الفوائد (١٧٤/١) .

الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد ، المحي، المميت ، الحي ، القيوم، الواجد ، الماجد، الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن ، الوالي ، المتعال ، البر، التواب ، المنتقم ، العفو، الرؤوف، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام، المقسط ، الجامع، الغني، المغني، المانع ، الضار، النافع ، النور، الهادي، البديع، الباقي الوارث ، الرشيد، الصبور))[1] .

ثم ذكر طنطاوي جوهري - ﷺ - جملة من أقوال العلماء في حصر الأسماء بعدد، فقال: ((قال الشيخ النووي: الحديث لا يدل على حصر أسماء الله في ذلك العدد، وقال الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم: إنّ لله ألف اسم، قال ابن العربي: وهذا قليل، وبالإجمال لا يجوز تسمية الله بما لم ينزل به سلطان))[2] .

غير أنه في موضع آخر خالف ذلك، وأشار في قوله كأنه يحصر أسماء الله في تسعة وتسعين. فقال- ﷺ -: ((وختم السورة بوصف القرآن بأن الجبال تصدع من خشيته، وجعل هذا مقدمة لما بعدها، وهو الإشارة إلى أسمائه الحسنى، تلك الأسماء التي تبلغ تسعة وتسعين اسماً))[3] .

إذاً يتضح لنا من خلال ذلك: أنّ رأيه في هذه المسألة غير واضح؛ فهو مضطرب فيها؛ تارة يحصرها في تسعة وتسعين اسماً، وتارة يقول بعدم إحصاءها في عدد معين.

ولعل قوله إلى عدم إحصاءها أقرب – وهو قول جمهور أعل العلم –؛ بدليل قوله: ((لا يجوز تسمية الله بما لم ينزل به سلطانا))**كأن هذا إشارة من طنطاوي إلى أنَّ أسماء الله لا حصر لها، وأنّ من يسمي الله - ﷻ - باسم أو يحصيها بعدد معين يلزم عليه الاتيان بدليل شرعي يبرهن به قوله.والله أعلم.**

المقصود بإحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة:

---

(١) رواه الترمذي، (٥/ ٤١١)، (٣٥٠٧)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح: وهو ثقة عند أهل الحديث.والحديث مدرج ضعفه العلماء، انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٢١٥)، ومشكاة المصابيح - محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، (٢/ ٧٠٧)، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الثالثة، ١٩٨٥م، وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - للألباني (٦/ ٧٦).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٢٨٥ – ١٥/١٢١).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٤/١٦٠).

فقد اختلف العلماء في فهم معنى الإحصاء الوارد في الحديث إلى عدة أقوال، فنورد بعضاً من أقوالهم في ذلك:

- ذكر كثيراً من العلماء والمحققين: أنَّ معنى أحصاها أي: حفظها، وهذا هو الأظهر لأنه جاء مفسرا لها في رواية أخرى من حفظها[(١)].
- وقيل: أحصاها أي: بمعنى عدها[(٢)].
- وقيل المراد بالإحصاء: الإطاقة، كقوله تعالى ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ [المزمل: ٢٠] والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء، والعمل بمقتضاها؛ وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال الرزاق وثق بالرزق وكذا سائر الأسماء.
- وقيل المراد بالإحصاء: الإحاطة بمعانيها، من قول العرب: فلان ذو حصاة؛ أي: ذو عقل ومعرفة[(٣)].

إذاً مراتب الإحصاء ثلاثة:

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وأسمائها وعددها.

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها، كما قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠][(٤)].

إذاً يتبين لنا من خلال أقوال العلماء أنّ معنى الإحصاء هو حفظها وفهم معانيها والعمل بمقتضاها ودعاؤه بها.

وطنطاوي جوهري - ﷺ - قد وافق مذهب أهل السنة والجماعة في معنى إحصاء أسماء الله الحسنى الذي ورد في الحديث، وإن انحاز قليلاً في رأيه إلى ما ذهب إليه الإمام الغزالي بقوله التخلق بأسماء الله وتخلقوا بأخلاق الله، فهو بهذا يعتبر مقلداً للإمام الغزالي في باب أسماء الله وصفاته، وقد نقل عنه كثيراً في تفسيره من كتاب " المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى "[(٥)].

---

(١) انظر المنهاج شرح النووي على مسلم (٥/١٧)، (٢٦٧٧).

(٢) انظر المنهاج شرح النووي على مسلم (٥/١٧).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري (١١/ ٢٢٥)، (٦٤١٠).

(٤) انظر بدائع الفوائد (١٧١/١)، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص٥٥٥، والقول المفيد (٣١٤/٢).

قال طنطاوي – ﷺ –: ((وفي الحديث: روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله – ﷺ :((إنّ لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة، والله وتر يحب الوتر))[(١)] ، وفي رواية أخرى: ((من أحصاها))[(٢)] .

وخير ما في تفسير هذا ما قاله بعضهم: من أطاقها وأحسن المراعاة لها، والمحافظة على ما يقتضيه واجبها، وصدق بمعانيها، وعمل بمقتضاها، دخل الجنة. فالحفظ يراد به لازمه وهو المعنى، ثم التخلق، لأن حفظها شيء يسير، والإسلام دين جعل الجنة في مقابلة الأخلاق والعلوم والآداب والأعمال، فالتخلق بأسماء الله من القدس والرأفة والعلم... الخ، يجعل العبد قريباً من ربه كما في الحديث: ((تخلقوا بأخلاق الله))[(٣)][(٤)] .

وفي الحقيقة أنَّ هذا الأثر لم يثبت عن النبي – ﷺ – ولم يقل به أحد من الصحابة والتابعين، وليس له أصل في الشرع كما بيناه في الحاشية عند تخريجه، وإنما أخذوها عن الفلاسفة[(٥)] لأن أصل الفلسفة هو التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية[(٦)] .

ولعل قصد طنطاوي من تفسير ذلك: الحث على التخلق بمقتضى صفات الله وأسمائه والعمل بموجبها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية– ﷺ –: ((قوله: "تخلقوا بأخلاق الله" فإن هذا من جنس ما يقوله المتفلسفة الصابئون، ومن سلك مسلكهم من الإسلاميين، من قولهم إن الفلسفة هي التشبه بحسب الطاقة، فيثبتون أنَّ العبد يصير شبيهاً بالله تعالى بفعل نفسه، ويحتج من اتبعهم على ذلك كأبي حامد وغيره، بقوله: "تخلقوا بأخلاق الله" وهذا اللفظ لا يعرف عن

---

(١) رواه مسلم في:(كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها)، (٤/ ٢٠٦٣)، (٢٦٧٧).

(٢) رواه البخاري من حديث أبي هريرة، (كتاب التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدا)، (٩/١١٨)، (٧٣٩٢)، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها)، (٤/ ٢٠٦٣)، (٢٦٧٧). سبق تخريجه قبل صفحتين.

(٣) هذا الأثر موضوع ولم يثبت عن النبي – ﷺ –، وليس له أصل في كتب السنة يقول ابن القيم ((ورووا في ذلك أثرا باطلا تخلقوا بأخلاق الله)) انظر مدارج السالكين (٣/٢٢٧).

وقال الشيخ الألباني: لا أصل له انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة – للألباني (٦/ ٣٤٦).

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٢٨٥)

(٥)كتاب التعريفات (١/١٦٩).

(٦) المرجع السابق (١/١٦٩).

النبي – ﷺ – في شيء من كتب الحديث، ولا هو معروف عن أحد من أهل العلم، بل هو من باب الموضوعات عندهم، وإن كان قد يفسر بمعنى صحيح يوافق الكتاب والسنة، فإن الشارع قد ذكر أنه يحب اتصاف العبد بمعاني أسماء الله تعالى كقول النبي – ﷺ – ((إنَّ الله جميل يحب الجمال))[1] ((إنه وتر يحب الوتر))[2] ((إنه طيب لا يقبل إلا طيباً))[3] ((الراحمون يرحمهم الرحمن))[4] ((إنك عفو تحب العفو فاعف عني))[5] ((إن الله نظيف يحب النظافة))[6]، لكن المقصود أنَّ هؤلاء مع كونهم أظهر الناس تبرُّءاً من التشبيه يزعمون أن كمال الفلسفة عندهم أن يفعل الإنسان ما يصير به مشابهاً لله في الجملة، وقد وافقهم عليه بعض المتكلمين وإن كان كثير من المتكلمين يخالفونهم في ذلك))[7].

وفي موضع آخر قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((وهذا القول لم يقله قط أحد من سلف الأئمة ولا أئمة المسلمين لا الأربعة ولا غيرهم، ولهذا قد ضل من سلك سبيل هؤلاء[8] فصار مقصودهم: هو التشبه بالله واحتجوا بما يروون تخلقوا بأخلاق الله....وسلك هذا المسلك ابن عربي وابن سبعين وغيرهما من ملاحدة الصوفية، وصار ذلك مع ما ضموا إليه من البدع والإلحاد موقعاً لهم في الحلول والاتحاد.

وقد أنكر المازري وغيره على أبي حامد ما ذكره في التخلق، وبالغوا في النفي حتى قالوا: ليس لله اسم يتخلق به العبد.

ولهذا عدل أبو الحكم بن برجان عن هذا اللفظ إلى لفظ التعبد))[9].

---

(١) رواه مسلم في:(كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه)، (١/ ٩٣)، (٩١).

(٢) رواه مسلم في:(كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها)، (٤/ ٢٠٦٣)، (٢٦٧٧).

(٣) رواه مسلم في:(كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها)، (٢/ ٧٠٣)، (١٠١٥).

(٤) رواه الترمذي، (٣/ ٣٨٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، و أبو داود (٤/ ٢٨٥).

(٥) رواه الترمذي من حديث عائشة (٥/ ٤١٦)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه، (٢/ ١٢٦٥).

(٦) رواه الترمذي من حديث عائشة، (٤/ ٤٠٩)، ، وقال الترمذي: هذا حديث غريب وخالد بن إلياس يضعف.

(٧) بيان تلبيس الجهمية – لابن تيمية (٦/ ٥١٨).

(٨) المراد بهم هم الفلاسفة القائلين بأن "الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة"

(٩) انظر الصفدية (٢/٣٣٢ – ٣٣٩).

ويقول ابن القيم - رحمه الله -: ((فإنها ليست بعبارة سديدة، وهي منتزعة من قول الفلاسفة بالتشبه بالإله على قدر الطاقة، وأحسن منها عبارة أبي الحكم بن برهان[1]، وهي التعبد وأحسن منها العبارة المطابقة للقرآن: وهي الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال، فمراتبها أربعة: أشدها إنكارا عبارة الفلاسفة وهي التشبه، وأحسن منها عبارة من قال التخلق، وأحسن منها عبارة من قال التعبد، وأحسن من الجميع الدعاء وهي لفظ القرآن))[2].

٤- أسماء الله يدعى بها ويتعبد بها:

كما قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وهو أي الدعاء: **مرتبتان:**

إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والثاني: دعاء طلب ومسألة، فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وكذلك لا يسأل إلا بها[3]، فلا يقال: يا موجود، أو يا شيء، أو يا ذات اغفر لي وارحمني، بل يسأل في كل مطلوب باسم يكون مقتضيا لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسلا إليه بذلك الاسم[4].

وطنطاوي جوهري - رحمه الله - أقرَّ بأنّ أسماء الله يدعى بها ويتعبد بها، مع ذكره بعضاً من شروط الدعاء، كحضور القلب مع التعظيم، والإخلاص، والعزم في المسألة مع الرجاء وغير ذلك، وهو في ذلك موافق لما ذهب إليه أهل السنة والجماعة في أنّ أسماء الله يدعى ويتعبد بها، بيد أنه لم يفصل في المسألة وأشار إليها إشارة سريعة أثناء تفسير قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فقال- رحمه الله -: ((أي: سموه بتلك الأسماء، أو ادعوه لقضاء حوائجكم، ثم قال: وللدعاء شروط: كأن يستحضر الداعي عظمة المدعو مع الإخلاص والتعظيم، ويعزم المسألة راجياً الإجابة))[5].

٥- الإلحاد في أسماء الله:

---

(١) والصحيح ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، هو أبو الحكم بن برجان وليس برهان. انظر ترجمته في لسان الميزان - أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، (١٧٣/٥)، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ن: دار البشائر الإسلامية، ط: الأولى، ٢٠٠٢ م.

(٢) بدائع الفوائد (١٧٣/١).

(٣) انظر الفتاوى الكبرى – لابن تيمية (٣٨٠/٢)

(٤) انظر بدائع الفوائد (١٧٢/١).

(٥) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٨٤/٤).

ينبغي لنا معرفة الإلحاد في أسمائه ﷻ ومعناه؟ وما المقصود منه؟ حتى يتجنب المسلم عنه ويبتعد عن الوقوع فيه، قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الأعراف: ١٨٠].

وابن القيم – رحمه الله – عرف الإلحاد في أسمائه بقوله: ((هو العدول بها، وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، وهو مأخوذ من الميل، كما يدل عليه مادته: ل ح د فمنه اللحد وهو الشق في جانب القبر الذي قد مال عن الوسط، ومنه الملحد في الدين المائل عن الحق إلى الباطل))[(١)].

وقال أيضاً – رحمه الله – ((وحقيقة الإلحاد فيها: العدول بها عن الصواب فيها وإدخال ما ليس من معانيها فيها وإخراج حقائق معانيها عنها هذا حقيقة الإلحاد))[(٢)].

والالحاد في أسمائه تعالى أنواع:

أحدها: أن يشتق من أسماء الله ﷻ أسماء للأصنام، كتسميتهم اللات من الإلهية والعزى من العزيز، وتسميتهم الصنم إلها، وهذا إلحاد حقيقة فإنهم عدلوا بأسمائه إلى أوثانهم وآلهتهم الباطلة.

الثاني: أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له أبا، وتسمية الفلاسفة له موجبا بذاته أو علة فاعلة بالطبع ونحو ذلك.

وثالثها: وصفه تعالى بالنقائص والعيوب، كقول اليهود: إنه فقير وقولهم إنه استراح بعد أن خلق خلقه، وقولهم ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة:٦٤] وأمثال ذلك مما هو إلحاد في أسمائه وصفاته.

ورابعها: تعطيل الأسماء عن معانيها وجحد حقائقها، كقول من يقول من الجهمية[(٣)] وأتباعهم: إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم السميع والبصير والحي والرحيم والمتكلم والمريد، ويقولون: لا حياة له ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا إرادة تقوم

---

(١) بدائع الفوائد (١/١٧٩).

(٢) مدارج السالكين (١/٥٤).

(٣) هم أتباع جهم بن صفوان، تلميذ الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١٢٤ هـ.
وقد ظهرت بدعة جهم بترمذ، وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية، والجهمية توافق المعتزلة في نفي الصفات الازلية، وتزيد عليهم بأشياء. انظر الملل والنحل (١/ ٨٦، ٨٨)، والتنبيه والرد – للملطي ص٩٩، والفرق بين الفرق ص١٩٧.

به، وهذا من أعظم الإلحاد فيها عقلا وشرعا ولغة وفطرة، وهو يقابل إلحاد المشركين فإن أولئك أعطوا أسماءه وصفاته لآلهتهم، وهؤلاء سلبوه صفات كماله وجحدوها وعطلوها، فكلاهما ملحد في أسمائه، وكل من جحد شيئا عما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله فقد ألحد في ذلك فليستقل أو ليستكثر.

وخامسها: أن يشبه صفات الله تعالى بصفات خلقه – تعالى الله عما يقول المشبهون علوا كبيرا –، فهذا الإلحاد في مقابلة إلحاد المعطلة، فإن أولئك نفوا صفة كماله وجحدوها، وهؤلاء شبهوها بصفات خلقه، فجمعهم الإلحاد وتفرقت بهم طرقه [1].

يقول الشيخ ابن عثيمين – ﷺ –:((والإلحاد بجميع أنواعه محرم، لأن الله تعالى هَدَّدَ الملحدين بقوله: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ومنه ما يكون شركا أو كفرًا حسبما تقتضيه الأدلة الشرعية))[2].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – فسَّرَ الإلحاد بأنه الميل عن الاستقامة والعدول بها عن حقائقها.

فقال في معرض تفسير قوله تعالى ﴿ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ((أي: يميلون عن الاستقامة، كما كان المشركون يقولون: واللات والعزى ومناة لأصنامهم اشتقاقاً من الإله والعزيز والمنان))[3].

وهو بذلك قد وافق مذهب أهل السنة والجماعة في معنى الإلحاد، وأنّ معناه هو: العدول بها، وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها، كما قرر ذلك أهل السنة.

٦– أسماء الله دالة على الصفات:

أنَّ من أسمائه الحسنى ما يكون دالا على عدة صفات، ويكون ذلك الاسم متناولا لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها، كاسمه العظيم والمجيد والصمد.

كما قال ابن عباس– ﷺ – في تفسير الصمد: ((السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف: الذي قد كمل في شرفه، والعظيم: الذي قد كمل في عظمته، والحليم: الذي قد كمل في حلمه، والعليم: الذي قد كمل في علمه، والحكيم: الذي قد كمل في حكمته، وهو

---

(١) انظر بدائع الفوائد (١/١٧٩)، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ص١٧، وتيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص٥٦٠.

(٢) القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى – لابن عثيمين، ص١٧.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٢٨٥).

الذي قد كمل في أنواع شرفه وسؤدده وهو الله سبحانه، هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفوا أحد وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار))[1]، ومن فسَّرَ الأسماء الحسنى بدون معناه فقد نقصه من حيث لا يعلم، ومن لم يحط بهذا علما بخس الاسم الأعظم حقه وهضمه معناه فتدبره[2].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – قرَّر ما قرره أهل السنة والجماعة في أنّ أسماء الله ﷻ دالة على الصفات

فقال طنطاوي – ﷺ –: ((أنَّ معاني أسماء الله الحسنى كلها ترجع إلى صفاته تعالى))[3].

وقوله هذا؛ يلزم منه أن الصفات يشتق منها أسماءمطلقا؛ والصحيح أنَّ الصفات الذاتية فقط هي التي يشتق منها الأسماء، كالعلم يشتق منها اسم العليم، والقدرة منها القدير والعزة منها العزيز ونحو ذلك.

أما الصفات الفعلية لا يشتق منها الاسم: كالإرادة والفعل والاستواء؛ فليس من أسماء الله: مريد أو فاعل أو مستوي.

وقال أيضاً – ﷺ – ((إنّ هذه العلوم السماوية كلها المرتبطات بأسماء الله، ((وهل الأسماء إلا دالة على الصفات، وهذه الآثار دالات على الصفات))[4].

وفي موضع آخر ذكر طنطاوي – ﷺ – فقال: ((إنّ معاني أسماء الله تعالى المعبرة عن صفاته الوجودية التي اتصفت بها ذاته العلية قد أصبحت تظهر آثارها في العلوم المنشورة اليوم في الأرض، فانظر ببصرك أولاً ثم ببصيرتك ثانياً أيها الذكي، واقرأ أسماء الله في الشجر والحجر والبر والبحر والسمك والجراد والنمر والغزال، انظر بعقلك فسترى ببصيرتك أن الشجر والحجر والشمس والقمر كلها سطور مكتوبات مجسمات بمعاني الأسماء الحسنى، والأسماء الحسنى معبرات عن القدرة والإرادة والعلم والحياة... الخ))[5].

---

(١) رواه البيهقي (٥٦/١)، في الأسماء والصفات .

(٢) انظر بدائع الفوائد(١٧٨/١).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢١/١٥).

(٤) المرجع السابق (١٧١/٢٤).

(٥) المرجع السابق (١٢٤/١٥).

وبهذا قد وافق طنطاوي جوهري – ﷺ – مذهب أهل السنة والجماعة في هذه القاعدة، وهي أنَّ أسماء الله – ﷻ – دالة على الصفات.

ثانياً: تقرير طنطاوي جوهري لأسماء الله الحسنى:

أ- استشهاده ببعض الأحاديث في تقرير ذلك.

أثبت طنطاوي جوهري لله – ﷻ – الأسماء الحسنى، واستشهد في ذلك عدداً من الأحاديث التي بين فيها رسول الله – ﷺ – أنَّ لله– ﷻ – أسماءً حسنى، ومن ذلك ما أورد طنطاوي في تفسيره.

فقال – ﷺ –: ((روى أبو هريرة أن رسول الله – ﷺ – قال: ((إن لله تسعة وتسعين اسماً؛ مائة إلا واحداً؛ إنه وتر يحب الوتر، من أحصاها دخل الجنة ، هو: الله الذي لا إله إلا هو، الرحمن الرحيم، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب ، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط ، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع البصير، الحكم، العدل، اللطيف ، الخبير، الحليم، العظيم ، الغفور، الشكور، العلي الكبير، الحفيظ ، المقيت، الحسيب ، الجليل، الكريم، الرقيب ، المجيب ، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث ، الشهيد، الحق ، الوكيل، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد ، المحي، المميت ، الحي ، القيوم، الواجد ، الماجد، الأحد، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن ، الوالي ، المتعال ، البر، التواب ، المنتقم ، العفو، الرؤوف، مالك الملك ، ذو الجلال والإكرام، المقسط ، الجامع، الغني، المغني، المانع ، الضار، النافع ، النور، الهادي، البديع، الباقي الوارث ، الرشيد، الصبور)) (١).

ب- ذكره لبعض أسماء الله الحسنى مع شرحها:

فقال – ﷺ –: ﴿ٱلۡحَيُّ﴾ الذي لم يزل بالحياة موصوفاً لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعتريه الموت بعد حياة.

﴿ٱلۡقَيُّومُ﴾ القائم بتدبير خلقه في إيجادهم وأرزاقهم، وجميع ما هم في حاجة إليه.

﴿ٱلۡعَلِيُّ﴾ الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب أن يوصف به من معاني الجلال والكمال.

---

(١) تقدم تخريجه صفحة ٢٠٧.

﴿ٱلۡعَظِيمُ﴾ ذو العظمة والكبرياء، أي: لا شيء أعظم منه [1].

﴿الله﴾ وهذا الاسم أعظم الأسماء التسعة والتسعين لأنه دال على الذات الجامعة للصفات الإلهية كلها، وسائر الأسماء تدل آحادها على آحاد المعاني من علم أو قدرة أو فعل أو غيره، وهذا الاسم لا يطلق على غير الله تعالى ، فهذان السببان بهما يكون هذا الاسم أعظم هذه الأسماء، ثم إن معاني سائر الأسماء يتصور أن يتصف بها العبد بثبوت شيء منها حتى ينطلق عليه الاسم كالرحيم والعليم والحليم والصبور والشكور وغيره.

﴿ الرحمن ﴾ مشتق من الرحمة وهو أخص من الرحيم، ولذلك لا يسمى به غير الله. إذن الرحمن يكون في السعادة الأخروية لأن العباد لا قدرة لهم عليها، وحظ العبد من اسم الرحمن أن يرحم عباد الله تعالى الغافلين، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والنصح بطريق اللطف دون العنف [2].

﴿ ٱلۡقُدُّوسُ ﴾ أي: البليغ في النزاهة عما يوجب نقصانا في ذاته وصفاته وأفعاله، ولذلك يقول الملائكة: "سبوح قدوس رب الملائكة والروح"

﴿ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ﴾ وهو ذو السلامة من كل نقص وآفة، وهذا مصدر وصف به للمبالغة، وزاده تأكيداً بوصفه بانه واهب الأمن، فقد أمن الخلائق من ظلمه، وقد أمن من آمن به من عذابه إذا كان مطيعاً بخلاف المنفردين بالملك من الناس، فهم ليسوا منزهين عن الظلم، ولا سالمين من النقص، ولا آمنة رعاياهم بوائقهم... ولكن هذه الأمم الإسلامية يجب أن تطمئن، لأن الله رحمن رحيم، ملك قدوس، سلام مؤمن، وإذا كان هو المتصرف في الخلق بالرحمة فهو لم يسلط هؤلاء على المسلمين تشفياً وانتقاماً [3].

﴿ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾وهو الرقيب الحافظ لكل شيء، الشهيد على عباده بأعمالهم فلا يغيب عنه شيء، والقائم على خلقه برزقهم، ويقال: إنه مأخوذ من الأمن فهو مؤيمن قلبت الهمزة هاءً، ثم أتبع ذلك بصفات العزة والغلبة:

﴿ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الغالب على المغلوب.

﴿ ٱلۡجَبَّارُ ﴾ الذي جبر خلقه على ما أراده.

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٧٤/١).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣٢/١٥).

(٣) المرجع السابق (١٦١/٢٤).

﴿ ٱلْمُتَكَبِّرُ ﴾ الذي تكبر على كل ما يوجب حاجة أو نقصاً، وهو البليغ الكبرياء العظمة، وهذه الصفات المسبوقات بالرحمة وبالأمن وبالسلامة متممات لها[(١)].

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ﴾ المقدر للأشياء على مقتضى الحكمة.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾ الموجد لها بريئا من التفاوت.

﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ الموجد لصورها وكيفياتها كما أراد[(٢)].

﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ ﴾ السابق على سائر الموجودات، لأنه أوجدها.

﴿ وَٱلْآخِرُ ﴾الباقي بعد فنائها، وأيضاً منه ابتدأت الأسباب، وإليه انتهت المسببات.

﴿ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾فقد ظهرت دلائل وجوده وتكاثرت، ويطنت ذاته فلم ترها العيون، واحتجبت عن الظنون، فهو ظاهر بآثاره وأفعاله، باطن بذاته ومشرق جماله وكماله، قد ظهرت غلبته على المخلوقات وعلم حقائقها، ولم يخف عليه بواطنها، فهو ظاهر بغلبه عليها، باطن لعلمه بما بطن منها[(٣)]

بعد ما ذكر طنطاوي عن معاني بعض أسماء الله الحسنى وطبق معانيها على الحيوانات والحشرات، قام يؤكد على منهجه التجريبي الذي سار عليه في حياته.

فقال – ﷺ –: ((إذن أسماء الله الحسنى دراستها تكون أكمل في الحقول))[(٤)].

وفي الجملة وافق طنطاوي جوهري مذهب أهل السنة في أسماء الله الحسنى ومعانيها وقواعدها التي استخرجوا العلماء من نصوص القرآن والسنة.

---

(١) المرجع السابق (١٦٢/٢٤).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٦٣/٢٤).

(٣) المرجع السابق (٩٨/٢٤)

(٤) المرجع السابق (٦١/١٤).

المبحث الثاني: قواعد في صفات الله

أولاً: قواعد في صفات الله:

تتبع علماء أهل السنة والجماعة نصوص الكتاب والسنة واستخرجوا منها قواعد كلية في باب الأسماء والصفات، ومن تلك القواعد في صفات الله ﷻ ما يلي:

١- أنّ صفات الله تعالى كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه: كالحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والرحمة، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، وغير ذلك.

٢- أنّ باب الصفات أوسع من باب الأسماء وذلك: لأن كل اسم متضمن لصفة.

٣- صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية. وسلبية.

فالثبوتية: ما أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله - ﷺ -، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالحياة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك.

والصفات السلبية: هي ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله - ﷺ -، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب. فيجب نفيها عن الله تعالى مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل.

٤- الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال.

٥- يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين:

أحدهما: التمثيل

والثاني: التكييف.

٦- الصفات الثبوتية تنقسم إلى **قسمين:** ذاتية. وفعلية، وقد تكون الصفة ذاتية فعلية، كصفة الكلام، ويأتي الحديث ذلك مفصلاً فيما بعد من هذا المبحث.

٧- صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل الكتاب والسنة على ثبوته[(١)].

---

(١) القواعد المثلى ص١٨-٢٧، ((بتصرف))

ثانياً: القواعد التي أشار إليها طنطاوي جوهري في صفات الله:

لقد تطرق طنطاوي جوهري في تفسيره لبعض القواعد المهمة في صفات الله، والتي ذكرها علماء أهل السنة والجماعة في كتبهم، ومن تلك القواعد الهامَّة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية– ﷺ – في حديثه عن صفات الله ﷻ:

١– القول في الصفات كالقول في الذات:

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة مع من يقر بذات الله تعالى ويمثل في صفاته أو ينفيها، **يقال لهم**: القول في الصفات كالقول في الذات، لأن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فإذا كان له ذات حقيقة لا تماثل الذوات، فالذات متصفة بصفات حقيقة لا تماثل صفات سائر الذوات[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – ((وهذا هو المذهب الذي حكاه «الخطابي» وغيره من السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضح، فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات.

فمن قال: لا أعقل علمًا ويدًا إلا من جنس العلم واليد المعهودين.

قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذوات المخلوقين؟ ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب – الذي ليس كمثله شيء – إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه))[(٢)].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – **قد أقرّ مذهب السلف في هذه القاعدة ببعض الأجزاء وخالف في بعضها.**

قد وافق في إثباته أنّ ذات الله – ﷻ – لا تشبه سائر ذوات المخلوقين، لأن ذاته مجهولة و لا نعلم عن حقيقتها وكنهها، فمحال أن يدركوها فكذلك صفاته – ﷻ –.

---

(١) انظر التدمرية: ص٤٣، والفتوى الحموية الكبرى (٥٤٣/١)، ومجموع الفتاوى (٢٥/٣).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى ص٥٤٣.

فقال في ذلك – ﷺ –:((إنّ الله – ﷻ – مجهولة ذاته لجميع الناس، فمحال أن يدركوها وهكذا صفاته...إذن لا نعرف ذاته بالحقيقة ولا نعرف صفاته كذلك... وبالجملة فمعرفة ذات الله وحقائق صفاته مستحيلة))ا.هـ[1].

صفات الله – ﷻ – نعم لها حقائق ومعاني، فنحن ندرك معاني صفات الله – ﷻ – وهي معلومة لدينا، لكن لا نعلم حقائق صفات الله وكنهها كما لا نعلم حقيقة ذاته– ﷻ –.

لذلك **قال الإمام مالك** – ﷺ – وغيره من السلف[2] – رحمهم الله – عندما سئل عن استواء الله على عرشه **فقال:** ((الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة))[3].

فقوله: "الاستواء معلوم" أي: معلوم المعنى في اللغة العربية التي نزل بها القرآن[4].

وقد أشار طنطاوي لقياس الأولى[5] في إثبات ذات الرب – ﷻ – وصفاته، قياساً على ذوات المخلوقين وصفاتهم ونعوتهم، وأن واهب الكمال أولى به.

فقال في ذلك – ﷺ –:((فالذات والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام كلها لا يعرفها الناس وإنما عرفوها بالقياس على أنفسهم، إنّ الله عرف بمخلوقاته، وفي المخلوقات آثار عرف الناس بها أنه قادر وعالم، ولا ريب أن القدرة والعلم لا يعرفهما الناس إلا بالقياس على ما في أنفسهم، ولم يعرفوا ذاته تعالى ولا صفاته على وجه الحقيقة.

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣١/١٥– ١٣٢).

(٢) كالإمام ربيعة عندما سئل عن قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ قال: «الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق»
انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة– للالكائي، (٤٤١/٣)، (٦٦٥)، والإبانة الكبرى –لابن بَطَّة العكبري (١٦٣/٧)، (١٢١).

(٣) الموطأ – مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، (٢٥٣/١).

(٤): انظر تقريب التدمرية – ص٤٠.

(٥) يُستعمل في حقه – ﷻ – المثل الأعلى، وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أَوْلَى به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أَوْلَى بالتنزيه عنه، فإذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم، فالخالق أَوْلَى أن يُنزه عن مماثلة المخلوق، وإن حصلت موافقة في الاسم. التدمرية – لابن تيمية ص٥٠، وانظر مجموع الفتاوى (٣٥٠/١٢، ١٦٤/١٣).

إن من يعرف الحقيقة يتصف بنظيرها وذواتنا وصفاتنا ليست كذات الله وصفاته، فالصبي إذا أردنا أن نصف له لذة الجماع وجب أن نقول له: اصبر حتى تكبر وأنت تعرف تلك اللذة على وجه الحقيقة، أو نقول له: إنها كالسكر والحلوى التي تأكلها، والمعرفة الأولى حقيقية والثانية ماهي إلا تشبيه، وفرق بين ضرب الأمثال وبين الحقائق، فإذا قال الإنسان: الله قادر، فهذا اسم مشتق ومتى عرف المشتق منه عرف المشتق، والمشتق منه هي القدرة وقدرة الله لا نعرفها بالحقيقة كما قدمنا، لأنه يستحيل أن نرتقب نفوسنا حتى تساوي ذات الله)) [(١)].

وفي موضع آخر قال هذا مجرد تنظير لعله يقصدبه القياس الأولى:((كما أنّ النفس تحس بكل حركة في الجسم وألم في العظام وفكر في النفس، هكذا الله تعالى يحيط بالعالم ويعلم سره وجهره، واعلم أنّ هذا مجرد تنظير وإلاّ فالله ليس كمثله شيء)) [(٢)].

وهو بهذا قد وافق مذهب السلف في طريقة استدلاله على ذات الله وصفاته باستعماله لقياس الأولى، وهو أن كل ما اتصف به المخلوق من كمال فالخالق أَوْلَى به، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أَوْلَى بالتنزيه عنه، فإذا كان المخلوق منزها عن مماثلة المخلوق مع الموافقة في الاسم، فالخالق أَوْلَى أن يُنزه عن مماثلة المخلوق، وإن حصلت موافقة في الاسم [(٣)].

٢- القدر المشترك بين أسماء الله وصفاته وبين الخلق هو في اللفظ والمعنى فقط:

فالذي عليه مذهب السلف هو أنَّ الاشتراك الحاصل بين أسماء الله وصفاته وبين المخلوقين في اللفظ والمعنى فقط، دون الحقيقة والكيفية في الذات والصفات، فإنَّ حقيقتها فلكل ما يناسبه، فالرب - ﷻ - له ذات وصفات على ما يليق به، والعبد له ذات وصفات على ما يليق به كمخلوق عاجز ضعيف [(٤)].

قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي [(٥)]: ((إنما نصفه بالأسماء لا بالتكييف ولا بالتشبيه، كما يقال: إنه ملك كريم، عليم، حكيم، رحيم، لطيف، مؤمن، عزيز، جبار، متكبر.

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣٠/١٥).

(٢) المرجع السابق (٦٧/١).

(٣) انظر التدمرية – لابن تيمية ص٥٠، وانظر مجموع الفتاوى (٣٥٠/١٢، ١٦٤/١٣).

(٤) انظر كتاب التوحيد – لابن خزيمة (٥١/١ ، ١٩١)، والتوحيد لابن مندة (٢٥٦/١).

(٥) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي، الإمام، العلامة، الحافظ، الناقد، صاحب (المسند) الكبير والتصانيف. له في الرد على الجهمية، منها " النقض على بشر المريسي، و رد الامام الدرامي عثمان بن سعيد، على ⇦=

وقد يجوز أن يدعى البشر ببعض هذه الأسماء، وإن كانت مخالفة لصفاتهم، فالأسماء فيها متفقة، والتشبيه والكيفية مفترقة، كما يقال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، يعني في الشبه والطعم والذوق، والمنظر، واللون. فإذا كان كذلك، فالله أبعد من الشبه وأبعد))[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- ﷺ -:((إذا كان ذلك القدر المشترك لا يستلزم إثبات ما يمتنع على الرب – ﷻ -، ولا نفي ما يستحقه لم يكن ممتنعا؛ فإن القدر المشترك مطلق كلي لا يختص بأحدهما دون الآخر، فإن كان الذي اشتركا فيه صفة كمال: كالوجود والحياة والعلم والقدرة، ولم يكن في ذلك ما يدل على شيء من خصائص المخلوقين، كما لا يدل على شيء من خصائص الخالق – لم يكن في إثبات هذا محذور أصلا، بل إثبات هذا من لوازم الوجود، فكل موجودين لا بد بينهما من مثل هذا، ومن نفى هذا لزمه تعطيل وجود كل موجود))[2].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – بين أنّ الاشتراك إنما هو في اللفظ والاسم دون الحقيقة، فقال – ﷺ -:((أنّ اشتراك الأسماء بين الخالق والمخلوق لم يكن إلاّ بالاسم، فإن صفات العبد لا مناسبة بينها وبين صفات الله، والأسماء دالات على صفات، فالاشتراك لفظي لا غير))[3].

بدأ – ﷺ – يشرح لنا القدر المشترك بأسلوبه العلمي، فقال: ((إذن لا نعرف ذاته بالحقيقة ولا نعرف صفاته كذلك، فلم يبق إلا التشبيه فنقول: نحن لنا قدرة ولنا إرادة ولنا علم وكلام، فنقيس كلام الله على كلامنا وعلمه وهكذا، كما قلنا للطفل: إن لذة الوقاع كلذة السكر، ولكن هذا الطفل سيرتقي حتى يصل إلى الحقيقة ، أما نحن فلا، هذا هو الفرق، على أن النسبة بين الحلوى والسكر وبين لذة الوقاع أقرب جدا من النسبة بين قدرتنا وقدرة الله، وهنا نقول : هل من يقيس لذة الوقاع على لذة السكر للصبي ، أو من يشبه الورد بالخد، أو من يقول: إن هذا كالشمس أو هو كالليل؟ أراد هؤلاء كلهم أن وجه الشبه راجع للحقيقة

= بشر المريسي العنيد "!، وتوفي سنة: ٢٨٠ هـ.. انظر سير أعلام النبلاء (٣١٩/١٣)، الأعلام – للزركلي (٤/ ٢٠٥).

(١) نَقْضُ الإِمَامِ أَبِي سَعِيدٍ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى المرِيْسِيِّ الْجَهْمِيِّ العَنِيدِ فِيْمَا افْتَرَىَ عَلَى اللهِ ﷻ - - مِنَ التَّوْحِيدِ – أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: ٢٨٠ هـ)، ص١٠٧، ت: أَبُوُ عَاصِم الشَّوَامِيُّ الأَثَرِي، ن: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، ط: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

(٢) انظر التدمرية: ص١٢٥ وما بعدها.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥/١٧).

الذاتية. كلا. بل الإنسان يقول: إن السواد كالبياض، في كونه عرضاً ومنظوراً ولوناً، ولا يكون مخطئاً وهما ضدان.

إذن الضد يشابه الضد ولم يخرجا عن كونهما ضدين، ولم ينقص مقدار البياض ولم يتزحزح بسبب هذا التشبيه. هكذا في مقام الألوهية، فالتشبيه الذي من هذا القبيل ليس محظوراً ولوكان محظوراً لكان الناس جميعاً مشبهة، فإنهم موجودون والله موجود ولنا سمع وله سمع ولنا قدرة وله قدرة وهكذا ، فقوله تعالى:﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى:١١] لا يشمل هذه المشابهة الوصفية التي هي أبعد مما بين لذة السكر ولذة الوقاع، وإنّما النفي منصب على الاتصاف بالحقائق الذاتية))[(١)] .

وقال أيضاً – ﷺ – في أثناء شرحه للقدر المشترك كلاماً قريباً من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية عن المثلين الروح ونعيم الجنة[(٢)] :((وهذه المعرفة بالنسبة لله كما قلنا ليس معناها معرفة الحقيقة، بل آثار معرفة الصفات التي تعبر عنها الأسماء المشتقة منها، لا معرفة نفس الصفات الإلهية، كما أن الناس لا يعرفون حقيقة الموت إلا إذا ماتوا، ولا يعرفون حقيقة الجنة ولذائذها وحورها وقصورها إلا إذا ماتوا ودخلوها، لأن أوصاف الجنة ذكرت لنا على مقتضى ما ندرك نحن من اللذات؛ فصورت لنا تلك الصور بالألفاظ على مقدار ما نعرف نحن من لذاتنا في الدنيا، كما وصفت لذة الوقاع للطفل بالسكر، فإذا كانت الجنة التي هي من مخلوقات الله ومن الحوادث لا نعرف وصفها إلا بضرب أمثال بعيدة عن حقائقها التي يقربها حديث ((في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر))[(٣)] ، فكيف بمبدع الدنيا والآخرة؟ فهو أرفع من أن يعرف إلا بضرب الأمثال، والحمد لله رب العالمين.

وبالجملة فمعرفة ذات الله وحقائق صفاته مستحيلة))[(٤)] .

وما قرره طنطاوي جوهري – ﷺ – من كون الاشتراك في نصوص الصفات في الأسماء والألفاظ دون الحقائق والكيفيات، هو ما عليه تقرير أهل السنة والجماعة في القدر المشترك.

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٥/١٣٠).

(٢) انظر التدمرية ص٤٦.

(٣) رواه البخاري من حديث أبي هريرة، (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة)، (٤/١١٨)، (٣٢٤٤)، (٤٧٧٩)، (٤٧٨٠)، (٧٤٩٨)، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها)، (٤/ ٢١٧٤)، (٢٨٢٤).

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٥/١٣١).

غير أنّ حديث طنطاوي عن ادارك معاني الصفات فيه شيء من الغموض، ولعله يقصد منه ما قرره أهل السنة والجماعة بأنَّ معاني الصفات معلومة، كما قال الربيعة[(١)] والإمام مالك[(٢)] : الاستواء معلوم...، أي: أنَّ المعنى معلوم.

فقال في ذلك – ﷺ –:((أسماء الله تعالى لو نظرنا إليها وجدنا هذه المعاني التي تطلق علينا لا يجوز أن نطلق على الله تعالى لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، فهو سميع عليم ولكن ليس علمه وسمعه كعلمنا وسمعنا، لأن علمنا مبدوء بحواسنا وسمعنا أصله بآذاننا وبالأعضاء المفصلة في داخلها، وهكذا لا نسمع إلاّ إلى أمد محدود ولا جرم أنّ الأعضاء المذكورة وحصر المسموع كلاهما مستحيل على الله، فهو ليس جسما، كما أن سمعه ليس بمحدود لأنه ليس كمثله شيء))[(٣)].

وقوله ((هذه المعاني التي تطلق علينا لا يجوز أن نطلق على الله تعالى...)) **لعله يقصد منه أنّ حقيقة الصفة متباينة، وإن كان المعنى مشتركاً فيه كما في مثال لذة الجماع والسكر الذي ذكره طنطاوي.**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية– ﷺ –:((أنَّ العباد لا يعلمون كيفية ما أخبر الله به عن نفسه فالكيف هو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله. وأما نفس المعنى الذي بينه الله فيعلمه الناس كل على قدر فهمه فإنهم يفهمون معنى السمع ومعنى البصر، وأن مفهوم هذا ليس هو مفهوم هذا، ويعرفون الفرق بينهما وبين العليم والقدير وإن كانوا لا يعرفون كيفية سمعه وبصره، بل الروح التي فيهم يعرفونها من حيث الجملة ولا يعرفون كيفيتها))[(٤)] .

ففي الجملة وافق طنطاوي مذهب أهل السنة والجماعة في القدر المشترك في أسماء الله وصفاته؛ والاشتراك الحاصل بين الخالق والمخلوق هو: في اللفظ والاسم

---

(١) هو أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ، مولى آل المنكدر، المعروف بربيعة الرأي، فقيه أهل المدينة؛ روى عن أنس بن مالك، وكان من أئمة الاجتهاد، وصاحب الفتوى بالمدينة، وبه تفقه الإمام مالك. توفي بالهاشمية من أرض الأنبار، سنة: ١٣٦هـ. انظر وفيات الأعيان (٢/٢٨٨)، وسير أعلام النبلاء (٦/٨٩)، والأعلام للزركلي (٣/ ١٧).

(٢) هو إمام دار الهجرة أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غميان الأصبحي، المدني، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة، وكانت ولادته في سنة: ٩٥هـ، وتوفي سنة:١٧٩هـ، ومن مصنفاته: الموطأ، وله رسالة في الوعظ، ورسالة في الرد على القدرية، وكتاب في النجوم، وتفسير غريب القرآن، وغيرها. انظر وفيات الأعيان (٤/١٣٥)، وسير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩)، والأعلام للزركلي (٥/ ٢٥٧).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٥/١٢١).

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (١٧/٣٧٤).

والمعنى فقط، أما في حقيقة الذات والصفات، فلكل ما يناسبه، فالرب – ﷻ – له ذات وصفات على ما يليق به، والعبد له ذات وصفات على ما يليق به كمخلوق عاجز ضعيف.

٣– القول في بعض الصفات كالقول في بعض:

هذه قاعدة نفيسة جليلة احتج بها شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – على من يثبتون لله سبع صفات، وينفون فيما عدا ذلك، **وهو بهذا يقول لهم**: لطالما أنكم أثبتم لله – ﷻ – شيئاً مما أثبته لنفسه من الصفات، فيلزم عليكم كذلك أن تثبتوا الباقي من الصفات، وإن نفيتم منه شيئاً ألزم عليكم كذلك نفي ما أثبتموه من الصفات، وإلا كنتم متناقضين في ذلك[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:((فإن كان المخاطب ممن يقول: بأن الله حي بحياة عليم بعلم قدير بقدرة سميع بسمع بصير ببصر متكلم بكلام مريد بإرادة ويجعل ذلك كله حقيقة وينازع في محبته ورضاه وغضبه وكراهته فيجعل ذلك مجازا ويفسره إما بالإرادة وإما ببعض المخلوقات من النعم والعقوبات، فيقال له: لا فرق بين ما نفيته وبين ما أثبته بل القول في أحدهما كالقول في الآخر؛ فإن قلت: إن إرادته مثل إرادة المخلوقين فكذلك محبته ورضاه وغضبه وهذا هو التمثيل وإن قلت: إن له إرادة تليق به؛ كما أن للمخلوق إرادة تليق به قيل لك: وكذلك له محبة تليق به وللمخلوق محبة تليق به وله رضا وغضب يليق به وللمخلوق رضا وغضب يليق به وإن قلت: الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام فيقال له: والإرادة ميل النفس إلى جلب منفعة أو دفع مضرة فإن قلت: هذه إرادة المخلوق قيل لك: وهذا غضب المخلوق وكذلك يلزم القول في كلامه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته؛ إن نفي عنه الغضب والمحبة والرضا ونحو ذلك مما هو من خصائص المخلوقين؛ فهذا منتف عن السمع والبصر والكلام وجميع الصفات، وإن قال: أنه لا حقيقة لهذا إلا ما يختص بالمخلوقين؛ فيجب نفيه عنه قيل له: وهكذا السمع والبصر والكلام والعلم والقدرة فهذا المفرق بين بعض الصفات وبعض))[(٢)].

لم أجد لطنطاوي جوهري – رحمه الله – مزيد بيان في هذه المسألة غير نصين اثنين فقط، وهو يثبت فيها لله ﷻ سبع صفات فقط.

فقال في ذلك – رحمه الله –:((أن الأسماء كلها ترجع إلى ذات وسبع صفات))[(٣)].

---

(١): انظر تقريب التدمرية ص٣٧.

(٢) انظر التدمرية: ص٣١ وما بعدها.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣٣/١٥).

وفي موضع آخر يبينً طنطاوي السبع الصفات التي يثبتها، فقال:((إنّ العلم اليوم صار شارحاً لمعاني أسماء الله الحسنى لأنها معبرات عن صفاته تعالى، كالوجود والحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام))[1] .

وهو بذلك قد وافق مذهب أهل السنة والجماعة في مجمل القواعد التي استنبطها العلماء في باب الصفات، إلاّ أنه سلك مسلك الأشاعرة في إثباته لله ﷻ سبع صفات فقط، ونفى فيما عدا ذلك من الصفات الثابتة لله.

(١) المرجع السابق (١٢٣/١٥).

المبحث الثالث: صفات الله ﷻ مفصلاً

بعد التتبع والاستقراء لنصوص الشرع أدرك العلماء أنَّ صفات الله – ﷻ – تنقسم إلى قسمين اثنين:

القسم الأول: صفات ثبوتية.

القسم الثاني: صفات سلبية.

فالصفات الثبوتية كذلك تنقسم إلى قسمين: ذاتية. وفعلية.

فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفا بها، كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة،، ونحو ذلك، ومنها **الصفات الخبرية**: كالوجه واليدين والعينين.

والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته – ﷻ –، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، ونحو ذلك.

وقد تكون **الصفة ذاتية فعلية** باعتبارين: كالكلام، فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس: ٨٢]. وكل صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنها تابعة لحكمته[(١)].

أولاً: الصفات الذاتية الخبرية:

نذكر هنا الصفات الذاتية الخبرية التي دل عليها الكتاب والسنة، مع بيان موجز لأقوال أئمة سلف الأمة في كل مسألة على حدة، ثم نعرض رأي طنطاوي جوهري– ﷺ – في المسألة، ونتعرف من خلالها مدى موافقته لمذهب السلف من عدمه، ثم نفند قوله ورأيه وننقده إن كان هنالك حاجة لنقده.

ومن تلك الصفات التي تكلم عنها طنطاوي جوهري– ﷺ – في تفسيره ما يلي:

أ– صفة الوجه لله – ﷻ –.

لقد أثبت الله – ﷻ – لنفسه صفة الوجه حقيقة على ما يليق به ﷻ، وأهل السنة والجماعة كذلك يثبتون لله هذه الصفة على ما يليق به ﷻ، وهي صفة من صفات الله – ﷻ

(١) انظر القواعد المثلى ص٢٨.

– الذاتية الخبرية، ثابتة بالكتاب والسنة، وقد جاءت نصوص كثيرة في إثبات صفة الوجه – ﷻ –.

فمن الكتاب العزيز:

قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨] .

وقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

ومن السنة النبوية:

حديث عمار بن ياسر ﷺ ذكر دعاءً سمعه من النبي – ﷺ – قال: ((اللهم وأسألك لذة العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، وشوقا إلى لقاك))[(١)] .

وعن زيد بن ثابت ﷺ أن النبي – ﷺ – علمه دعاءً، وأمره أن يتعاهده ويتعاهد به أهله: ((اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر في وجهك، وشوقا إلى لقاك))[(٢)] .

وعن أبي موسى ﷺ قال: قام فينا رسول الله – ﷺ – بخمس كلمات، فقال: ((إن الله – ﷻ – لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور – وفي رواية أبي بكر: النار – لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه))[(٣)] .

وهذه أدلة الكتاب والسنة تدل دلالة بينة، على أنَّ لله – ﷻ – وجهاً على ما يليق به، ووجه الله صفة من صفاته – ﷻ –، وهي من صفات الذات، لا أن وجه الله هو: الله، ولا أن وجهه غيره، كما زعمت المعطلة[(٤)] الجهمية[(٥)]، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في مسألة صفة الوجه، يثبتونها لله – ﷻ – على ما يليق به بلا كيف كما قال الأئمة في ذلك:

---

(١) رواه النسائي، (٣/٥٥)، (١٣٠٦)، وأحمد في مسنده (٣٠/٢٦٤)، (١٨٣٢٤)، .

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٥/٥٢٠)، (٢١٦٦٦)،

(٣) رواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب في قوله عليه السلام: إن الله لا ينام، وفي قوله: حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) (١/١٦١)، (١٧٩).

(٤) هم من أنكروا صفات الله – ﷻ – كلها أو بعضها، فسموا معطلة: لتعطيل ذات الله عن القيام بالصفات الثابتة في الشرع، كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة، ومن نحى نحوهم، انظر التنبيه والرد – للملطي ص٩٦، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥/٣٢٦)

(٥) انظر كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب – ﷻ – لابن خزيمة (١/٥١).

يقول الإمام أبو حنيفة – رحمه الله –:((وله يد ووجه ونفس كما ذكره الله تعالى في القرآن فما ذكره الله تعالى في القرآن من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف))[1].

ويقول الإمام ابن خزيمة[2] – رحمه الله – **في ذلك**:((مذهبنا: هو أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين، وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون، لأن ما لا صفة له عدم، تعالى الله عما يقول الجهميون الذين ينكرون صفات خالقنا الذي وصف بها نفسه في محكم تنزيله، وعلى لسان نبيه محمد – ﷺ –))[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:((قد اتفق سلف الأمة وأئمتها من أهل الفقه والحديث والتصوف والمعرفة وأئمة أهل الكلام من الكلابية والكرامية والأشعرية، كل هؤلاء يثبتون لله صفة الوجه...))[4].

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله –:((والوجه صفة من صفات الله العلي التي وصف بها نفسه، فعلينا أن نصدق ربنا ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق))[5].

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – يثبت لله صفة الوجه ضمناً عند تفسيره للآيات تثبت فيها صفة الوجه لله – سبحانه وتعالى – قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[القصص: ٨٨]، **قال طنطاوي:** ((أي: إلاّ ما أريد به وجهه، لأنّ كل شيء أريد به غير الله فهو هالك))[6]، **وهو أحد قولي المفسرين في هذه الآية.**

---

(١) الفقه الأكبر، ص٢٧.

(٢) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السّلميّ النيسابوريّ، الحافظ، صاحب التصانيف، كان فقيها مجتهداً، عالماً بالحديث ولد سنة: ٢٢٣هـ، وتوفي:٣١١هـ، ومن مصنفاته: كتاب التوحيد وإثبات صفة الرب، وصحيح ابن خزيمة. انظر شذرات الذهب (٥٧/٤)، سير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤)، والأعلام للزركلي (٢٩/٦).

(٣) التوحيد – لابن خزيمة (٥١/١).

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (١٧٤/٤).

(٥) أضواء البيان للشنقيطي (١٥٤/٦ – ٥٠١/٧).

(٦) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨٧/١٤).

قال الإمام ابن جرير الطبري – ﷺ – في هذه الآية بقوله :((واختلف في معنى قوله: ﴿ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ فقال بعضهم: معناه: كل شيء هالك إلا هو، وقال آخرون: معنى ذلك: إلا ما أريد به وجهه...)) (١).

وهذا التفسير هو مارجحه شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – في هذه الآية، فقال:((أنَّ لفظ " الوجه " يشبه أن يكون في الأصل مثل الجهة؛ كالوعد والعدة والوزن والزنة والوصل والصلة والوسم والسمة، لكن فعله حذفت فاؤها وهي أخص من الفعل؛ كالأكل والإكلة. فيكون مصدراً بمعنى: التوجه والقصد.

كما قال الشاعر: أَسْتغفِرُ الله ذَنْباً لستُ مُحْصِيةَ ... ربَّ العِبادِ إليه الوجْهُ والعَملُ (٢).

ثم إنه يسمى به المفعول وهو المقصود المتوجه إليه كما في اسم الخلق ودرهم ضرب الأمير ونظائره ويسمى به الفاعل المتوجه كوجه الحيوان يقال: أردت هذا الوجه أي هذه الجهة والناحية. ومنه قوله: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ١١٥]،أي قبلة الله ووجهة الله هكذا قال جمهور السلف وإن عدها بعضهم في الصفات وقد يدل على الصفة بوجه فيه نظر)) (٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، **قال طنطاوي** ((أي: ذاته، بل كل مخلوق الآن من حيث هو فانٍ، ومن حيث ربه موجود، فهو فانٍ من وجه موجود من وجه)) (٤).

وقد فسر الوجه في هذه الآية بخلاف ما قاله أئمة التفسير فيها، حيث قال الإمام ابن جرير الطبري – ﷺ – في هذه الآية بقوله :((كل من على ظهر الأرض من جن وإنس فإنه هالك، ويبقى وجه ربك يا محمد ذو الجلال والإكرام؛ وذو الجلال والإكرام من نعت الوجه فلذلك رفع ذو، وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله بالياء، (ذي الجلال والإكرام) على أنه من نعت الرب وصفته.)) (٥).

وتفسيرطنطاوي للوجه بذات الرب؛ لا يلزم منه إنكاره لصفة الوجه وذلك لعدم الإفصاح في المسألة بالنفي.

---

(١) تفسير الطبري (١٩/٦٤٣).

(٢) الكتاب – عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، (١/٣٧)، ت: عبد السلام محمد هارون، ن: مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(٣) مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (٤/٤٢٦).

(٤)الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٤/٢٢).

(٥) تفسير الطبري (٣٣/٣٨).

و هو بذلك في الجملة قد وافق مذهب السلف في إثبات هذه الصفة لله على ما يليق به -ﷻ-.

ب- رؤية الله - ﷻ -.

أثبت الله - ﷻ - للمؤمنين الرؤية، وأنه يُرى حقيقة في الآخرة على ما يليق به -ﷻ-، وكذلك أهل السنة والجماعة يثبتون لله الرؤية على ما يليق به - ﷻ - من غير تكييف ولا تشبيه، ولا من غير تأويل ولا تحريف عن معناه المراد.

ورؤية المؤمنين لربهم من الصفات الخبرية، ثابتة بالكتاب والسنة، وهذا الذي يجب على كل مسلم اعتقاده: بأن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة في عرصات القيامة بعد ما يدخلون الجنة على ما تواترت به الأدلة من القرآن والسنة:

فمن أدلة القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، أن معنى ذلك تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله - ﷺ -[(١)].

وقوله جل وعز ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٤]، أي: ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى وجه ربهم الكريم[(٢)].

وقوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، أي: أنَّ أهل النار محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم.

قال الإمام الشافعي: هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه - ﷻ - يومئذ، وهو استدلال بمفهوم هذه الآية، كما دل عليه منطوق قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة في رؤية المؤمنين ربهم - ﷻ - في الدار الآخرة، رؤية بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنان الفاخرة[(٣)].

وقوله جل وعز ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، النظر إلى الله جل ثناؤه[(٤)].

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - هبة الله اللالكائي، (٥٠٣/٣)، وتفسير الطبري (٥٠٩/٢٣).

(٢) انظر تفسير السعدي، ص٩١٦.

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣٥١/٨).

(٤) انظر تفسير الطبري (٤٥٤/٢١).

وقوله جل وعز ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس: ٢٦]، ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: الجنة، ﴿ وَزِيَادَةٌ ﴾: هي النظر إلى وجهه الكريم[(١)]، فسرها بذلك رسول الله – ﷺ – والصحابة من بعده، وسار عليها سلف الأمة.

ومن السنة النبوية:

حديث صهيب ﷺ قال: تلا رسول الله – ﷺ – هذه الآية: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[يونس: ٢٦]، وقال: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه، فيقولون: وما هو؟ ألم يثقل الله موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، وينجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فينظرون إليه، فو الله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر – يعني إليه – ولا أقر لأعينهم))[(٢)].

وعن جرير بن عبد الله ﷺ -- قال: كنا عند النبي – ﷺ – فنظر إلى القمر ليلة – يعني البدر – فقال: ((إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا)) ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾[ق: ٣٩]، قال إسماعيل: افعلوا لا تفوتنكم))[(٣)].

وعن عبد الله بن قيس ﷺ عن النبي – ﷺ – قال: ((جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن))[(٤)].

يقول الإمام أبي حنيفة – رحمه الله –:((والله تعالى يرى في الآخرة، ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية، ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة))[(٥)].

---

(١) انظر المرجع السابق (١٥٦/١٢).

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم – ﷻ –)، (٦٣/١)، (١٨١).

(٣) رواه البخاري، في (كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر)، (١١٥/١ – ١١٩، ١٣٩/٦)، (٤٥٤)، (٥٧٣)، (٤٨٥١)، ومسلم، في (كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما)، (٤٣٩/١)، (٦٣٣).

(٤) رواه البخاري، في (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾[الرحمن: ٦٢])، (١٤٥/٦، ٩/ ١٣٢)، (٤٨٧٨)، (٧٤٤٤) ومسلم، في (كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم – ﷻ –)، (١٦٣/١)، (١٨٠).

(٥) الفقه الأكبر (٢٤٤/١).

يقول الإمام الطحاوي – ﷺ –:((والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية))[1].

وقال ابن أبي زَمَنِين[2] – ﷺ –: ((ومن قول أهل السنة: إن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة وأنه يحتجب عن الكفار والمشركين فلا يرونه))[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – **في ذلك**:((الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عيانا بأبصارهم، كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله – ﷻ –))[4].

وتباينت طوائف الناس في رؤية الله – ﷻ –، فمنهم من نفاها مطلقاً في الدنيا والآخرة، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وغيرهم، وقد نفت المعتزلة الرؤية: بناء على نفيهم الجهة[5] عن الله؛ لأن المرئي يجب أن يكون في جهة من الرائي، وما دامت الجهة مستحيلة، وهي شرط في الرؤية؛ فالرؤية كذلك مستحيلة.

ووافقهم في ذلك الأشاعرة؛ فنفوا الجهة كالمعتزلة، لكنهم أثبتوا الرؤية، ولذلك حاروا في تفسير تلك الرؤية، فمنهم من قال: يرونه من جميع الجهات، ومنهم من جعلها رؤية بالبصيرة لا بالبصر، وقال: المقصود زيادة الانكشاف والتجلي حتى كأنها رؤية عين[6].

ومنهم من أثبتها مطلقاً في الدنيا والآخرة، وهم غلاة الصوفية القائلين بالحلول[7]

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – ص١٨٣.

(٢) هو أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عيسى المرّي الأندلسي الإلبيري، نزيل قرطبة وشيخها ومفتيها، وصاحب التصانيف الكثيرة في الفقه، والحديث، والزهد، ولد ستة: ٣٢٤، وتوفي سنة: ٣٩٩ هـ، له كتب كثيرة في الفقه والمواعظ، منها: أصول السنَّة، ومنتخب الأحكام وتفسير القرآن وحياة القلوب. انظر شذرات الذهب (٤/ ٥٢١)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ١٨٨)، والأعلام للزركلي (٢٢٧/٦).

(٣) أصول السنة – لابن أبي زَمَنِين المالكي ص١٢٠.

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (٣/ ١٤٤).

(٥) هذا اللفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة، وأهل الكلام من أتو به، ومن أثبت الجهة أو نفاها عن الله حينها يوقف ويستفصل فيه. انظر كيفية تفصيل ذلك في مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٤١/٣)، والتدمرية ص٦٦.

(٦) انظر شرح العقيدة الواسطية – للهرّاس، ص١٥٦، وشرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين (٤٥٥/١.

(٧) بقصدون به: أن الله تعالى قائم بكل مكان، ناطق بكل لسان، ظاهر في كل شخص من أشخاص البشر، وقد يكون الحلول بجزء، وقد يكون بكل، أما الحلول بجزء، فهو كإشراق الشمس في كوة، أو كإشراقها على البلور، أما الحلول بكل فهو كظهور ملك بشخص، أو شيطان بحيوان. وهذه العقيدة لا ترتبط بفرقة أو طائفة معينة، بل معتقد ⇦=

والاتحاد[1]، **وأهل السنة والجماعة وسطٌ بينهم**، إذ أثبتوا رؤية الله في الآخرة حقيقة عياناً بالأبصار على ما يليق به – ﷻ –، وأما في دار الدنيا لا يرى أحداً بعينه لأنها قاصرة وعاجزة عن ذلك.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في ذلك:((والناس في رؤية الله على **ثلاثة أقوال: –** فالصحابة والتابعون وأئمة المسلمين على أن الله يرى في الآخرة بالأبصار عيانا وأن أحدا لا يراه في الدنيا بعينه؛ لكن يرى في المنام ويحصل للقلوب – من المكاشفات والمشاهدات – ما يناسب حالها، ومن الناس من تقوى مشاهدة قلبه حتى يظن أنه رأى ذلك بعينه؛ وهو غالط ومشاهدات القلوب تحصل بحسب إيمان العبد ومعرفته في صورة مثالية.

والقول الثاني: قول نفاة الجهمية أنه لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة.

والثالث: قول من يزعم أنه يرى في الدنيا والآخرة. وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والإثبات فيقولون: إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة وإنه يرى في الدنيا والآخرة. وهذا قول ابن عربي – صاحب الفصوص – وأمثاله؛ لأن الوجود المطلق الساري في الكائنات لا يرى وهو وجود الحق عندهم. ثم من أثبت الذات قال: يرى متجليا فيها ومن فرق بين المطلق والمعين قال: لا يرى إلا مقيدا بصورة. وهؤلاء قولهم دائر بين أمرين: إنكار رؤية الله وإثبات رؤية المخلوقات ويجعلون المخلوق هو الخالق أو يجعلون الخالق حالا في المخلوق وإلا فتفريقهم بين الأعيان الثابتة في الخارج وبين وجودها...))[2].

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – في الجملة يثبت رؤية المؤمنين لربهم – ﷻ – يوم القيامة، ويستشهد على ذلك ببعضٍ من نصوص الكتاب والسنة.

فمن ذلك ما قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]، ((أي: تنظر إلى ربها عياناً بلا حجاب فتكون نضرة، وهي تنظر إلى الخالق))[3].

= لطوائف وفرق متعددة. انظر الملل والنحل – للشهرستاني ص١٧٥، ومعجم ألفاظ العقيدة – عامر فالح ص١٥٠.

(١) قيل: هو امتزاج الشيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئًا واحدًا؛ لاتصال نهايات الاتحاد، هذا معناه في اللغة، أما عند القائلين به: هو امتزاج الخالق بالمخلوق، بحيث يصيران شيئاً واحدا. انظر التعريفات – للجرجاني ص٩، وموسوعة العقيدة والأديان (٤٧/١)

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (٢/ ٣٣٦).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣٣٩/٢٤).

وقد استعمل طنطاوي القياس الأولى في مسألة رؤية الله في الدنيا، وذلك من خلال قياسه على عدم رؤية الإنس والجن والشياطين والملك، والقوى الخفية في المادة كالكهرباء والمغناطيس والجاذبية ونحوها في الحياة الدنيا؛ فمن باب أولى أن يكون الله – ﷻ – خالق الجن وخالق الملائكة أن لا يُرى في الدنيا، فبناءً عليه يثبت رؤية الله في الآخرة.

فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الأنعام: ١٠٣] ((بأن الله لا يُرى بهذه العيون في الدنيا لأنها قاصرة وعاجزة عن النظر بها، وإنما تتحقق الرؤية في الآخرة بعيونٍ غير تلك العيون التي خُلِقُوا بها في الدنيا، فقال: قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ المركبة من مواد أرضية لأن الله ليس مادة ولا جسماً، وأبصاركم وأبصار الحيوان قاصرة على رؤية الأجسام، وإنما ترونه بعيون غير جسمية إذا صفت نفوسكم وتأهلتم لرؤيته بتلك العيون التي لم تخلق، وإذا كان الجن والشياطين لا ترونهم، والملك إذا نزل إليكم، فالله أجلّ من الملائكة فهو اولى واحق ألا يرى بأبصاركم، وإذا كانت الجن جاء فيها إنهم يرونكم من حيث لا ترونهم؛ فبالأولى يكون الله – ﷻ – خالق الجن وخالق الملائكة))[(١)] .

وهنا مأخذ على طنطاوي في قوله: ((الله ليس مادة ولا جسماً))، **هذه الألفاظ مجملة لم ترد في الكتاب ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة والتابعين ولا في أقوال السلف الصالح بشيء من النفي والإثبات في هذا، بل السلف كانوا ينكرون من يطلقونها على الله هذه الألفاظ، لأنها ألفاظ محدثة مبتدعة، واول من تكلم بالجسم نفيا وإثباتا هم طوائف من الشيعة والمعتزلة والمتكلمين**[(٢)] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في ذلك:((قد يراد به المركب الذي كانت أجزاؤه مفرقة فجمعت، أو ما يقبل التفريق والانفصال، أو المركب من مادة وصورة، أو المركب من الأجزاء المفردة التي تسمى الجواهر الفردة، والله تعالى منزه عن ذلك كله.

وقد يراد بالجسم ما يشار إليه، أو ما يرى، أو ما تقوم به الصفات ؛ والله تعالى يرى في الآخرة، وتقوم به الصفات، ويشير إليه الناس عند الدعاء بأيديهم وقلوبهم ووجوههم وأعينهم. فإن أراد بقوله: " ليس بجسم " هذا المعنى قيل له: هذا المعنى الذي قصدت نفيه بهذا اللفظ معنى ثابت بصحيح المنقول وصريح المعقول، وأنت لم تقم دليلا على نفيه.

---

(١)الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١١٣/٤).

(٢) انظر الملل والنحل – للشهرستاني (٢٧/٣).

وأما اللفظ فبدعة نفيا وإثباتا، فليس في الكتاب ولا السنة ولا قول أحد من سلف الأمة وأئمتها إطلاق لفظ " الجسم " في صفات الله تعالى، لا نفيا ولا إثباتا))[1].

ثم قال طنطاوي – ﷺ – في إثباته الرؤية أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[الأعراف: ١٤٣]، فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ ﴾((ذاتك بأن تمكنني من رؤيتك ، أو تتجلى لي فأنظر إليك وأراك ﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾بعين فانية، بل بعين باقية ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ ﴾ بقي على حاله ﴿ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ ﴾ ظهر له عظمته وتصدّى له اقتداره وأمره ، ويقال: أعطى الله له حياة وعلماً ورؤية حتى رأى الله ، فلما رأى الجبل ربّه ﴿ جَعَلَهُۥ دَكّٗا ﴾ مدكوكاً مفتتاً، والدك والدق أخوان. وفي قراءة : «دكاء» أي مستوية بالأرض إلاّ أكمة فيها ، وناقة دكاء: لا سنام لها ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا ﴾ حال ، أي : سقط مغشياً عليه ﴿ فَلَمَّآ أَفَاقَ ﴾ قَالَ له تعظيماً لما رأى ﴿ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ ﴾ من الجرأة والإقدام على السؤال من غير إذن ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ أي أنا أول من آمن بأنك لا ترى في الدنيا، لأن النفوس البشرية مهما صفت فعلائقها بالدنيا تمنعها من رؤية ذاتك العلية ، وإذا كانت الكهرباء والمغناطيس والجاذبية والقوى الخفية في المادة لا نقدر أن نراها في الدنيا، لشدة لطافتها وغلظ أجسامنا التي سكنت فيها أرواحنا، بل إن مادة الأثير وما فيها من الذرات لم يرها أحد في الدنيا، ولم نعرفها إلا بالبرهان ، فليس من المعقول أن نراك في الدنيا، بل إن أرواحنا إذا تجردت من المادة لا قدرة لها أن تراك ما دامت أقرب إلى أحوال المادة وعلائقها، إذ لا مناسبة بينها وبين جمالك .اللهم إلا إذا ارتقت أرواحنا وخلصت ولطفت وخلعت جميع العلائق المادية بعد دهور ودهور، فحينئذ يمكن أن نشاهد ذاتك لقرب الأرواح من التجرد عن المادة، وتكون تلك الرؤية بعد معرفة جميع

(١) منهاج السنة النبوية – لابن تيمية (٢/ ١٣٥)، وانظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥/ ٤٣٤).

العوالم، والوقوف على عجائب صنعك، إذ يستحيل التوصل للطيف إلا بعد اختراق الحجب الكثيفة كلها، ومعرفة أسرارها، حتى يزداد قرباً، وبازدياد القرب يزداد الشوق، إلى أن يصل إلى الكمال، وقد عرف أسرار كل موجود، وإذن يصل إلى المقام الأعلى عند سدرة المنتهى ويرى ربه جل وعلا ما لا نعلم الأحوال المغيبة عن الناس)) [(١)].

وفي إثباته للرؤية أيضاً قال – ﷺ –:((واعلم أن الوصول للحقائق العلمية بعد التخلي من الأخلاق الشائنة هو الوسيلة لرؤية الله تعالى، والرؤية بالبصر أمر حيواني، أما الرؤية بالإحاطة بالعلوم فهو الموصل لذلك المقام، ومن لم يجد في نفسه شعوراً بالنظام الجميل في هذه الدنيا، فكيف يتصور أن يرى موجد هذا النظام)) [(٢)]

ثم أورد طنطاوي بعض الأحاديث التي تثبت رؤية الله في هذا المقام.

فقال– ﷺ –:((ففي حديث الشيخين عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: «كنا عند رسول الله – ﷺ – فنظر إلى القمر ليلة البدر، وقال : إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ((أي: لا تزدحمون إذا شدَّدت، الميم، أو لا ينالكم ضيم ، إذا خففت» فإن استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴾[ق: ٣٩])) [(٣)].

وإن تعجب فعجب ما تسمعه من حديث أبي رزين العقيلي ، قال: ((قلت: يا رسول الله، أكلنا يرى ربه مخلياً به يوم القيامة ؟ قال: نعم. قلت: وما آية ذلك في خلقه؟ قال: يا أبارزين، أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به؟ قلت: بلى. قال: فالله أعظم، إنما هو خلق من خلق الله – يعني القمر– فالله أجل وأعظم)) [(٤)].

وفي حديث مسلم أن رسول الله – ﷺ – قال: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم طنطاوي جوهري (٢٤٨/٤).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤٥/٥).

(٣) رواه البخاري، في (كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر)، (١١٥/١ – ١١٩، ١٣٩/٦)، (٤٥٤)، (٥٧٣)، (٤٨٥١)، ومسلم، في (كتاب الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما)، (٤٣٩/١)، (٦٣٣). سبق تخريجه

(٤) رواه أبو داود، (١١٣/٧).

النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى))[1].

بيد أنه تكلف بربط الرؤية بالعلم وأخرج عن المعنى المراد، بقوله أن النظر الوارد في الكتاب والسنة هو العلم.

فقد جعل طنطاوي رؤية الله في الآخرة على ضربين:

رؤية لعامة الناس الذين ليس لديهم شغف للعلم ولا يستلذون به، فهؤلاء يتصورون لهم شكلاً ينظرونه كما ينظرون الملوك، وهو في هذا يثبت الرؤية البصرية للعامة.

أما الرؤية الحقيقية: هي النظر لوجه الله تكون لخاصة الناس الذين يعشقون العلم وينفعون الناس بعلومهم.

ويقول طنطاوي – ﷺ عند تفسير قوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]، قال طنطاوي: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ((أي: الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾: هي النظر إلى وجه الله الكريم.

والنظر لوجه الله الكريم هنا معناه ازدياد العلم بآياته وجماله وحكمه وعجائبه وبدائعه ، وكلما ازداد علماً ازداد بهجة، فهذا النظر بهجة الحكماء والأنبياء.

فقد تبين هنا كيف تكون دار البلاء، ثم كيف تكون دار السلام، ثم كيف يكون ازدياد العلم بالله المعبر عنه بالنظر، وأنت أيها الذكي تعرف من نفسك الآن أمن أهل الجنة أنت أم من أهل النظر لوجه الله، فإن كنت صالحاً ولكن لا شغف لك ولا لذة في العلم بهذا العالم فأنت تكون في الجنة وهي دار السلامة، فأما إذا كنت في جمال العلوم راغباً، ورأيت في نفسك لذة وغراماً بها، فاعلم أنك ستنظر إلى وجه الله حتماً بعد الاستعداد التام.

فالعامة يتصورون شكلاً ينظرونه كما ينظرون الملوك؛ فأما الخاصة فإن النظر لوجه الله يبتدئ لهم في الدنيا بعشق مصنوعاته وقراءة العلوم قديمها وحديثها، فينفع أحدهم الناس بالعلم كما ينفعهم الله بالخلق))[2].

ثم رد طنطاوي لمن عارضه في ذلك:

---

(١) رواه مسلم من حديث صهيب، (١/١٦٣)، (١٨١).

(٢) انظر المرجع السابق (٦/٦٤).

فقال طنطاوي – ﷺ – حكاية عمن سأله : ((كيف تجعل النظر لوجه الله الكريم عبارة عن العلم، وأي شيء العلم؟ إن الإنسان إذا رأى وجهاً جميلاً استلذ به وفرح؛ فأما العلم فهو معروف ولا شيء فيه من ذلك.

فقلت له: إنّ هذا المقام ليس يعرف إلا بعد البيان، حقاً إن الإنسان إذا نظر وجه الجميل سرّه القد والشكل واللون والأنف...وسائر ما يقوله الشعراء في أشعارهم، ويبدو في أقوالهم، ولكن العلم شيء والشعر شيء، فإن حاسة النظر إحدى الشبكات الظاهرة الخمس التي يصطاد بها العقل المعلومات، والحب على مقدار العلم، فإذا نظرنا إلى الجميل وسمعنا نغمته وفصاحته وشممنا طيب ريحه وذقنا ما يذاق منه ولمسنا جلده، هنالك يضم إلى النظر هذه المذكورات فتضاعف اللذة ويزداد الحب، فكيف بنا إذا تغلغلنا في باطنه وعرفنا مواهبه الباطنة من عفة وحلم وأدب وحسن خلق ومعارف وعلوم، هنالك يحصل لذلك العالم به من اللذة به ما لا يوصف، ومن الحب ما هو أعظم.

وإذن قد تبين لك أن النظر الذي أعظم قدره الناس ما هو إلا وسيلة من وسائل العلم وليس خارجاً عنها، وأنَّ الله بنظر العين جزئية، فإذا كان المخلوق المشاهد المحسوس لا يستلذ به إلا باستكمال العلم به، ظاهراً بالحواس الظاهرة، وباطنا بإدراك العلم، فما بالك بمن لا تدركه عيوننا ولا تصل إليه مشاعرنا، فنحن إذن نلتجئ إلى العلم الذي عرفت أن النظر من جنوده، وندع الفرع ونتمسك بالأصل ونقول المقصود هو الأشرف وهو العلم، ولا ريب أن العلم مبدؤه في الدنيا، ومن لم يبتدئ ذلك في الدنيا فليس له حظ من هذا العلم في الآخرة، وذلك هو النور المذكور يسعى بين يديه بعد الموت، ومن لا نور له هنا لا نور له هناك.

ثم قال طنطاوي معنوناً بلطيفة: أنّ التقصير في علوم الكائنات يحرم أحياء المسلمين من الغلبة وأمواتهم من النظر لوجه الله الكريم...قد تبين أن النظر لوجه الله الكريم مبدؤه العلم في الدنيا، ومن لم يعلم لم ينظر، والعلم يرجع إلى النظر في جمال هذه المخلوقات وعجائب النفس وبدائع المصنع وتركيب الأجسام ونظام الوجود.

فالكتاب والسنّة عندنا أريانا أن النظر لوجه الله أعظم اللذات والنظر يقصد منه العلم، فإذا قيل إنه بعين تخلق لنا خلاف هذه في الآخرة فهي أيضا علم، وإذا كانت أعيننا في الدنيا من شبكات العلم فالأمر هناك ظاهر، فكيف تغفل أمة هذا دينها عن علوم هي النعمة في الدنيا والسعادة في الآخرة)) [(١)].

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦/٦٥ – ٦٦).

نقد طنطاوي في تأويله وتكلفه لربط رؤية الله بالعلم:

كل ما ذكر طنطاوي جوهري في تأويل رؤية الله، وأنَّ النظر إلى وجه الله المقصود به هو العلم، ولا ينظر إلى الله – ﷻ – إلاَّ من يعشق العلم ويستلذ به، مردود عليه جملة وتفصيلاً، وقوله هذا ليس بغريب على طنطاوي، فقد جعل توحيد الله هو العلوم ودراسة العلوم كما مرَّ معنا.

وأما قوله:((بأن النظر الوارد في الكتاب والسنة هو المقصود منه العلم والاشتغال به))، هذا قول شاذ لم يقل به أحد من الأمة لا من السلف ولا من الخلف، بل الصحابة والتابعون ومن جاء بعدهم من علماء الأمة كلهم يفسرون الزيادة بالنظر إلى وجه الله – ﷻ – كماء فسره النبي – ﷺ – بذلك:

قال البيهقي– رحمه الله – :((وروينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبي موسى وغيرهم – رضي الله عنهم –، ولم يرو عن أحد منهم نفيها، ولو كانوا فيه مختلفين لنقل اختلافهم إلينا، فلما نقلت رؤية الله – ﷻ – بالأبصار في الآخرة عنهم ولم ينقل عنهم في ذلك اختلاف، كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا، علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين مجتمعين))[1].

وأما قوله: ((من لا شغف له بالعلم في هذا العالم فإنه يكون في الجنة ولا يستحق رؤية الله))، فهذا قول باطل ومردود، بل هذا تجرأٌ على الله، وقوله هذا ليس له مستند عقلي ولا شرعي، بل ما جاء في الكتاب والسنة والصحابة والتابعون من بعدهم يثبت عكس ذلك، إذ أنّ كل من يدخل الجنة يرى الله – ﷻ –، كما قال ابن عباس – رضي الله عنهما – عندما سئل: ((هل كل من دخل الجنة يرى الله – ﷻ – قال نعم))[2].

وخلاصة القول: أنَّ طنطاوي جوهري – رحمه الله – قد وافق أهل السنة والجماعة في رؤية الله – ﷻ – من حيث إثباتها ذلك، وخالفهم من جهة تأويله لمعنى الرؤية وربطه بالعلم، وقوله أن النظر الوارد في الكتاب والسنة هو العلم.

---

(١) انظر الاعتقاد – أبو بكر البيهقي ص١٣٠.

(٢) الشريعة – للآجُرِّيُّ (٢/٩٩٣).

ج- صفة اليد لله - ﷻ -.

لقد أثبت الله - ﷻ - لنفسه يدان حقيقتان على ما يليق به ﷻ ليستا كيدي المخلوق، وأهل السنة والجماعة كذلك يثبتون لله هذه الصفة على ما يليق به ﷻ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهي صفة من صفات الله - ﷻ - الذاتية الخبرية، ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

وقد تواترت النصوص في إثبات صفة اليدين لله - ﷻ -.

فمن نصوص الكتاب العزيز:

قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[المائدة: ٦٤]

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾[يس: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥].

وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الزمر: ٦٧].

ومن السنة النبوية:

حديث أبي هريرة ﷺ -- أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: ((يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وقال: عرشه على الماء، وبيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع))[(١)] .

وعن أنس ﷺ -- أنَّ النبي - ﷺ - قال: ((يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أما

(١) رواه البخاري، في (كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾[ص: ٧٥])، (٩/ ١٢٢)، (٧٤١١)، ومسلم، في (كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف)، (٢/٦٩١)، (٩٩٣).

ترى الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا... الحديث))[1].

عن أبي موسى ﷺ ، عن النبي - ﷺ - قال: ((إن الله - ﷻ - يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها))[2].

وعن ابن عمر - ﷺ -، عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: ((إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك))[3].

وعن أبي هريرة ﷺ --، قال: قال رسول الله - ﷺ -))احتج آدم وموسى - عليهما السلام - عند ربهما، فحج آدم موسى، قال موسى: أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته... الحديث))[4].

قال ابن القيم - رحمه الله -)): وقد ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع، ورودا متنوعا متصرفا فيه، مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك والطي والقبض والبسط والمصافحة والحثيات والنضح باليد، والخلق باليدين والمباشرة بهما وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده وتخمير طينة آدم بيده ووقوف العبد بين يديه، وكون المقسطين عن يمينه، وقيام رسول الله - ﷺ - يوم القيامة عن يمينه، وتخيير آدم بين ما في يديه))[5].

وممن قال بإجماع الأمة على إثبات صفة اليدين - ﷻ -:

---

(١) رواه البخاري، في (كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: ٧٥])، (٩/ ١٢١)، (٧٤١٠)، ومسلم، في (كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها)، (١/ ١٨٠)، (١٩٣).

(٢) رواه مسلم، في (كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة)، (٤/ ٢١١٣)، (٢٧٥٩).

(٣) رواه البخاري، في (كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: ٧٥])، (٩/ ١٢٣)، (٧٤١٢)، ومسلم، في (كتاب صفة القيامة والجنة والنار)، (٤/ ٢١٤٨)، (٢٧٨٧).

(٤) رواه مسلم، في (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى – عليهما السلام -)، (٤/ ٢٠٤٣)، (٢٦٥٢).

(٥) مختصر الصواعق المرسلة– ابن الموصلي، ص٤٠٥.

أبو الحسن الأشعري[(١)] حيث قال – ﷺ –)): وأجمعوا على أنه عز وجل يسمع ويرى، وأن له تعالى (يدين مبسوطتين) وأنَّ الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه من غير أن يكون جوارحاً، وأن يديه تعالى غير نعمته))[(٢)].

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – يقول:((قد اتفق سلف الأمة وأئمتها من أهل الفقه والحديث والتصوف والمعرفة وأئمة أهل الكلام من الكلابية والكرامية والأشعرية، كل هؤلاء يثبتون لله صفة الوجه واليد ونحو ذلك...))[(٣)].

وقد خالف في ذلك الجهمية والمعتزلة ومتأخرو الأشاعرة وغيرهم، حيث أولوا صفة اليدين بالذات، أو القدرة والنعمة أو العناية ونحو ذلك، زاعمين بأنَّ إثبات ذلك يستلزم التجسيم، والله منزه عن الجسم.

وطنطاوي جوهري – ﷺ – سلك مسلك المتأولين في إثبات صفة اليد لله ﷻ، وقال بأنّ المراد من تثنية اليد هنا مزيد من القدرة.

فقال عند تفسير قوله: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾ [ص: ٧٥]، ((أي: خلقته بنفسي من غير توسط كأبٍ أو وأمٍ، وفي تثنية اليد فيه إشعار بما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل))[(٤)].

وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ ﴾ [المائدة:٦٤]، **بأنَّ اليد هنا مجاز لا حقيقة، وأولها بأنها صفة مبالغة للجود والكرم.**

فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ ﴾، ((فهو مجاز، إما عن البخل أو الفقر، ﴿ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ ﴾ دعاء عليهم بالبخل والنكد، أو بالفقر والمسكنة، أو بغل الأيدي حقيقة

---

(١) هو أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة، سنة: ٢٦٠هـ، وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع إلى مذهب أهل السنة والحديث وجاهر بخلافهم، توفي ببغداد سنة: ٣٢٤ هـ، وله مصنفات كثيرة، منها: إمامة الصدّيق، والرد على المجسمة، و مقالات الإسلاميين، والإبانة عن أصول الديانة، ورسالة في الإيمان، ومقالات الملحدين، و الرد على ابن الراونديّ، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وشذرات الذهب (١٢٩/٤)، سير أعلام النبلاء (١٦٣/١٨)، والأعلام للزركلي (١١٦/١).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر – أبو الحسن الأشعري، ص١٢٨.

(٣) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (١٧٤/٤).

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٩٩/١٨).

ليكونوا أسرى في الدنيا ويوم القيامة ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ثنى اليد مبالغة في نفي البخل وإثبات الجود)) (١).

قول طنطاوي لصفة اليد بالمجاز، هذا تأويل باطل ومخالف لصريح الكتاب والسنة وفهم السلف، وكلام الله تعالى يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة، أو إذا اقترنت بقرائن تدل على غير ذلك.

فلو كان ظاهر الكلام العموم، أو ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص فليس هو على حقيقة الظاهر، وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة، كذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ فالكلام على ظاهره أو حقيقته من إثبات اليدين، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه بالمجاز إلا بحجة.

ولو جاز ذلك لجاز لمدع أن يدعي أنَّ ما ظاهره العموم فهو على الخصوص، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة، وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان فكذلك لم يجز لكم ما ادعيتموه أنه مجاز أن يكون مجازا بغير حجة، بل واجب أن يكون قوله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة (٢)، كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله – ﷺ – قال: ((يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده... الحديث)) (٣).

وبذلك قد خالف طنطاوي جوهري مذهب أهل السنة والجماعة، ونفى عن الله صفة اليد الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

ثانياً: الصفات الفعلية الاختيارية:

وهي الصفات التي تتعلق بمشيئته – ﷻ –، يفعلها في زمن دون زمن، إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها– ﷻ –، وفيما يلي جملة من الصفات الفعلية التي تطرق لها طنطاوي جوهري– ﷺ – ليتبين لنا فيها رأيه موافقة ومخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة.

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣/٢١٦).

(٢) انظر الإبانة عن أصول الديانة – أبي الحسن الأشعري، ص١٣٩.

(٣) رواه البخاري، في (كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: ٧٥])، (٩/ ١٢٢)، (٧٤١١)، ومسلم، في (كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف)، (٢/٦٩١)، (٩٩٣). سبق تخريجه

أ- صفة الرحمة لله - ﷻ -:

لقد أثبت الله - ﷻ - لنفسه صفة الرحمة على ما يليق به ﷻ، وأهل السنة والجماعة كذلك يثبتون لله هذه الصفة على حقيقتها اللائقة به ﷻ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وهي صفة من صفات الله - ﷻ - الذاتية الفعلية، فهي **صفة ذاتية** باعتبار أنَّ الله لم يزل ولا يزال موصوفاً بها، فهي صفة قائمة بذاته لا تنفك عنه بحال من الأحوال، **وصفة فعلية** باعتبار أنَّ الله يرحم من يشاء من عباده، وكيف ما يشاء - ﷻ -[1]، قال تعالى: ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾[العنكبوت: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٣]، وصفة الرحمة ثابتة بالكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل[2]،

وقد تواترت النصوص في إثبات صفة الرحمة لله - ﷻ -.

فمن نصوص الكتاب العزيز:

قوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾[الفاتحة: ١]، قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾[الأنعام: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]،

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]،

وقوله تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾[غافر: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب: ٥٣].

ومن السنة النبوية:

عن عمر بن الخطاب ﷺ --، قال)) : قَدِمَ على رسول الله - ﷺ - بسبي هوازن؛ فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيا في السبي فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته، فقال النبي - ﷺ -: أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟، قلنا: لا والله، فقال: لله أرحم بعباده من هذه بولدها))[3].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية، (٦/٢٦٠)، وبدائع الفوائد – لابن القيم، (١/٢٤)، ولوامع الأنوار – للسفاريني، (١/٢٢).

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين، (١/٢٥٦).

(٣) رواه البخاري في (كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) (٨/٨) (٥٩٩٩) ومسلم في (كتاب التوبة)، (٤/ ٢١٠٩) (٢٧٥٤).

وعن أبي هريرة ﷺ --، قال: قال رسول الله – ﷺ –)): لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي))[1].

وعنه أيضاً أنَّ رسول الله – ﷺ – قال: ((جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه))[2].

وممن حكى الاجماع على إثبات صفة الرحمة لله – ﷻ –.

الشيخ السعدي حيث يقول – رحمه الله –:))اعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها ما دل عليه الكتاب والسنة من الإيمان بأسماء الله كلها وصفاته جميعها وبأحكام تلك الصفات.

فيؤمنون مثلاً بأنه رحمن رحيم ذو الرحمة العظيمة التي اتصف بها المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها من آثار رحمته، وهكذا يقال في سائر الأسماء الحسنى))[3].

ومن الأدلة العقلية على ثبوت الرحمة لله تعالى:

فهي كثيرة يعسر حصرها وإحصاءها، فمن ذلك ما نرى من الخيرات الكثيرة التي لا تعد ولا تحصى من دفع البلاء وجلب الأرزاق للعباد التي تحصل بأمر الله – ﷻ –، كله دال على إثبات الرحمة عقلا.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[الروم: ٢٧])، (٤/١٠٦) (٣١٩٤)، و(كتاب التوحيد، باب ﴿ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٩]) (٩/١٢٥) (٧٤٢٢)، (٩/١٣٥) (٧٤٥٣)، ومسلم في (كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه)، (٤/ ٢١٠٧) (٢٧٥١) .

(٢) رواه البخاري في (كتاب الأدب، باب: جعل الله الرحمة مائة جزء)، (٨/٨) (٦٠٠٠)، ومسلم في (كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) (٤/ ٢١٠٨) (٢٧٥٢).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى – للسعدي، ص٢٠٠.

وقد خالف منهج أهل السنة والجماعة في إثبات صفة الرحمة لله تعالى على ما يليق به، الأشاعرة، والمعتزلة وغيرهم من أهل التعطيل[(١)]، وأنكروا أن يكون الله تعالى متصفا بالرحمة، بدعوى أنَّ العقل لم يدل عليها.

وأنها رقة وضعف وخور وتألم للمرحوم، وهذا لا يليق بالله – ﷻ –، لأن الله أعظم من أن يرحم بالمعنى الذي هو الرحمة، ولا يمكن أن يكون لله رحمة!! وقالوا: المراد بالرحمة: إرادة الإحسان، أو: الإحسان نفسه، أي: إما النعم، أو إرادة النعم[(٢)].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – نهج منهج المتكلمين في تأويله لصفة الرحمة، وقال بأنَّ مرادها: إرادة الخير والنعمة والإحسان إلى الخلق.

فقال طنطاوي – ﷺ –)): ألم تر أنَّ الرحمة التي تضمنها اسما الرحمن الرحيم تدل على إرادته الخير والنعمة، والإحسان إلى خلقه جميعهم، وأن كل نقمة وكل نازلة وكل خطب أسود يلم بهم، لم تخرج عن كونها ممهدات ومعدات لرحمات واسعة تشمل هؤلاء المنكوبين الأذلاء... فقال: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[الحشر: ٢٣]، فوصف نفسه أولاً بالرحمة حتى يعلم نوع الإنسان أن انفراده في الحكم في هذه العوالم وسياسته في نظامها لا يقتضي ظلماً، فهو منفرد بالملك، متصرف بالأمر والنهي في جميع خلقه، وهم تحت ملكه وقهره وإرادته، ولكن ذلك كله مسبوق بالرحمة، فليس انفراده بالملك كانفراد ملوك الأرض بملكهم، لأنهم يظلمون الناس ويسخرونهم لشهواتهم... أما الله – ﷻ – فإنه منفرد بالملك والتصرف، ولكنه ليس كالملوك والأمم المستبدة، بل رحمته كاملة تامة شاملة، هذه هي الحكمة في أنه ذكر انفراده بالألوهية والملك بعد وصفه بالرحمة))[(٣)].

وهذا المنهج الذي اتبعه طنطاوي جوهري منهج باطل مردود، ومخالف لنصوص الكتاب والسنة والإجماع والعقل الدالة على إثبات صفة الرحمة لله – ﷻ – على ما يليق به.

---

(١) انظر شرح صحيح البخاري – لابن بطال (٤٧١/١٠)، وتفسير الرازي (٢٨٦/١٤)، وتفسير الكشاف – الزمخشري (٨/١)، وشرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين، (٢٥٧/١)، وشرح العقيدة الواسطية – للهراس، ص١٠٦.

(٢) انظر الفصل في الملل والنحل – لابن حزم (٢/ ١٢٥)، وتفسير الرازي (٢٨٦/١٤)، وتفسير الكشاف – الزمخشري (٨/١) والأسماء والصفات – للبيهقي، (٤٥٦/٢)، والمقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى – أبو حامد الغزالي ص٦٢، وشرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين، (٢٥٧/١)، وشرح العقيدة الواسطية – للهراس، ص١٠٦.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم طنطاوي جوهري (١٦٠/٢٤).

وقد فند العلماء[1] قولهم هذا وردوا عليهم من عدة وجوه، من ذلك:

١- أنّ الله تعالى وصف نفسه بالرحمة، وقال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١].

فنثبت لله ما أثبته لنفسه وننفي عنه التمثيل والتشبيه، فيكون بذلك حالنا كحال من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾[آل عمران:٧].

٢- أن الرحمة التي تستلزم الضعف واللين والرقة هي رحمة المخلوق وليست رحمة الخالق تعالى، فالخالق - ﷻ - رحمته مقارنة لكمال سلطانه مع غاية العزة والقدرة.

وهو - ﷻ - جمع بين صفتين له في موضع واحد وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الدخان:٤٢]، فعزته تعالى غير منفكة عن رحمته، فلا يكون فيها ضعف ولين ورقة و ... مما ينزه الله عنه، ومن قال بأنّ رحمة الله مثل رحمة المخلوق من إرادة الإحسان والإنعام، فقد وقع في التشبيه المنهي عنه[2].

٣- أنّ الرحمة صفة كمال، ووصف بها الخالق والمخلوق، وضده النقص، ففي هذا يستعمل في حق الله - ﷻ - قياس الأولى، وهو: أنَّ كل كمال ثبت للمخلوق وأمكن أن يتصف به الخالق؛ فالخالق أولى به من المخلوق، وكل نقص تنزه عنه المخلوق؛ فالخالق أحق بالتنزه عنه، وتعطيل هذه الصفة نقص، فالله أحق بالتنزه عنه[3].

٤- أنّ إرادة الإحسان من لوازم الرحمة، فإذا انتفت حقيقة الرحمة انتفى لازمها، وهو إرادة الإحسان.

٥- أنَّ ظهور آثار هذه الصفة في الوجود كظهور أثر صفة الربوبية والملك والقدرة، فإن ما لله على خلقه من الإحسان والإنعام شاهد برحمة تامة وسعت كل شيء، كما أن الموجودات كلها شاهدة له بالربوبية التامة الكاملة، فجعل صفة الرحمة واسم الرحمة مجازا كجعل صفة الملك والربوبية مجازا، ولا فرق بينهما في شرع ولا عقل ولا لغة[4].

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة – لا بن الموصلي، ص٣٥٩-٣٧١.

(٢) انظر توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (لابن تيمية) - عبد الرحمن بن ناصر البراك، ص٣٤٠، ن: دار التدمرية، ط: الثالثة، ١٤٣٢هـ..

(٣) انظر شرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين، (١/٢٥٧)، وشرح العقيدة الواسطية – للهراس، ص٧٤.

(٤) انظر مختصر الصواعق المرسلة – لا بن الموصلي، ص٣٦٨.

ب– صفة المحبة لله – ﷻ –:

أثبت – ﷻ – لنفسه المحبة لعباده الطائعين المؤمنين المتقين المحسنين، وهي صفة لله – ﷻ – فعلية اختيارية، يحب من يشاء من عباده متى ما يشاء وكيف ما يشاء على ما تقتضيه حكمته– ﷻ –، فهو – ﷻ – يُحِبُّ ويُحَبُّ، يُحِبُّ عباده المؤمنين الطائعين المنقادين لأوامره، ويحبه عباده المؤمنون، وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات هذه الصفة، حيث يثبتونها لله على ما يليق به – ﷻ – من غير تحريف ولا تعطيل، ولا من غير تكييف ولا تمثيل، **وهي صفة** ثابتة لله بالكتاب والسنة والإجماع.

فمن الكتاب العزيز:

قوله تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[البقرة: ١٩٥] وقوله ﴿ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[الحجرات: ٩] وقوله ﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٧] وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢] وقوله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[المائدة: ٥٤] وقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾ [الصف: ٤] وقوله ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[آل عمران: ٣١].

ومن السنة النبوية:

حديث سهل بن سعد – ﷺ –، قال: قال النبي – ﷺ – يوم خيبر: ((لأعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى، فغدوا كلهم يرجوه، فقال: أين علي؟، فقيل يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له، فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فو الله لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من أن يكون لك حمر النعم))[(١)].

وعن أبي هريرة – ﷺ –، قال: قال رسول الله – ﷺ –: ((إن الله – ﷻ – إذا أحب عبدا قال لجبريل – عليه السلام –: إني أحب فلانا فأحبه، قال: فيقول جبريل – عليه السلام – لأهل

(١) رواه البخاري في (كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل) (٦٠/٤)، حديث رقم: (٣٠٠٩)، و(كتاب المغازي، باب غزوة خيبر)، (١٣٤/٥)، حديث رقم: (٤٢١٠)، ورواه مسلم في (كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل علي – ﷺ –) (١٨٧٢/٤)، حديث رقم: (٢٤٠٦).

السماء: إن الله – ﷻ – يحب فلانا فأحبوه، قال: فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض فمثل ذلك))[1].

وعن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –، قال: سمعت رسول الله – ﷺ –، يقول: ((إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي))[2].

وعن عبادة بن الصامت – رضي الله عنه –، عن النبي – ﷺ – قال: ((من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه))[3].

وممن حكى الاجماع على إثبات صفة المحبة لله – ﷻ –.

شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول– رحمه الله –: ((وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء – عليه السلام –))[4].

وقد خالف منهج أهل السنة والجماعة في إثبات صفة المحبة لله – ﷻ – على ما يليق به، طوائف من الناس، وهم الجهمية والمعتزلة والأشاعرة:

١– **فالجهمية:** زعموا أنه – سبحانه وتعالى – لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، فنفوا حقيقة صفة المحبة لله – ﷻ – من الجانبين، زعماً منهم أنَّ المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب وأنه لا مناسبة

---

(١) رواه البخاري في (كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة) (٤/١١١)، حديث رقم: (٣٢٠٩)، و(كتاب الأدب، باب المقة من الله)، (٨/١٤)، حديث رقم: (٦٠٤٠)، ورواه مسلم في (كتاب البر والصلة والأدب، باب إذا أحب الله عبدا حببه لعباده)، (٤/ ٢٠٣٠)، حديث رقم: (٢٦٣٧).

(٢) رواه مسلم في (كتاب الزهد والرقائق)، (٤/ ٢٢٧٧)، حديث رقم: (٢٩٦٥).

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) (٨/ ١٠٦)، حديث رقم: (٦٥٠٧)، ورواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)، (٤/ ٢٠٦٥)، حديث رقم: (٢٦٨٣)، وروى أيضاً هذا الحديث في الصحيحين: أبي موسى وعائشة رضي الله عنها بهذا اللفظ..

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٢/٣٥٤)، وانظر الزهد والورع والعبادة لابن تيمية ص١٢٩، ت: حماد سلامة ، محمد عويضة، ن: مكتبة المنار – الأردن، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ، وشرح العقيدة الأصفهانية – لابن تيمية، ص٤٤، وجامع الرسائل – لابن تيمية (٢/ ٢٣٧)، ت: د. محمد رشاد سالم، ن : دار العطاء – الرياض، ط : الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

بين القديم والمحدث توجب المحبة[1]، وأول من أنكر المحبة في الاسلام هو الجعد بن درهم[2]، أستاذ الجهم بن صفوان[3]، [4].

٢- **والمعتزلة**: يفسرون المحبة بأنها نفس الثواب الواجب عندهم على الله لهؤلاء؛ بناء على مذهبهم في وجوب إثابة المطيع وعقاب العاصي، لأنهم لا يثبتون إرادة قائمة به - ﷻ -[5].

٣- **والأشاعرة ومن وافقهم من الصوفية**: يقولون: بأنه يستحق أن يُحَبَّ لكنه لا يُحِبُّ إلا بمعنى أن يريد، فيرجعونها إلى صفة الإرادة، فيقولون: إن محبة الله لعبده لا معنى لها إلا إرادته لإكرامه ومثوبته[6].

وطنطاوي جوهري - ﷺ - في الجملة يثبت لله صفة المحبة، وقال: أن الله - ﷻ - يستحق أن يُحَبَّ ويُحَبْ.

فقال- ﷺ - : ((من هم القوم الذين يحبون الله ويحبهم الله؟ هم الصحابة الذين قاتلوا أهل الردة... هؤلاء هم الذين وردت الأحاديث المختلفة بأنهم الذيت يحبهم الله ويحبونه))[7].

---

(١) انظر شرح العقيدة الأصفهانية - لابن تيمية، ص٤٤، وشرح العقيدة الواسطية – للهراس، ص١٠٢، وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي،ص٢٨٣.

(٢) هو الجعد بن درهم، من الموالي، مؤدب مروان الحمار، مبتدع، له أخبار في الزندقة، وهو أول من أنكر أسماء الله وصفاته، وقال: بأن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله، فَقُتِلَ على ذلك بالعراق يوم النحر على يد خالد القسري. انظر سير أعلام النبلاء (٥/٤٣٣)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٢٠).

(٣) هو جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب،، المتكلم، أسُّ الضلالة، ورأس الجهمية، كان ينكر الصفات، وينزه الباري عنها بزعمه، ويقول: بخلق القرآن، وإنَّ الله في الأمكنة كلها، وأنّ الإيمان هو المعرفة القلبية فقط، وإن تلفظ بالكفر، فهو مؤمن، وقتل بسبب تلك العقائد الفاسدة التي أتى بها. انظر سير أعلام النبلاء (٦/٢٦)، والأعلام للزركلي (٢/ ١٤٠).

(٤) انظر شرح العقيدة الأصفهانية - لابن تيمية، ص٤٤.

(٥) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – للزمخشري (١/٦٤٦)، وشرح العقيدة الأصفهانية - لابن تيمية، ص٤٤.

(٦) انظر تفسير الرازي (٤/١٧٦)، والإنصاف – للباقلاني ص٥، والأسماء والصفات – للبيهقي (٢/٤٦٧)، شرح العقيدة الأصفهانية - لابن تيمية، ص٤٤، وشرح العقيدة الواسطية – للهراس، ص١٠٢، وجامع الرسائل – لابن تيمية (٢/ ٢٣٩).

(٧) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣/٢١٤).

ثم تأوّل طنطاوي صفة المحبة لله بالإرادة وميل النفس والرضى، وقد تكلف أيضاً بربطه العلم بالمحبة، كأنه يقول: إنَّ العلم بجمال الله وكماله يؤدي لكمال محبته.

قال طنطاوي عن حب الله للعباد، وحب العباد له بمعنى الإرادة: ((فإنَّ معنى حب الله العبد: إرادة الهدى والتوفيق له في الدنيا، وحسن الثواب له في الآخرة. ومعنى محبة العباد له: إرادة طاعته والتحرز من معصيته))[1] .

وقال طنطاوي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[آل عمران: ٣١]. ((المحبة ميل النفس إلى الشيء لكمالٍ فيه... ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[آل عمران: ٣٢]، لا يرضى عنهم))[2] .

ثم حاول طنطاوي أن يربط حب الله بالعلم فقال: ((الحب يكون على مقدار الموافقة، ولو أن المحبوب كان جميل الصورة، حسن النغم، حسن الخلق، عطر الرائحة، فصيحاً ذكياً عالماً، لكان ذلك فوق كل جمال، ومن عرف هذه الصفات فيه غاب عقله وفني فيه وأصبح هائماً، بل ربما سلب عقله، هذا عند المدرك له، لأن من ذاق عرف، ومن عرف أحب، ومن زاد حبه عشق، ثم يكون الوله والفناء، فالمدار على المعرفة في المحبة؛... فمن تحقق في الله أنه هو المتصف بالجمال والقوة والعلم والإحسان، ذابت أمامه صورة عزة وليلى، ورأى عنده من العلم والقدرة والإحسان مالا يدانيه علم عالم ولا نبي ولا حكيم، ولا إحسان محسن ولا قوة شجاع، وحينئذ يصبح هائما في جماله وعلمه وقوته وإحسانه اكثر من كل جميل عالم مقتدر، وان إلى ربك المنتهى.

فتبين أن حب الله راجع إلى الغرام بالعلم، والغرام بالعلم يرقي الأمم.

ونتيجة القول: إن حب الله قليل بين المسلمين لأنهم عن العلم معرضون، وبالجهل قابعون، ولقد اكتفى الصوفية الصادقون منهم بمحبة الله الجزئية لا الكلية ، وبالفتوح في الدوائر التي خلقوا فيها من تهذيب الأخلاق أو نحوها ، وهذا والله قصور وعيب، فالعلم بالتعلم، وحرام على رجال الصوفية أن يقصروا في حث تلاميذهم المستعدين على قراءة العلوم الغربية والشرقية، والتفكر، والتعقل، وليكن ذلك على مقدار الاستعداد ، فحب الله يرقي المسلمين ، وبالإعراض عن حبه وجهلهم به أصبحوا عرضة للطامعين، فأين حب الله أيها المسلمون، وما الحب إلا نتيجة العلوم، فأين العلوم، وأين الحب؟

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣/٢١٤).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢/٩٢).

...وقد ذكر محبة الله بعد ذكر السماء والأرض، والليل والنهار، والسفن، والنبات، والحيوان، والرياح، والسحب، ليقول: إنّ حبي تبع للعلم، فعلى مقدار العلم يكون الحب))[1].

ثم قال: ((وقد جاء في القرآن: قوله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة: ٥٤]، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وإنما كان الذين آمنوا أشد حباً له لأنهم هم الذين يعرفون العلوم فيدركون جماله، وأين المدركون الجمال إلا القليل، وسيكثر فينا هؤلاء إن شاء الله، نعم فينا محبون عاشقون لله من طائفة الصوفية، ولكن يجب أن يكون طوائف من المسلمين منهم، أو من غيرهم، تدرس هذا الوجود كما درسه غيرنا، فإن التقصير في ذلك نقص في حب الله، وعيب فاضح في الأمة، والله هو الولي الحميد))[2].

وقال في موضع آخر: ((والحب على مقدار العلم))[3].

وبذلك قد نهج طنطاوي منهج المتكلمين في تأويله لصفة المحبة بالإرادة، مع تكلفه أيضاً بربط هذه الصفة بالعلم؛ وأنّ من درس العلوم الكونية والطبيعية تنال كمال محبة الله.

ولا شكَّ أنَّ هذا نابع من معينه الذي تشبع به، ومنهجه الذي سار عليه في حياته وهو شغفه بالعلوم الطبيعية والكونية، فأصبح يربط كل شيء بالعلوم.

أمَّا ربطه لمحبة الله بالعلم، وأنّ كمال محبة الله هو نتيجة دراسة العلوم الكونية والطبيعية والتجريبية.. فلا ريب أنَّ هذا ليس بصحيح مطلقاً، فنجد كثيراً من غير المسلمين برعوا في العلوم الطبيعية والكونية ولم نجد منهم ذرة إيمان بالله وبرسوله – ﷺ – فضلاً عن محبة الله، لذلك أمر لله – ﷻ – لمن يدعي محبة الله باتباع النبي – ﷺ – قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران: ٣١].

إنَّ اتباع سنة النبي – ﷺ – وشريعته وهديه هو ميزان محبة العبد لله، فمن أحب الله بصدق وإخلاص اتبع هدي النبي – ﷺ – وسار على طريقته، وأدَّى الفرائض، كما قال – ﷺ – في الحديث القدسي ((وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٨٨- ١٩٣).

(٢) انظر المرجع السابق (١/١٨٨- ١٩٣).

(٣) المرجع السابق (٦/٦٥).

الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته))[1].

قد يكون هذا المحب أميًّا لا يقرأ ولا يكتب فضلاً عن دراسة العلوم الطبيعية و...و... فهذا هو المحب لله – ﷻ – كامل المحبة، بعكس ما ادعى به طنطاوي بأن من لم يدرس العلوم الغربية والشرقية يكون حبه لله ناقصاً.

وكذلك قوله ((الحب على مقدار العلوم))، **هذا قول فيه نظر، بل حب الله – ﷻ – يكون على مقدار اتباع النبي – ﷺ – كما ذكرناه.**

و طريقة أهل السنة والجماعة فيها: هو إثبات صفة المحبة لله – ﷻ – على ما يليق به

وأما إقرار طنطاوي في إطلاق لفظ العشق[2] على الله:

لا شك أن هذا اللفظ ليس مأثورا عن أئمة السلف كما ذكر ذلك أهل العلم والدين، لذلك أنكروا الإطلاق في حق الله[3]، من جهتي اللفظ والمعنى:

من جهة اللفظ:

١– فإنَّ هذا اللفظ ليس مأثورا عن السلف، وباب الأسماء والصفات يتبع فيها الألفاظ الشرعية، فلا نطلق إلا ما يرد به الأثر.

٢– أنَّ المعروف من استعمال هذا اللفظ في اللغة إنما هو في محبة جنس النكاح، مثل: حب الإنسان الآدمي مثله ممن يستمتع به من امرأة

وقد يستعمل لفظ العشق في غير ذلك إما على سبيل التواطؤ فيكون حقيقة في القدر المشترك وإما على سبيل المجاز.

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة – ﷺ – في (كتاب الرقاق، باب التواضع) (١٠٥/٨)، حديث رقم: (٦٥٠٢).

(٢) هو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تعالى ولا العبد في محبة ربه. انظر شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز (١٦٦/١).

(٣) انظر جامع الرسائل – لابن تيمية (٢/ ٢٣٨)، وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز (١٦٦/١).

لكن استعماله في محبة الله يوهم المعنى الفاسد: وهو أن الله يُحِبُّ ويُحَبُّ كما تحب صور الآدميين التي نستمتع بمعاشرتها ووطئها وكما تحب الحور العين التي في الجنة.

وهذا المعنى من أعظم الكفر، وإن كان قد بلغ إلى هذا الكفر الاتحادية القائل بأنه عين الموجودات، ويقولون: ما نكح سوي نفسه وهو الناكح والمنكوح، وكذلك القائل بالحلول العام، فإن هؤلاء ومن شابههم من النصارى يصفونه بما يوصف به البشر من النكاح تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولو يكن له كفوا أحد.

فمن زعم أن الله يحب أو يعشق وأشار إلى هذا المعنى، فهو أعظم كفرا من اليهود والنصارى.

وأما من جهة المعنى:

١- فإنَّ العشق: هو فساد في الحب والإرادة، وهو الإفراط في الحب حتى يزيد على القصد الواجب، فإذا أفرط كان مذموما فاسدا مفسدا للقلب والجسم، كما قال تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾[الأحزاب: ٣٢]، فمن صار مفرطا صار مريضا كالإفراط في الغضب والإفراط في الفرح وفي الحزن.

٢- **وكذلك** العشق: هو فساد في الإدراك والتخيل والمعرفة، فإن العاشق يخيل له المعشوق على خلاف ما هو به حتى يصيبه ما يصيبه من داء العشق، ولو أدركه على الوجه الصحيح لم يبلغ إلى حد العشق وإن حصل له محبة وعلاقة.

ولهذا يقول الأطباء العشق مرض وسواسي شبيه بالمالنخوليا، فيجعلونه من الأمراض الدماغية التي تفسد التخيل كما يفسده المالنخوليا.

وإذا كان الأمر كذلك امتنع في حق الله من الجانبين، فإن الله بكل شيء عليم وهو سميع بصير مقدس منزه عن نقص أو خلل في سمعه وبصره وعلمه، والمحبون له عباده المؤمنون الذين آمنوا به وعرفوه بما تعرف به إليهم من أسمائه وآياته[(١)].

ب- صفة الاستواء.

لقد أثبت الله - ﷻ - لنفسه صفة الاستواء على ما يليق به ﷻ، وهي صفة من صفات الله - ﷻ - الفعلية الثابتة لله كسائر صفاته لا تماثل صفات المخلوقين، وأهل السنة

(١) جامع الرسائل – لابن تيمية (٢/ ٢٣٩- ٢٤٥). (بتصرف).

والجماعة يثبتون لله هذه الصفة على ما يليق به ﷻ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والاستواء معناه: يدور حول العلو والاستقرار، كما قال بذلك أهل اللغة[(١)] وسلف الأمة[(٢)].

وذكر ابن القيم – ﷺ – عن استعمالات لفظ الاستواء ومعانيها في كلام العرب، **فقال:** ((إنَّ لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه **نوعان:** مطلق ومقيد،

فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾[القصص: ١٤]، وهذا معناه كمل وتم، يقال: استوى النبات واستوى الطعام.

وأما المقيد: فثلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بإلى كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[البقرة: ٢٩] واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وهذا بمعنى العلو والارتفاع وهو بمنى قصد بإجماع السلف.

والثاني: مقيد بعلى كقوله: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾[هود: ٤٤]، وقوله: ﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾[الفتح: ٢٩]، وهذا أيضا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو (مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه، نحو: استوى الماء والخشبة بمعنى ساواها، وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلامهم، ليس فيها معنى استولى البتة، ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم، وإنما قاله متأخرو النحاة ممن سلك طريق المعتزلة والجهمية))[(٣)].

واستواء الله على عرشه صفة ثابتة لله بالكتاب والسنة والإجماع، وقد جاءت نصوص كثيرة في إثبات هذه الصفة على ما يليق به – ﷻ –.

---

(١) انظر تهذيب اللغة – للأزهري (٨٥/١٣)، ولسان العرب – لابن منظور (٤١٤/١٤).

(٢) انظر تفسير الطبري (٤٣٠/١)، وتفسير القرطبي (٧/ ٢١٩)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٨٦/٥-١٩٣). قد نقل فيها شيخ الإسلام جملة من أقوال العلماء في إثبات صفة استواء الله على عرشه كما يليق به ﷻ، والعرش – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (٩/٢-١٨)، ت: محمد بن خليفة بن علي التميمي، ن: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ومختصر الصواعق المرسلة – لابن الموصلي، ص ٣٧٢، وتفسير السعدي ص٨٤.

(٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة – لابن الموصلي، ص ٣٧٢،

فقد ورد في ذلك سبع آيات من كتاب الله وهي:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[يونس: ٣]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الرعد: ٢]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[طه: ٥]، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾[الفرقان: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[السجدة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الحديد: ٤].

ومن السنة النبوية:

حديث أبي هريرة – ﷺ –، أنَّ النبي – ﷺ – أخذ بيده، فقال: ((يا أبا هريرة، إن الله خلق السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام، ثم استوى على العرش يوم السابع... الحديث))[(١)].

وأما عن الإجماع:

قال ابن بطة[(٢)] – رحمه الله –: ((وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه فوق سماواته بائن من خلقه))[(٣)].

وقال ابن أبي زَمَنِين – رحمه الله –: ((ومن قول أهل السنة: أن الله – ﷻ – خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه...))[(٤)].

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٣٢٧/١٣)، حديث رقم:) ١١٣٢٨)، السنن الكبرى – أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

(٢) هو أبو عبد الله، عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطّة العكبري، الفقيه الحنبلي. من أهل عكبرا مولدا ووفاة، وتوفي سنة: ٣٠٤هـ، وله مصنفات كثيرة، منها: منها الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، والسنن، والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة. انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩)، وشجرات الذهب (٤/ ٤٦٣) والأعلام للزركلي (٤/ ١٩٧).

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة (١٣٦/٣).

(٤) أصول السنة – لابن أبي زَمَنِين ص٨٨.

قال القرطبي- ﷺ -: ((وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله. ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة. وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته، وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته. قال مالك رحمه الله: الاستواء معلوم- يعني في اللغة- والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. وكذا قالت أم سلمة رضي الله عنها)) (١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - ﷺ -: ((أهل السنة والحديث وسلف الأمة متفقون على أنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه، ليس في ذاته شيء من مخلوقاته ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، وعلى ذلك نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمة السنة، بل على ذلك جميع المؤمنين من الأولين والآخرين وأهل السنة، وسلف الأمة متفقون على أنَّ من تأول استوى بمعنى استولى، أو بمعنى آخر ينفي أن يكون الله فوق سمواته فهو جهمي ضال)) (٢).

ويقول شيخ الإسلام - ﷺ - أيضاً: ((الاستواء على العرش: ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل)) (٣).

وقد خالف منهج أهل السنة والجماعة في إثبات صفة استواء الله تعالى على عرشه استواءً يليق بـ ﷻ وعظمته، الجهمية، والمعتزلة، والحرورية، ومتأخرو الأشاعرة (٤)، حيث أنكروا استواء الله على عرشه، وأولوا معناها بالاستيلاء والقهر والغلبة (٥)، بناء على نفيهم صفة العلو عن الله - ﷻ - بدعوى تنزيهه تعالى من التشبيه والتجسيم، وتماثل صفات المخلوقين.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي (٧/٢١٩).

(٢) الفتاوى الكبرى - لابن تيمية، (٦/ ٤٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢/١٨٨).

(٤) كالإمام الغزالي قال: معناه الاستيلاء، ذكر ذلك في الاقتصاد في الاعتقاد ص٤٠، ن: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤م، والآمدي أيضاً قال معناه الاستيلاء، انظر غاية المرام في علم الكلام ص١٤١، ت: حسن محمود عبد اللطيف، ن: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.

أما أبو الحسن الأشعري كان على مذهب السلف في إثبات صفة الاستواء، انظر رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ص١٣١، و الديانة – لأبي الحسن الأشعري، ص١٠٧، ١١٣.

(٥) انظر الإبانة عن أصول الديانة – لأبي الحسن الأشعري، ص١٠٧، والاقتصاد في الاعتقاد - للطوسي، ص٤٠، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥/١٤٣)، ومختصر الصواعق المرسلة – لابن الموصلي، ص ٣٨٥.

وطنطاوي جوهري – ﷺ – سلك مسلك المتأولين في إثبات صفة استواء الله – ﷻ – على عرشه، وقال: الاستواء بمعنى الاستيلاء.

فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الأعراف: ٥٤] ((فالله –ﷻ – مستولٍ على الملك أزلا وأبدا يدبر السماء إلى الأرض، ولذلك أخذ يبين الاستيلاء على العالم العلوي فأبان أعظم الأعمال التي نراها من ذلك الاستيلاء، وهو تسخير الشمس والقمر والنجوم وبهذه الحركات التسخيرية تكون جميع العوالم التي بها حياتنا وبقاؤنا))[(١)].

وقال طنطاوي في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾[يونس: ٣])) ذكر أنّ ﴿ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾معناه: استعلى بالقهر والغلبة كما جاء في آية أخرى ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾[الزخرف: ١٣]))[(٢)].

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[الرعد: ٢]، فالله استولى على ملكه ونفذ فيه أمره))[(٣)].

والسلف – رحمهم الله – أجمعوا على أنَّ القول الذي ذهب إليه – الجهمية، والمعتزلة، والخوارج، والأشاعرة – في صفة الاستواء، هو تأويل باطل ترده نصوص القرآن والسنة وإجماع الأمة، ولذا أبطلوا هذا القول بوجوه عدة، منها:

١– أن تفسيرهم للفظ الاستواء بمعنى الاستيلاء، هذا تفسير لكلام الله بالرأي المجرد الذي لم يذهب إليه صاحب ولا تابع، ولا قاله إمام من أئمة المسلمين، ولا أحد من أهل التفسير الذين يحكون أقوال السلف.

٢– أنَّ معنى الاستواء معلوم ومشهور عند السلف من الصحابة والتابعين؛ والتفسير المحدث بعده يكون باطلاً قطعاً، ولهذا لما سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن، ومالك بن أنس، عن قوله تعالى:﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[طه: ٥]، قالا: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٨٨/٤).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥/٦).

(٣) المرجع السابق (٨٩/٧).

٣- أنه لو لم يكن معنى الاستواء في الآية معلوما لم يحتج أن يقول: الكيف مجهول لأن نفي العلم بالكيف لا ينفي إلا ما قد علم أصله، كما نقول: إنا نقر بالله ونؤمن به ولا نعلم كيف هو.

٤- أنَّ أهل اللغة أنكروا غاية الإنكار لما سمعوا تأويلهم ذلك، بل لم يجعلوه من لغة العرب، كما قال ابن الأعرابي عندما سئل: هل يصح أن يكون استوى بمعنى استولى؟ فقال: لا تعرف العرب ذلك، وهذا هو من أكابر أئمة اللغة.

٥- لا يجوز عند أهل اللغة أن يقال: استوى بمعنى استولى إلا في حق من كان عاجزا ثم ظهر، والله سبحانه لا يعجزه شيء، والعرش لا يغالبه في حال فامتنع أن يكون بمعنى استولى.

٦- ومما قال أهل اللغة أيضاً: لا يكون استوى بمعنى استولى إلا فيما كان منازعا مغالبا فإذا غلب أحدهما صاحبه قيل: استولى؛ والله لم ينازعه أحد في العرش- ﷻ -.

٧- أنَّ الاستيلاء والاستواء لفظان متغايران، ومعنيان مختلفان فحمل أحدهما على الآخر كذب ظاهر، فإنَّ العرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء البتة، وإن كان بطريق الاستعمال في لغتهم فكذب أيضا، فهذا نظمهم ونثرهم شاهد بخلاف ما قالوه.

٨- أنه إذ فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى هذه الآيات كلها إلى أن الله تعالى، أعلم عباده بأنه خلق السماوات والأرض ثم غلب العرش بعد ذلك وقهره وحكم عليه[(١)].

وبذلك قد خالف طنطاوي جوهري مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتهم في إثبات صفة استواء الله على عرشه كما يليق به.

ج- صفة المجيئ والإتيان للباري - ﷻ -.

أثبت الله - ﷻ - لنفسه صفة المجيئ والإتيان على ما يليق به- ﷻ -، وهي صفة لله - ﷻ - فعلية اختيارية، فهو سبحانه يجيء ويأتي يوم القيامة للفصل والقضاء بين عباده، بمشيئته وقدرته.

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله ذلك ويؤمنون به على حقيقته - ﷻ -، مع انتفاء المماثلة بينه وبين خلقه، ويبتعدون عن التأويل الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل[(٢)]، **وهي صفة** ثابتة لله بالكتاب، والسنة، والإجماع.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥/١٤٤-١٤٩)، ومختصر الصواعق المرسلة، ص٣٧١-٣٩٠.

(٢) شرح العقيدة الواسطية للهراس، ص١١٢.

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

ومن السنة النبوية:

حديث أبي هريرة – ﷺ –، أنَّ الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله – ﷺ –:((هل تضارون في القمر ليلة البدر؟، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون في الشمس، ليس دونها سحاب؟، قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها – شك إبراهيم –، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاءنا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل... الحديث))[(١)].

وعن أبي هريرة – ﷺ –، قال: قال النبي – ﷺ –:((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة))[(٢)].

وممن حكى الإجماع:

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] (٩/ ١٢٨)، حديث رقم:)٧٤٣٧)، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية) (١/١٦٣) حديث رقم: (١٨٢).

(٢) رواه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] (٩/ ١٢١)، حديث رقم:)٧٤٠٥)، ومسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى) (٤/ ٢٠٦١) حديث رقم: (٢٦٧٥).

أبو الحسن الأشعري حيث قال – ﷺ –: ((وأجمعوا على أنه – ﷻ – يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء كما قال))[1].

وقد خالف في إثبات صفة المجيء والإتيان على ما يليق به- ﷻ –، الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم، بحجة أنَّ المجيء والإتيان تحدث معها حركة وانتقال، والحركة محالٌ على الله تعالى، لأن كل ما كان كذلك كان جسما والجسم يستحيل أن يكون أزليا فلا بد فيه من التأويل، وعلى ذلك يؤولون هذه الصفة بأنها تمثيل لظهور آيات اقتداره، وتبين آثار قهره وسلطانه[2].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – قد انتهج منهج المتأولين في إثبات هذه الصفة، ولم يثبتها لله– ﷻ – على الوجه اللائق به، بل أولها بتأويلات باطلة.

فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١] ((هذا تمثيل لظهور جبروته واقتداره، فإن حضور الملك بنفسه أكثر أثراً من حضور جنده وحده، فإذن المراد ظهور العظمة))[3].

وقولهم هذا تأويل باطل، وتفسير خاطئ من عدة وجوه:

١– أنَّ الله – ﷻ – عطف مجيء الملك على مجيئه سبحانه يدل على تغاير المجيئين، وأنَّ مجيئه سبحانه حقيقة، كما أن مجيء الملك حقيقة، بل مجيء الرب سبحانه أولى أن يكون حقيقة من مجيء الملك، وكذلك قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، ففرق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات ربك، فقسم ونوع، ومع هذا التقسيم يمتنع أن يكون القسمان واحدا فتأمله.

٢– أنَّ المتأولين إذا قدروا: وجاء أمر ربك ويأتي أمره ويجيء أمره وينزل أمره، فأمره هو كلامه وهو حقيقة، فكيف تجيء الصفة وتأتي وتنزل دون موصوفها، وكيف ينزل الأمر ممن ليس هو فوق سماواته على عرشه، وعلى ذلك فالذي ادعى حذفه وإضماره يلزمهم فيه كما لزمهم فيما أنكروه.

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ص١٢٨.

(٢) انظر تفسير الكشاف – للزمخشري (٧٥١/٤)، وتفسير النسفي (٦٤١/٣)، وتفسير الرازي (١٥٩/٣١)

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم طنطاوي جوهري (١٧٤/٢٥).

٣- أنَّ اطراد نسبة المجيء والإتيان إليه سبحانه دليل الحقيقة، وقد صرحتم بأن من علامات الحقيقة الاطراد، فكيف كان هذا المطرد مجازا[(١)].

وطنطاوي جوهري بذلك قد خالف منهج أهل السنة والجماعة في إثبات صفة مجيء الباري - ﷻ -، والقول الحق الذي سار عليه أهل السنة والجماعة في هذا هو إثبات صفة المجي كما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل،

د- صفة الكلام لله - ﷻ -.

أثبت الله - ﷻ - لنفسه صفة الكلام، وأنه تعالى يتكلم ويُكَلِّم بكلام حقيقي، متى شاء، كيف شاء، بما شاء، بحرف وصوت، يسمعه المخاطب على ما يليق به ﷻ - ـ - لا يماثل أصوات المخلوقين[(٢)]، وهي صفة لله - ﷻ - **ذاتية فعلية**، فهي باعتبار أصله صفة ذاتية، لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلما، وباعتبار آحاد الكلام فهي صفة فعلية، لأن الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء.

وأهل السنة والجماعة يثبتون لله ذلك ويؤمنون بأنه يتكلم بكلام حقيقي بحرف وصوت متى شاء، كيف شاء، بما شاء، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل - ﷻ -[(٣)]، **وهي صفة** ثابتة لله بالكتاب، والسنة، والإجماع.

فقد ورت في القرآن الكريم آيات كثيرة تثبت لله هذه الصفة على ما يليق به، ومن تلك الآيات:

قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ ﴾ [الفتح: ١٥]، قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ [النساء: ٨٧]، قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ [النساء: ١٢٢] ، وقوله تعالى: ﴿ وَنَٰدَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ

(١) انظر ومختصر الصواعق المرسلة، ص٣٥٧-٣٥٩.

(٢) انظر شرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين ص٣٥٦.

(٣) انظر شرح العقيدة الواسطية – للهراس، ص١٩٨.

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾ [الشورى: ٥١].

ومن السنة النبوية:

حديث ابن مسعود- ﷺ - **قال**: ((إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئا، فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت، عرفوا أنه الحق ونادوا)): ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾[سبأ: ٢٣]، و عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت النبي - ﷺ - يقول: ((يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان))[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري- ﷺ -، قال: قال النبي - ﷺ -:((يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار))[(٢)].

وعن عدي بن حاتم- ﷺ -، قال: قال النبي - ﷺ -:((ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان، ثم ينظر فلا يرى شيئا قدامه، ثم ينظر بين يديه فتستقبله النار، فمن استطاع منكم أن يتقي النار ولو بشق تمرة))[(٣)].

وممن حكى الإجماع:

شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال - رحمه الله -: ((أئمة الدين كلهم متفقون على ما جاء به الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الأمة من أنَّ الله كلم موسى تكليما))[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، ولم يقل: ماذا خلق ربكم) (٩/ ١٤١).

(٢) رواه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]، ولم يقل: ماذا خلق ربكم) (٩/ ١٤١) ، حديث رقم: (٧٤٨٣)، ورواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) (١/ ٢٠١) حديث رقم: (٢٢٢).

(٣) رواه البخاري في (كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذب) (٨/ ١١٢) ، حديث رقم: (٦٥٣٩)، ورواه مسلم في (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار) (٢/ ٧٠٣) حديث رقم: (١٠١٦).

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٢/ ٥٠٤).

وقال أيضاً – ﷺ –: ((قد اتفق جميع أهل الإثبات على أن الله حي حقيقة عليم حقيقة قدير حقيقة سميع حقيقة بصير حقيقة مريد حقيقة متكلم حقيقة)) [(١)] .

إذا تقرر أنَّ الله – ﷻ – يتكلم بكلام حقيقي بحرف وصوت على ما يليق به – ﷻ –، فإنَّ أهل السنة والجماعة يقررون كذلك على أنَّ القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنه – ﷻ – تعالى تكلم به حقيقة على ما يليق به.

يقول الإمام الآجري – ﷺ –: ((اعلموا رحمنا الله وإياكم أنَّ قول المسلمين الذين لم يزغ قلوبهم عن الحق، ووفقوا للرشاد قديما وحديثا أنَّ القرآن كلام الله تعالى ليس بمخلوق؛ لأن القرآن من علم الله، وعلم الله لا يكون مخلوقا، تعالى الله عن ذلك دل على ذلك القرآن والسنة، وقول الصحابة رضي الله عنهم وقول أئمة المسلمين لا ينكر هذا إلا جهمي خبيث)) [(٢)] .

وقال ابن أبي زَمَنِين – ﷺ –: ((ومن قول أهل السنة: أن القرآن كلام الله وتنزيله، ليس بخالق ولا مخلوق، منه تبارك وتعالى بدأ، وإليه يعود.)) [(٣)] .

يقول الإمام الطحاوي – ﷺ –: ((إنَّ القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٦]، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر)) [(٤)] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((فإنَّ مذهب سلف الأمة وأهل السنة أنَّ القرآن كلام الله؛ منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. هكذا قال غير واحد من السلف)) [(٥)] .

ويقول – ﷺ – **في موضع آخر**: ((ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود؛ وأن الله تعالى تكلم به حقيقة وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد – ﷺ – هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره؛ ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف: لم يخرج

---

(١) المرجع السابق (١٩٦/٥).

(٢) الشريعة – للآجري (٤٨٩/١).

(٣) أصول السنة – لابن أبي زَمَنِين ص٨٣.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية – لأبي العز الحنفي ص١٦٥.

(٥) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٤٠١/٣، ٥٠٤/١٢).

بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإنَّ الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قاله مبلغا مؤديا.

وهو كلام الله؛ حروفه ومعانيه؛ ليس كلام الله الحروف دون المعاني ولا المعاني دون الحروف))[1].

وقد خالف مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات صفة الكلام لله - ﷻ - على ما يليق به- ﷻ -، كلاً من االإتحادية القائلين بوحدة الوجود[2]، ومتأخري الفلاسفة[3]، والجهمية[4]، والمعتزلة[5]،

---

(١) المرجع السابق (١٤٤/٣، ٥٠٤/١٢، ٥١٨/٦)، ولمعرف المزيد من أقوال السلف في مسألة القرآن كلام الله، انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة- اللالكائي (١٧٠/١-٢٠٦)، والشريعة – للآجري (٤٨٩/١) وما بعدها.

(٢) قالوا: أنَّ كل كلام في الوجود كلام الله، ومذهبهم هذا مبني على أصلهم الذي أصلوه، وهو أن الله سبحانه هو عين هذا الوجود، فصفاته هي صفات الله، وكلامه هو كلام الله. انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٦٣/١٢) وما بعدها، ومختصر الصواعق (٤٠٨/٢)، وشرح العقيدة الطحاوية – لأبي العز الحنفي ص١٦٥.

(٣) وهم أتباع أرسطو، الذين يحكي عنهم كابن سينا والفارابي والطوسي، وقولهم: إن كلام الله فيض فاض من العقل الفعال على النفوس الفاضلة الزكية بحسب استعدادها، فأوجب لها ذلك الفيض تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته، انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٦٣/١٢) وما بعدها، ومختصر الصواعق (٤٠٩/٢)، وشرح العقيدة الطحاوية – لأبي العز الحنفي ص١٦٥.

(٤) فالوا: أنَّ الله تعالى لا يتكلم. أو يقول: إنه يتكلم بطريق المجاز، انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١١٩/١٢، ١٦٣) وما بعدها، ودرء تعارض العقل والنقل – لابن تيمية (٢/ ٣٠٤)، ومختصر الصواعق (٤٠٩/٢)، وشرح العقيدة الطحاوية – لأبي العز الحنفي ص١٦٥.

(٥) يقولون إنه يتكلم حقيقة؛ لكن قولهم في المعنى هو قول جهم وجهم ينفي الأسماء أيضا كما نفتها الباطنية ومن وافقهم من الفلاسفة وأما جمهور المعتزلة فلا ينفون الأسماء، فالمعتزلة اتفقت على أنّ كلام الله مخلوق خلقه الله منفصلاً عنه، ثم اختلفت طوائفهم على ستة أقوال، انظر الملل والنحل – للشهرستاني (٧٧/١)، ومقالات الإسلاميين – لأبي الحسن الأشعري (١/ ١٥٣)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٦٣/١٢) وما بعدها، ودرء تعارض العقل والنقل – لابن تيمية (٢/ ٣٠٤)، ومختصر الصواعق (٤٠٩/٢)، وشرح العقيدة الطحاوية – لأبي العز الحنفي ص١٦٥.

والكلابية[1]، [2]، والكرامية[3]، [4]، والأشاعرة[5]، والسالمية[6]، [7]، حيث أنكروا جميعاً كلام الله – ﷻ – على اختلاف في مقالاتهم بين الانكار الصريح أو ما شابه ذلك، إلاّ أنَّها تؤول جميع تلك المقالات إلى انكار كلام الله – ﷻ – .

---

(١) قالوا: أنَّ القرآن معنى قائم بالنفس لا يتعلق بالقدرة والمشيئة، وأنه لازم لذات الرب كلزوم الحياة والعلم، وأنه لا يسمع على الحقيقة، والحروف والأصوات حكاية له دالة عليه وهي مخلوقة، هو أربع معان في نفسه: الأمر والنهي والخبر والاستفهام، فهي أنواع لذلك المعنى القديم الذي لا يسمع، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة، وذلك المعنى هو المتلو المقروء، وهو غير مخلوق، والأصوات والحروف هي تلاوة العباد وهي مخلوقة، انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٦٣/١٢) وما بعدها، ومختصر الصواعق (٤١٠/٢)، وشرح العقيدة الطحاوية – لأبي العز الحنفي ص١٦٥.

(٢) هم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب، قيل لقب بالكلاب لشدته في المناظرة، فهم يثبتون الأسماء والصفات لكن على طريقة أهل الكلام، لذلك يعدهم أهل السنة من متكلمة أهل الإثبات ويوافقون أهل السنة في كثير من مسائل العقيدة. انظر مقالات الإسلاميين ص١٦٩.

(٣) قالوا: أنَّ كلامه متعلق بالمشيئة والقدرة قائم بذات الرب تعالى، وهو حروف وأصوات مسموعة، وهو حادث بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلم بقدرته ومشيئته بعد أن لم يكن متكلما، انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٦٣/١٢) وما بعدها، ومختصر الصواعق (٤١١/٢)، وشرح العقيدة الطحاوية – لأبي العز الحنفي ص١٦٥.

(٤) هم أتباع محمد بن كرام كان مطرودا من سخستان الى غرجستان وكان أتباعه في وقته أوغاد شورين وافشين، من معتقداتهم: القول بالتجسيم والتشبيه، والجهة، وأنَّ الله مماس لعرشه تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا، وغيرها من المعتقدات الفاسدة. انظر مقالات الإسلاميين ص١٤١، والفرق بين الفرق ص٢٠٤، والملل والنحل – للشهرستاني (١٠٨/١).

(٥) قالوا: أنَّ كلامه معنى واحد قائم بذات الرب، أو ما يسمى بالكلام النفساني، وهو صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم ولا له أبعاض ولا له أجزاء ولا عين الأمر وعين النهي وعين الخبر وعين الاستخبار، الكل من واحد وهو عين التوراة والإنجيل والقرآن والزبور، وكونه أمرا ونهيا، وخبرا واستخبارا صفات لذلك المعنى الواحد، انظر غاية المرام في علم الكلام – للآمدي، ص١١١، وكتاب المواقف – للإيجي (٣/ ٢٠٣)، والملل والنحل – للشهرستاني (٩٦/١)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٦٣/١٢) وما بعدها، ومختصر الصواعق (٤١١/٢)، وشرح العقيدة الطحاوية – لأبي العز الحنفي ص١٦٥– ١٧٨.

(٦) قالوا: أنه صفة قائمة بذات الرب تعالى لم يزل ولا يزال، لا يتعلق بقدرته ومشيئته، ومع ذلك هو حروف وأصوات، انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٦٣/١٢) وما بعدها، ومختصر الصواعق (٤١٢/٢)، وشرح العقيدة الطحاوية – لأبي العز الحنفي ص١٦٥.

(٧) هي فرقة كلامية، ذات نزعة صوفية، تنسب إلى محمد بن سالم المتوفى سنة ٢٩٧هـ وابنه: أحمد بن سالم المتوفى سنة ٣٥٠ هـ، تتلمذ الأب محمد بن سالم على سهل بن عبد الله التستري، هذا ومن أشهر رجال السالمية: أبو طالب المكي صاحب كتاب قوت القلوب، ومن عقائدهم: الخلق المستمر، فالله– ﷻ – يخلق في كل حين وآن، وأنّ لله ⇦=

وطنطاوي جوهري – ﷺ – أثبت لله – ﷻ – صفة الكلام.

فقال – ﷺ – :((إنّ العلم اليوم صار شارحاً لمعاني أسماء الله الحسنى لأنها معبرات عن صفاته تعالى، كالوجود والحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام))[(١)].

كما أثبت أيضاً أنَّ من مراتب الوحي تكليم الله لأنبيائه ورسله، كما حصل لموسى عليه السلام إذ كلمه الله – ﷻ – من غير واسطة.

فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٦٤]، ((وتكليم الله أقصى مراتب الوحي))[(٢)].

بيد أنه قد تأول في ذلك، وقال بأنّ كلامه – ﷻ – بلا حرف ولا صوت، وهو كلام أزلي قديم، ولم يثبت لله آحاد الكلام المتعلق بالمشيئة والقدرة، ويكون قوله هذا عين ما قالته الأشاعرة في كلام الله – ﷻ –.

قال طنطاوي جوهري عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ((أي: من غير واسطة كما يكلم الملائكة، وكلام الله ليس ككلام الناس، فليس يأتي من جهة خاصة فلا جهة له خاصة، فلما سمع كلامه الذي ليس بحرف ولا صوت اشتاق إلى رؤيته وغلب الشوق عليه هنالك))[(٣)].

وقال في موضع آخر: ((واعلم أن الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت قسمان : قسم قدسي وهو كلام الله القديم.

وقسم مخلوق: وهو كلام هذه العوالم، فأما كلام الله فهو فوق عقولنا ولا نسبة بينه، وبين كلام المخلوق بحرف وصوت، وبلا حرف ولا صوت فهذا فوق متناول عقولنا، ولكن لما تناهت عظمته وجلت قدرته أبرز لنا في الوجود عوالم تكون نتائجها صادقة بدون كلام حرفي أو صوت))[(٤)].

= مشيئة قديمة، وأنّ الشيطان في آخر أمره يطيع الله ويخضع، وغيرها من عقائدهم الفاسدة. انظر نشأة الفكر الفلسفي للنشار (٢٩٤/١)

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٣/١٥).

(٢) المرجع السابق (١٣٢/٣).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٤٧/٤).

(٤) المرجع السابق (١٧٦/١٩).

وبذلك قد قسم طنطاوي جوهري الكلام الذي ليس بحرف ولا صوت إلى قسمين اثنين؛ قسم قديم أزلي بلا حرف ولا صوت وهو كلام الله، وقسم مخلوق بحرف وصوت، ومن ضمنها الموجودات والعوالم المشاهدة، وهذه إشارة منه إلى منهجه ومذهبه الذي لطالما نادى به في تفسيره النظر في العوالم والتفكر فيها ودراسة تلك العلوم.

ولا شك أنّ ما ذهب إليه طنطاوي جوهري – في أنَّ كلام الله قديم ليس بحرف وصوت – مخالف لمذهب السلف الذي عليه أهل السنة والجماعة، وهو قول باطل ومردود عليه من عدة وجوه:

١- أنَّ طنطاوي جوهري يعتبر مقلداً لمذهب الأشاعرة في مسألة كلام الله، وأولئك قد خالفوا أئمة السنة والحديث في شيئين:

أحدهما: أنهم قسموا القرآن إلى نصفين، نصفه من كلام الله والنصف الآخر ليس كلام الله عندهم؛ بل خلقه الله في الهواء أو في اللوح المحفوظ أو أحدثه جبريل أو محمد – ﷺ – وهؤلاء في كونهم جعلوا نصف القرآن مخلوقا موافقين لمن قال بخلقه؛ إلاَّ أنَّ الأشاعرة يقولون: إن هذا النصف المخلوق كلام الله، وكلامه قائم به متصل به هو معنى والمعتزلة يقولون: هو مخلوق منفصل عن الله وهو كلامه؛ لا يجعلون لله كلاما متصلا به قائما بنفسه ولا معاني ولا حروفا.

فصارت المعتزلة أشد بدعة في نفيهم حقيقة الكلام عن الله وفي جعلهم كلام الله مخلوقا. والأشاعرة أشد بدعة في إخراجهم ما هو من كلام الله عن أن يكون من كلام الله.

والشيء الثاني الذي خالفوا فيه أهل السنة والجماعة: قولهم: إن القرآن المنزل إلى الأرض ليس هو كلام الله لا حروفه ولا معانيه بل هو مخلوق عندهم ويقولون: هو عبارة عن المعنى القائم بالنفس؛ لأن العبارة لا تشبه المعبر عنه؛ بخلاف الحكاية والمحكي وهذا فيه من زيادة البدع ما لم يكن في قول اللفظية من أهل الحديث الذين أنكر عليهم أئمة السنة[(١)].

٢- أنَّ لفظ الجهة التي نفاها طنطاوي عن الله لفظ مجمل، لم يرد في الكتاب والسنة، ولم يؤثر عن سلف الأمة في إطلاقها على الله نفياً وإثباتاً.

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٧٦).

ومن أطلق ذلك على الله يستفصل عن مراده، ويقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق، فالله ليس داخلا في المخلوقات؛ أم تريد بالجهة ما وراء العالم، فلا ريب أن الله فوق العالم، بائن من المخلوقات[1].

٣- أنّه لم يؤثر عن السلف – رحمهم الله – إطلاق لفظ القديم على كلام الله- ﷻ – ، وإنما الَّذي اتفقوا عليه أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وهو كلام الله حيث تلي وحيث كتب، وهو قرآن واحد، وكلام واحد، وإن تنوعت الصور التي يتلى فيها ويكتب، من أصوات العباد ومدادهم، فإن الكلام كلام من قاله مبتدئًا لا كلام من بلغه مؤديًا[2].

٤- أنه لا يقال لمن قام به الكلام النفساني ولم يتكلم به، أنَّ هذا كلام حقيقة، وإلا للزم أن يكون الأخرس متكلماً، كما لو أشار أخرس إلى شخص بإشارة فهم بها مقصوده فكتب ذلك الشخص عبارته عن المعنى الذي أوحاه إليه ذلك الأخرس، فالمكتوب هو عبارة ذلك الشخص عن ذلك المعنى.

وهذا المثل مطابق غاية المطابقة لما يقولونه، فعندهم أن الملك فهم منه معنى قائما بنفسه لم يسمع منه حرفا ولا صوتا بل فهم معنى مجردا ثم عبر عنه، فهو الذي أحدث نظم القرآن وتأليفه العربي، أو أنَّ الله خلق في بعض الأجسام كالهوى الذي هو دون الملك هذه العبارة[3].

٥- ويقال كذلك لمن قال بأنَّ كلام الله معنى واحد: هل سمع موسى عليه السلام جميع المعنى أو بعضه ؟ فإن قال: سمعه كله فقد زعم أنه سمع جميع كلام الله، وفساد هذا ظاهر، وإن قال: بعضه فقد قال يتبعض واعترف بتعدده، وكذلك كل من كلمه الله أو أنزل إليه شيئا من كلامه[4].

٦- أنَّ المعنى المجرد لا يسمع بالضرورة ومن قال إنه يسمع فهو مكابر، ودليل ذلك: أنه – ﷻ – نادى موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ [مريم:٥٢]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ

(١) انظر التدمرية: لابن تيمية، ومجموع الفتاوى (٣/٤٢، ٧/٦٦٣)، ومنهاج السنة– لابن تيمية، (٢/ ٣٢١,٥٥٨)، والتسعينية – لابن تيمية (١/١٨٧).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٤١).

(٣) انظر المرجع السابق (٦/ ٢٩٥)، وشرح العقيدة الطحاوية ص١٧٨.

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٤١)، وشرح العقيدة الطحاوية ص١٧٨.

﴿ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ [طه:١٣]، والنداء لا يكون إلا صوتا مسموعا ولا يعقل في لغة العرب لفظ النداء بغير صوت مسموع لا حقيقة ولا مجازا [(١)].

٧- أنّ السلف – رحمهم الله – استدلوا على أن كلام الله غير مخلوق بقول النبي – ﷺ – ((أعوذ بكلمات الله التامات)) [(٢)]، قالوا: فقد استعاذ بها ولا يستعاذ بمخلوق.

وفي الصحيح عنه – ﷺ – أنه قال: ((لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا)) [(٣)]، فنهى عن الرقى التي فيها شرك كالتي فيها استعاذة بالجن كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] [(٤)].

٨- وكذلك أنَّ إطلاق القول بنفي الحرف بدعة: لم يتكلم به الأئمة الأربعة و لا السلف، بل قالوا: أن القرآن كلام الله: حروفه ومعانيه؛ والكلام يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا؛ لا إلى من قاله مبلغا مؤديا وأن الله تكلم بصوت [(٥)].

هـ- صفة المعية لله – ﷻ – وقربه من عباده.

لقد أثبت الله – ﷻ – لنفسه صفة المعية على ما يليق به ﷻ – ـ –، وهي صفة ثابتة لله – ﷻ – على حقيقتها من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل، وأهل السنة والجماعة يثبتون لله صفة المعية، ويؤمنون بأنه فوق سمواته على عرشه؛ بائن من خلقه وهم بائنون منه، وهو أيضا مع العباد عموما بعلمه ومع أنبيائه وأوليائه بالنصر والتأييد والكفاية وهو أيضا قريب مجيب [(٦)]. **وهي صفة** ثابتة لله بالكتاب، والسنة.

فقد ورت في القرآن الكريم آيات كثيرة تثبت لله هذه الصفة على ما يليق به، ومن تلك الآيات

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (١٢/ ١٣٠).

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة- ﷺ -، في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره)، (٤/٢٠٨١)، حديث رقم: (٢٧٠٩).

(٣) رواه أبو داود من حديث عوف بت مالك- ﷺ -، (٦/٣٤) (٣٨٨٦)، والحاكم في مستدركه (٤/٢٣٦)، (٧٤٨٥).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١/ ٣٣٦).

(٥) انظر المرجع السابق (٣/ ٢٠٨).

(٦) انظر المرجع السابق (٥/١٠٣، ١٢٦)، وشرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين ص٣٤١، وشرح العقيدة الواسطية – للهراس، ص١٩٥.

قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]، وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦]،وقوله تعالى: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]،

ومن السنة النبوية:

حديث أبي هريرة – ﷺ –، قال: قال النبي – ﷺ –: ((يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة))[(١)].

ومعية الله – ﷻ – تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة.

فالمعية العامة: هي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر، تقتضي العلم والإحاطة. ودليلها قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾ [الحديد: ٤].

وأما المعية الخاصة تنقسم إلى قسمين: مقيدة بشخص، ومقيدة بوصف.

فأما الخاصة المقيدة بوصف؛ فمثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران:٢٨])، (١٢١/٩)، حديث رقم: (٧٤٠٥)، ورواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى)، (٤/ ٢٠٦١)، حديث رقم: (٢٦٧٥).

وأما الخاصة المقيدة بشخص معين،وهي تقتضي النصرة والتأييد والحفظ؛ فمثل قوله تعالى عن نبيه: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا [التوبة ٤٠]، وقال لموسى وهارون: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، وهذه أخص من المقيدة بوصف[(١)].

أما من حيث الحكم والدلالة:

فهي تختلف أحكامها بحسب الموارد، أي: تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها – وإن امتاز كل موضع بخاصية – فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب – ﷻ – مختلطة بالخلق حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها، فلما قال: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۚ ﴾ [الحديد: ٤]، دل ظاهر الخطاب على أنَّ حكم هذه المعية ومقتضاها أنه مطلع عليكم؛ شهيد عليكم ومهيمن عالم بكم، وهذا معنى قول السلف إنه معهم بعلمه، وهو من لوازم معيته – ﷻ – إحاطة الخلق بعلمه[(٢)]، وكان تفسيرهم هذا، من باب تفسير اللفظ ببعض معانيه وما يدل عليه السياق أيضا فإنه – ﷻ – افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم، فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم بهم وليس تأويلاً، إذ التأويل هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى مخالف للظاهر[(٣)].

ولما قال النبي – ﷺ – لصاحبه في الغار: ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة: ٤٠]،كان هذا أيضا حقاً على ظاهره، ودلت الحال على أن حكم هذه المعية هنا معية الاطلاع والنصر والتأييد. وكذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨]، وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه: ٤٦]، هنا المعية على ظاهرها وحكمها في هذه المواطن النصر والتأييد[(٤)].

إذاً المعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علما وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته، والمعية الخاصة بنوعيها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد[(٥)].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٢٢/٥)، وشرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين ص٣٤٠.

(٢) انظر أقوال تفسير السلف للمعية بالعلم والإحاطة، رداً على من قال بأنه – ﷻ – بذاته في كل مكان، في فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن رجب (١١٣/٣)، مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٢٧/٥، ٤٩٥)، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – لابن تيمية (٣٩٨/٣)، والاعتقاد – البيهقي ص١١٤.

(٣) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٤٩٧/٥)، وموسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (٢٧٦١/٥).

(٤) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٠٣/٥).

(٥) انظر شرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين ص٣٤٠.

مع إثباتنا له – ﷻ – أنه معنا حق على حقيقته لكن ليست كمعية الإنسان للإنسان، فهو – ﷻ – معنا عال على عرشه فوق كل شيء، بائن من خلقه غير مختلط بهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه حقيقة))[1].

وقد خالف مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات صفة المعية لله – ﷻ – على ما يليق به–

ثلاث طوائف:

١– الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم من نفاة الصفات الذين ينكرون صفات الله – ﷻ –[2]، والفرقة هذه لم تتتبع شيئا من النصوص؛ بل خالفها كلها.

٢– الحلولية وأهل الوحدة: القائل بأنه – ﷻ – بذاته في كل مكان ومختلط بهم[3]، فهذه الطائفة تركت النصوص الكثيرة المحكمة المبينة وتعلقت بنصوص قليلة اشتبهت عليه معانيها.

٣– طوائف من أهل الكلام والتصوف: القائل بأنه – ﷻ – فوق العرش وهو في كل مكان[4]، وهذه اتبعت النصوص كلها؛ لكنه غالط أيضا؛ فهي أقرب إلى التمسك بالنصوص وأبعد عن مخالفتها من الطائفتين الأوليين.

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – أثبت لله – ﷻ – صفة المعية، غير أنه قال بقول من قال من المفسرين بأن الله قريب من خلقه علماً وقدرة، واستدل على ذلك بأدلة من السمع والعقل.

فمما استدل به من السمع:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ومن السنة: حيث استدل حديث كعب – رضي الله عنه –، أنه قال: قال موسى عليه السلام:((يا رب أقريبٌ أنت فأناجيك، أم بعيدٌ فأناديك؟ فقال: يا موسى أنا جليس من

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٠٣/٥).

(٢) انظر الملل والنحل – للشهرستاني (٨٥/١)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٢٢/٥).

(٣) انظر الملل والنحل – للشهرستاني (٨٥/١)، ومقالات الإسلاميين – لأبي الحسن الأشعري ص٢٨٨، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٢٣/٥).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين – لأبي الحسن الأشعري ص٢١٥، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٢٩٩/٢، ١٢٥/٥).

ذكرني، قال: يا رب فإنا نكون على حالة نجلك أن نذكرك عليها من جنابة وغائط، قال: يا موسى اذكرني على كل حال))[1].

وروي أن أعرابياً جاء إلى النبي- ﷺ - فقال: ((أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فناديه))[2]، فأنزل الله هذه الآية[3].

أما دليله العقلي هو:

قوله- ﷺ -: ((أن الإنسان يجول بنفسه خواطر، وتتوارد على عقله وساوس، فيقول: كيف يكون الله واحداً وهو مع كل إنسان وحيوان صغير وجليل؟ وكيف يسع هذا العالم كله؟ وكيف يطلع على ما في قلبي وقلوب كل مخلوق؟ ثم كيف يكون قريباً مني مع أنه عظيم كبير متعال، فكيف يكون قريباً بعيداً؟ يقول المؤمن: أنا آمنت بالله، ولكن الذكي يريد أن يتضح ذلك له ولو بضرب مثل. كالشمس فقال: الله والشمس

اعلم أن الله – ﷻ – ضرب للناس مثلاً محسوسا لنفسه، ذلك أن الشمس:

١- كبيرة جداً. ٢-كثيرة الضوء. ٣- بعيدة عن الأرض بعداً شاسعاً ويراها الإنسان قريبة منه. ٤- وإذا جلس للاستدفاء بها يراها في مقابلته كأنها لا تقابل غيره، وهي قدر إطار المنخل.

٥- والضوء الذي ترسله له خاصة لا حصر لعدد ذراته.

هكذا الله الذي ليس كمثله شيء.

١- كبير عظيم. ٢- كثير الإنعام. ٣- بعيد المرتبة والعظمة من الإنسان. ٤- وهو قريب علماً وقدرة منه. ٥- وكان النعم التي في الأرض وفي السماء لم تخلق إلاّ لتكون أنت وحدك، لأنك لا تعيش إلا بهذا النظام العام. ٦- والنعم التي يرسلها لا تحصى.

هذا هو المثل المحسوس الذي يراه الناس والحيوان وهم لا يفطنون))[4].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/١٠٨)، (١٢٢٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/١٧١) (٦٧٠)، وأحمد في الزهد (١/١٥٣).

(٢) رواه الأصبهاني في العظمة – الأصبهاني (٢/٥٣٥).

(٣)انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٢٠٦).

(٤) انظر المرجع السابق (٥/٤٤).

وقال أيضاً – ﷺ –:((إنّ الله قريب منا مع بعد مرتبته عنا، وإنه أقرب إلينا من الوريد الذي هو عرق في الرقبة))[1].

وفي موضع آخر قال– ﷺ –: ((قرب العبد من الله قرب بالصفة لا بالمكان، وليس معنى هذا أن العبد مماثل له فهذا خطأ، وإنما المماثلة الممنوعة هي المماثلة في حقيقة الذات والصفات، فليس مشاركة العبد لربه في أنه رحيم وصبور وشكور وسميع وبصير وعالم وقادر وحي وفاعل موجباً للمماثلة، وإنما الذي يوجب المماثلة أن يشارك العبدربه فيما يختص به وهو أنه الموجود الواجب الوجود بذاته التي عنها يوجد كل ما في الإمكان وجوده على أحسن وجوه النظام والكمال))[2].

وقول طنطاوي: بأنه– ﷻ – قريب منا علماً وقدرة منه.

هذا التفسير قد فسر به طائفة من أهل السنة في الآية والحديث؛ لكونه هو المقصود فإنه إذا كان يعلم ويسمع دعاء الداعي حصل مقصوده، وهذا هو الذي اقتضى قول من يقول: إنه قريب من كل شيء بمعنى العلم والقدرة؛ فإن هذا قد قاله بعض السلف وكثير من الخلف؛ لكن لم يقل أحد منهم إن نفس ذاته قريبة من كل شيء، وهذا المعنى يقر به جميع المسلمين.

وأما تفسير القرب بالعلم والقدرة تفسير ضعيف، فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا أن يقولوا بالعلم والقدرة والرؤية؛ ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء قادر على كل شيء، وكأنهم ظنوا أن لفظ " **القرب** " مثل لفظ " **المعية** ".

ولم يأت في لفظ القرب مثل ما جاء في معية الله – ﷻ – أنه قال: هو فوق عرشه وهو قريب من كل شيء؛ بل قال: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال النبي – ﷺ –: ((إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إن الذي تدعونه سميع قريب))[3]، وجاء رجل إلى النبي – ﷺ – فقال: ((يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد

---

(١) المرجع السابق (٥/٤٦).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٥/١٣٢).

(٣) رواه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٤]) (٩/١١٧) حديث رقم: (٧٣٨٦)، ومسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر) (٤/٢٠٧٦) حديث رقم: (٢٧٠٤).

فنناديه؟ فسكت النبي- ﷺ - فأنزل الله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]))[(١)]، إذا أمرتهم أن يدعوني فدعوني أستجيب لهم، ولا يقال في هذا: قريب بعلمه وقدرته؛ فإنه عالم بكل شيء قادر على كل شيء، وهم لم يشكوا في ذلك ولم يسألوا عنه وإنما سألوا عن قربه إلى من يدعوه ويناجيه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]،فأخبر أنه قريب مجيب[(٢)].

وبذلك قد وافق طنطاوي جوهري - ﷺ - مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات صفة المعية لله - ﷻ - بأنه مع خلقه بعلمه وإحاطته مع بعد مرتبته عنا، فهو عال على عرشه - ﷻ - فوق كل شيء، بائن من خلقه غير مختلط بهم، إلاَّ أنَّ طنطاوي لم يتطرق لأقسام المعية كما ذكر ذلك أهل السنة والجماعة، وخالف القول الراجح في معنى المعية بقوله: بأنّ المقصود منها: قرب الله لخلقه بالعلم والإحاطة والقدرة.

---

(١) رواه الأصبهاني في العظمة - الأصبهاني (٢/٥٣٥).

(٢) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥/٤٩٤-٥٠٠).

المبحث الرابع: معنى الكرسي والعرش

أولاً: إثبات الكرسي:

أ- معنى الكرسي في اللغة:

هو اسم لما يعتمد ويقعد عليه[(١)]، ويطلق على السرير أيضاً[(٢)].

قال أبو إسحاق الزجاج[(٣)]: ((وهذا القول بين، لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة: الشيء الذي يعتمد ويجلس عليه، فهذا يدل على أن الكرسي عظيم دونه السموات والأرض))[(٤)].

ب- معنى الكرسي المقصود به في الشرع:

السلف – رحمهم الله – لهم تفسيرات عدة في معنى الكرسي:

منهم من قال: هو علم الله تعالى[(٥)].

ومنهم من قال: هو العرش نفسه[(٦)].

وقال آخرون: هو موضع قدمي الله – ﷻ –[(٧)]،

---

(١) انظر المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصفهاني، ص٧٠٦، وتهذيب اللغة – للأزهري (٣٢/١٠)، ولسان العرب – لابن منظور (١٩٤/٦).

(٢) انظر القاموس المحيط – للفيروزآبادي ص٥٧٠.

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السّريّ بن سهل الزّجّاج النحوي، ولد في بغداد، سنة: ٢٤١هـ، وتوفي فيها، عام: ٣١١هـ، وله مؤلفات جمة، منها: كتاب في معاني القرآن و الأمالي، و مافسر من جامع المنطق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب العروض، وكتاب القوافي وكتاب الفرق، وكتاب خلق الإنسان، وغيرها. انظر وفيات الأعيان (٤٩/١)، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠)، وشذرات الذهب (٤/ ٥١) والأعلام للزركلي (١/ ٤٠).

(٤) تهذيب اللغة – للأزهري (٣٢/١٠)، ولسان العرب – لابن منظور (١٩٤/٦).

(٥) انظر تفسير الطبري (٣٩٧/٥).

(٦) انظر تفسير الطبري (٣٩٩/٥).

(٧) انظر أصول السنة – لابن أبي زَمَنِين ص٩٦، والإبانة الكبرى – لابن بطة (٣٢٣/٧)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥٥/٥)، وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٦٩، وشرح العقيدة الواسطية – للهراس ص٨٦، وشرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١٧٣/٢)، والقول المفيد على كتاب التوحيد – لابن عثيمين (٥٣٦/٢)، وتفسير الطبري (٣٩٨/٥).

والكرسي يكون بين يدي العرش كالمرقاة إليه[1].

وقد فسَّرَ ابن عباس – ﷺ – الكرسي بأنه موضع القدمين، **فقال:** ((الكرسي موضع قدميه، والعرش لا يقدر أحد قدره))[2].

وأبو موسى الأشعري– ﷺ –، كذلك فسَّر الكرسي بأنه موضع القدمين، **فقال:** ((الكرسي موضع القدمين))[3].

قال ابن أبي زَمَنِين – ﷺ –: ((ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين))[4].

وقال ابن أبي العز الحنفي – ﷺ –: ((وإنما هو – الكرسي– كما قال غير واحد من السلف بين يدي العرش كالمرقاة إليه))[5].

ج– معتقد أهل السنة والجماعة في الكرسي:

أهل السنة والجماعة يثبتون الكرسي، – على القول الراجح – هو موضع قدمي لله – ﷻ –، وهو أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئا معنويا، كما أثبت ذلك القرآن الكريم، والسنة النبوية، واجماع سلف الأمة على ذلك.

ففي القرآن الكريم وردت آية واحدة تثبت لله الكرسي، وهي:

قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾[البقرة: ٢٥٥].

وفي السنة النبوية:

عن أبي ذر الغفاري – ﷺ –، قال: ((دخلت المسجد الحرام، فرأيت رسول الله – ﷺ – وحده فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله أي آية نزلت عليك أفضل؟ قال: آية الكرسي،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٧١، والبداية والنهاية – لابن كثير (١/٢٣، ٢٠/١٩٠)

(٢) رواه الحاكم في مستدركه (٢/٣١٠) (٣١١٦)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وراواه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة، (١/ ٣٠١) (٥٨٦)، و أبِو الشيخ الأصبهاني في العظمة، (٢/ ٦٢٧).

(٣) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/٢٤٨)، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة، (١/ ٣٠٢) (٥٨٨).

(٤) أصول السنة – لابن أبي زَمَنِين المالكي ص٩٦.

(٥) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٧١.

ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة))[1].

وممن حكى الإجماع:

شيخ الإسلام ابن تيمية حيث يقول – ﷺ –: ((الكرسي: ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف وقد نقل عن بعضهم: أنَّ كرسيه: علمه، وهو قول ضعيف))[2].

والإمام الطبري غفر الله له رجح هذا القول مع أنه قال: الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله – ﷺ –، وتبين لنا أنّ الأثر جاء على أنّ الكرسي هو موضع القدمين.

قال القرطبي – ﷺ –: ((والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش والعرش أعظم منه))[3].

وقال ابن أبي العز الحنفي – ﷺ –: ((وإنما هو – الكرسي– كما قال غير واحد من السلف بين يدي العرش كالمرقاة إليه))[4].

وقال ابن أبي زَمَنِين[5] – ﷺ –: ((ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين)).

وقد خالف في إثبات الكرسي الجهمية وبعض المتكلمين، بدعوى أنَّ إثبات ذلك يستلزم التشبيه والتجسيم في ذات الله، وأنه – ﷻ – تعالى مقدس ومنزه عن الجوارح والأعضاء، وعلى ذلك أولوا الكرسي بتفسيرات مرجوحة وخارجة عن مرادها، فمنها ما:

قيل: بأنّ المراد من الكرسي هو العلم، لأن العلم موضع العالم، وهو الكرسي فسميت صفة الشيء باسم مكان ذلك الشيء على سبيل المجاز، لأن العلم هو الأمر المعتمد عليه،

---

(١) رواه ابن أبي شيبة العبسي في العرش، ص ٤٣٢، وابن بطة في الإبانة الكبرى ، والبيهقي في الأسماء والصفات، (٢٩٩/٢)، و أبِي الشيخ الأصبهاني في العظمة، (٢/ ٥٦٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٣٩٩).

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥٨٤/٦).

(٣) تفسير القرطبي (٢٧٨/٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٧١.

(٥) أصول السنة – لابن أبي زَمَنِين المالكي ص٩٦.

والكرسي هو الشيء الذي يعتمد عليه، ومنه يقال للعلماء: كراسي، لأنهم الذين يعتمد عليهم كما يقال لهم: أوتاد الأرض، وهو قول الجهمية[(١)].

وقيل: بأنه هو العرش[(٢)].

وقيل: بأنَّ معناه القدرة والملك والسلطة، وحجتهم: هو أنَّ الإلهية لا تحصل إلا بالقدرة والخلق والإيجاد، والعرب يسمون أصل كل شيء الكرسي وتارة يسمى الملك بالكرسي، لأن الملك يجلس على الكرسي، فيسمى الملك باسم مكان الملك.[(٣)].

وقيل: بأنه الفلك الثامن أو فلك البروج وهو فلك الثوابت المماس بالفلك التاسع وهو الفلك الأثير، ويقصدون بالفلك التاسع العرش، وهو قول بعض الفلاسفة[(٤)].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – فسَّرَ الكرسي بالعلم والقدرة والسلطة، فقال عند قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، ((ملكه وسلطانه وقدرته أو علمه،...واعلم أنَّ الكرسي في لغة العرب: اسم لما يقعد عليه، مأخوذ في معناه: من تركب الشى بعضه على بعض، ومنه : الكراسة، لتركب بعض أوراقها على بعض ، وهذا الكرسي ركبت خشباته بعضها على بعض، ويقول بعض العلماء: إن الكرسي هو نفس العرش، وهو السرير يجلس عليه، وقال آخر: الكرسي غير العرش، وهو أمامه، وهو فوق السماوات السبع ودون العرش.

واعلم كما قال القفال[(٥)]: أن المقصود من هذا الكلام تصوير عظمة الله تعالى وكبريائه، فقد خاطب الله الخلق في تعريف ذاته وصفاته بما اعتادوه في ملوكهم وعظمائهم، من ذلك أنه جعل الكعبة بيتا له يطوف الناس به كما يطوفون ببيوت ملوكهم، وأمر الناس بزيارته كما يزور

---

(١) انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع – لمَلطي، ص١٠٤، وتفسير الرازي (١٣/٧)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٦٠/٥)، وتفسير الطبري (٣٩٩/٥).

(٢) وهو مرويٌ عن الحسن البصري انظر تفسير الطبري (٣٩٩/٥)، وتفسير الرازي (١٣/٧)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥٨٥/٦).

(٣) انظر تفسير الرازي (١٣/٧)، وتفسير الراغب الأصفهاني – بالراغب الأصفهانى (٥٢٤/١.

(٤) انظر الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية – أبو البقاء الحنفي ص٧٧٠، وتفسير ابن كثير (١٦٨١)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٧/ ٣٣٧)، والبداية والنهاية (٢٥/١)، وتفسير الرازي (١٣/٧).

(٥) هو أبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي الشافعي القفال الكبير، الأصولي، اللغوي، ولد سنة: ٢٩١هـ، ومات بشاش، سنة: ٣٦٥، وله مصنفات كثيرة ، منها: شرح الرسالة، وفي الجدل

قال النواوي: إذا ذكر القفال الشاشي فالمراد هو، وإذا قيل:القفال المروزي، فهو القفال الصغير الذي كان بعد الأربع مائة. انظر وفيات الأعيان (٢٠٠/٤)، وسير أعلام النبلاء (٣١ /٣٣٣)، وشذرات الذهب (٣٤٥/٤)، والأعلام للزركلي (٥/ ٣١٦).

الناس بيوت ملوكهم، وذكر في الحجر الأسود أنه يمين الله في أرضه، ثم جعله موضعاً للتقبيل كما يقبل الناس أيدي ملوكهم.

وكذلك ما ذكر في محاسبة الناس يوم القيامة من حضور الملائكة والنبيين والشهداء، ووضع الموازين، فعلى هذا القياس أثبت لنفسه عرشاً فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ثم وصف عرشه فقال: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٧] ثم قال: ﴿وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾ [غافر: ٧]، ثم أثبت لنفسه كرسياً، فقال: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾[البقرة: ٢٥٥]، إذا عرفت هذا فكل ما جاء من الألفاظ الموهمة للتشبيه في العرش والكرسي قد ورد مثلها، بل أقوى منها في الكعبة والطواف وتقبيل الحجر، فإذا قلنا: إن المقصود معرفة عظمة الله وكبريائه مع القطع بأنه منزه عن أن يكون في الكعبة، فكذا الكلام في العرش والكرسي ، هذا ملخص كلام القفال)) [(١)] .

وما نقل طنطاوي عن القفال: ((بأنَ الكرسي هو تصويرٌ لعظمة الله وكبريائه)) **لعله يقصد من ذلك: أنّ الكرسي يسع السموات والأرض على عظمتها وعظمة من فيها، لسعته وعظمته وعلوه، وهذا صحيح، لكن لا يقال فيه بأنه تصوير عن عظمة الله وكبريائه.**

وأما ما ذهب إليه طنطاوي جوهري – ﷺ – في تأويل الكرسي بالعلم والقدرة والسلطة، مخالف لما صح عن النبي – ﷺ – ولأقاويل الصحابة ﷺ، وما اتفق عليه أهل اللغة وسلف الأمة في مراده كما تقدم بيانه.

ولذا انبرى علماء الأمة للرد على الأقوال المرجوحة في معنى الكرسي.

قال الإمام الدارمي – ﷺ –: ((فيقال لهذا المريسي: أما ما رويت عن ابن عباس فإنه من رواية جعفر الأحمر، وليس جعفر ممن يعتمد على روايته، إذ قد خالفته الرواة الثقات المتقنون. وقد روى مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في الكرسي خلاف ما ادعيت على ابن عباس...

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٧٥/١)، وطنطاوي هنا نقل ما قاله الرازي في تفسيره بالنص، انظر (١٢/٧).

وقد روي عن ابن عباس أيضا، عن النبي – ﷺ – قال: ((آتي باب الجنة فأقرعه فيفتح لي، فأرى ربي وهو على كرسيه، فيتجلى لي فأخر ساجدا))[1] .

فهل يجوز لك في تأويلك أنه يأتي ربه وهو على علمه؟ إذ ادعيت أن من زعم أن الكرسي غير العلم أكذبه القرآن بما رويت فيه عن ابن عباس، فهذا ابن عباس يخبر عن رسول الله – ﷺ – وعن نفسه خلاف ما رويت فيه))[2] .

قال الأزهري[3] – رحمه الله –: ((والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه الثوري وغيره عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: الكرسي: موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره، وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها، والذي روي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم، فليس مما يثبته أهل المعرفة بالأخبار))[4] .

قال البيهقي – رحمه الله –: ((وروينا عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: علمه. وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد به الكرسي المشهور المذكور مع العرش))[5] .

قال الإمام الذهبي – رحمه الله –: ((قال ابن عباس كرسيه علمه فهذا جاء من طريق جعفر الأحمر لين وقال ابن الأنباري إنما يروى هذا بإسناد مطعون فيه))[6] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((الكرسي: ثابت بالكتاب والسنة وإجماع جمهور السلف وقد نقل عن بعضهم: أنَّ كرسيه: علمه، وهو قول ضعي))[7] .

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/٣٠٤)، والطيالسي في مسنده (٤/٤٣٠)، والدارمي في الرد على الجهمية (١/١١٢)، وضعفه الألباني، لأنّ في إسناده علي بن زيد – وهو ابن جدعان – فإنه ضعيف. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٤/٨٤).

(٢) نقض الإمام الدارمي على بشر المريسي، ص١٥٢.

(٣) أبو منصور: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أحد الأئمة في اللغة والأدب، مولده ووفاته في هراة بخراسان ٢٨٢ – ٣٧٠ هـ، عني بالفقه فاشتهر به أولا، ثم غلب عليه التبحر في العربية، ومن مؤلفاته: تهذيب اللغة، وغريب الألفاظ التي استعملها الفقهاء، وغيرها. انظر سير أعلام النبلاء (١٦/٣١٥)، والأعلام – للزركلي (٥/ ٣١١).

(٤) تهذيب اللغة – الأزهري (١٠/٣٣).

(٥) الأسماء والصفات – أبو بكر البيهقي (٢/٢٧٢).

(٦) العلو – للذهبي ص ١١٧.

(٧) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٦/٥٨٤).

وقال **شيخ الإسلام أيضاً**: ((أما تسمية العلم كرسيّا فهذا لا يعرف في اللغة ولكن بعضهم تكلف له من قولهم كراس والكرَّاس غير الكرسي))[1].

وقال الشيخ المحدث الإمام الألباني[2] - رحمه الله - تعليقاً على حديث أبي ذر... الذي أوردناه في إثبات الكرسي ((والحديث خرج مخرج التفسير لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وهو صريح في كون الكرسي أعظم المخلوقات بعد العرش، وأنه جرم قائم بنفسه وليس شيئا معنويا.

ففيه رد على من يتأوله بمعنى الملك وسعة السلطان، كما جاء في بعض التفاسير، وما روي عن ابن عباس أنه العلم، فلا يصح إسناده إليه لأنه من رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه، رواه ابن جرير.

قال ابن منده: ابن أبي المغيرة ليس بالقوي في ابن جبير.

واعلم أنه لا يصح في صفة الكرسي غير هذا الحديث، كما في بعض الروايات أنه موضع القدمين. وأن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد، وأنه يحمله أربعة أملاك، لكل ملك أربعة وجوه، وأقدامهم في الصخرة التي تحت الأرض السابعة ... إلخ فهذا كله لا يصح مرفوعا عن النبي - ﷺ - وبعضه أشد ضعفاً من بعض))[3].

ثانياً: **إثبات العرش:**

أ- معنى العرش في اللغة:

قال ابن فارس:((العين والراء والشين أصل صحيح واحد، يدل على ارتفاع في شيء مبني، ثم يستعار في غير ذلك))[4].

وفي كلام العرب يطلق على معانٍ عدة، منها:

---

(١) المرجع السابق (٦/٥٨٤).

(٢) هو أبو عبد الرحمن: محمَّد ناصر الدين بن نوح بن آدم النجاتي الألبانيّ الأرنؤوطيّ، ناصر السنة، ومُحَدَّثُ هذا العصر، بارع في الحديث وعلومه، ولد في أشقودرة عاصمة ألبانيا آنذاك سنة: ١٣٣٢هـ، وتوفي عام: ١٤٢٠ هـ، وله كتب كثيرة شملت التأليف والتخريج والتحقيق، منها: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ودفاع عن الحديث النبوي والسيرة، وتحقيق كتاب الإيمان لابن تيمية، وغيرها. انظر قطف الثمار بآخر ما حدث به شيخنا الألباني من أخبار ص١٩ وما بعدها، وثل النبال بمعجم الرجال (٤/٣٧١).

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة - للألباني(١/ ٢٢٦).

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة (٤/٢٦٤).

١- سرير الملك، كما سماه الله - ﷻ - سرير ملكة سبأ عرشاً، فقال تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل:٢٣].

٢- سقف البيت، وجمعه عروش، ومنه قول الله - ﷻ -: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [البقرة:٢٥٩].

٣- الملك، يقال ثل عرشه، أي زال ملكه وعزه[(١)]. قال زهير:

تَدارَكْتُما الأحلافَ قد ثُلّ عَرْشُها *** وذبيانَ قد زلت بأقدامها النعلُ[(٢)].

ب- معنى العرش في الشرع:

هو سرير مجسم مركب مخلوق له أبعاض وأجزاء[(٣)]، ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات[(٤)].

قال البيهقي- رحمه الله - ((وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير، وأنه جسم مجسم، خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحمله وتعبدهم بتعظيمه والطواف به، كما خلق في الأرض بيتا وأمر بني آدم بالطواف به واستقباله في الصلاة. وفي أكثر هذه الآيات دلالة على صحة ما ذهبوا إليه، وفي الأخبار والآثار الواردة في معناه دليل على صحة ذلك))[(٥)].

وقال أيضاً- رحمه الله - ((والعرش هو السرير المشهور فيما بين العقلاء))[(٦)].

ج- معتقد أهل السنة والجماعة في العرش:

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة إثبات العرش لله على حقيقته، والإيمان به بأنه سرير مخلوق مربوب ذو قوائم تحمله الملائكة، كالقبة على العالم، وليس شيئا معنويا

---

(١) انظر تهذيب اللغة (٢٦٣/١)، والصحاح (١٠٠٩/٣)، ومختار الصحاح ص ٢٠٥، ولسان العرب (٣١٣/٦).

(٢) ديوان زهير ابن أبي سلمى ص٢٣.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر (٤٠٥/١٢)، والأسماء والصفات للبيهقي (٢٧٢/٢).

(٤) انظر تفسير الطبري (٢٧١/٢٠)، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٧٨)، أصول السنة - لأبي زَمَنِين ص٨٨، وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٦٨، والبداية والنهاية – لابن كثير، (١/ ٢٠)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر (٤٠٥/١٢)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٥١/٥)، وتفسير السعدي ص ٤١٢.

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (٢٧٢/٢).

(٦) الاعتقاد – للبيهقي ص١١٢.

وهو أعظم مخلوقات الله[1]، كما أثبت ذلك القرآن الكريم، والسنة النبوية، واجماع سلف الأمة.

ففي القرآن الكريم وردت آيات كثيرة تثبت لله العرش، منها:

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، وقال جل وعلا: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]، وقال جلت عظمته: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ [غافر: ٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧].

ومن السنة النبوية:

- حديث أبي سعيد الخدري - ﷺ -، قال: بينما رسول الله - ﷺ - جالس جاء يهودي، فقال: ((يا أبا القاسم ضرب وجهي رجل من أصحابك، فقال: من؟ قال: رجل من الأنصار، قال: ادعوه، فقال: أضربته؟، قال: سمعته بالسوق يحلف: والذي اصطفى موسى على البشر، قلت: أي خبيث، على محمد - ﷺ -، فأخذتني غضبة ضربت وجهه، فقال النبي - ﷺ -: ((لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، أم حوسب بصعقة الأولى))[2].

- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص- ﷺ -، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء))[3].

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٠/٢٧١)، وتفسير القرطبي (٣/ ٢٧٨)، أصول السنة - لأبي زَمَنِين ص٨٨، والرد على الجهمية – للدارمي ص٣٢، وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٦٨، والبداية والنهاية – لابن كثير، (١/ ٢٠)، وفتح الباري– لابن حجر (١٢/٤٠٥)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥/١٥١)، وتفسير السعدي ص ٤١٢، والأسماء والصفات للبيهقي (٢/٢٧٢).

(٢) رواه البخاري في: (كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود) (٣/١٢١) حديث رقم: (٢٤١٢) (٣٣٩٨) (٤٦٣٨) (٦٩١٧) (٧٤٢٧)، وراوه مسلم في: (كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى - ﷺ -) (٤/١٨٤٥) حديث رقم: (٢٣٧٤).

(٣) رواه مسلم في: (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى – عليهما السلام -) (٤/٢٠٤٤) حديث رقم: (٢٦٥٣).

– وعن أبي هريرة – ﷺ –، قال: قال رسول الله– ﷺ –: ((من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها))، قالوا: يا رسول الله، أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: ((إنَّ في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة))[(١)].

– وعن أبي ذر الغفاري – ﷺ –، قال: ((دخلت المسجد الحرام، فرأيت رسول الله – ﷺ – وحده فجلست إليه، فقلت: يا رسول الله أي آية نزلت عليك أفضل؟ قال: «آية الكرسي، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة))[(٢)].

– عن ابن مسعود – ﷺ – قال: ((ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي إلى الماء خمسمائة عام، والعرش على الماء، والله تعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه))[(٣)].

وممن حكى الإجماع:

شيخ الإسلام – رحمه الله – حيث يقول في ذلك:((العرش موجود بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها))[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في: (كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، يقال: هذه سبيلي وهذا سبيلي) (١٦/٤) حديث رقم: (٢٧٩٠).

(٢) رواه ابن أبي شيبة العبسي في العرش ص ٤٣٢، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٨١/٧)، والبيهقي في الأسماء والصفات، (٢٩٩/٢)، و أبو الشيخ الأصبهاني في العظمة، (٢/ ٥٦٩)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٥/ ٣٩٩).

(٣) رواه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٢ – ٢٤٤)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٢٠٢)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩١/٢)، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٤٧/٣)، وقال الذهبي في العلو: إسناده صحيح.

(٤) مجموع الفتاوى (٥٨٤/٦).

قال ابن بطة – رحمه الله – ((وجاءت الأخبار وصحيح الآثار من جهة النقل عن أهل العدالة وأئمة المسلمين عن المصطفى – ﷺ – من ذكر العرش ما لا ينكره إلا الملحدة الضالة))[1].

وقال ابن أبي زَمَنِين – رحمه الله –: ((ومن قول أهل السنة: أن الله – ﷻ – خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه...))[2].

وقد خالف مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات العرش لله – ﷻ – كلٌ من الفلاسفة القائلين: بأنَّ العرش مستدير من جميع الجوانب محيط بالعالم من كل جهة وهو محدد الجهات، وربما سموه الفلك الأطلس، والفلك التاسع[3].

وأهل التأويل القائلين: بأنّ العرش هو الملك، وهذا قول **الجهمية**[4]**، والمعتزلة**[5]**، والماتريدية**[6]**،**[7]**، ومتأخري الأشاعرة**[8].

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – خالف مذهب أهل السنة والجماعة في إثباته للعرش وأوله بالملك والسلطان، فقال: ((والعرش في اللغة: يطلق على السرير وعلى ما علا فأظل، وسمي مجلس السلطان عرشاً لعلوه، ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز.

يقال: فلان ثلُ عرشه بمعنى ذهب عزه وملكه وسلطانه، و «ثم» للترتيب وإلا فالله – ﷻ – مستول على الملك أزلاً وأبداً يدبر السماء إلى الأرض، ولذلك أخذ يبين الاستيلاء على

---

(١) الإبانة الكبرى – لابن بطة (١٦٨/٧).

(٢) أصول السنة – لابن أبي زَمَنِين ص٨٨.

(٣) انظر الرسالة العرشية – لابن تيمية ص٤، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٧/ ٣٣٧)، والبداية والنهاية (١٩/١)، وتفسير للألوسي (٤٧٠/٨)

(٤) انظر الرد على الجهمية – للدارمي ص٣٢، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – لابن تيمية (٣/ ٢٧٨، ٣٦٢/٨).

(٥) انظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – للزمخشري (٥٢/٣)

(٦) انظر تأويلات أهل السنة – لأبي منصور الماتريدي (٤١١/١)

(٧) هم أصحاب أبو منصور الماتريدي، والعقل هو مصدر الأول للتلقي عندهم، والنقل جعلوه فرعا، التأويل والتفويض هو مذهبهم في الصفات، مع إثبات ثمانية صفات زائداً الصفات السبع التي أثبتها الأشاعرة، انظر معجم ألفاظ العقيدة – عامر فالح ص٣٥٢.

(٨) انظر التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين – للإسفراييني ص١٥٨.

العالم العلوي فأبان أعظم الأعمال التي نراها من ذلك الاستيلاء، وهو تسخير الشمس والقمر والنجوم وبهذه الحركات التسخيرية تكون جميع العوالم التي بها حياتنا وبقاؤنا))[1].

وذكر أيضاً بأنّ المراد منه البناء، فقال:((العرش: إما بمعنى: الملك، وإما بمعنى: البناء، فكل بناء يسمى عرشاً وبانيه يسمى عارشاً، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾[النحل: ٦٨]،أي: يبنون، وقال في صفة القرية: ﴿ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [الحج: ٤٥] والمراد: أنها خلت منهم مع سلامة بنائها وقيام سقوفها، ﴿ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ [هود: ٧] أي: بناؤه))[2].

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ ﴾[يونس: ٣]، ((ثم استوى على بنائه الذى بناه بالتسطيح والتشكيل بالأشكال، ورفع السمك ونظام الكرات وإدارتها وتنظيم ما عليها من مخلوقات، وحساب دورانه، ونسبتها إلى غيرها، ونظام أيامها وشهورها وسنيها وغير ذلك، هذا على اعتبارنا أن العرش هو البناء، أو يقال: ثم استولى على الملك الذى شكله في الوجود، وذلك الملك كالفصول الأربعة والمعادن والنبات والحيوان والإنسان وجميع ما خلق الله في الأرض والسماء من الصور والأشكال، على اعتبار أن العرش عبارة الملك، والملك عبارة عن المخلوقات، والمعنيان يؤولان إلى مقصد واحد مع فرق دقيق))[3].

وقال في موضع آخر: ((وعرش الله – ﷻ – مبناه العلم والقدرة، إذ أنّ كل عرش لا يتم إلاّ بعلم وقدرة قياساً على عروش ملوك الدنيا...ثم ذكر أنّ للعروش دعائم وهي: الهداية العامة، والملك، والرحمة، والعلم، والقدرة))[4]، وهذا قياس مع الفارق.

وبذلك خالف طنطاوي جوهري – ﷺ – مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات العرش لله، ونهج منهج المتأولين في ذلك، حيث تأول العرش بالملك والسلطان والعلم والقدرة.

ولاشك أنّ تأويلهم للعرش بالملك والعلم..، تأويل باطل ومخالفة صريحة لما دلَّ عليه النصوص الشرعية، وكذلك هو تحريف لآيات القرآن الكريم وأحاديث السنة النبوية الصريحة، وشذوذ عما اتفق عليه سلف الأمة.

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٨٨/٤)، وهذا نص ما قاله الرازي في تفسيره (١٩١/١٧).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥/٦)، وهذا نص ما قاله الرازي في تفسيره (١٩١/١٧).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨/٦)، وهذا ما قاله الرازي في تفسيره (١٩١/١٧).

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم طنطاوي جوهري (٤/١٩).

وقد علم كما تقدم بيانه أنَّ لكلمة العرش لها عدة معانٍ في اللغة العربية ، وأنَّ معرفة المعنى المراد من تلك المعاني لهذه الكلمة أو غيرها، إنما يتحدد بحسب سياق الكلمة وبحسب ما أضيفت إليه، وليس في سياق الآيات ما يثبت صحة ما ذهب إليه طنطاوي، وأنَّ كل ما استدل به طنطاوي من معانٍ يصدق عليها أنها من المعاني اللغوية لكلمة عرش، وهذا أمر لا خلاف فيه.

وكذلك نسأل ونستفسر من يزعم أنَّ العرش إنما هو كناية عن الملك والسلطان، بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾[هود٧]، هل يزعم أن الملك كان على الماء؟

وكذلك ماذا يصنع بقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة ١٧] ، أيقول: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟

وقوله – ﷺ –: ((فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش))[(١)] ، أيقول آخذ بقائمة من قوائم الملك؟

وكذا قوله – ﷺ –: ((اهتز عرش الرحمن))[(٢)] ، أيقول: اهتز ملكه وسلطانه؟[(٣)].

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، ((يوجب أن لله عرشا يحمل ويوجب أن ذلك العرش ليس هو الملك كما تقوله طائفة من الجهمية، فإنَّ الملك هو مجموع الخلق، فهنا دلت الآية على أنَّ لله ملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه، وآخرون يكونون حوله، وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية، إما ثمانية أملاك، وإما ثمانية أصناف وصنوف، وهذا إلى مذهب المثبتة أقرب منه إلى قول النافية بلا ريب.

---

(١) رواه البخاري في: (كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود) (١٢١/٣) حديث رقم: (٢٤١٢) (٣٣٩٨) (٤٦٣٨) (٦٩١٧) (٧٤٢٧)، وراوه مسلم في: (كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى – ﷺ –) (١٨٤٥/٤) حديث رقم: (٢٣٧٤).

(٢) رواه البخاري من حديث جابر – رضي الله عنه –، في: (كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ – رضي الله عنه –) (٣٥/٥) حديث رقم: (٣٨٠٣)، وراوه مسلم في: (كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى – ﷺ –) (١٩١٥/٤) حديث رقم: (٢٤٦٦).

(٣) انظر العرش – للذهبي (٢٨٦/١)، قسم الدراسة.

وأنَّ العرش في اللغة يطلق على السرير بالنسبة إلى ما فوقه وكالسقف بالنسبة إلى ما تحته، فإذا كان القرآن قد جعل لله عرشا وليس هو بالنسبة إليه كالسقف، علم أنه بالنسبة إليه كالسرير بالنسبة إلى غيره وذلك يقتضي أنه فوق العرش)) [1].

وابن القيم - رحمه الله - يرد على المتأولين للعرش بالملك بأنَّ هذا: ((تلبيس منهم على الجهال وكذب ظاهر، فإنه ليس لعرش الرحمن الذي استوى عليه إلا معنى واحد، وإن كان للعرش من حيث الجملة عدة معان، فاللام للعهد قد صار بها في العرش معينا وهو عرش الرب تعالى، الذي هو سرير ملكه الذي اتفقت عليه الرسل وأقرت به الأمم إلا من نابذ الرسل)) [2].

(١) بيان تلبيس الجهمية – لابن تيمية (٢٧٨/٣). بتصرف.

(٢) مختصر الصواعق المرسلة – لابن الموصلي ص٢٦، بتصرف.

الباب الثالث

آراء طنطاوي جوهري في مسائل النبوات والغيب

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الإيمان بالأنبياء والرسل.

الفصل الثاني: الإيمان بالغيب.

الفصل الأول
الإيمان بالأنبياء والرسل

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفرق بين النبي والرسول.

المبحث الثاني: المعجزة والكرامة والفرق بينهما.

المبحث الثالث: بعثة النبي - ﷺ - إلى الثقلين.

تمهيد

الإيمان بأنبياء الله ورسله ركنٌ من أركان الإيمان، فلا يتحقّق إيمان العبد حتى يؤمن بجميع الأنبياء، ويُصدّق بأنّ الله تعالى أرسلهم لهداية البشر، وإرشاد الخلق، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وأنّهم بلّغوا ما أُنزل إليهم من ربّهم البلاغ المبين، فبلّغوا الرسالة، وأدّوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وجاهدوا في الله حقّ جهاده[1].

قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة:١٧٧].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة – ﷺ – قال: ((كان رسول الله – ﷺ – يوماً بارزاً للنّاس، إذ أتاه رجل وهو جبريل يمشي، فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر))[2].

ونعرض في هذا الفصل بعض المسائل التي تطرق لها طنطاوي جوهري في باب النبوات أثناء تفسيره وشرحه لآيات القرآن الكريم، ومن تلك المسائل ما يلي:

---

(١) انظر مقدمة المحقق لكتاب النبوات لابن تيمية (١/٣٧).

(٢) رواه البخاري في: (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]) (٦/١١٥) (٤٧٧٧)، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب: الإيمان ما هو وبيان خصاله) (١/ ٣٩) (٩).

المبحث الأول: الفرق بين النبي والرسول

أولاً: **تعريف النبي والرسول في اللغة:**

- **النبي في اللغة يطلق على معانٍ ثلاثة، وهي:**

١- الإخبار، وهو مشتقٌ من النبإ: الخبر، لأنه أنبأ عن الله، أي أخبر عن الله.

٢- وقد يأتي بمعنى المكان المرتفع، وهو مشتقٌ من النبوة، وهي الشيء المرتفع، لارتفاع قدره ولأنه شرف على سائر الخلق.

٣- وقد يأتي بمعنى الطريق الواضح، وهو مشتق من النبيء[١].

وفي الحقيقة هذه المعاني الثلاثة كلها تدل على لفظ النبيّ، إذ النبيَّ يخبر عن الله، وهو ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة، فالأنبياء هم أشرف الخلق، وهم الأعلام والطرق الواضحة التي يهتدي بها الناس فتصلح دنياهم وأخراهم[٢].

- **والرسول في اللغة:**

مشتقٌ من الإرسال والانبعاث على التؤدة، ويقال: ناقة رسلة: سهلة السير، وإبل مراسيل: منبعثة انبعاثا سهلا، ومنه: الرسول المنبعث[٣].

يقول ابن فارس: ((الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس، يدل على الانبعاث والامتداد فالرسل: السير السهل)) [٤].

وقيل: مأخوذ من المتابعة يتابع أخبار الذي بعثه؛ أخذ من قولهم: جاءت الإبل رسلا، أي: متتابعة. وجمع الرسول رُسُلٌ ورُسْلٌ، والرسول يطلق على الرسالة أيضاً[٥].

ثانياً: **تعريف النبي والرسول في الشرع:**

---

(١) انظر تهذيب اللغة (٣٤٩/١٥)، والنهاية في غريب الحديث (٢/٥)، ومختار الصحاح ص٣٠٣، ولسان العرب (١٦٣/١).

(٢) انظر الرسل والرسالات – عمر الأشقر ص١٣.

(٣) انظر المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصفهاني (٣٥٢/١).

(٤) معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (٣٩٢/٢).

(٥) انظر تهذيب اللغة – للأزهري (٢٧٢/١٢)، ولسان العرب (٢٨١/١١).

لقد دلَّ نصوص الشرع على أنّ لفظ النبي والرسول كلمتان متغايرتان وليس مترادفتين، وبينهما فرق في الدلالة والمعنى.

فمن ذلك:

– قولـــه تعـــالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج:٥٢]، ووجه الدلالة من الآية: أنّ الله – ﷻ – عطف النبي على لفظ الرسول بالواو، والعطف يدل على المغايرة.

– وقوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم:٥١]، وقوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ [مريم:٥٤]، فالله – ﷻ – في هاتين الآيتين وصف نبيين كريمين بوصفين كريمين، وتكرار هذا الوصف يدل على شيء جديد في المعنى، والقرآن ليس فيه حشو، فدل على تغاير المعنيين في ذلك.

وللعلماء في الفرق بين النبي والرسول أقوال كثيرة، وكلها لم تخلُ من مناقشة ولم تسلم من الرد والاعتراض.

وأما القول الشائع في المسألة عند العلماء: هو أنَّ النبي أعم من الرسول، فالرسول هو من أُوحي إليه بشرع جديد وأُمر بتبليغه، والنبيُّ من أوحي إليه ولم يؤمر بتبليغه، وعلى ذلك فكلُّ رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً[1].

وهذا التعريف غير مسلم به لأمور:

الأول: أنَّ الله – ﷻ – أثبت الإرسال للنبي والرسول، ونصَّ على ذلك في قوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢]، فدلَّ على أنَّ كلاً منهما مرسلٌ من عند الله.

الثاني: أنَّ عدم إبلاغ أوامر الله تعالى لأنبيائه كتمان لوحي الله تعالى، والله لا ينزل وحيه ليكتم ويدفن في صدر واحد من الناس، ثمَّ يموت هذا العلم بموته.

---

(١) انظر تفسير القرطبي (٧/ ٢٩٨) وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص١٥٥، ولوامع الأنوار– للسفاريني (٤٩/١).

الثالث: ما دلَّ عليه حديث ابن عباس فيما يرويه عن – ﷺ – أنه قال: ((عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد)) (١).

فدلّ هذا على أنَّ الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنَّهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم(٢).

وشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – تحدث عن الفرق بين النبي والرسول وفصَّل فيها، **فقال:** ((النبيُّ: هو الذي ينبئه الله، وهو ينبىء بما أنبأ الله به؛ فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ** ﴾ [الحج:٥٢]، وقوله: ﴿ **مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ** ﴾ فذكر إرسالا يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول؛ فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله؛ كنوح... فقوله: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ** ﴾، دليل على أن النبي مرسل، ولا يسمى رسولا عند الإطلاق؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق؛ كالعالم))(٣).

إذاً يمكن لنا أن نقول في تعريف النبي والرسول، هو: **أنَّ الرسول:** من أرسل إلى قوم مخالفين أو كافرين، وأمر أن يدعوهم وكذب بعض قومه، وقد يكون معه كتاب، وقد يكون مكملاً لشرع سابق.

والنبيُّ: هو من أوحى إليه وبعث في قوم مؤمنين محكومين بشريعة سابقة، وهو مأمور بالتبليغ والإنذار والدعوة إلى الشريعة السابقة وإحياؤها.

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – قد قال في الفرق بين النبيِّ والرسول بالقول المشهور عند العلماء وهو أنَّ الرسول من أتى بشرع جديد، والنبيُّ من جاء لتقرير شرع سابق.

فقال – رحمه الله – تعليقاً على قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ** ﴾ [الحج:٥٢] ((فالرسول من جاء بشرع جديد، والنبي يعم ذلك ويعم من جاء لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى – عليهما السلام – ومثلهم علماء الإسلام،

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الطب، باب من اكتوى أو كوى غيره، وفضل من لم يكتو) (١٢٦/٧) حديث رقم: (٥٧٠٥) (٥٧٥٢)، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب) (١٩٩/١) (٢٢٠).

(٢) انظر أضواء البيان –للشنقيطي (٢٩٠/٥)، والرسل والرسالات – عمر الأشقر ص١٣.

(٣) النبوات – لابن تيمية (٧١٤/٢).

فهو كهؤلاء الأنبياء فكل عالم مفكر في الإسلام فهو كنبي لهذه الأمة، ولقد قيل: إنَّ النبي – ﷺ – قال: ((إنَّ الأنبياء ١٢٤ألفاً، وإنَّ الرسل ٢٣٣))[(١)].))[(٢)].

وقال – ﷺ – في موضع آخر ((الرسول هو الذي معه كتاب، والنبي هو الذي ينبئ عن الله وليس معه كتاب، فمثال الأول موسى، ومثال الثاني يوشع... فأحدهما معه رسالة أوصلها إلى الناس، والثاني ليس معه رسالة يقدمها لهم وهو الكتاب ولكنه ينبئهم))[(٣)].

وما ذهب إليه طنطاوي – ﷺ – من أنَّ ((كل عالم مفكر إسلامي فهو كنبي))، **لعله سوغ له هذا القول في هذا ما نسب إلى كعب الأحبار مقولة:** ((علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل))[(٤)]. **ولعل كان قصده هذا؛ تشبيه العلماء بالأنبياء من حيث دعوة العالم المسلم إلى الشريعة الإسلامية.والله أعلم**

---

(١) رواه أحمد في مسنده من حديث أبي ذر – ﷺ – (٦١٩/٣٦) (٢٢٢٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢١٧/٨) (٧٨٧١)، وإسناده ضعيف. والذي جاء في الحديث عدد الرسل ٣١٥وجماً غفيراً وليس كما ذكر طنطاوي.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥٤/١١).

(٣) المرجع السابق (٤٨/١٠).

(٤) ذكر هذه ابن القيم في هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص٤٥٩، قال السيوطي في "الدرر": لا أصل له، وقال في "المقاصد": قال شيخنا –يعني ابن حجر–: لا أصل له، وقبله الدميري والزركشي، وزاد بعضهم: ولا يعرف في كتاب معتبر. كشف الخفاء ومزيل الإلباس– إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، (٧٥/٢)، ن: المكتبة العصرية، ت: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، وقال الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: لا أصل له. باتفاق العلماء، وهو مما يستدل به القاديانية الضالة على بقاء النبوة بعده – ﷺ – ، ولوصح لكان حجة عليهم كما يظهر بقليل من التأمل.

المبحث الثاني: معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء

أولاً: **تعريف المعجزة والكرامة:**

أ- **المعجزة والكرامة في اللغة:**

- **المعجزة:** هي اسم فاعل مأخوذة من العجز المقابل للقدرة[١].

قال ابن فارس: ((العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل على الضعف، وعجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز، أي ضعيف، وقولهم إنَّ العجز نقيض الحزم فمن هذا؛ لأنه يضعف رأيه. ويقولون: المرء يعجز لا محالة، ويقال: أعجزني فلان، إذا عجزت عن طلبه وإدراكه)) [٢].

والمعجزة: بفتح الجيم وكسرها، مفعلة من العجز، أي عدم القدرة وزوالها عن القيام بشيء، أو ما أعجز به الخصم عند التحدي، والهاء للمبالغة [٣].

- **الكرامة:** هي مأخوذ من الكرم وضده اللؤم، فهو اسم للأَخلاق والأَفعال المحمودة التي تظهر على الإنسان[٤].

ب- **المعجزة والكرامة في الاصطلاح:**

- **المعجزة:** هي أمر خارق للعادة، يظهره الله على يد رسله، ليدل على صدقه وصحة رسالته.

أوهي: أمر خارق للعادة، يجريه الله على يد من يختاره لنبوته؛ ليدل على صدقه وصحة رسالته[٥].

---

(١) انظر لوامع الأنوار– للسفاريني (٢/٢٨٩).

(٢) انظر معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (٤/٢٣٢)،

(٣) انظر لسان العرب – لابن منظور (٥/٣٦٩)، والقاموس المحيط – للفيروز آبادي ص٥١٦،

(٤) انظر المفردات في غريب القرآن ص٧٠٧، والصحاح – للجوهري (٥/٢٠١٩)، والقاموس المحيط – للفيروز آبادي ص ١١٥٣، بصائر ذوي التمييز– للفيروز أبادي (٤/ ٣٤٣)، ولوامع الأنوار البهية– للسفاريني (٢/ ٢٨٩).

(٥) انظر الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد – لصالح الفوزان ص١٨١، وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة.

- **الكرامة:** هي أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح، ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، علم بها ذلك العبد الصالح أم لم يعلم[1].

وطنطاوي جوهري - ﷺ - يرى أنّ خوارق العادات يمكن أن تكون لجميع طبقات الناس، فهي إن كانت على يد النبي فهي معجزة، وإن كانت على يدي أتباع الأنبياء تكون كرامة، وعلى يد الساحر تكون سحراً وهكذا.

فقال - ﷺ -: ((أنَّ خوارق العادات تكون للناس في أحلامهم وتكون لهم بعد موتهم، وهناك لا تكون خوارق وإنما هي حقائق ثابتة لا يستغربونها بل هم بها موقنون، وهذه العجائب لا تزال تتوالى على الناس في كل زمان ومكان، فتكون على يد الأنبياء معجزة مقرونة بالتحدي، فيقولون: إننا مرسلون من عند الله، والله أيدنا بهذه المعجزات، ويقول علماؤنا رحمهم الله إن هذه الخوارق تكون على يدي أتباع الأنبياء الذين يسمون أولياء، ويقولون ما جاز أن يكون معجزة لنبي يكون كرامة لولى.

كما ثبت ذلك لعمر - ﷺ - الذي جرى النيل بإرساله ووضعه فيه، وبقوله وهو على المنبر بالمدينة، وجيشه بنهاوند، وسارية أمير ذلك الجيش، محذرا له من العدو الكامن له وراء الجبل : يا سارية الجبل الجبل.

إنَّ هذه قد تكون على يد الساحر ويد الجاهل، فكما تكون معجزة على يد نبي تكون كرامة لولي، ثم معونة لجاهل، ثم استدراجاً لفاسق، فيقول علماؤنا: إن تلك الخوارق تكون في سائر الطبقات وتسمى بأسماء مختلفة على حسب الواقعة هي على أيديهم، ولست الآن أقول لك هذا إلا لتقف على ما يقوله أهل الشرق والغرب في هذا المقام))[2].

ثم ذكر طنطاوي عن رأيه في المسألة: وهو أنه يرى ما تحصل على يد محضر الأرواح من أمور وغرائب غير معتادة فإنها داخلة في خوارق العادات.

فقال: ((أما رأيي آنا فإنك ستسمعه قريبا هنا. أقول: ولقد ظهر في أقوال علماء الأرواح ما فيه العجب العجاب، ولعمري لا يوضح المقام إلاّ ما جاء في علم الأرواح في العصر الحاضر أولاً، ثم في التعقل والتفكير ثانياً، وها أنا ذا أشرحه لك الآن شرحاً وافياً، فأقول: لقد ظهر علم

(١) انظر لوامع الأنوار البهية– للسفاريني (٣٩٢/٢).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣٧/٢).

الأرواح وأيد هذه الغرائب[1]، ولو اطلعت على الكتاب الذى ألفت المسمى «الأرواح» وعلى غيره من كتب الأمم المعاصرة لنا، وعلى ما كتبه صديقنا محمد فريد وجدي الذي هو أول من أظهر هذا العلم في بلادنا المصرية، وعلى ما جاء في كتاب المذهب الروحاني، لو اطلعت على ذلك كله لرأيت عجباً عجاباً، رأيت أن أعظم الفلاسفة والحكماء في إنكلترا وفرنسا وأمريكا الذين لا يظن فيهم الغفلة قد أحضرت الأرواح على يد الوسطاء فواكه وأزهاراً وملابس، وغير ذلك من عجائب وغرائب، وإذا سئلت الأرواح عن ذلك قالت: إني أحضرته من أرضكم لا من أرض أخرى، لأن العوالم الأخرى لا تناسب عالمكم، ذلك ذاع وشاع وملأ الأصقاع والناس في الشرق نيام، والناس أعداء ما جهلوا.

هذا ما أجملته الآن من علم العصر الحاضر وهو أقرب لما قاله علماؤنا، فالمعجزة للأنبياء، والكرامة للأولياء، والسحر للسحرة، وأما ما عند علماء أوروبا فسمه ما تشاء أن تسميه، لقد سئلت الأرواح عن كيفية إحضار تلك الأشياء والأغذية والملابس والأزهار التي حفظها الفلاسفة والعلماء في إنكلترا وغيرها، ودامت كما تدوم عندنا تماماً، فأجابت: إنَّ هناك شيئاً يسمى السائل المغناطيسي الإنساني يكون كثيراً في الوسيط، فتخلطه الأرواح بالسائل المغناطيسي الذي هو في طباعها، وهذا المزيج هو الذي به تحضر تلك الفواكه والملابس، وتصنع العجائب والأرواح بدون السائل الذي في الإنسان لا تقدر على فعل شيء من ذلك، هذا في أوروبا))[2].

وهو بذلك يبرهن على صحة تحضير الأرواح وما يتبع ذلك من أمور وغرائب، ويعد تلك الأمور من جنس خوارق العادات التي تكون على يد الأنبياء والأولياء...

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أنواع الناس في خوارق العادات بين مكذب مطلقاً وبين مصدق مطلقاً، **ثم قال**: ((والصواب القول الثالث: وهو أنَّ معهم من ينصرهم من جنسهم لا من أولياء الله – عز وجل – كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ [المائدة: ٥١]، وهؤلاء العباد والزهاد الذين ليسوا من أولياء الله المتقين المتبعين للكتاب والسنة، تقترن بهم الشياطين فيكون لأحدهم من الخوارق ما يناسب حاله؛ لكن خوارق هؤلاء يعارض بعضها بعضا، وإذا

(١) انظر إلى هذه الغرائب طرق في تحضير الأرواح؛ في كتابه الأرواح ص١٨٧و مابعدها، وهي أشبه بطرق تعليم السحر، وكيف يدعي طنطاوي أنَّ تحضير الأرواح من العلوم الجليلة، وفي الحقيقة هو دجل وكذب لا يصدقها العامي الجاهل فضلاً عن المتعلم العالم .

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣٧/٢).

حصل من له تمكن من أولياء الله تعالى أبطلها عليهم، ولا بد أن يكون في أحدهم من الكذب جهلاً أو عمداً ومن الإثم ما يناسب حال الشياطين المقترنة بهم، ليفرق الله بذلك بين أوليائه المتقين وبين المتشبهين بهم من أولياء الشياطين. قال الله تعالى ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]، والأفاك: الكذاب، والأثيم: الفاجر))[١].

وكذلك يرى طنطاوي جوهري أنّ خوارق العادات على نوعين اثنين، خوارق جزئية ملموسة وموجودة بيننا، وخوارق كلية لا وجود له في الكون.

فقال – رحمه الله –: ((خوارق العادات الجزئية توجد في الدنيا، أما الخوارق الكلية مثل ما في الطبيعة –أي: مثل الأحوال والانقلابات الطبيعية – فلا وجود له، إذ لم تقطع يد الانسان ثم رجعت كرة أخرى، وثم تقلع عين ورجعت على يد ولي مثلاً أو ساحر أو كاهن، ولكن هناك غرائب تظهر))[٢].

أنَّ خوارق العادات: إما مكاشفة وهي من جنس العلم الخارق، وإما تصرف وهي من جنس القدرة الخارقة[٣].

ولاشك أنّ ما ذهب إليه طنطاوي من أنَّ الخوارق الكلية – على حد قوله – والتي تكون على يد الأولياء، بأنه لا وجود له ولا أثر له في الحقيقة، قولٌ باطل ومردود، بدليل ما أثر عما حصل لموحدي الأمم السابقة، وصدر سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين.

كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة))[٤].

وأما ما قد يحصل بشيء من الخوارق على يد الساحر أو الكاهن، فلا شك أنَّ هذا ليس بحقيقة ولا وجود له في الخارج، كما قال الله تعالى عن سحر سحرة فرعون:

---

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٢٩٥/١١).
(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٩٩/٩).
(٣) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥٤٨/١٠).
(٤) المرجع السابق (١٥٦/٣).

﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧].

ثانياً: الولي و أنواع الكرامات:

أ- تعريف الولي في اللغة:

قال ابن فارس: الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على القرب والدنو))[(١)]، وهو مشتق من الولاء، وهو القرب كما أن العدو من العدو وهو البعد[(٢)].

وقيل: هو مشتقٌ من الوَلاية ضد العدو[(٣)].

فالولي: يطلق على المحب، والصديق، والنصير[(٤)].

ب- تعريف الولي في الاصطلاح:

الولي: هو من آمن بالله واتقاه، المتقيد بأوامر الله ﷻ ونواهيه، المتقرِّب إليه بكل ما يحبه ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تعريف الولي: ((هو من كان بالصفة التي وصفة الله بها، وهو الذي آمن واتقى))[(٥)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ((ولي الله من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته))[(٦)].

ويقول ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله-: ((ولي الله: هو من والى الله بموافقة محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته))[(٧)].

وطنطاوي جوهري - رحمه الله - قد وافق مذهب أهل السنة والجماعة في الجملة في تعريف الولي وصفاته، إلاَّ أنه جنح للطرق الصوفية وأيد لمذهبهم.

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (١٤١/٦)، والصحاح– للجوهري (٢٥٢٨/٦)، ومختار الصحاح – للرازي ص٣٤٥.

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٦٢/١١).

(٣) انظر الصحاح– للجوهري (٢٥٢٩/٦).

(٤) انظر القاموس المحيط – للفيروز آبادي ص١٣٤٤.

(٥) تفسير الطبري (٢١٢/١٢).

(٦) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٦٢/١١).

(٧) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٣٤٣.

فقال -ﷺ-: في تعريفه للولي: ((هو فعيل بمعنى مفعول، أو فعيل بمعنى فاعل، أي: تولاه الله أو هو تولى الله بالطاعة))[1].

ثم ذكر طنطاوي عن صفة الولي، فقال: ((الولي لا صفة له إلا أن يكون في الظاهر متخلقاً بالشرع وفي باطنة مستغرقاً في الله وآياته وذكره))[2].

وقد ذكر أيضاً بعضاً من كرامات الأولياء، التي قد تحصل على أيديهم.

فقال: ((ربما ظهرت خوارق على يديه، وهذه الخوارق لا تعد، وما يظهر على يد محضري الارواح فقد تصدر على أيديهم بعض لمحات مما نفوس من حولهم، ومنهم من شاهدتهم بنفسي وهم جهلاء، ولكن عند الذكر ووجود شيخ أمامه أتباع كثيرون؛ ترى هذا التلميذ الجاهل قد أخذ يشرح مواضع علمية فلسفية تعلو على مدارك من حوله.

ولقد دهشت إذ اطلعت على هذا في بعض المجالس ورأيت من ذلك الذي ينشد في الذكر من العالم ما لا يقدر عليه أكبر العلماء والفلاسفة، فإذا رجع إلى حاله الأولى رأيته كما كان لا يدري شيئاً مما كان يقوله وقد اقرّ مرارا بهذا)) [3]

فما ذكره طنطاوي جوهري من وقوع أمور غريبة على أيدي هؤلاء، وجعلها من خوارق العادات، فهذا لا يصدق عليه إلاَّ كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -ﷺ- أنها من الأحوال الشيطانية، وقد ذكر -ﷺ- شيئاً من نلك الأحوال.

فقال: ((مثل من يدخل النار بحال شيطاني، أو يحضر سماع المكاء والتصدية فتنزل عليه الشياطين وتتكلم على لسانه كلاما لا يعلم، وربما لا يفقه.

وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه، وربما تكلم بألسنة مختلفة، كما يتكلم الجني على لسان المصروع.

والانسان الذي حصل له الحال لا يدري بذلك بمنزلة المصروع الذي يتخبطه الشيطان من المس ولبسه وتكلم على لسانه، فإذا أفاق لم يشعر بشيء مما قال.

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٩٩/٩).

(٢) المرجع السابق (١٩٩/٩).

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٩٩/٩).

ولهذا قد يضرب المصروع ضربا كثيرا حتى قد يقتل مثله الإنسي أو يمرضه لو كان هو المضروب، وذلك الضرب لا يؤثر في الإنسي، ويخبر إذا أفاق أنه لم يشعر بشيء، لأن الضرب كان على الجني الذي لبسه))[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - **في موضع آخر**:((كرامات الأولياء لا بد أن يكون سببها الإيمان والتقوى، فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان، فهو من خوارق أعداء الله لا من كرامات أولياء الله، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصلاة والقراءة والذكر وقيام الليل والدعاء وإنما تحصل عند الشرك: مثل دعاء الميت والغائب أو بالفسق والعصيان وأكل المحرمات: كالحيات والزنابير والخنافس والدم وغيره من النجاسات ومثل الغناء والرقص؛ لا سيما مع النسوة الأجانب والمردان، وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشيطان، فيرقص ليلا طويلا فإذا جاءت الصلاة صلى قاعدا أو ينقر الصلاة نقر الديك وهو يبغض سماع القرآن وينفر عنه ويتكلفه ليس له فيه محبة ولا ذوق ولا لذة عند وجده ويحب سماع المكاء والتصدية ويجد عنده مواجيد. فهذه أحوال شيطانية))[2].

ومثل هذه الأحوال الشيطانية تحصل لمحضري الأرواح ومن نحا نحوهم في ذلك.

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – لابن تيمية ص١٦٩، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١١/ ٥٧٣).
(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١١/ ٣٠٢).

المبحث الثالث: بعثة النبي ﷺ إلى الثقلين

أولاً: رأي أهل السنة والجماعة في بعثة النبي ﷺ إلى الثقلين:

طوائف المسلمين متفقة على أن الله تعالى بعث رسوله محمداً ﷺ إلى جميع الثقلين الإنس والجن، والأدلة على عموم رسالته كثيرة جداً ومتوافرة.

قمن الكتاب العزيز:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨]،

وقوله تعالى: ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، وقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ١]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

ومن السنة النبوية:

حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – أن رسول الله – ﷺ – قال: ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة))[(١)].

قال ابن عباس – رضي الله عنهما – ((كانت الرسل تبعث إلى الإنس، وإنَّ محمدا – ﷺ – بعث إلى الجن والإنس)) [(٢)].

وفي رواية مسلم ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود))[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التيمم) (١/٧٤- ٩٥)، حديث رقم: (٣٣٥) (٤٣٨)، ومسلم في: (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) (١/٣٧٠) حديث رقم: (٥٢١).

(٢) تفسير القرطبي (٧/٨٦).

(٣) رواه مسلم في: (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا) (١/٣٧٠) حديث رقم: (٥٢١).

واختلفوا في معنى الأحمر والأسود الوارد في هذا الحديث، فقال بعضهم: المراد بالأحمر البيض من العجم وغيرهم، وبالأسود العرب لغلبة السمرة فيهم وغيرهم من السودان، وقيل: المراد بالأسود السودان وبالأحمر من عداهم من العرب وغيرهم، وقيل: الأحمر الإنس والأسود الجن والجميع صحيح فقد بعث إلى جميعهم[1].

ومعلومٌ أنَّ لفظ الناس في لغة العرب يطلق على الإنس والجن كما قال ابن منظور: الناس قد يكون من الإنس ومن الجن[2].

بهذا يعلم أنّ نبينا محمدٌ – ﷺ – أُرْسِلَ إلى جميع الثقلين الإنس والجن بشيراً ونذيراً، ويجب علينا الإيمان به.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –:((يجب على الإنسان أن يعلم أن الله – ﷻ – أرسل محمداً – ﷺ – إلى جميع الثقلين: الإنس والجن وأوجب عليهم الإيمان به وبما جاء به وطاعته وأن يحللوا ما حلل الله ورسوله، ويحرموا ما حرم الله ورسوله، وأن يوجبوا ما أوجبه الله ورسوله، ويحبوا ما أحبه الله ورسوله، ويكرهوا ما كرهه الله ورسوله، وأنَّ كل من قامت عليه الحجة برسالة محمد – ﷺ – من الإنس والجن فلم يؤمن به استحق عقاب الله تعالى كما يستحقه أمثاله من الكافرين الذين بعث إليهم الرسول.

وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين وسائر طوائف المسلمين: أهل السنة والجماعة وغيرهم – رضي الله عنهم – لم يخالف أحدٌ من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداً – ﷺ – إليهم))[3].

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – يرى بأنَّ بعثة النبي – ﷺ – للإنس؛ والجن – خاصة – لم يثبت إلاّ عن طريق السمع فقط، ولا دخل للعقل فيه، والبحث العلمي أثبت صدقه في هذا العصر، فبذلك ترقى هذا الأمر من السمعيات إلى اليقينيات عند طنطاوي على حد زعمه.

---

(١) انظر شرح النووي على مسلم (٥/٥).

(٢) انظر لسان العرب (٦/ ٢٤٥)، وتاج العروس (٥٨٥/١٦).

(٣) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٩/١٩).

فقال: ((النبي – ﷺ – أرسل للطائفتين، ومثل هذا القول علمه سماعي ليس للعقل فيه دخل، ولكن العلم الحديث الروحي جاء بتصديقه، والحق أنَّ مثل هذا لا يعرف إلا بالعلوم الحديثة، فأما بغير ذلك فإنها سماعية وليس عليها دليل إلاّ السمع))[1].

وما ذهب إليه طنطاوي من قوله بأنّ بعثة النبي ﷺ للثقلين ثبت وجوده بالسمع فقط، ولا دخل للعقل فيه؛ لعله يقصد إثبات الإمكان، أي:أنّ بعثة النبي ﷺ للجن داخلة في دائرة الممكن العقلي.

فعلى هذا يثبت طنطاوي الإمكان العقلي ببعثة النبي إلى الثقلين كما دل عليه السمع،وتدليل ذلك الممكن العقلي بما اكتشفته المدرسة الروحية الحديثة التي يؤمن بها طنطاوي، وكأنه يقول بفضل ماوصلت إليه العلوم الحديثة ارتقى هذا العلم من الإمكان العقلي إلى الإثبات العقلي اليقيني.

ولا ريب أنَّ هذا الأمر معلومٌ قبل اكتشافات العلوم الحديثة؛ حيث أنَّ الجن كانوا مكلفين، وقد كان منهم قبل النبي – ﷺ – نذر ينذرون قومهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[الأحقاف: ٢٩]، فلابد لهم من رسالة، ولما كان محمدٌ – ﷺ – هو خاتم الأنبياء والرسل مطلقاً، كان دخول الجن تحت رسالته ضرورة عقلية لا بد منها.

فلذلك أورد البخاري – ﷺ **– في صحيحه عن وفود الجن إلى النبي – ﷺ – فقال:** ((باب ذكر الجن، وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ [الجن: ١]... ثم ذكر حديث أبي هريرة – ﷺ – أنه كان يحمل مع النبي – ﷺ – إداوة لوضوئه وحاجته، فبينما هو يتبعه بها، فقال: من هذا؟ فقال: أنا أبو هريرة، فقال: ابغني أحجارا أستنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة. فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي، حتى وضعتها إلى جنبه، ثم انصرفت حتى إذا فرغ مشيت، فقلت: ما بال العظم والروثة؟ قال: هما من طعام الجن، **وإنه أتاني وفد جن نصيبين**، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم، ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاما))[2].

وروى مسلمٌ في صحيحه بعد عنعنة قال: ((سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله – ﷺ – ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة، أنا سألت ابن مسعود فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله – ﷺ – ليلة الجن؟ قال: لا ولكنا كنا مع رسول الله ذات ليلة

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١١٦/٤).

(٢) رواه البخاري في (كتاب مناقب الأنصار، باب ذكر الجن) (٤٦/٥) حديث رقم:(٣٨٦٠).

ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب. فقلنا: استطير أو اغتيل. قال: فبتنا بشرٍّ ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال: فقلنا يا رسول الله: فقدناك، فطلبناك؛ فلم نجدك فبتنا بشرٍّ ليلة بات بها قوم. فقال: **أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن،** قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم. فقال رسول الله – ﷺ –: ((فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم))[1].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: ((مما يجب أن يعلم أنَّ الله بعث محمداً – ﷺ – إلى جميع الانس والجن، فلم يبقى إنسي ولا جني إلا وجب عليه الإيمان بمحمد – ﷺ – واتباعه، فعليه أن يصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر.

ومن قامت عليه الحجة برسالته فلم يؤمن به، فهو كافر، سواء كان إنسيا أو جنيا، ومحمد – ﷺ – مبعوث إلى الثقلين باتفاق المسلمين))[2].

يقول ابن القيم –رحمه الله–: ((أجمع المسلمون على أنَّ محمداً – ﷺ – بعث إلى الجن والإنس، وأنه يجب على الجن طاعته، كما يجب على الإنس، ...وقد دلت سورة الرحمن على تكليفهم بالشرائع كما كلف الإنس، ولهذا يقول في إثر كل آية: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، فدل ذلك على أنَّ السورة خطاب للثقلين معاً، ولهذا قرأها رسول الله – ﷺ – على الجن قراءة تبليغ، وأخبر أصحابه أنهم كانوا أحسن رداً منهم، فإنهم جعلوا يقولون كلما قرأ عليهم: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، لا نكذب بشيء من آلائك ربنا فلك الحمد.))[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: ((تواتر عنه – ﷺ – أنه بعث إلى الجن والإنس))[4].

---

(١) رواه مسلم في: (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن) (١/٣٣٢)، حديث رقم: (٤٥٠).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – لابن تيمية ص١٩١، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١١/ ٣٠٣).

(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ص٤١٧.

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٤/ ٢٠٤).

الفصل الثاني
الإيمان بالغيب

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: عالم الملائكة.

المبحث الثاني: عالم الجن.

المبحث الثالث: عالم الأرواح.

المبحث الأول: عالم الملائكة

المطلب الأول: تعريف الملائكة:

أ- الملائكة في اللغة:

الملائكة جمعها مَلَكَ، وأصله من ملأك، ثم حذفت همزته، لكثرة الاستعمال، فقيل: ملك، وقد تحذف الهاء فيقال: ملائك [(١)].

وقيل: أصله: مألك، بتقديم الهمزة، من الألوك: وهي الرسالة، ثم قلبت وقدمت اللام فقيل ملأك، ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال فقيل ملك، فلما جمعوه ردوها إليه فقالوا ملائكة وملائك أيضا [(٢)].

وقد يأتي بمعنى الملك. **قال ابن فارس**: ((الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة، يقال: أملك عجينه: قوى عجنه وشده، وملكت الشيء: قويته... فقيل: ملك الإنسان الشيء يملكه ملكا، والاسم الملك؛ لأن يده فيه قوية صحيحة))[(٣)].

قال ابن جرير الطبري - رحمه الله -:((سميت الملائكة ملائكة بالرسالة، لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه، ومن أرسلت إليه من عباده))[(٤)].

ب- معنى الملائكة في الشرع:

وقد عرَّفَ علماء أهل السنة والجماعة الملائكة بتعريفات عدة كلها تدل على أنهم: خلق من مخلوقات الله، فهم عالم غيبي خلقهم الله ﷻ من نور، لهم أجسام نورانية لطيفة؛ قادرة على التشكل والتمثل والتصور بالصور الكريمة، ولهم قوى عظيمة، وقدرة كبيرة على التنقل، مسكنها السموات، وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الله، قد اختارهم الله

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر – لابن الأثير (٣٥٩/٤).

(٢) انظر لسان العرب – لابن منظور (٤٩٦/١٠)، والنهاية في غريب الحديث والأثر – لابن الأثير (٣٥٩/٤)، مختار الصحاح – للرازي ص ٢٩٨.

(٣) معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (٣٥١/٥).

(٤) تفسير الطبري (٤٧٤/١).

واصطفاهم لعبادته والقيام بأمره ووكلهم بشؤون خلقه، فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم يسبحون له بالليل والنهار لا يفترون [1].

وطنطاوي جوهري - ﷺ - تحدث عن آراء أهل الديانات والحكماء في تعريفهم للملائكة فقال: ((القول الأول: القائلين بأنّ الملائكة هي أجسام هوائية لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة مسكنها السماوات، وهو قول لبعض علماء الإسلام.

القول الثاني: أنها هي المرسلات النحوس والسعود من الكواكب، والكواكب أحياء ناطقة كالإنسان، ومدبراتها هي الملائكة كتدبير نفوسنا لأجسامنا، وهذا قول لطوائف من عبدة الأوثان.

القول الثالث: النور عنصر الملائكة، والظلمة عنصر الشياطين، وهو قول معظم المجوس والثنوية.

القول الرابع: أن الملائكة هي الأرواح البشرية الصافية، وأن الشياطين هي الأرواح الإنسانية الخبيثة إذا فارقا أبدانهما، وهو قول النصارى.

القول الخامس: الملائكة هي الممدة لنفوسنا الناطقة ونسبتها إليها كنسبة الشمس إلى ضوئها وهناك ملائكة مستغرقة في معرفة الله، ونسبتها إلى الأولى الممدة للأفلاك ولنفوسنا، كنسبة الأولى إلى نفوسنا، وهناك مديرات لأحوال العالم السفلي، فإن كانت للخير فهي الملائكة، وإن كانت للشر فهي الشياطين، وهو قول للفلاسفة)) [2].

ثم عرف طنطاوي الملائكة، فقال: ((بأنهم خلق خُلِقُوا بعقل كامل بلا شهوة تزري بهم)) [3].

وبذلك قد وافق طنطاوي مذهب أهل السنة والجماعة في تعريفه للملائكة في الجملة، من حيث أنَّ الملائكة خَلْقٌ من مخلوقات الله خلقوا بلا شهوة تزري بهم.

---

(١) انظر فتح الباري - لابن حجر (٣٠٦/٦)، وتفسير الألوسي (١/ ٢٢٠)، ولوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٤٤٦/١).وشرح العقيدة الواسطية – للهراس ص٦٢، وشرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين ص٤٥، وأصول الإيمان– نخبة من العلماء ص٩٩، عالم الملائكة الأبرار - عمر الأشقر ص١٣.

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦٨/١).

(٣) انظر المرجع السابق (٦٨/١).

وفي هذا يقول السفاريني - ﷺ -: ((وقد حكى غير واحد من محققي العلماء الاتفاق على أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون))[1].

غير أنه قال في تعريفه للملائكة بقوله بأنهم خلقوا بعقل كامل، وهذا مما يؤخذ عليه لتأثره بأقوال الفلاسفة وأصحاب "رسائل إخوان الصفا" وأمثالهم، القائلين بأنّ الملائكة هي العقول والنفوس[2].

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة:

ومن الإيمان بالله ﷻ الإيمان بملائكته، الذين هم رسل الله وسفراءه بينه وبين خلقه وأنبياءه، والإيمان بهم ركن من أركان الإيمان في الدين الإسلامي، ولا يتحقق إيمان العبد إلاّ به، وقد نص الله على ذلك في كتابه. وأخبر عنه النبي - ﷺ - في سنته[3].

فمن الكتاب العزيز:

قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة، ١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ [البقرة، ٢٨٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]، فقد ذكر الله في تلك الآيات الواردة أصول الإيمان، ومنها الإيمان بالملائكة.

ومن السنة النبوية:

حديث جبريل الطويل الذي رواه عمر بن الخطاب - ﷺ - وسئل فيه النبي - ﷺ - عن الإيمان: فقال: ((أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر

---

(١) لوامع الأنوار البهية- للسفاريني (١/٤٤٧).

(٢) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٤/٢٥٩، ٩/١٠٤، ١٦/٣٤، ١٧/٣٣٨)، وإغاثة اللهفان- لابن القيم (٢/ ١٠٢٤).

(٣) انظر إغاثة اللهفان- لابن القيم (٢/ ٨٤٩)، وتيسير اللطيف المنان- للسعدي ص٤٥ ، وأصول الإيمان- نخبة من العلماء ص١٠٥.

خيره وشره))[1]. وقد ذكر في هذا الحديث عن أصول الدين ومراتبه، وبين فيه أنَّ الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان.

وأهل السنة والجماعة يعتقدون اعتقاداً جازماً بوجود الملائكة، وأنهم مربوبون مسخرون وعباد مكرمون، خلقهم الله من نور، وهم ذوات حقيقية، وليست قوى خفية، فهم خلق من خلق الله، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم يسبحون له بالليل والنهار لا يفترون، وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله القيام بها، فهم رسل الله وسفراءه بينه وبين خلقه وأنبياءه [2].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – قد أقرَّ ما قرره أهل السنة والجماعة بأنّ الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وأصلٌ من أصول الدين.

فقال – ﷺ – ((الاعتقادات خمسة: إثبات وجود الباري جل ثناؤه بصفاته، وإثبات الملائكة الذين هم السفراء بين الله خلقه، والكتاب، والرسل، والمعاد، وقد انطوى على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦]))[3].

المطلب الثالث: هل الملائكة ثابتة بالعقل أم النقل؟

إنّ نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية قد تواترت عن وجود الملائكة، وهو ثابت بالإجماع كما حكى ذلك **الإمام ابن حزم** – ﷺ –.

حيث يقول في ذلك: ((واتفقوا أنَّ الملائكة حق وأنَّ جبريل وميكائيل ملكان رسولان لله ﷻ مقربان عظيمان عند الله تعالى وأن الملائكة كلهم مؤمنون فضلا))[4].

ومن ثمَّ فإنَّ وجود الملائكة أمرٌ متواترٌ ومعلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام، فلذلك لا يتحاج لمن يريد إلى إثبات وجودهم دليل أو برهان، لأنه معلوم بالاضطرار في نفوس بني آدم، فوجودهم معلومٌ حتى عند الأمم الكافرة المكذبة الغابرة.

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة) (٣٦/١) حديث رقم: (٨).

(٢) انظر أعلام السنة المنشورة – حافظ الحكمي ص٤١، والإيمان أركانه – حقيقته – نواقضه – د. محمد نعيم ياسين ص١٩.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٧٥/١٠).

(٤) المرجع السابق (١٧٥/١٠).

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - ﷺ -: ((والإقرار بالملائكة، والجن عام في بني آدم، لم ينكر ذلك إلا شواذ من بعض الأمم، ولهذا قالت الأمم المكذبة: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤]؛ حتى قوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم فرعون. قال قوم نوح: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً﴾ [المؤمنون: ٢٤]، وقال: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ١٤]، وفرعون وإن كان مظهرا لجحد الصانع؛ فإنه ما قال: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣]؛ إلا وقد سمع بذكر الملائكة؛ إما معترفا بهم، وإما منكرا لهم، فذكر الملائكة، والجن عام في الأمم.

وليس في الأمم أمة تنكر ذلك إنكارا عاما، وإنما يوجد إنكار ذلك في بعضهم؛ مثل من قد يتفلسف، فينكرهم لعدم العلم لا للعلم بالعدم))[(١)].

وفي موضع آخر أيضاً يقول - ﷺ -: ((وهذا أمر معلوم لجميع الأمم من العرب والترك والهند وغيرهم والأمور المتواترة عند الأمم عن الكهان تفوق الإحصاء والذي علمناه في زماننا ممن تحمله الجن وتطير به في الهواء وتسرق له أنواع الأطعمة من الحلاوة وغيرها وتأتيه بها وتخبره عن بعض الأمور الغائبة عنه بأمور كثيرة يطول وصفها في هذا الباب

وأما أمر الملائكة فهو أجل وأعظم وأخبارهم متواترة عند أهل الكتب وأما آثارهم في العالم فيعلم بالمعاينة والمشاهدة))[(٢)].

وطنطاوي جوهري - ﷺ - يرى بأنَّ الملائكة تثبت بالعقل، كما أنها ثابتة بالنقل بلا نزاع.

فقال في ذلك: ((ومن الناس من قال: لا سبيل إلى إثبات الملائكة بالعقل، ومنهم من قال: إنهم به ثابتون، والفلاسفة على هذا)) [(٣)].

ثم ذكر أدلة إقناعية على ذلك فقال: ((أنَّ الصناعات البشرية لن تتقن إلا بصانع ذي عقل عالم بها، والعالم المشاهد حولنا فيه ذلك الإتقان كالنبات والحيوان، فلا بد من نفوس تصورت تلك المصنوعات، ونفوس أخرى علمت تلك الصناعة، فالأولى تسمى نفوساً، والثانية

---

(١) النبوات - لابن تيمية (١/١٩٤).

(٢) الصفدية - لابن تيمية (١/١٦٨).

(٣) مراتب الإجماع – لابن حزم الظاهري ص١٧٤.

تسمى عقولاً، وذلك كما في أحوال الناس أن كل ذي علم أو صناعة لا بد أن يكون له معلم أعلى منه أخرج ما في القوة منه إلى الفعل...

أما الدلائل النقلية فلا نزاع أنَّ الأنبياء متفقون على إثبات الملائكة))[1].

وضرب طنطاوي مثلاً عقلياً بجسد الإنسان في إثبات وجود الملائكة، **فقال:** ((إذا كان في سائر أعضاء الجسد قوى لطيفة معنوية منبثة سارية في جميع الجسم مرتبطة بالنفس المستوية على عرش الجسم في المخ، هكذا نقول له ملائكة مأمورون مقابلة لتلك القوى في أجسامنا، وبيانه أنك ترى الطعام، يصير في المعدة كيموساً، ثم ينقلب دماً فلحماً فعظماً الخ، وتصور هناك صور منتظمة بدقة كطبقات العين والمخ ودقائق تركيبهما، وهذه تكون بقوى لطيفة، هكذا جرى الكواكب والشمس والقمر ونحو النبات والحيوان، كل ذلك بعالم خفي عن الأبصار يسمى ملائكة مرسلة من الله في العوالم))[2].

وقال أيضاً: ((فالقرآن ذكرت فيه الملائكة وأمرنا نحن بالإيمان بها، وبهذه العلوم عرفنا أنَّ هذه الملائكة لا يحصرها عدد، وأنها قائمات بنظام عوالمنا محصيات لأعمالنا، وبهذا تنحل كل مشكلة في الدين والقرآن، فلا وسوسة ولا إلهام إلاَّ بما استعدت له نفوس المتحدين في الأرض بقبولها آراء إشكالها من الأرواح الخبيثة والطيبة)) [3].

وطنطاوي جوهري أراد بذلك تأكيد إثبات الملائكة بالعقل أيضاً من خلال منهجه العلمي التجريبي الذي بنى عليه حياته الفكرية والعلمية، فلذا حاول أن يبرهن على صحة قولهم بحجج علمية من علم التشريح والفلك.

وبهذا يتضح لنا أنَّ طنطاوي جوهري رحمه الله أراد من ذلك التوفيق بين ما جاء به الشرع الحكيم وبين المكتشفات العلمية من خلال البرهنة بالعلوم الحديثة على نصوص الكتاب.

وعلم مما سبق أنَّ وجود الملائكة أمرٌ متواترٌ بنصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ومعلومٌ بالاضطرار في نفوس بني آدم، والدلائل الدالة على وجودهم غير إخبار

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦٨/١).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦٦/١).

(٣) انظر المرجع السابق (١٢٦/١٠).

الأنبياء كثيرة[1]، ولا يضطر أحدٌ ممن أراد إثبات وجودهم إلى نوعية الأدلة التلفقية التي أتى بها طنطاوي في إثبات الملائكة.

وكذلك ما ذهب إليه طنطاوي من قوله أنّ الملائكة قوى لطيفة معنوية، قولٌ غير صحيح، بل الملائكة عند أهل السنة عالم حقيقي قائمة بنفسها وليست معنوية.

كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ((من المعلوم بالاضطرار أن الرسل أخبرت بالملائكة والجن وأنها أحياء ناطقة قائمة بأنفسها))[2].

(١) الصفدية - لابن تيمية (١/١٧٤).

(٢) الصفدية - لابن تيمية (١/١٩٣).

المبحث الثاني: عالم الجن

المطلب الأول: تعريف الجن:

أ- الجن في اللغة:

قال ابن فارس: ((الجيم والنون أصل واحد، وهو الستر والتستر))[1].

وأصل الجن: ستر الشيء عن الحاسة، يقال: جنه الليل وأجنه وجن عليه، فجنه: ستره، وأجنه جعل له ما يجنه، وجن عليه كذا: ستر عليه[2].

وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه[3].

ب- معنى الجن اصطلاحاً:

هم خلقٌ من خلق الله، خلقهم الله من نار السموم، أرواح عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية، مستترون عن الحواس، لا يُرَوْن على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكل[4].

وطنطاوي جوهري - ﷺ - نقل في تفسيره بعض تعريفات العلماء للجن.

فقال - ﷺ -: ((اعلم أنّ علماءنا - رحمهم الله – قد ذكروا أنّ الجن أجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية.

ومن قال منهم: إنهم أرواح مجردة، فهو لا ينافي ما تقدم، لأن الأرواح المجردة منها هو أقرب إلى عالم المادة، وهم هؤلاء الجن، ومنهم من هو أقرب إلى عالم الروح، أي: إنه خلص من المادة، وهم المسمون ملائكة، ومنهم من قال: إنهم هم النفوس البشرية التي ماتت، وهذا لا

---

(١) معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (٤٢١/١).

(٢) انظر المفردات في غريب القرآن – للراغب الأصفهاني ص٢٠٣، وتهذيب اللغة – للأزهري (٢٦٥/١٠)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – للفارابي (٥/ ٢٠٩٤)، ولسان العرب – لابن منظور (١٣/ ٩٢).

(٣) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر – لابن الأثير (١/ ٣٠٧)، ولسان العرب – لابن منظور (١٣/ ٩٢).

(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل – لابن حزم (٩/٥)، والعقائد الإسلامية - سيد سابق، ص١٣٣، وعالم الجن والشياطين - عمر الأشقر ص١١، وموسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة - عدد من المختصين (٨٨٨/٢).

ينافي القولين السابقين، لأن النفوس البشرية من كان منهم أقرب إلى الشر وهو عالم المادة وذنوبه وشروره فهذا يسمى جناً، ومن كان منهم يقرب من عالم الأرواح المجردة تجريداً تاماً، فهو ملحق بالملائكة))[1].

وبذلك قد وافق طنطاوي جوهري مذهب أهل السنة والجماعة بالجملة في تعريفه للجن في قوله بأنها أجسام عاقلة نارية...

إلاّ أنه أخطأ في تعريف الجنَّ بقوله: بأنهم هم النفوس البشرية التي ماتت، كأنه يقول في ذلك أنّ النفوس البشرية الشريرة تتحول إلى عالم الجن بعد مفارقتهم الأجساد.

لاريب أنَّ قوله هذا باطل لم يثبت في الشرع شيء من ذلك، بل الذي قرره القرآن والسنة: هو أنّ الأرواح بعد مفارقة الأجساد إما أن تكون في أعلى العليين كأرواح المؤمنين، وإما أن تكون لفي سجين في مكان ضيق أسفل الأرض[2].

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ((هذا القول ونحوه ليس من أقوال المسلمين واليهود والنصارى؛ وإنما هو من أقوال الملاحدة المتفلسفة الذين يجعلون "الملائكة" قوى النفس الصالحة، "والشياطين" قوى النفس الخبيثة،...ونحو ذلك من المقالات التي يقولها أصحاب "رسائل إخوان الصفا" وأمثالهم من القرامطة الباطنية، ومن سلك سبيلهم من ضلال المتكلمة والمتعبدة. وقد يوجد نحو هذه الأقوال في أقوال المفسرين التي لا إسناد لها يعتمد عليه))[3].

المطلب الثاني: الإيمان بوجود الجن:

ومن الإيمان بالغيب الإيمان بوجود الجن في العالم، وأنهم خلقٌ من خلق الله أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة بل مأمورون منهيون ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالإنسان أو غيره، خلقهم الله من النار السموم، أمة متعبدة متناسلة يموتون، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية، مستترون عن الحواس، لا يُرَوْن على طبيعتهم، ولا بصورتهم الحقيقية، ولهم قدرة على التشكل[4].

وقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع العلماء على وجود الجن.

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٩٩/٢٤).

(٢) انظر عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة - د. عبد الكريم نوفان عبيدات ص١٥٩.

(٣) مجموع الفتاوى – لابن تيمية(٣٤٦/٤).

(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل – لابن حزم (٩/٥)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٠/١٩).

- فالأدلة على وجود الجن في القرآن الكريم والسنة والنبوية مستفيضة كثيرة، منها:

ما أنزل الله ﷻ في كتابه العزيز سورة كاملة بخصوصهم، فسماها باسمهم وهي سورة الجن، فقال تعالى في مطلعها مخبراً بأنهم استمعوا لآيات القرآن الكريم : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾[الجن:٢]، وأنهم مكلفون ومأمورون بالتوحيد والعبادة مثل الإنس، فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات:٥٦]، وقال تعالى:﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾[الأنعام:١٣٠]، وتحدى الله ﷻ الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾[الإسراء:٨٨]، ونفى الله ﷻ عنهم علم الغيب الذي كانوا يدعون معرفة ذلك، فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[سبأ:١٤].

ولامجال لإنكار هذا النوع من المخلوقات، لما عُلم من أنّ القرآن الكريم قد ثبتت صحته، لأنه منقول إلينا بالتواتر، فعلى هذا الأساس إنكارهم يكون تكذيباً لخبر الله عنهم دون حجة أو برهان، ووجودهم بشكل قاطع وجود لا يحتمل التأويل بأي شكل من الأشكال(١).

ومن السنة النبوية:

- ما ورد في الحديث الشريف عن بيان أصل المادة التي خلقوا منها، في حديث عائشة - ﵂ -، قالت: قال رسول الله - ﷺ -: ((خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم))(٢).

- وعن عبد الله بن عباس - ﵄-، قال: ((انطلق النبي - ﷺ - في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي - ﷺ -وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي

(١) انظر عالم الجن— د. عبد الكريم نوفان عبيدات ص٨٠.

(٢) رواه مسلم في (كتاب الزهد وارقاق، باب في أحاديث متفرقة)، (٤/٢٢٩٤) حديث رقم: (٢٩٩٦).

بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك حين رجعوا إلى قومهم، وقالوا: يا قومنا: ﴿ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴾[الجن:٢]،فأنزل الله على نبيه – ﷺ –: ﴿ قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ ﴾[الجن:١]، وإنما أوحي إليه قول الجن))[(١)].

– وعن عبد الله بن مسعود– ﷺ – قال: ((كنا مع رسول الله ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب. فقلنا: استطير أو اغتيل. قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء. قال: فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم. فقال: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: " لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم. فقال رسول الله – ﷺ –: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم»))[(٢)].

فبهذا يعلم لما سبق أنَّ إنكار وجود الجن هو تكذيب وجحود للأدلة الصحيحة الصريحة من الكتاب والسنة.

وممن حكى الإجماع:

شيخ الإسلام – ﷺ – حيث قال: ((أنّ جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن، وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب، وكذلك عامة مشركي العرب وغيرهم من أولاد الهذيل والهند وغيرهم من أولاد حام، وكذلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث.

فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم سواء أكان ذلك سائغا عند أهل الإيمان أو كان شركا))[(٣)].

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الآذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر) (١/١٥٤)، حديث رقم: (٧٧٣) (٤٩٢١)، ورواه مسلم في (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن) (١/ ٣٣١) حديث رقم: (٤٤٩).

(٢) رواه مسلم في (كتاب الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن) (١/٣٣٢) حديث رقم: (٤٥٠).

(٣) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٩/١٣).

وقال أيضاً – ﷺ – بأنَّـ: ((جماهير الأمم يقر بالجن ولهم معهم وقائع يطول وصفها، ولم ينكر الجن إلا شرذمة قليلة من جهال المتفلسفة والأطباء ونحوهم، وأما أكابر القوم فالمأثور عنهم: إما الإقرار بها. وإما أن لا يحكى عنهم في ذلك قول))[1].

وإمام الحرمين – ﷺ – **كذلك حكى**: ((إجماع كافة العلماء في عصر الصحابة والتابعين على وجود الجن والشياطين والاستعاذة بالله تعالى من شرورهم ولا يراغم مثل هذا الاتفاق متدين متشبث بمسكة من الدين))[2].

المطلب الثالث: دلالة العقل على إثبات الجن:

ومما يعلم أنَّ وجود الجنِّ في العالم معلوم من الدين بالضرورة.

وفي هذا **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** – ﷺ –: ((وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة))[3].

والحس والعقل كذلك دل على وجودهم في العالم.

فدلالة الحس على وجود الجن كثيرة وشواهدها مستفيضة بين أخبار الأمم، ومن ذلك هذه الأدلة السمعية الواردة عن الرسول – ﷺ – في وجود الجن – الآنفة ذكرها –، فهي أيضاً تدل دلالات حسية من جهة أخرى على وجودهم، إذ قد ثبت رؤيتهم له – ﷺ – ولنفر من أصحابه الذين رافقوه عند ذهابه لتكليم الجن وقراءة القران عليهم، ومثل هذا قد حصل لأبي هريرة – ﷺ – عندما جاءه الشيطان في صورة رجل فقير فجعل يحثو من مال الصدقة[4].

---

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣٢/١٩).

(٢) نقلت له من كتاب: آكام المرجان في أحكام الجان – محمد بن عبد الله الشبلي، ص٧،

(٣) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٩/١٩).

(٤) رواه البخاري في (كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز) (١٠١/٣)، حديث رقم: (٢٣١١) (٣٢٧٥)، (٥٠١٠).

وما حصل كذلك من أخذ الرسول – ﷺ – للشيطان وخنقه إياه عندما جاءه ليقطع عليه صلاته، وكاد – ﷺ – أن يربطه في سارية من سواري المسجد ليراه الناس، لولا دعوة نبي الله سليمان عليه السلام لهم كما قال – ﷺ –. (١).

وغير ذلك من الروايات التي تحمل دلالات حسية على رؤية الجن مما لا يجعل مجالاً للشك في وجودهم(٢).

ودلالة العقل كذلك لا تمنع من وجود عوالم غائبة عن حسنا كعالم الجن، لما ثبت عن وجود أشياء كثيرة في هذا الكون ولم يرها الإنسان ولكنه يحس بوجودها، وعدم رؤية الإنسان لشيء من الأشياء لا يستلزم عدم وجوده، إذ الموجودات أعظم من المشاهدات.

وبذلك قد ثبت من طريق القرآن الكريم، ومن طريق السنة الصحيحة وجود عالم يختلف عن الإنسان يسمى عالم الجن، وهذا القرآن ليس من تأليف الرسول – ﷺ – أو من تأليف أحد من البشر على الاطلاق، فعندئذ وجب التصديق بهذا الإخبار الصحيح عن الله ﷻ وعن رسوله – ﷺ –، ولاعتبار بجهل الإنسان بهذا العالم مادام المخبر صادقاً(٣).

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – يثبت وجود الجنِّ بالدليل السمعي فقط، وأما الدليل العقلي لم يثبت به ذلك.

فقال – رحمه الله –: ((عالم لا نراه وهم الجن، وهذا العالم لم يعرف في دين الإسلام إلا من طريق الوحي، وليس للعقل عليه من دليل، ولقد أصبح العالم المستتر عنا اليوم هو الشغل الشاغل لنوع الإنسان، وظهرت آيات الله الكبرى في الكرة الأرضية، وأصبح العلماء في أوروبا يجدون في مباحث هذه العوالم...))(٤).

وقال أيضاً : ((يا للعجب! سورة «الجن» سورة لا تعرفها العقول، وتبقى في أمة الإسلام ألفاً وثلاثمائة سنة وعشرات السنين تتلقاها أمم عن أمم، وأجيال عن أجيال، ثم يأتي هذا العصر فتظهر الحقائق.

---

(١) رواه البخاري في (كتاب الصلاة، باب الأسير – أو الغريم – يربط في المسجد) (٩٩/١)، حديث رقم: (٤٦١) (٤٨٠٨)، ورواه مسلم في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة، والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة) (١/ ٣٨٤) حديث رقم: (٥٤١).

(٢) انظر عالم الجن– د. عبد الكريم نوفان ص٨٢، وعالم الجن والشياطين – عمر الأشقر ص١٥.

(٣) انظر عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة — د. عبد الكريم نوفان، ص٨٢.

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣٠١/٢٤).

يا عجباً! إن هذه من السمعيات، التي لا دليل عليها من العقل، ثم إنها تبقى محفوظة مقروءة حتى يأتي وقتها وتظهر في أوروبا علم الأرواح))[1].

فطنطاوي يرى أنَّ العقل لم يكتشف وجودهم إلاّ في هذا العصر، بفضل ماوصلت إليه العلوم الحديثة، وعلى ذلك ارتقى هذا العلم من الإمكان العقلي إلى الإثبات العقلي اليقيني.

والصحيح أنّ وجود الجن ثابت بالإمكان العقلي كما هو ثابت بالوحي، ولا يحتاج إلى إثبات وجودهم الاستشهاد بالعلوم الحديثة، لأنَّ وجودهم معلوم من الدين بالضرورة، وكذلك جميع طوائف البشر مسلمهم وكافرهم مقرين على وجود عالم الجن.

حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – **في ذلك:** ((لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ولا في أن الله أرسل محمداً – ﷺ – إليهم، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين وإن وجد فيهم من ينكر ذلك، وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك، كما يوجد في طوائف المسلمين الغالطون والمعتزلة من ينكر ذلك وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك.

وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة، بل مأمورون منهيون، ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة، فلما كان أمر الجن متواتراً عن الأنبياء تواتراً ظاهراً تعرفه العامة والخاصة))[2].

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٩٨/٢٤).

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٩/١٩).

المبحث الثالث: عالم الأرواح

المطلب الأول: تعريف الروح:

أ- الروح في اللغة:

قال ابن فارس -رحمه الله-: ((الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة وفسحة واطراد، وأصل ذلك كله الريح. وأصل الياء في الريح الواو، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها، فالروح روح الإنسان، وإنما هو مشتق من الريح))[(١)].

الروح: هي النفس التي يحيا بها البدن، يقال: خرجت روحه، أي: نفسه، ويقال: خرج، ولفظ الروح يذكر ويؤنث، وجمعها أرواح[(٢)].

ب- معنى الروح اصطلاحاً:

وأصح الأقوال في تعريف الروح: هو أنه خلق من خلق الله عين قائمة بنفسها تفارق البدن، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك، ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، وهو حي بنفسه يتصف بالخروج والدخول وغيرهما من صفات الأجسام[(٣)].

وطنطاوي جوهري - رحمه الله - عرف الروح بأنه جوهر قائم ينفسه وباقٍ بعد موت الإنسان.

فقال -رحمه الله-: ((أنّ الأرواح جواهر قائمة بنفسها باقية بعد الموت حق وصدق، وهذا ما اتفق عليه الشرع والعقل))[(٤)].

---

(١) معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (٢/٤٥٤).

(٢) انظر العين – للفراهيدي (٣/ ٢٩١)، والنهاية في غريب الحديث والأثر – لابن الأثير (٢/ ٢٧١)، والمفردات في غريب القرآن – للأصبهاني (١/ ٢٠٥)، ومختار الصحاح – للرازي ص ١٣١، ولسان العرب – لابن منظور (٢/ ٤٦٢)، والقاموس المحيط – للفيروز آبادي ص ٢٢٠.

(٣) انظر شرح النووي على مسلم (٣٢/١٣)، ومجموع الفتاوى (٣٤١/١٧)، والروح – لابن القيم ص ١٧٨، وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٣٧٢، وتفسير الألوسي (١٥٧/١٤).

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٥١/١)، وطنطاوي موافق للرازي في تعريف الروح انظر تفسير الرازي (٧٣٥/٣٠).

وهو بذلك وافق مذهب أهل السنة والجماعة في تعريف الروح، وفي قوله كذلك بأنّ الروح قائمة بنفسها أثبت أنه ليس جوهر عقلي كما قال بذلك المتفلسفة من المتكلمين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ((ومذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر سلف الأمة وأئمة السنة: أن الروح عين قائمة بنفسها تفارق البدن وتنعم وتعذب ليست هي البدن ولا جزءا من أجزائه كالنفس المذكور))[1].

المطلب الثاني: الإيمان بإثبات الروح:

ومن الإيمان بالغيب الإيمان بوجود الروح، وأنه عين قائمة بنفسها تفارق البدن، محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة وهذا معلوم بالضرورة من دينهم ومضى على هذا الصحابة والتابعون[2].

وقد دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة على إثبات ذلك[3]:

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[الزمر:٤٢]، فأخبر الله ﷻ بتوفي الروح وإمساكها وإرسالها، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾[الفجر:٣٠]، فوصف الله ﷻ الروح في الآية بأنها سترجع وتدخل في الأبدان وهي راضية، قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[الأنعام:٩٣]، قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء:٨٥].

---

(١) المرجع السابق (٣٤١/١٧).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٣٤١/١٧)، والروح – لابن القيم ص ١٧٨، وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٣٧٢.

(٣) انظر الروح – لابن القيم ص ١٧٨.

ومن السنة النبوية:

حديث أم سلمة- ﵂ -، قالت: دخل رسول الله - ﷺ - على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال: ((إن الروح إذا قبض تبعه البصر))[1].

وعن أنس بن مالك- ﵁ -، أن رسول الله - ﷺ - قال: ((لما نفخ في آدم، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله))[2].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وممن حكى الإجماع على أنها مخلوقة موجودة:

الإمام ابن أبي العز الحنفي- ﵀ - حيث يقول في ذلك: ((واتفق أهل السنة والجماعة أنها مخلوقة وممن نقل الإجماع على ذلك : محمد بن نصر المروزي و ابن قتيبة وغيرهما))[3].

المطلب الثالث: بقاء الأرواح بعد موت الإنسان:

ومما يعتقد به أهل السنة والجماعة أنّ الأرواح تبقى بعد مفارقة الأجساد، أي أنها لا تفنى بعد موت الإنسان، بخلاف طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية الذين ينكرون بقاء الروح بعد فراق البدن[4]، ولا شك أنّ هذا قول باطل ومخالف لما دل عليه الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - ﵀ -: ((ثبت في الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة))[5].

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر) (٦٣٤/٢) حديث رقم: (٩٢٠).

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٣٧/١٤) (٦١٦٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث (٢١٥٩).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية - لابن أبي العز الحنفي ص٣٧٢، وانظر الروح – لابن القيم ص ١٧٨، ولوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٢/ ٣٣).

(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل – لابن حزم (٥٧/٤)، والمعْلم بفوائد مسلم - لأبي عبد الله المازري (٣٥٧/٣)، والروح – لابن القيم ص ٥١.

(٥) مجموع الفتاوى (٢٨٣/٤).

ويقول – ﷺ – **في موضع آخر**: ((والأرواح مخلوقة بلا شك وهي لا تعدم ولا تفنى؛ ولكن موتها مفارقة الأبدان وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان))[1].

ويقول الإمام ابن القيم – ﷺ –: ((قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة))[2].

يقول ابن أبي العز الحنفي – ﷺ –: ((الصواب أن يقال : موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب، وقد أخبر سبحانه أنَّ أهل الجنة ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ﴾[الدخان:٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد))[3].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – قد أقرّ ما قرره أهل السنة والجماعة ببقاء الأرواح بعد مفارقة الأبدان.

فقال– ﷺ –: ((إنّ بقاء العناصر الأرضية بعد الانحلال دليل على بقاء أرواحنا بعد الموت، وكيف تبقى هذه العناصر المعتمة المظلمة الميتة، وتهلك تلك الأرواح الطاهرة المنيرة الحية العالية، بل كان الأجدر بالقياس أن تهلك المادة وتبقى الأرواح، فإذا بقي الأخس فالأشرف أولى بالبقاء، لأن الروح إذا كانت بسيطة كما هو إجماع الحكماء، فكيف تفنى؟ والفناء إنّما هو تفريق كما تفرق الجسم عن البدن المركب من عنصرين: روح وجسم، ففناء الأرواح ليس يقبله العقل بالكلية))[4].

إلاَّ أنه يرى أنَّ بقاء الأرواح سماعي لا برهان عقلي على بقاءه.

فقال– ﷺ –: ((أنّ بقاء الروح في الدين سمعي لا برهان عليه، وإنما للرسل معجزات تقنع تابعيهم أنهم مبلغون عن الله، ثم بعد ذلك ما يقولونه من الله يكون مقبولاً، فكل ما جاء عن الرسل يقبله أتباعهم بلا نكير، ولكن من الأتباع من لا يكتفي بالتقليد والسماع، ويريد أن يقف على الحقائق بنفسه، ويقول:

---

(١) المرجع السابق (٤/٢٧٩).

(٢) الروح – لابن القيم ص ٥١.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٣٧٦.

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٢٨٦).

لي عقل فلم خلق؟ هل خلق للاتباع بلا بصيرة ولا فكر، فلذلك لم يترك الدين هنا الناس في حيرة، فجعل على العامة التقليد، وأما الأذكياء فسبيلهم النظر، وإذا فرطوا في نظرهم أثموا كما يأثم العامة لو

حاولوا الاستقلال بالرأي في الدين الذي لا يطيقونه، فما نصبه الله للخاصة والأذكياء في القرآن أمثال هذه القصة، فتجد أن إبراهيم الخليل مأمور بالتحليل فذبح الطيور وفرقها، ثم دعاها فجاءت، واعلم أنّ هذا فتح باب للبرهنة على بقاء الأرواح، والقول وإن كان في ظاهره للعامة فهو في باطنه للخاصة))[1].

ثم استدل طنطاوي على بقاء الأرواح ببرهانين اثنين: بالنظر العقلي الذي أتى به الفلاسفة، وبعلم الأرواح[2].

نقول لطنطاوي في قوله: أنَّ بقاء الأرواح سماعي لا برهان عقلي على بقاءه.

أنَّ هذا القول باطل ومخالف لما عليه مذهب أهل السنة والجماعة، لأنّ الحديث عن عالم الروح زائداً عما ورد في الشرع، فهو من الخوض في الأمور الغيبية التي يجب فيها على المسلم الوقوف عند النصوص الشرعية، لأنَّ هذا مما استأثر الله تعالى بعلمه، وهذه وحدها هي المنطقة الفكرية المحظورة في الدين .. وهي تتعلق بمعرفة الغيب الذي لا يتطاول إليه الحس ولا العقل، وعمل العقل فيه عبث لا طائل تحته، لا ينتهي فيه الخلاف بين الناس إلى حقيقة ثابتة ينقطع عندها اختلافهم، ولذلك فهو يضر ولا ينفع، وأن كل الاجتهادات التي تطرح في هذا المجال لا تعدو إلا أن تكون حديثا في الغيب وعن الغيب دون دليل شرعي أو عقلي واحد .

وقد ظن المشغولون بتحضير أرواح الموتى أنهم قد اقتحموا هذه المنطقة المحظورة حين تخطوا بزعمهم حاجز الموت إلى ما وراءه، وكان الطموح إلى معرفة المجهول وكشف المستور هو الذي اجتذب كثيراً منهم إلى هذه الدعوة وأوقعهم في حبائل الداعين إليها.

وواقع الأمر أنهم كانوا بين خادع ومخدوع، فالخادعون يروجون الباطل وهم يعلمون أنه باطل، ويموهون على الناس، والمخدوعون يظنون أنهم على الحق تحت تأثير

---

(١) المرجع السابق (٢٩٣/١).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٩٣/١).

ما يصوره لهم الوهم وما قد يقع لهم من الغرائب[1]، وطنطاوي جوهري – ﷺ – لعله ممن خدع بذلك.

المطلب الرابع: تحضير الأرواح:

أولاً: **المراد بتحضير الأرواح:**

هو الاتصال بالعالم الروحي غير المنظور، اعتقاداً ببقاء الروح بعد الموت، وأنَّ لها – في زعمهم – اتصالاً بالأحياء بواسطة فعل – مادة أو روح – متمثلاً في ظواهر روحانية مختلفة من كشف وتخاطر وكلام ورؤية، أو في ظواهر أخرى فيزيقية مثل تحرك المنضدة أو الكتابة الآلية ونحو ذلك [2].

وقد عرفه القسطنطيني[3] صاحب كشف الظنون بأن هذا العلم هو: ((استنزال الأرواح واستحضارها في قوالب الأشباح، وهو من فروع علم السحر... وأنَّ تسخير الجن... من غير تجسدها، وحضورها عندك، يسمى: علم العزائم، بشرط تحصيل مقاصدك بواسطتها.

وأما حضور الجن عندك، وتجسدها في حسك، يسمى: علم الاستحضار، ولا يشترط تحصيل مقاصدك بها))[4].

طريقة تحضير الأرواح:

فهي بزعمهم لا يتم ذلك إلاّ من خلال وسيط ذي مواصفات و استعدادات جسدية ونفسية خاصة، من خلال الاجتماع في مكان يسوده الظلام به غرفة خاصة معزولة لا يعرف ما يجري بداخلها، على أن يشهد العملية عدد يتراوح ما بين العشرة إلى الخمسة عشر شخصا، ويشترط لنجاح الجلسة عندهم مواظبة نصف العدد على الحضور بصفة دائمة [5].

---

(١) انظر الروحية الحديثة دعوة هدامة تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية – د.محمد محمد حسين ص٩.

(٢) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – د. مانع الجهني (١٠٠٩/٢).

(٣) هو محمد بن محمود بن حاجي الشرواني ثم القسطنطيني، طبيب مستعرب، من أهل (شيروان) في بخارى. انتقل إلى القسطنطينية، وكانت له معرفة بالتفسير والحديث وعلوم العربية، وتوفي سنة: ٨٨١هـ. وله كتب، منها (روضة العطر – في الطب، وكشف الظنون. انظر الأعلام للزركلي (٨٨/٧)، ومعجم المؤلفين (٣١٦/١١).

(٤) كشف الظنون – حاجي خليفة (٨٠/١).

(٥) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – د. مانع الجهني (١٠٠٩/٢).

إذاً تحضير الأرواح هو: عبارة عن استحضار جني يُدعى بأدعية وتعاويذ ينقل من خلالها الأخبار[1].

فالخلاصة أنَّ تحضير الأرواح هو تحضير الجِنِّ ولا يجوز الاعتماد على ما تخبر به هذه الأرواح، فقد تكون صادقة وقد تكون كاذبة فيما تقول.

ومعلوم أنَّ تحضير الجنِّ أمرٌ ممكنٌ غير مستحيل، لعدم ورود ما يمنعه، ولحدوثه واقعاً والذي لا يمكن ويستحيل وقوعه هو تحضير أرواح الملائكة وأرواح بني آدم، ويسمَّى خرافة [2].

ثانياً: **موقف الإسلام من تحضير الأرواح:**

فإنّ النصوص الشرعية الواردة في أمر الروح تعطي حكماً جازماً أنَّ حصول ذلك الأمر مستحيل، ولا يعرف أحداً مصيرها فضلاً عن إحضارها، فقد أخبرنا الله أنَّ الروح من عالم الغيب الذي لا سبيل إلى إدراكه، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٥].

والله ﷻ أخبرنا أنه يتوفى الأنفس، وأنه يمسك النفوس عند موتها: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[الزمر:٤٢].

وقد بين لنا الرسول – ﷺ – كيفية قبض ملك الموت الأرواح وما يفعل بها بعد ذلك، والأرواح إذا كانت مُمْسكة عند ربها وكل الله بها حفظة أقوياء مهرة، فلا يمكن أن تتفلت منهم، وتهرب لتأتي إلى هؤلاء الذين يتلاعبون بعقول العباد.

وبعض هؤلاء يزعم أنه حضّر روح عبد من عبيد الله الصالحين من الأنبياء والشهداء، فكيف يتركون جنان الخلد إلى حجرة التحضير المظلمة، فقد أخبرنا الله أن الشهداء أحياء عند ربهم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

---

(١) المعتصر شرح كتاب التوحيد – علي الخضير ص١٣٤.

(٢) الإيمانُ بالجِنِّ بينَ الحقيقةِ والتَّهْويلِ – علي بن نايف الشحود ص٣١٥.

وقد بين الرسول – ﷺ – ((أنَّ أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءَت، ثمّ تأوي إلى تلك القناديل)) [1].[2].

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – استدل على علم تحضير الأرواح وعلى صحته وثبوته صدقاً وفعلاً بقوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[البقرة، ٧٣]، ((وذكر بأنَّ هذا العلم تم استخراجه من هذه الآية، إذ المسلمون كانوا يتلون هذه الآية ويؤمنون بها بالتسليم حتى ظهر علم تحضير الأرواح بأمريكا أولاً، ثم بسائر أوروبا ثانياً.

فلأذكر نبذة منه لتعرف كيف كان مبدأ هذا العلم وكيف كان انتشاره بين الأمم، وفائدة هذا العلم أنَّ من صحت عنده أحوال الأرواح وظهورها أيقن بالآخرة وبالحياة بعد الموت إيقاناً تاماً. وأما من لم تصح عنده فإنه مقلد كسائر الناس.

ولتعلم أنَّ هذا العلم متشعب اختلط فيه الحق بالباطل، والصدق بالكذب، وصار الناس فيه طائفتين:

طائفة مكذبة وطائفة مصدقة، ولكل حجج ليس هذا محلها، ولكن بالإجمال أقول: إنَّ في العلم التباساً كثيراً وشكوكاً بسبب الأحوال الطارئة على المشتغلين به، وكان الأولى بأمة الإسلام أن تكون السابقة في مضماره، المجدة في تعلمه، المتقدمة على سائر الأمم في تحصيله لتهدي الناس إلى سواء الصراط.

أفلا يرى المسلم ما جاء في هذه السورة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، وفعل إبراهيم ذلك، وقطع الطير ودعاها فأجابت فاطمأن، وهل نحن أكثر إيماناً من إبراهيم؟ كلا، فإذا كان إبراهيم يطلب اليقين بالمعاينة فنحن أولى، والأنبياء أعلم منا، فكان يجب على المسلمين أن يكونوا هم البادئين بعلم إحضار الأرواح لا أمريكا، لأن الله ذكر لنا في سورة البقرة هنا انهم ضربوا القتيل فحيي وأخبر بمن قتله، وهو الذي كان وارثاً له فحرم الميراث، وإذا صح هذا في نفس واحدة فجميع الأنفس يجب أن تكون كذلك وأنها حية بعد الموت،

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون) (١٥٠٢/٣) حديث رقم: (١٨٨٧).

(٢) انظر عالم الجن والشياطين – لعمر الأشقرص١١١

وليس يمكن أن يكون هذا يقيناً إلا إذا رأيناه بأنفسنا في زماننا بلا شك، وأنا لنا ذلك الا بالكد، والنصب، والتعب، والسهر ليلاً ونهاراً في العلم والعمل)) [1].

لاشك أنَّ ما ذهب إليه طنطاوي جوهري - رحمه الله - في ثبوتية تحضير الأرواح واعتقاد صحة إمكانية إحضارها مخالفة صريحة منه لمدلول القرآن الكريم والسنة النبوية.

أولاً: أنَّ الحديث في علم الأرواح هو إقحام المرء نفسه في الأمور الغيبية التي لا يعلم حقيقتها إلاَّ الله، كما قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، ومعلومٌ أنَّ أمر الغيب وأحداثه، وأمر الروح ومصيرها، بيد الله وحده، ولم يعط الخالق أمر الغيب لأحد لا من الإنس أو من الجن، ولا من الملائكة ولا من الأنبياء ولا الأولياء، قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ [الجن: ٢٦].

ثم ما استدل به طنطاوي بآيات القرآن على صحة هذا الأمر، فهو خطأ وسوء فهم منه – غفر الله له –، فإنَّ قتيل بني إسرائيل وكذا طيور إبراهيم قامت بأرواحها وأجسادها معًا معجزةً من الله تعالى لنبيه موسى وإبراهيم – عليهما السلام – وبدون وسيط.

وأما مدعو تحضير الأرواح إنما يحضرون قرين الميت من الجنِّ الذي عاش معه طوال حياته، وعرف كل شيء عنه، فإنَّ كل إنسان له قرين.

وتكليم الجني للإنسان على لسان إنسان آخر أمر ثابت، وتحريك الجني لقلم يكتب، أو لسلة ترسم بوساطة قلم، أو لأثاث حجرة ليكسر أو لغير ذلك مما نسمع عنه أمر ممكن وواقع فيما مضى ويقع الآن كثيراً، والمتتبع لهذا الأمر يجد الغرائب التي لا شك فيها.

فهؤلاء يظنون أنهم يخاطبون تلك الروح التي أرادوا تحضيرها، ولا يعلمون أنهم إنما يخاطبون قرينه من الجن، هذا إن صدَّقناهم أنهم يخاطبون أحداً أو يسمعون كلامه.

ومما يدل كذلك على كذبهم ما زعموه من تحضير أرواح بعض الكفار فوجدوهم في نعيم مقيم، وهو ما كذَّبه الله في القرآن الكريم من دخول الكافرين النار، ثم ما يعمل من المنكرات التي تفعل في مجالس التحضير مما يوافق هوى الشيطان ولا يَمُتُّ إلى الدين بصلة [2].

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/١٠٠).

(٢) انظر المذاهب الفكرية المعاصرة – د. غالب بن علي عواجي (٢/٨٨٨).

ثانياً: أنَّ أرواح الموتى بعد موتهم لا سلطان لأحد عليها بتسخير أو تحضير أو غير ذلك لأن هذه الأرواح ذهبت إلى خالقها لتلقى مصيرها حسب عملها، فهي في روضة من رياض الجنة، أو في حفرة من حفر النار، وتلك حياة برزخية غيبية لا سلطان لأحد عليها غير الله تعالى.. وقد قال تعالى في مصير الإنسان بعد موته: ﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾[الواقعة: ٨٨ - ٩٤].

ثالثاً: لم يثبت أنَّ نبياً مرسلاً أو صحابياً أو تابعياً أحضر روح ميت ليسأله عن أمر من الأمور، وكثيراً ما تأزمت أمور وتعقدت مسائل ووجدت قضايا لو قال الميت فيها كلمة واحدة لانتهى الأمر المعضل، وكان ذلك يحدث في حياة المرسلين الذين جاءوا بالمعجزات الباهرة، ومع ذلك لم تحدث مرة واحدة في عصرهم هذا الأمر، وكل ما سمعناه عن الاتصال بأرواح الموتى إنما هو ما يحدث في المنام لا في اليقظة، وأما إحياء عيسى عليه السلام الموتى فليس تحضيراً للأرواح إنما هو إحياء للجسم مع الروح، وكذلك إحياء الله ميت بني إسرائيل على يد موسى عليه السلام.

رابعاً: أنَّ أرواح الموتى لو أحضرت لفاحت منها ومن أخبارها وتصرفاتها رائحة النعيم أو العذاب، ولعرفنا منها أخباراً حقيقة عن أهل الجنة وأهل النار، وعن نعيم الجنة وعذاب النار، وأخبار القبور، والأسئلة والأجوبة بالنسبة للموتى، ولاتضح لنا كل ما يتصل بالعالم الآخر أو أكثره، ولأمكن نشر ذلك كله على الناس ودعوتهم لسماعه، وذلك ما لم يحدث بكيفية علمية مؤكدة.

خامساً: لو أنك تتبعت كل ما قيل عن تحضير الأرواح لخرجت بنتيجة واحدة هي: أن كل ما قيل عن الأرواح أنها قالته أو عملته، قيل وثبت عن الجن أنها قالت مثله وفعلت مثله.

فتحضير الجن كتحضير الأرواح - غير أن ما سمي تحضير الأرواح ألبس ثوباً علمياً ليتوافق مع هذا العصر، وطنطاوي جوهري - رحمه الله - ممن خدع بذلك باسم العلم الحديث.

سادساً: الأرواح التي تستحضر تراوغ، وتخلف الوعد، وترضى بالمنكر في مجالسها، وتؤذي بعض الناس، وتكسر الأشياء، وقد تقوم بأعمال بهلوانية: كالرقص والتلون بألوان مختلفة وإضاءة الحجرة والإخبار ببعض ما يحدث بين الناس وفي العالم مما لا يراه ولا يعلمه المحضرون، وهذا كله يصدق على الجن، إذاً المستحضر هو الجن وليس الروح.

سابعاً: أنَّ الأرواح بعد فراق الأجساد محكومة بناموس وسر إلهي فلا يمكن لأحد أن يتسرب إليها ولا أن يسخرها هذا التسخير المزري ولا يمكن لها إلا أن تكون صورة صادقة للعالم الآخر وذلك ما لم يحدث أبداً في عالم ما يسمونه تحضير الأرواح.

... وخلاصة القول بعد عرض الأمور السابقة أن كل ما قيل في تحضير الأرواح المزعومة قيل في تحضير الجن، وأن كل ما تفعله الجن تفعله الأرواح،

ولن نستطيع حين ندرس تحضير الجن، وتحضير الأرواح أن نجد أي فارق في النتيجة والأثر.

إذا عرفنا هذا وعرفنا أنَّ هذا الذي يحدث في تحضير الأرواح المزعومة هو نفسه أعراض الجن وأعمالها، وأضاليلها ثم عرفنا مع ذلك أنَّ أرواح الموتى لا تسخر لأحد، ولا تحيا حياتنا، ولا يمكن أن تكذب، أو تخدع، أو تدعي غيباً مستقبلاً كما أنها مشغولة بما هي فيه من نعيم أو عذاب ... الخ.

إذا ثبت هذا كله في ذهن القارئ أدرك أنَّ تحضير الأرواح هو بيقين تحضيرٌ للجن لا لأرواح الموتى.

والجني بحكم طبيعته يستطيع أن يخبرك عن الماضي البعيد، وأن يتشكل في صور أهله وأن يعرف من قرين الميت ما كان عليه الميت، وما كان عنده من أسرار كما يستطيع الجني بسهولة أن يعرف أماكن بعض الأشياء، كما يدل على المسروقات أحياناً، ويخبر ببعض الأحداث التي تغيب عن كثير من الناس، أما علمهم بالمستقبل فأمر غير ممكن، لكن يمكن التخمين كتخمين البشر فيصدق أحياناً ويتحقق تخمينه، فيظن الناس أنه يعلم المستقبل وهو أبعد ما يكون عن علمه، فثبت بهذا أن تحضير الأرواح هو تحضير للجن لا لأرواح الموتى – وأي موتى هؤلاء الذين يرضون بعد لقاء ربهم أن يعودوا إلينا في دار الفناء والشر والبلاء[1].

(١) انظر تبسيط العقائد الإسلامية – حسن محمد أيوب ص٢٠٢ – ٢٠٦.

الباب الرابع

آراء طنطاوي جوهري في مسائل الإيمان والأسماء والأحكام والقدر

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مسائل الإيمان والأسماء والأحكام.

الفصل الثاني: مسائل القدر.

الفصل الأول
مسائل الإيمان والأسماء والأحكام

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مسائل الإيمان.

المبحث الثاني: مسائل الأسماء والأحكام.

المبحث الأول: مسائل الإيمان

المطلب الأول: مفهوم الإيمان:

أولاً: **تعريف الإيمان في اللغة:**

ذهب جمع من أهل العلم إلى أنّ الإيمان في اللغة: هو التصديق، فمنهم **الجرجاني حيث قال:** ((الإيمان: في اللغة: التصديق بالقلب))[1].

وبعضهم ذهب إلى أنَّ الإيمان في اللغة يتضمن معنيين اثنين: التصديق والقرار بمعنى سكون القلب وطمأنينة النفس.

قال ابن فارس: ((الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضدّ الخيانة، ومعناها سُكون القلب، والآخر: التصديق. والمعنيان كما قلنا متدانيان))[2].

وأبو عبيد القاسم بن سلام[3] – ﷺ – سمى الإيمان في اللغة بلفظ الإقرار عند بيانه بأنّ في صدر الإسلام لم يكن هناك إلاّ إقرار باللسان، وجعل ذلك الإقرار بالألسن وحدها هو الإيمان المفترض على الناس يومئذ، ثم بعدما افترض على الناس الصلاة والزكاة ناداهم باسم الإيمان المتقدم لهم، ووصفهم بأنهم مؤمنون.

فقال– ﷺ –: ((فلما أجابوا الله ورسوله إلى قبول الصلاة كإجابتهم إلى الإقرار، صارا جميعاً معاً هما يومئذ الإيمان، إذ أضيفت الصلاة إلى الإقرار))[4].

وقال ابن جرير– ﷺ –: ((الإيمان: كلمة جامعة للإقرار بالله وكتبه ورسله، وتصديق الإقرار بالفعل))[5]

---

(١) التعريفات – للجرجاني ص٤٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة – لابن فارس ، ص ١٣٣.

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي الأزدي الخزاعي، بالولاء، الخراساني البغدادي، الإمام، الحافظ المجتهد، من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، ولد سنة: ١٥٧هـ، وتوفي بمكة، سنة: ٢٢٤هـ. من كتبه: الايمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، والغريب المصنف، وفضائل القرآن، والمقصور والممدود، والأحداث، والنسب، وغيرها. انظر وفيات الأعيان (٤/٦٠)، وسير أعلام النبلاء (٨/٥٠١)، والأعلام للزركلي (٥/ ١٧٦)

(٤) الإيمان – لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم ص١٤.

(٥) تفسير الطبري (١/٢٣٥).

وشيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – كذلك يرى بأنَّ مدلول لفظ الإقرار؛ هو الأقرب في تعريف الإيمان في اللغة، وأصدق بياناً ودلالة من لفظ التصديق.

فقال – ﷺ –: ((لأنّ اشتقاقه من الأمن الذي هو القرار والطمأنينة؛ وذلك إنما يحصل إذا استقر في القلب التصديق والانقياد))[1].

وقال أيضاً – ﷺ –: ((الإيمان وإن كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق، وإنما هو الإقرار والطمأنينة، وذلك لأن التصديق إنما يعرض للخبر فقط فأما الأمر فليس فيه تصديق من حيث هو أمر وكلام الله خبر وأمر فالخبر يستوجب تصديق المخبر والأمر يستوجب الانقياد له والاستسلام وهو عمل في القلب جماعه الخضوع والانقياد للأمر وإن لم يفعل المأمور به فإذا قوبل الخبر بالتصديق والأمر بالانقياد فقد حصل أصل الإيمان في القلب وهو الطمأنينة والإقرار))[2].

ثانياً: **مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة:**

قبل الحديث عن مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة، يحسن بنا أن نشير إشارة سريعة موجزة عن مذاهب الناس في مفهوم الإيمان، وهم في ذلك على طوائف متعددة:

١- **الوعيدية:** هم الذين يوجبون على الله بإنفاذ وعيده كما توعدهم، ويكفرون صاحب الكبيرة ويخلدونه في النار[3]، وهم طائفتان:-

أ- الخوارج:

ب- المعتزلة:

فالإيمان عندهم: هو حقيقة مركبة من اعتقاد وقول وعمل، وأنه لا يتجزأ ولا يتبعض أي لا يزيد ولا ينقص، فمتى ذهب بعضه بارتكاب شيء من المعاصي والذنوب ذهب كله.

فعلى هذا فإنهم يوافقون مذهب السلف من جهة أنّ أعمال الجوارح من الإيمان، ويخالفونهم من جهة تكفير الوعيدية لمرتكبي الكبائر، والقول بخلودهم في النار، وأنّ الإيمان حقيقة واحدة، لا يتجزأ ولا يتبعض.

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول – لابن تيمية ص٥١٩.

(٢) المرجع السابق ص٥١٩، وانظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٦٣٨/٧)، وشرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين (٢٣٠/٢).

(٣) انظر الملل والنحل – للشهرستاني (١١٤/١).

ولهذا **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية**- ﷺ -: ((فكان من أول البدع والتفرق الذي وقع في هذه الأمة، بدعة الخوارج المكفرة بالذنب فإنهم تكلموا في الفاسق الملي، زعمت الخوارج والمعتزلة أن الذنوب الكبيرة ومنهم من قال: والصغيرة لا تجامع الإيمان أبدا بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكل والشرب الصيام، قالوا: لأن الإيمان هو فعل المأمور وترك المحظور فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات.

ثم قالت الخوارج: فيكون العاصي كافرا؛ لأنه ليس إلا مؤمن وكافر... وقالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين إنه يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر))[1].

وفي المقابل ظهرت فرقة أخرى وهي:

٢- **المرجئة:** مأخوذة من الإرجاء، وفي اللغة تأتي بمعنى التأخير يقال: أرجأ الأمر: أي أخره، قال تعالى ﴿ **قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ** ﴾ [الأعراف:١١١]أي أخرهما، ومنه أي من الإرجاء بمعنى التأخير سميت المرجئة الطائفة المعروفة[2].

وفي اصطلاح العلماء: تطلق المرجئة على الطائفة التي تؤخر العمل عن مسمى الإيمان، أي: يخرج أعمال القلوب والجوارح عن مسمى الإيمان، وقيل تطلق على من يؤخر حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا؛ من كون من أهل الجنة، أو من أهل النار[3].

حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - ﷺ - عنها: ((وقابلتهم أي: - فرقة الوعيدية - المرجئة و الجهمية ومن اتبعهم من الأشعرية والكرامية، فقالوا: ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة ولا ترك المحظورات البدنية والإيمان لا يقبل الزيادة والنقصان؛ بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المؤمنين: من الملائكة والنبيين والمقربين والمقتصدين والظالمين.

ثم قال فقهاء المرجئة: هو التصديق بالقلب واللسان وقال أكثر متكلميهم: هو التصديق بالقلب وقال بعضهم : التصديق باللسان. قالوا: لأنه لو دخلت فيه الواجبات العملية لخرج منه من لم يأت بها كما قالت الخوارج ونكتة هؤلاء جميعهم توهمهم أن من ترك بعض الإيمان فقد تركه كله))[4].

---

(١) مجموع الفتاوى - لابن تيمية (١٢/٤٧٠).

(٢) انظر لسان العرب – لابن منظور (١٤/٣١١)، وتاج العروس - الزَّبيدي (١/٢٤٠)، وتهذيب اللغة – للأزهري.

(٣) انظر الملل والنحل - للشهرستاني (١/ ١٣٩).

(٤) مجموع الفتاوى - لابن تيمية (١٢/ ٤٧١)،

وبهذا يتبين لنا أنَّ المرجئة على ثلاث طوائف، وهي:-

أ- **غلاة المرجئة (الجهمية)** القائلون بأنّ الإيمان هو المعرفة القلبية فقط، وأنَّ ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف منهما والعمل بالجوارح فليس بإيمان، وأنَّ الإيمان لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه، وأنَّ الإيمان والكفر لا يكونان إلا في القلب دون غيره من الجوارح(١).وأول من قال بهذا القول هو الجهم بن صفوان، ثم تبعه من جاء بعده من أتباعه.

وقولهم هذا كفر لا شك فيه كما قال السلف، لأنَّ قولهم هذا يتضمن الحكم بإيمان من كفره القرآن، -كفرعون وإبليس -، ويتضمن أيضاً استحلال المحرمات والتسوية بين المعصية والطاعة.

يقول أبو عبيد القاسم بن سلام - ﷺ - في الرد على الجهمية: ((ولو كان أمر الله ودينه على ما يقول هؤلاء ما عرف الإسلام من الجاهلية، ولا فرقت الملل بعضها من بعض، إذ كان يرضى منهم بالدعوى على قلوبهم، غير إظهار الإقرار بما جاءت به النبوة، والبراءة مما سواها، وخلع الأنداد والآلهة بالألسنة بعد القلوب، ولو كان هذا يكون مؤمنا ثم شهد رجل بلسانه أنَّ الله ثاني اثنين كما يقول المجوس والزنادقة، أو ثالث ثلاثة كقول النصارى، وصلى للصليب، وعبد النيران بعد أن يكون قلبه على المعرفة بالله لكان يلزم قائل هذه المقالة أن يجعله مؤمنا مستكملاً الإيمان كإيمان الملائكة والنبيين!

فهل يلفظ بهذا أحد يعرف الله أو مؤمن له بكتاب أو رسول؟ وهذا عندنا كفر لن يبلغه إبليس فمن دونه من الكفار قط!))(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - ﷺ -: ((وهذا القول لم يقله أحد من أئمة السنة بل قد كفر أحمد بن حنبل ووكيع وغيرهما من قال بقول جهم في الإيمان))(٣).

ب- **مرجئة المتكلمين** – وهم على ثلاث طوائف أيضاً:

- **الأشاعرة والماتريدية:** قالوا: الإيمان: هو التصديق القلبي(٤)، وأما قول اللسان فهو شرط في أحكام الدنيا، وأما العمل فهو من كمال الإيمان المستحب.

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - لأبي الحسن الأشعري، ص ١٣٢.

(٢)كتاب الأيمان "ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته" – لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم، ص٦١.

(٣) الإيمان - لابن تيمية ص١٠٠,١٥٠.

(٤) انظر المواقف - للإيجي، (٣/ ٥٣٣).

لذلك رد عليهم **شيخ الإسلام ابن تيمية** – ﷺ – **فقال**: ((وأبو الحسن الأشعري نصر قول جهم في الإيمان، مع أنه نصر المشهور عن أهل السنة من أنه يستثني في الإيمان، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله؛ لأنه نصر مذهب أهل السنة في أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة ولا يخلدون في النار تقبل فيهم الشفاعة ونحو ذلك، وهو دائما ينصر – في المسائل التي فيها النزاع بين أهل الحديث وغيرهم – قول أهل الحديث، لكنه لم يكن خبيرا بمآخذهم فينصره على ما يراه هو من الأصول التي تلقاها عن غيرهم؛ فيقع في ذلك من التناقض ما ينكره هؤلاء وهؤلاء، كما فعل في مسألة الإيمان ونصر فيها قول جهم مع نصره للاستثناء؛ ولهذا خالفه كثير من أصحابه في الاستثناء...واتبعه أكثر أصحابه على نصر قول جهم في ذلك.

ومن لم يقف إلاَّ على كتب الكلام ولم يعرف ما قاله السلف وأئمة السنة في هذا الباب؛ فيظن أن ما ذكروه هو قول أهل السنة؛ وهو قول لم يقله أحد من أئمة السنة؛ بل قد كفر أحمد بن حنبل ووكيع وغيرهما من قال بقول جهم في الإيمان الذي نصره أبو الحسن))[1].

● **الكرامية**: الإيمان عندهم هو الإقرار والتصديق باللسان فقط دون القلب، وأنكروا أن يكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيماناً [2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((والكرامية توافق المرجئة والجهمية في أنَّ إيمان الناس كلهم سواء ولا يستثنون في الإيمان))[3].

ج– **مرجئة الفقهاء، أو (مرجئة أهل السنة)** قالوا: الإيمان: قول اللسان وتصديق القلب، وأما الأعمال فهي من واجبات الإيمان لا من أصله [4]، قال بعض العلماء بأنَّ الخلاف بين قولهم هذا وقول السلف في الإيمان هو خلاف لفظي.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحداً من مرجئة الفقهاء، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال؛ لا من بدع العقائد فإنَّ كثيرا من النزاع فيها لفظي لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببا لخطأ عظيم في العقائد والأعمال،

---

(١) الإيمان – لابن تيمية ص٩٩.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين – لأبي الحسن الأشعري، ص ١٤١.

(٣) الإيمان – لابن تيمية ص١١٦.

(٤) انظر الفقه الأكبر – لأبي حنيفة ص٥٥.

فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء))[1].

٣- **أما أهل السنة والجماعة** وسط بين الوعيدية والمرجئة في هذا الباب، فالإيمان عندهم هو قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة [2].

وقد تنوعت عبارات السلف وأئمة السنة في تعريفهم للإيمان ويعبرون عن مفهومه بعبارات عديدة، فتارة يقولون: هو قول وعمل. وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية. وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة. وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - ﷺ -: ((وكل هذا صحيح، فإذا قالوا: قول وعمل فإنه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعا... والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوباً لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعاً من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولاً فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل))[3].

وهذا ما ذهب إليه جميع أهل السنة والجماعة وأئمتهم في تعريفهم للإيمان.

حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - ﷺ - في ذلك: ((أنَّ الإيمان قول وعمل كما هو مذهب الأئمة كلهم: مالك، وسفيان، والأوزاعي، والليث، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، ومن قبلهم وبعدهم من أعيان الأمة))[4].

---

(١) مجموع الفتاوى - لابن تيمية (٧/ ٣٩٤)، والإيمان - لابن تيمية ص ٣٠٩.

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة - للالكائي (١٩٧/١) وما بعدها، والسنة - لعبد الله بن أحمد بن حنبل (١٧٣/١) وما بعدها، والإبانة عن أصول الديانة – لأبي الحسن الأشعري ص٢٧، وشرح السنة - للبربهاري ص٥٣، ١٢٩، وأصول السنة - لابن أبي زَمَنِين ص٢٠٧، والشريعة - للآجُرِّيُّ البغدادي (٦٠٤/٢) وما بعدها.

(٣) انظر مجموع الفتاوى - لابن تيمية (١٧٠/٧)، والإيمان - لابن تيمية ص١٣٧.

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول – لابن تيمية ص٥١٥، ومجموع الفتاوى - لابن تيمية (٣٠٩/٧، ٦٧٢ ، ٤٧١/١٢).

وحكى شيخ الإسلام عن عبد الرحمن بن أبي حاتم[1]: ((سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة يعني في أصول الدين – وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار فقالوا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً، وعراقاً، ومصراً وشاماً، ويمناً فكان من مذاهبهم أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص))[2].

ويقول الإمام ابن القيم – ﷺ –: ((حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل.

والقول قسمان: قول القلب وهو الاعتقاد وقول اللسان وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة زال الإيمان بكماله وإذا زال تصديق القلب لم تنفع بقية الأجزاء فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة، وإذا زال عمل القلب مع اعتقاد الصدق فهذا موضع المعركة بين المرجئة وأهل السنة))[3].

وقال – ﷺ – **في موضع آخر عن الإيمان**: ((أنَّ الايمان قول وعمل والقول قول القلب واللسان والعمل عمل القلب والجوارح... فهذه الأركان الأربعة هي أركان الإيمان التي قام عليها بناؤه، وهى ترجع إلى علم وعمل، ويدخل في العمل كف النفس الذى هو متعلق النهي وكلاهما لا يحصل إلاّ بالصبر، فصار الإيمان نصفين أحدهما: الصبر، والثاني: متولد عنه من العلم والعمل))[4].

إذاً الإيمان عند السلف وأئمتهم هو: قول وعمل – قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح –، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، كما تقرر ذلك سلفاً.

وطنطاوي جوهري – ﷺ – **عرف الإيمان بأنه** ((حقيقة جامعة لجميع أعمال الحياة الدنيا والآخرة، فالإيمان أمر واحد، كما أنّ الإنسانية عبارة عن الجسم والروح من حيث الكمال فالجسم بلا روح ليس بإنسان، والروح بلا جسم نسميها جناً أو ملكاً، فما دمنا في الأرض فعلينا حفظ الأمرين – الجسم والروح – هكذا الإيمان))[5].

---

(١) هو أبو حاتم: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود، بن مهران الحنظليّ، حافظ للحديث، من أقران البخاري ومسلم. ولد في الري، سنة: ١٩٥هـ، وتوفي ببغداد، سنة: ٢٧٧هـ. ومن مصنفاته: تفسير القرآن العظيم، و طبقات التابعين، وكتاب الزينة، وأعلام النبوة، وغيرها. انظر الكاشف (٢/ ١٥٥)، والأعلام للزركلي (٦/ ٢٧).

(٢) انظر درء تعارض العقل والنقل- لابن تيمية (٦/ ٢٥٧)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣/ ٢٢٢ – ٣٣٠/٧).

(٣) انظر الصلاة وأحكام تاركها – لابن القيم، ص٥٦..

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين – لابن القيم ص١٠٩..

(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٥/٥).

وقال – ﷺ – أيضاً: ((والإيمان يشمل الأعمال القلبية والأعمال الجسمية)) [1].

وفي موضع آخر قال – ﷺ –: ((الإيمان الحق هو علم وعمل، العلم له فروع والعمل له فروع، فروع العلم كثيرة، والعمل فروعه كثيرة... إنه جعل الإيمان أشبه بإنسان، الإنسان له عقل يفكر وجوارح وحواس، الإنسان لا تتم إنسانيته إلاّ بجميع الحواس والعقل وسائر الأعضاء حتى الظفر والشعر، وهكذا الإيمان إن لم يستكمل هذا كله فإنه لا يكون حقاً، كما إذا لم يستكمل الإنسان جميع هذه القوى والقدر فإنه لا يكون تام الأعمال.

الإنسان إذا نقص ظفراً أو إصبعاً أو عيناً أو أذناً فإنه لا تسلب منه صفة الإنسانية، ولكنه يكون غير متمكن من جميع مطالبه، بل ينقصه بعضها ما دام أنه من نوع الإنسان، هكذا الإيمان لا يقال إنه قد ذهب من الإنسان إذا نقصت بعض الأعمال، ولكن لا يكون مستوفياً جميع ما يكون به الكمال)) [2].

وبذلك قد وافق طنطاوي جوهري مذهب أهل السنة والجماعة في مفهوم الإيمان بالجملة، حيث عرف الإيمان على طريقته ومنهجه العلمي التجريبي الذي كان شغوفاً به طيلة حياته.

فقد شيَّه الإيمان بالإنسان المركب من روح وجسد، إشارة منه إلى أنَّ الإيمان أيضاً مركب من قول وعمل، وكما أنَّ الإنسان إذا فقد أحد المركبين يخرج عن مسمى الإنسان من حيث الكمال وإن سمي إنساناً لكنه ناقص مع بقاء أصل الإنسانية فكذلك الإيمان.

وكذلك وافق طنطاوي مذهب أهل السنة والجماعة في إدخال أعمال القلوب في مسمى الإيمان.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((أنَّ أعمال القلوب مثل محبة الله ورسوله وخشية الله تعالى ورجائه ونحو ذلك هي كلها من الإيمان، كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق السلف)) [3].

---

(١) المرجع السابق (١٢/٥).

(٢) المرجع السابق (١٣/٥).

(٣) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٢٣٥/٧).

المطلب الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه:

موقف أهل السنة والجماعة من زيادة الإيمان ونقصانه:

الإيمان يزيد وينقص عند المسلم بحسب أعماله يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة وأئمتهم في القديم والحديث[1]، إيماناً وتصديقاً بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله – ﷺ –.

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

ومن السنة النبوية:

حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –، قال: قال رسول الله – ﷺ –: ((لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن))، قال عكرمة: قلت لابن عباس: كيف ينزع الإيمان منه؟ قال: هكذا، وشبك بين أصابعه، ثم أخرجها، فإن تاب عاد إليه هكذا، وشبك بين أصابعه))[2]. أي: لا يكون إيمانه كاملاً بل يكون ناقص الإيمان.

كما قال الإمام النووي – رحمه الله – في مراده:((والصحيح الذي قاله المحققون أنَّ معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان هذا من الألفاظ التي تطلق على نفي الشيء والمراد نفي كماله))[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في بيان معنى الحديث: ((أنه نفي عنه

---

(١) انظر الإبانة عن أصول الديانة – لأبي الحسن الأشعري ص٢٧، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – للالكائي (١٧٠/١)، وأصول السنة – لابن أبي زَمَنِين ص٢١١، والشريعة – للآجُرِّيُّ البغدادي (٥٥٣/٢) وما بعدها، والإبانة الكبرى – لابن بَطَّة العكبري (٦٣٠/٢) وما بعدها، والإيمان – لابن منده (٣٢٨/١)، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٧/ ٦٧٢). ولوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٤١١/١).

(٢) رواه البخاري من حديث ابن عباس في (كتاب الحدود، باب إثم الزناة) (١٦٤/٨) (٦٨٠٩)، ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة في (كتاب المظالم والغصب، باب النهبى بغير إذن صاحبه) (١٣٦/٣) (٢٤٧٥) (٦٧٧٢)، (٦٧٨٢)، (٦٨٠٩)، (٦٨١٠) ومسلم في (كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله) (٧٧/١)، (٥٧).

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر (٦٠/١٢).

الإيمان الواجب الذي يستحق به الجنة ولا يستلزم ذلك نفي أصل الإيمان وسائر أجزائه وشعبه))[1].

يتضح لنا من خلال ذلك بأنّ الإيمان بزيد وينقص، يزيد بالطاعة والحسنات وينقص بالذنوب والمعاصي، وهو ما ذهب إليه علماء أهل السنة والجماعة في كل عصر وفي كل مصر.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((**أنّ** أهل المعرفة والتحقيق متفقون على الزيادة والنقصان في الإيمان والتصديق كما هو مذهب أهل السنة والحديث في القديم والحديث))[2].

يقول ابن أبي زمنين –ﷺ –: ((ومن قول أهل السنة: إنَّ الإيمان درجات ومنازل يتم ويزيد وينقص ولولا ذلك استوى فيه الناس، ولم يكن للسابق فضل على المسبوق)) [3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – في موضع آخر: ((ولهذا كان أهل السنة والحديث على أنه يتفاضل، وجمهورهم يقولون: يزيد وينقص، ومنهم من يقول: يزيد، ولا يقول: ينقص، كما روي عن مالك في إحدى الروايتين، ومنهم من يقول: يتفاضل، كعبد الله بن المبارك، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان منه عن الصحابة، ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة، فروى الناس من وجوه كثيرة مشهورة))[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –ﷺ –: ((ومن أصول أهل السنة: أنَّ الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأنَّ الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي))[5].

وخالف في ذلك الوعيدية والمرجئة وقالوا: بأن الإيمان حقيقة واحدة لا يتجزأ ولا يتبعض، إذا ذهب بعضه ذهب كله[6].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – قد أقرَّ ما قرَّره أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

---

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٤٧٨/١٢).

(٢) المرجع السابق (٤٨١/٦).

(٣) أصول السنة – لابن أبي زَمَنِين ص٢١١.

(٤) انظر كتاب الإيمان – لابن تيمية ص ١٧٦ وما بعدها، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥٠٦/٧).

(٥) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٥١/٣).

(٦) شرح العقيدة الأصفهانية – لابن تيمية ص١٩٧.

فقال في ذلك: ((الإيمان يزيد وينقص على مقتضى أعمال العباد، ثم أيّد قوله بدليل من السنة، فاستشهد بحديث أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله – ﷺ –: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان))[(١)].

واستشهد كذلك أيضاً على زيادة الإيمان ونقصانه بمقولة عمر بن حبيب وكان له صحبة: إن للإيمان زيادة ونقصاً. قيل له: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه))[(٢)].))[(٣)].

وقال: الصدق وتأدية الأمانة والوفاء بالوعد علامات الإيمان، وأضدادها علامات النفاق ونتائج الإيمان على هذا المنوال سعادة المجموع الذي هو كنفس واحدة، ونتيجة النفاق ونقص الإيمان على هذا المعنى شقاء المجموع))[(٤)].

وقال – ﷺ – عند تفسير قوله تعالى:﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾[آل عمران: ١٧٤]، تفضل عليهم بالثبات وزيادة الإيمان والتوفيق))[(٥)].

وبذلك وافق طنطاوي مذهب أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان ونقصانه، حيث أنّ الإيمان يزيد وينقص بحسب أعمال العباد، إن تقرب إلى الله بالطاعات والقربات زاد إيمانه، وإن اقترف المعاصي والذنوب والسيئات نقص إيمانه بمقدار ما ارتكب من الإثم.

المطلب الثالث: مراتب الإيمان:

عُلِمَ مما سبق أنّ الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأنّ أهله متفاوتون في درجاته على حسب علمهم وعملهم، فمنهم من يعمل الطاعات ويتقرب إلى الله بالقربات، ويزداد إيمانه حتى يصل إلى أعلى الدرجات، ومنهم من يقترف المعاصي والذنوب ويرتكب الصغائر والموبقات، وينقص إيمانه حتى لا يبقى عنده من الإيمان ما يشفعه فيه عند الله يوم القيامة.

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان) (١/ ٦٣) حديث رقم: (٣٥).

(٢) رواه الآجري في الشريعة (٢/٥٨٤).

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥/١٢).

(٤) المرجع السابق (٣/٦٣).

(٥) المرجع السابق (٢/١٩٨).

فالإيمان – عند أهل السنة والجماعة – على مراتب ودرجات ومنازل، والمؤمنون فيه على طبقات متفاوتون في مراتب إيمانهم، كما قال الله ﷻ عنهم في كتابه العزيز: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[فاطر: ٣٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله –: ((**الإيمان ثلاث درجات**: إيمان السابقين المقربين: وهو ما أتى فيه بالواجبات والمستحبات من فعل وترك، وإيمان المقتصدين أصحاب اليمين: وهو ما أتى فيه بالواجبات من فعل وترك، وإيمان الظالمين: وهو ما يترك فيه بعض الواجبات أو يفعل فيه بعض المحظورات))[(١)].

إذاً الإيمان على ثلاث مراتب، وهي:

١– **مرتبة أصل الإيمان، أو مطلق الإيمان،** والمقصود به: أصل الإيمان: وهو **قول القلب**: من العلم والمعرفة والتصديق، **وعمل القلب**: الانقياد بالأعمال القلبية كالمحبة والخوف ونحو ذلك.

قال ابن منده[(٢)] – رحمه الله – **في ذلك**: ((أصل الإيمان التصديق بالله وبما جاء من عنده وإياه أراد النبي – ﷺ – بالإيمان أن تؤمن بالله وعنه يكون الخضوع لله، لأنه إذا صدق بالله خضع له وإذا خضع له أطاع))[(٣)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية– رحمه الله –: ((الإيمان في القلب لا يكون إيماناً بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك؛ كما أنه لا يكون إيمانا بمجرد ظن وهوى؛ بل لا بد في أصل الإيمان من قول القلب وعمل القلب))[(٤)].

ويدخل في أصل الإيمان أيضاً قول اللسان وهو شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأنّ محمداً رسول الله.

---

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٤٧٤/١٢).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن يحيى بن مندة، العبدي، من حفاظ الحديث الثقات. من أهل أصبهان، توفي سنة: ٣٠١ هـ. وله: كتاب صفوة الصفوة، والإيمان، تاريخ أصبهان، والحجة على تارك المحجة، وغيرها. انظر وفيات الأعيان (٢٨٩/٤)، سير أعلام النبلاء (١٨٨/١٤)، والأعلام للزركلي (١٣٥/٧).

(٣) الإيمان – لابن منده (٣٤٦/١).

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥٢٩/٧، ٦٤٤).

قال قوام السنة الأصفهاني[1] -رحمه الله-: ((أصل الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، والإقرار لما جاءت له الرسل والأنبياء، وعقد القلب على ما ظهر من لسانه))[2]، وهذه الدرجة هي الدرجة التي لابد منها لتحقق الإيمان والنجاة عند الله عز وجل[3].

٢- **مرتبة الإيمان المطلق**: وهي التي يجمع فيها صاحبه مع أصل الإيمان الالتزام بواجبات الدين مع تجنب المحرمات والحرص على المستحبات.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله -: ((وأهل السنة والحديث يقولون: جميع الأعمال الحسنة واجبها ومستحبها من الإيمان، أي: من الإيمان الكامل بالمستحبات، ليست من الإيمان الواجب. ويفرق بين الإيمان الواجب وبين الإيمان الكامل بالمستحبات كما يقول الفقهاء: الغسل ينقسم إلى مجزئ وكامل.

فالمجزئ: ما أتى فيه بالواجبات فقط، والكامل: ما أتى فيه بالمستحبات، ولفظ الكمال قد يراد به الكمال الواجب، وقد يراد به الكمال المستحب))[4].

٣- **مرتبة الإيمان الواجب، أو كمال الإيمان الواجب**: وهي التي يكون فيها مقصراً في الواجبات، أو مرتكباً المحرمات مع بقاء أصل الإيمان معه، فيكون ناقص الإيمان.

وطنطاوي جوهري - رحمه الله - **يرى** ((أنّ الإيمان على قسمين: إيمان دائم يرفع إلى أعلى الدرجات، وإيمان ناقص لا يلبث أن يزول، وهو إيمان العامة ومن نحا نحوهم من الأمم الجاهلة...فالعامة ومن نحا نحوهم يعيشون ويموتون وهم مخدوعون، إيمانهم تقليدي ودينهم لفظي، فلا يعرفون النواميس الطبيعية ولا العجائب الفلكية، ونفوسهم نائمة فلا يذكرون الله إلاّ إذا دهمتهم واقعة وصدعتهم قارعة وبطشت بهم باطشة، فلا يذكرون الله إلاّ قليلا.

أما القسم الأول فهم الذين يرون الله عند كل حركة وسكون، ونور وظلام، وسهل وجبل، وشمس وقمر، وحجر وشجر، لأنهم يعرفون نظام الطبيعة وإتقان الخليقة وعجائب هذه

---

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، الملقب: بقوام السنّة، من أعلام الحفاظ. كان إماما في التفسير والحديث واللغة، ولد سنة: ٤٥٧هـ، وتوفي سنة: ٥٣٥هـ. وله كتب، منها: الحجة في بيان المحجة، ودلائل النبوة، والترغيب والترهيب، والتذكرة، وغيرها. انظر سير أعلام النبلاء (٢٠ /٨٠)، والأعلام للزركلي (١/ ٣٢٣).

(٢) الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة - قوام السنة الأصبهاني (٢/ ٢٨٨).

(٣) انظر موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة – مجموعة من الباحثين المختصين (٤٧٣/١).

(٤) مجموع الفتاوى - لابن تيمية (١٩٨/٧).

الدنيا))[1].

ولا شك أنّ النظر والتفكر في ملكوت الله و مخلوقاته يزيد إيمان المؤمن، ويورث اليقين في النفس، لكن لا يسلم لطنطاوي في قوله بأنّ إيمان غير الناظر في النواميس الطبيعية والعلوم الكونية والفلكية إيمان ناقص لا يلبث أن يزول وهم مخدوعون، وإيمانهم تقليدي ودينهم لفظي، هذا قول خاطئ فلربما قد تجد عند بعض العامة من إيمانه أقوى من إيمان الناظر لعجائب قدرة الله.

ويعتبر هذا الأمر من تأثيرات المنهج التجريبي على طنطاوي جوهري الذي حاول جاهداً السير على سبيله وإخضاع كل المسائل العقدية على تلك الطريقة.

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٢٧٣).

المبحث الثاني: مسائل الأسماء والأحكام

المطلب الأول: دخول الأعمال في مسمى الإيمان:

أهل السنة والجماعة يرون بأن الأعمال داخلُة في مسمى الإيمان، وأنه لا إيمان بلا عمل.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((الأعمال الصالحة كلها تدخل في مسمى الدين والإيمان ويدخل في القول قول القلب واللسان وفي العمل عمل القلب والجوارح))[1].

وقال أيضاً – ﷺ –: ((وقد تبين أنَّ الدين لا بد فيه من قول وعمل، وأنه يمتنع أن يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله بقلبه، أو بقلبه ولسانه ولم يؤد واجبا ظاهرا ولا صلاة ولا زكاة ولا صياما ولا غير ذلك من الواجبات، لا لأجل أن الله أوجبها، مثل: أن يؤدي الأمانة، أو يصدق الحديث، أو يعدل في قسمه وحكمه من غير إيمان بالله ورسوله لم يخرج بذلك من الكفر، فإنَّ المشركين وأهل الكتاب يرون وجوب هذه الأمور، فلا يكون الرجل مؤمنا بالله ورسوله مع عدم شيء من الواجبات التي يختص بإيجابها محمد – ﷺ –. ومن قال: بحصول الإيمان الواجب بدون فعل شيء من الواجبات سواء جعل فعل تلك الواجبات لازماً له ؛ أو جزءاً منه فهذا نزاع لفظي كان مخطئا خطأ بينا، وهذه بدعة الإرجاء التي أعظم السلف والأئمة الكلام في أهلها، وقالوا فيها من المقالات الغليظة ما هو معروف والصلاة هي أعظمها وأعمها وأولها وأجلها))[2].

يقول ابن القيم – ﷺ –: ((إذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزوما لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم، فإنه يلزمه من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان، فإن الإيمان ليس مجرد التصديق، وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد))[3].

---

(١) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٢/ ٤٧٢).

(٢) الإيمان الأوسط – لابن تيمية ص١٧٦.

(٣) الصلاة وأحكام تاركها – لابن القيم، ص٥٦.

وطنطاوي جوهري – ﷺ – يرى أنَّ العمل داخل في مسمى الإيمان ولذلك ذم من يطلب الجنة بلا عمل.

فقال – ﷺ – **في ذلك:** ((ومن الجهالة أن يعرف الإنسان باب الجنة بلا عمل))[1].

وهو بذلك قد وافق مذهب أهل السنة والجماعة في إدخال العمل في مسمى الإيمان، وأنّ العمل سبب لدخول الجنان، والذي سمى الله ﷻ صلاة الصحابة مع النبي – ﷺ – قبل تحويل القبلة إلى البيت الحرام بالإيمان، فقال تعالى﴿ :وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

المطلب الثاني: تكفير المعين:

أولاً: موقف أهل السنة والجماعة من تكفير المعين:

فإنَّ أهل السنة والجماعة يعظمون مسألة التكفير ويجعلونه حقاً لله ولرسوله – ﷺ – فقط، فلا يجوز ولا يسوغ عندهم تكفير أحدٍ إلا من كفره الله أو كفره رسوله.

يقول الإمام الطحاوي– ﷺ –: ((ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب، ما لم يستحله))[2].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك ؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة))[3].

ولخطورة هذا الأمر أصبحوا يفرقون بين التكفير المطلق والتكفير المعين، فلذا ينبغي علينا أن نوضح هذا الفرق بينهما، فنقول:

التكفير المطلق هو: تنزيل الحكم بالكفر على الفعل والقول، فيقال: من قال كذا فقد كفر، أو فعل كذا كفر، دون تنزيل الحكم على الشخص المعين القائل بهذا القول أو الفعل.

أما التكفير المعين هو: هو الحكم بالكفر على الشخص المعيّن الذي فعل الكفر، أو

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢/١١٠).

(٢) العقيدة الطحاوية مع شرحها ص٣٠٣.

(٣) الكيلانية – لابن تيمية ص٩١.

قاله بعد التحقق من ثبوت الشروط وانتفاء الموانع[1].

فأهل السنة والجماعة كذلك لا يطلقون الكفر لشخص بعينه، ولا يحكمون بكفره إطلاقاً حتى تجتمع فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع، فعندئذ تقوم عليه الحجة التي يكفر بها، أما التكفير المطلق يطلقونه بالأوصاف على من تلبس به الكفر لا على الأشخاص والأعيان كما تقرر ذلك.

فلهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((أنَّ التكفير له شروط وموانع قد تنتقي في حق المعين، وأنَّ التكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين، إلاَّ إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع يبين هذا أن الإمام أحمد وعامة الأئمة: الذين أطلقوا هذه العمومات لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه))[2]

وقال – ﷺ – **عن التكفير المطلق**: ((التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة التي تكفر تاركها))[3].

وقال – ﷺ – **عن التكفير المعين**: ((فتكفير المعين – بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار – لا يجوز الإقدام عليه، إلاَّ بعد أن تقوم على أحدهم الحجة الرسالية التي يتبين بها أنهم مخالفون للرسل، وإن كانت هذه المقالة لا ريب أنها كفر.

وهكذا الكلام في تكفير جميع المعينين...فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين وإن أخطأ وغلط، حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة))[4].

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب[5] – ﷺ –: ((ومسألة تكفير المعين مسألة

---

(١) انظر ضوابط التكفير المعين عند شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب وعلماء الدعوة الإصلاحية – أبي العلا راشد أبي العلا، ص٤٤، ن: بدون، ط: الثانية: ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، وانظر نواقض الإيمان القولية والعملية – د. عبد العزيز العبد اللطيف، ص٥٢.

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٢/٤٨٧– ٤٩٨، ٢٨/٥٠٠).

(٣) الاستقامة – لابن تيمية (٢/١٦٤).

(٤) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٢/٤٦٦ – ٥٠٠).

(٥) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن أحمد بن راشد بن يزيد التميمي النجدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب. نهج منهج السلف الصالح داعياً إلى التوحيد ونبذ البدع، وقد ولد الإمام المجدد في العيينة بنجد، سنة: ١١١٥هـ، وتوفي في الدرعية، سنة: ١٢٠٦هـ. وله مصنفات أكثرها رسائل مطبوعة، منها: كتاب التوحيد، ورسالة كشف الشبهات، وتفسير الفاتحة، وأصول الإيمان، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله، وغيرها. ⇦=

معروفة، إذا قال قولا يكون القول به كفرا، فيقال: من قال بهذا القول فهو كافر، لكن الشخص المعين، إذا قال ذلك لا يحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها))[1].

وطنطاوي جوهري - ﷺ - وافق مذهب اهل السنة والجماعة في عدم إطلاق الكفر على الشخص بعينه.

فقال في ذلك - ﷺ - بعدما تحدث عن خطر إطلاق اللعن على الأشخاص: ((وعلى الجملة ففي لعن الأشخاص خطر؛ فليتجنب. ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً فضلاً عن غيره...فلا يجوز أن يرمى مسلم يفسق أو كفر من غير تحقيق، قال - ﷺ -: ((ولا يرمي رجل رجلاً بالكفر، ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك))[2].

وقال - ﷺ -: ((ما شهد رجل على رجل بالكفر إلاَّ باء به أحدهما، إن كان كافراً فهو كما قال، وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه))[3]، وهذا معناه: أن يكفره وهو يعلم أنه مسلم، فإن ظن أنه كافر ببدعة أو غيرها كان مخطئاً لا كافراً، وقال معاذ : قال لي رسول الله - ﷺ -: ((أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصي إماماً عادلاً، والتعرض للأموات أشد))[4].

....وإنّما أوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة وإطلاق اللسان بها، والمؤمن ليس بلعان فلا ينبغي أن يطلق اللسان باللعنة إلا على من مات على الكفر، أو على الأجناس المعروفين بأوصافهم دون الأشخاص المعينين، فالاشتغال بذكر الله أولى، فإن لم يكن ففي السكوت سلامة))[5].

ثانياً: مسألة الشك في كفر الكافر الأصلي:

فقد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على وجوب البراءة من المشركين، واعتقاد

= انظر الأعلام للزركلي (٢٥٧/٦)، ومعجم المفسرين (٥٧١/٢)، وداعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب - عبد العزيز شلبيص٤١.

(١) الدرر السنية في الكتب النجدية - علماء نجد الأعلام(٤٣٢/١٣).

(٢) رواه البخاري في (كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن) (١٥/٨) حديث رقم: (٦٠٤٥).

(٣) رواه أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار (٢/ ٣٢٣)، والخرائطي السامري في مساوئ الأخلاق ومذمومها ص٢٦، أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي سعيد بسند ضعيف. إحياء علوم الدين (١٥٤/٣).

(٤) ذكر الخرائطي السامري في مساوئ الأخلاق ومذمومها ص٣٠، وأبو نعيم في الحلية

(٥) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٤٩/٢٢).

كفرهم، متى علم المؤمن ذلك، واتضح له كفرهم وضلالهم، كما قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة:٤]، فهذا هو دين إبراهيم وملة إبراهيم والأنبياء جميعاً، البراءة من عابد غير الله، واعتقاد كفرهم وضلالهم، حتى يؤمنوا بالله وحده ﷻ.

ومعلومٌ أنَّ الكافر الأصلي لا يَدخل في الإسلام ولا يثبت له حكمه؛ إلاّ بالإقرار بالشهادتين، شهادة أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله .؛ فمن أَقرَّ بذلك بلسانه دون قلبه ثَبت له حكمُ الإسلام ظاهرًا، وإنْ أقرَّ بذلك ظاهرًا وباطنًا كان مسلمًا على الحقيقة ومعه أصل الإيمان.

ولكن من صدق بقلبه وكذب بلسانه فكفره كفر جحود، ومن أقر بلسانه دون قلبه فكفره كفر نفاق[1].

وقول طنطاوي جوهري – ﷺ – في كفر الكافر الأصلي مبهم وغير واضح، فقال في معرض حديثه عن تحضير الأرواح بأنه رأى ريمند في الجنة ثم طفق يدافع عما قاله.

فقال – ﷺ –: ((ولعلك تقول كيف تثبت أنّ ريمند وهو مسيحي يدخل الجنة، وكيف تحكم بذلك؟ أقول: على رسلك، إنما ذكرتها على سبيل النقل، ولم أحكم بصحتها، وربما صحت بأن يكون أسلم قبل موته، فليس في ديننا ما يجعلنا نقطع بكفر أحد، لا يعلم الغيب إلاّ الله))[2].

ولعل طنطاوي جوهري – ﷺ – يقصد من قيده بالإسلام قبل الموت في قوله: ((وربما صحت بأن يكون أسلم قبل موته)) **الموت على الكفر ودخول النار.**

فعلى كل فموقف طنطاوي جوهري – ﷺ – في هذه المسألة محتمل في شك كفر الكافر الأصلي، وقد سبق بيان ذلك أنّ من أصول العقائد الإيمانيّة الضرورية في دين الإسلام: اعتقاد كفر من لم يدخل في هذا الإسلام، من اليهود والنصارى وغيرهم،

(١) انظر جواب في الإيمان ونواقضه – عبدالرحمن بن ناصر البراك ص١٧.

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢/٢٢١).

وتسميته كافرا وأنه عدو لنا، وأنه من أهل النار[1]، قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ١].

وأنَّ الكافر الأصلي إذا لم يقر بالإسلام فإنه يبقى على كفره الأصلي، كمن يعنون بدارسة الإسلام من مستشرقين وغيرهم، ويلحظون الحق فيما يدرسونه ويعلنون ذلك، لكن لا على جهة التسليم وقبول الإسلام، فهؤلاء على أصل كفرهم، لأن مجرد شهادتهم أنَّ الإسلام حق لا يكفي في إسلامهم حتى يعلنوا قبولهم لدين الإسلام و الإذعان له[2].

المطلب الثالث: حكم مرتكب الكبيرة:

موقف أهل السنة والجماعة من مرتكب الكبيرة:

فإنّ أهل السنة والجماعة لا يكفرون أحداً من المسلمين بمطلق المعاصي والكبائر، بل يقولون بأنه مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه وفاسق بكبيرته، ولا يسلبون منه اسم الإيمان كلياً، كما تفعله الوعيدية – الخوارج والمعتزلة – حيث ينفون أصل الإيمان عن صاحب الكبيرة. فالخوارج يسمونه كافرا، ويقولون بأنه يعامل معاملة الكفار عندهم، فهو حلال الدم والمال، والمعتزلة توافقهم في سلب الإيمان من صاحب الكبيرة، لكنهم لا يكفرونه بل يقولون له ليس بمؤمن ولا كافر ويجعلونه في منزلة بين المنزلتين، ويعامل معاملة المنافق، وأما في الآخرة فيعامل معاملة الكفار بالتخليد في النار.

يقول ابن عبد البر[3] – رحمه الله –: ((وقد اتفق أهل السنة والجماعة وهم أهل الفقه والأثر على أنَّ أحدا لا يخرجه ذنبه وإن عظم من الإسلام)) [4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((ومن أصول أهل السنة... أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما تفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع

---

(١) انظر الحوار بين الأديان – عبدالرحيم السلمي ص٢٨.

(٢) انظر ضوابط التكفير – د. عبد الله القرني ص٦٨، ن: تكوين للدراسات والأبحاث، ط: الثالثة، عام: ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

(٣) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي؛ إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بهما، ولد سنة: ٣٦٨هـ، وتوفي بشاطبة، سنة: ٤٦٣هـ. من كتبه: الدرر في مغازي السير، والاستيعاب، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والعقل والعقلاء، وغيرها. انظر وفيات الأعيان (٦٦/٧)، وسير أعلام النبلاء (١٥٤/١٨)، والأعلام للزركلي (٢٤٠/٨).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد – لابن عبد البر (٢٢/١٧).

المعاصي))[1].

وقال أيضاً - رحمه الله - **أنَّ**: ((أئمة المسلمين أهل المذاهب الأربعة وغيرهم - مع جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان - متفقون على أن المؤمن لا يكفر بمجرد الذنب كما تقوله الخوارج؛ ولا يسلب جميع الإيمان كما تقوله المعتزلة))[2].

وأما **حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة** فإنّ اهل السنة والجماعة لا يوجبون لأحد العذاب في النار لكبيرة ارتكبها، ولا يخلدون أحداً منهم في النار لذلك؛ بل يكل أمره إلى الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، ثم يكون مآله إلى الجنة [3].

يقول الإمام الطحاوي - رحمه الله -: ((وأهل الكبائر من أمة محمد - ﷺ - في النار لا يخلدون، إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، بعد أن لقوا الله عارفين. وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر ﷻ في كتابه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وإن شاء عذبهم في النار بعدله، ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته. وذلك بأن الله تعالى تولى أهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته))[4].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ((فالذي عليه الصحابة ومن اتبعهم بإحسان وسائر أهل السنة والجماعة. أنه لا يخلد في النار من معه شيء من الإيمان؛ بل يخرج منها من معه مثقال حبة أو مثقال ذرة من إيمان... وكذلك فإنّ أهل السنة والجماعة لا يوجبون العذاب في حق كل من أتى كبيرة ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار لأجل كبيرة واحدة عملها؛ بل يجوز عندهم أنَّ صاحب الكبيرة يدخله الله الجنة بلا عذاب إما لحسنات تمحو كبيرته منه أو من غيره؛ وإما لمصائب كفرتها عنه وإما لدعاء مستجاب منه أو من غيره فيه وإما لغير ذلك، والوعيدية من الخوارج والمعتزلة: يوجبون العذاب في حق أهل الكبائر))[5].

وطنطاوي جوهري - رحمه الله - لم يتعرض لمسألة الأسماء والأحكام على مرتكب الكبيرة في الدنيا، وإن كان في الجملة يتضح لنا من خلال حديثه عن زيادة الإيمان ونقصانه وعدم سلب الإيمان بالكلية من مرتكب الكبيرة بأنه موافق لمذهب أهل السنة

---

(١) انظر العقيدة الواسطية: لابن تيمية ص١١٣، و مجموع الفتاوى - لابن تيمية (١٥١/٣).

(٢) مجموع الفتاوى - لابن تيمية (٤٧٩/٦- ٤٨٠).

(٣) انظر المرجع السابق (٤٧٩/١٢- ٤٨٠)، والتمهيد – لابن عبد البر (٢٦/١٧).

(٤) العقيدة الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز ص٣٥١.

(٥) انظر مجموع الفتاوى - لابن تيمية (٤٧٩/١٢)، والإيمان - لابن تيمية ص١٧٦.

والجماعة في هذه المسألة. وقد تحدث طنطاوي عن حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة، وأنَّ عصاة المسلمين لا يخلدون في النار.

فقال – ﷺ –: ((واعلم أنّ قتل المسلم عمداً والزنا وشرب الخمر وعقوق الوالدين وأشباهها لا توجب خلوداً في النار، ولكن عذابها شديد؛ لأنها من الكبائر، والمراد بالخلود: المكث الطويل، فإنَّ الدلائل متظاهرة أنّ عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم))[1].

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]، ((هذه الآية للتنبيه على أنه لا يجوز للعاصي أن يظن أنه لا مخلص له من العذاب؛ فإنّ ذلك قنوط من رحمة الله وهو من الكبائر، وكذلك مَنْ أَمِنَ مكر الله، فكل من تاب غفر الله له، ومن لم يتب فأمره لله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه))[2].

وقال أيضاً – ﷺ – في موضع آخر : ((إنَّ المؤمن لا يخلد في النار))[3]، **وقال أيضاً** – ﷺ –: ((: الظلم العظيم – الشرك – أنه لا يؤبد العذاب إلاّ به، والمؤمنون لا يؤبد لهم العذاب)) [4].

فبالجملة وافق طنطاوي مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، ولم ينفِ الإيمان عن مرتكبي الكبيرة، ولم يقل بتخليد أحدٍ في النار بكبيرته، بل يكل أمره إلى الله، فإن تاب تاب الله عليه، ومن لم يتب فإنه تحت مشيئة الله، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه، وهذا هو نظير ما قرره السلف – رحمهم الله – **في حكم مرتكب الكبيرة في الآخرة.**

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣/٧٨).

(٢) المرجع السابق (١٨/٢١٤).

(٣) المرجع السابق (٢٥/٤٦).

(٤) انظر المرجع السابق (٤/٦٧).

الفصل الثاني
آراء طنطاوي جوهري في مسائل القدر

وفيه تمهيد ومسائل:

المسألة الأولى: الفرق بين القضاء والقدر.

المسألة الثانية: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

المسألة الثالثة: مراتب القدر.

المسألة الرابعة: المحو والإثبات.

المسألة الخامسة: أفعال العباد.

تمهيد

نحاول أن نبين في هذا الفصل المسائل التي أشار إليها طنطاوي جوهري في باب القدر، وهي تعتبر مسائل قليلة، وليس له فيها مزيد بيان، وإنما هي تلميحات وإشارات سريعة، فكان يبين فيها رأي علماء المسلمين، دون التعمق في مسائلها، وفي أغلبها لا يبدي فيها رأيه.

ونحن هنا نتتبع هذه المسائل، ثم نعرض رأي طنطاوي وننظر مدى موافقته لمذهب أهل السنة من عدمه، ثم الرد عليه في حال المخالفة، مع بيان موجز لمذهب أهل السنة والجماعة في ذلك.

وقد خصصت هذا التمهيد للحديث عن معنى القضاء والقدر في اللغة والاصطلاح.

أولاً: **معنى القضاء والقدر في اللغة:**

أ- **القضاء في اللغة يأتي على معانٍ عدة منها:**

قد يأتي بمعنى إحكام الأمر وإتقانه وإنفاذه لجهته[(١)]، وقد يأتي بمعنى الحكم[(٢)]، وقد يأتي بمعنى الأمر، وقد يأتي بمعنى الفصل في الحكم[(٣)].

ب- **القدر في اللغة:**

القدر: هو مبلغُ كلِّ شيء. يقال: قَدْرُه كذا، أي مبلغُه. وكذلك القَدَر. وقَدَرتُ الشّيءَ أَقْدِرُه وأَقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقَدِّره[(٤)].

إذاً القَدْرُ والقَدَرُ : يأتي بمعنى الْقَضَاءُ والحُكْم، وهو ما يقدره الله - ﷻ - من القضاء ويحكم به من الأمور[(٥)].

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (٥/٩٩).

(٢) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن الأثير (٤/٧٨)،

(٣) انظر تهذيب اللغة - للأزهري (٩/١٧٠)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - للجوهري (٦/٢٤٦٤)، ومعجم مقاييس اللغة - لابن فارس (٥/٩٩)، ومختار الصحاح - للرازي (١/٢٥٥).

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (٥/٦٢) ومختار الصحاح - للرازي (١/٢٤٨).

(٥) انظر لسان العرب – لابن منظور (٥/٧٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((لفظ القدر: يراد به التقدير؛ ويراد به الْمُقَدَّرُ؛ فإن أردت أنَّ أفعال العباد نفس تقدير الله الذي هو علمه وكلامه ومشيئته ونحو ذلك من صفاته؛ فهذا غلط وباطل، فإنَّ أفعال العباد ليست شيئا من صفات الله تعالى؛ وإن أردت أنها مقدرة قدرها الله تعالى؛ فهذا حق، فإنها مقدرة كما أنَّ سائر المخلوقات مقدرة))[1].

ثانياً: معنى القضاء والقدر في الشرع:

أ- معنى القضاء في الشرع:

هو العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل[2]، أو نقول: هو علم الله تعالى الأزلي وتقديره لكلّ ما في الوجود، وكتابته ومشيئته لكلّ ما هو كائن إلى قيام السّاعة.

والإمام السفاريني – ﷺ – **يعرف القضاء ويقول هو**: ((أنّ الله تعالى قدَّرَ الأشياء في الأزل، وعلم ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده على صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها وقضاها، من غير زيادة ولا نقص))[3].

ب- معنى القدر في الشرع:

يقول ابن حجر – ﷺ –: ((أنَّ الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا هو المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين، إلى أن حدثت بدعة القدر في أواخر زمن الصحابة))[4].

ويقول السفاريني – ﷺ –: ((**والقدر عند السلف هو**: ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه – ﷻ – قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم – ﷻ – أنها ستقع في أوقات معلومة عنده – ﷻ –، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها))[5].

ويقول الشيخ ابن عثيمين – ﷺ –:((القدر: هو تقدير الله تعالى لما كان وما يكون

---

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٨/٤١٠).

(٢) انظر القضاء والقدر – عمر الأشقر ص ٢٥.

(٣) لوامع الأنوار البهية – للسفاريني (١/٣٥٨).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر (١/١١٨).

(٥) لوامع الأنوار البهية – للسفاريني (١/٣٤٨).

أزلا وأبدا[1].

يتضح لنا من خلال ذلك بأنّ المراد القضاء والقدر هو: تقدير الله تعالى الأشياء في الأزل، وكتابتها في اللوح المحفوظ، وعلمه – ﷻ – أنها ستقع في أوقات معلومة، على صفات مخصوصة، بمشيئته وقدرته وأمره، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها.

المسألة الأولى: الفرق بين القضاء والقدر:

طنطاوي جوهري – ﷺ – يرى أنّ القدر ما يكون في الأزل، والقضاء هو وقوع ما سبق كتابته على اللوح المحفوظ في الأزل.

قال – ﷺ – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾[القمر: ٥٠]: ((فمتى ما أردنا أمراً من أمورنا التي قررناها في علمنا، وقدرناها في لوحنا المحفوظ، فإننا نفعله فعلة واحدة، ونوجده بلا معالجة ولا معاناة، فقدرنا سابق، وقضاؤنا لاحق، ولا قضاء إلاَّ وهو مرتب على القدر السابق))[2].

وقد اختلف العلماء في التفرقة بين القضاء والقدر على قولين:

القول الأول: القضاء هو: وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ مجتمعة في الأزل، والقدر وجودها متفرقة في الأعيان بعد حصول شرائطها [3].

يقول ابن حجر – ﷺ –:((قال العلماء القضاء هو: الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر: جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله))[4].

وفي موضع آخر قال – ﷺ –:((القضاء هو: الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل، والقدر الحكم بوقوع الجزيئات التي لتلك الكليات على سبيل التفصيل))[5].

إذاً على هذا القول يكون القضاء هو: العلم السابق الذي حكم الله به في الأزل، والقدر هو: وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق.

القول الثاني: أنّ المراد بالقدر: هو التقدير، ويراد بالقضاء: الخلق، أو وقوع المقدور على

---

(١) انظر مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/٢٠٤).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٣/٢٧٩).

(٣) انظر التعريفات – للجرجاني (١/١٧٤).

(٤) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر (١١/٤٧٧).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر (١١/١٤٩).

وفق الحكم السابق في الأزل، كقوله تعالى: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَا﴾[فصلت: ١٢]، أي خلقهن.

يقول الراغب الأصفهاني – ﷺ –:((فالقضاء من الله تعالى أخص من القدر على هذا القول، لأنّه الفصل بين التقديرين، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع))[(١)].

والشيخ ابن عثيمين يرى أنّ بينهما عموم وخصوص، بحيث أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذ افترقا اجتمعا **فيقول** – ﷺ –:((إن قرنا بينهما يصبح **القدر هو**: تقدير الله في الأزل، **والقضاء**: حكم الله بالشيء عند وقوعه، فإذا قدر الله – ﷻ – أن يكون الشيء المعين في وقته فهذا قدر، فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاء.

ويشهد لهذا أدلة كثيرة من كتاب الله – ﷻ –، كقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾ [مريم: ٢١]، وقال: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴾[مريم: ٧١]، وقال: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[البقرة: ١١٧]، وما أشبه ذلك، فالقدر تقدير الله – تعالى – الشيء في الأزل ، والقضاء قضاؤه به عند وقوعه، هذا إن قرنا جميعا فبينهما فرق كما سبق، وإن أفرد أحدهما عن الآخر فهما بمعنى واحد، إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا))[(٢)].

وقال الخطابي – ﷺ – **في ذلك**: ((وجماع القول في هذا الباب — أي: في القضاء والقدر — أنهما أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه))[(٣)].

وبهذا يتبين لنا أنّ طنطاوي جوهري أخذ بقول من قال بأنَّ القدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع. وعليه فإنه لم يخرج عما ذهب إليه العلماء في التفريق بين القضاء والقدر.

المسألة الثانية: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

نجد طنطاوي جوهري – ﷺ – يقرُّ ما قرره أهل السنة والجماعة بأنَّ الإيمان بالقدر خيره وشره من الله، وأنّ هذه العقيدة أصلٌ من أصول الإيمان وقواعده العظام.

---

(١) انظر مفردات غريب القرآن – للراغب الأصفهاني،(٥٢٦/٢).

(٢) انظر مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين – (٧٩/٢).

(٣) انظر معالم السنن – للخطابي (٣٢٣/٤)، وللاستزادة في ذلك انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر – لابن الأثير (٧٨/٤)، وانظر لسان العرب — لابن منظور (١٨٦/١٥)، والقضاء والقدر – عمر الأشقر ص ٢٥.

فقال – ﷺ –: ((القضاء والقدر سرهما محجوب عن الناس جميعاً، لأننا في الأرض محبوسون، وما أوتينا من العلم إلاّ قليلا، وليس ذلك بخلاً من الله، بل ذلك منة وفضل))[1].

ومذهب أهل السنة والجماعة في باب القدر: هو الإيمان بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره، وأنه من الله – ﷻ –.

والأدلة على هذا الأصل العظيم من أصول الإيمان كثيرة وافرة، فمن ذلك ما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩]، وقوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى:٣]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب:٣٨]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١].

ومن السنة ما جاء في حديث جبريل المشهور، الذي رواه عبد الله بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب – ﷺ – وفيه: ((قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت. .))[2].

وحديث جابر بن عبد الله – ﷺ – قال: قال رسول الله – ﷺ –: ((لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه))[3].

وحديث علي – ﷺ – قال : قال رسول الله– ﷺ –: ((لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمدٌ رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر))[4].

يقول ابن أبي زَمَنِين – ﷺ –: ((ومن قول أهل السنة: أنَّ المقادير كلها خيرها وشرها حلوها ومرها من الله – ﷻ – فإنه خلق الخلق وقد علم ما يعملون وما إليه يصيرون، فلا مانع

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٨٩/٦).

(٢) رواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة) (٣٦/١) حديث رقم: (٨).

(٣) رواه الترمذي (٤٥١/٤) (٢١٤٤)، وقال الترمذي: وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن ميمون، وعبد الله بن ميمون منكر الحديث، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٦٦/٥) (٢٤٣٩).

(٤) رواه الترمذي (٤/ ٤٥٢) (٢١٤٥)، وابن ماجه (٥٩/١) (٨١)، وصححه الألباني في المشكاة (٣٧/١) (١٠٤).

لما أعطى، ولا معطي لما منع)) [1].

يقول الإمام النووي – رحمه الله –: ((وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف على إثبات قدر الله – سبحانه وتعالى –.)) [2].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((وتؤمن الفرقة الناجية – أهل السنة والجماعة – بالقدر: خيره وشره)) [3].

ويقول ابن حجر – رحمه الله –: ((ومذهب السلف قاطبة أنَّ الأمور كلها بتقدير الله تعالى)) [4].

إلاَّ أننا نجد طنطاوي جوهري مع اعترافه بأن القدر سر من أسرار الله – سبحانه وتعالى – الموجب للتسليم لقضائه وقدره، يرى وجوب البحث والتنقيب عن أسراره وحكمته وإعمال العقل البشري في ذلك.

قال طنطاوي – رحمه الله – **بوجوب إعمال الإنسان العقل في القضاء والقدر**: ((ولما كان دين الإسلام من قواعده الإيمان بالقضاء خيره وشره من الله، مع وجوب العقل في جميع الأحوال الممكنة؛ تمريناً للنفس لتعرج إلى عالم القدس، وكان من فضائل هذه العقيدة أنه إذا تعسر أمر ولم نجد حيلة لتحصيله فوضنا الأمر إلى الله لتسير النفس وتجد فيما لا تقدر عليه، ولا تتقطع أسفاً وحسرة على تفريطها وهي غير قادرة على شيء)) [5].

وقال – رحمه الله – **أيضاً في وجوب معرفة سر القضاء والقدر**: ((كان علماؤنا – رحمهم الله – يقولون: إنَّ هذا سر القضاء والقدر، والسرُّ الآن يجب إظهار بعضه لأنَّ النوع الإنساني ارتقى فلا بد من إظهار العلم له)) [6].

ولا شك أنّ القدر سرٌ من أسرار الله، والبحث والغوص في أعماقه يبدد الطاقة العقلية ويهدرها، والواجب على العبد ترك التعمق في البحث في القدر، فبعض جوانبه لا يمكن للعقل الإنساني مهما كان نبوغه أن يستوعبها، وبعضها الآخر لا يستوعبها إلا

---

(١) أصول السنة – لابن أبي زَمَنِين ص ١٩٧.

(٢) شرح النووي على مسلم (١/١٥٥).

(٣) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣/١٥٠، ٨/٤٤٩-٤٥٩).

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري – لا بن حجر (١١/٤٧٨)، وانظر أقوال السلف مفصلة في باب القدر، كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – هبة الله اللالكائي (٣/٥٨٩ – ٤/٨٢٣).

(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/١١٤).

(٦) المرجع السابق (٤/١٣٤).

بصعوبة كبيرة [١].

فلذا حذر السلف – رحمهم الله – عن التكلف وعدم التعمق والبحث فيه.

حيث قال الإمام أحمد[٢] – ﷺ – **في ذلك**: ((ومن السنة اللازمة: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لِمَ؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها.

ومن لم يعرف تفسير الحديث، ولم يبلغه عقله، فقد كفى ذلك، وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق، وما كان مثله في القدر))[٣].

وقال الإمام الآجُرِّيُّ – ﷺ –: ((لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث في القدر، لأنَّ القدر سر من أسرار الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير منخير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق))[٤].

يقول أبو المُظَفَّر السمْعَاني[٥] – ﷺ –: ((سبيل المعرفة في هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضلَّ وتاه في بحار الحيرة، ولم يبلغ شفاء العين، ولا ما يطمئن به القلب، لأن القدر سِرٌّ من أسرار الله تعالى، اختص العليم الخبير به، وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب))[٦].

---

(١) انظر القضاء والقدر – لعمر الأشقر ص٤٧.

(٢) هو الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني، المروزي الأصل، كان إمام المحدثين، وناصر السنة وقامع البدعة، إمام المذهب الحنبليّ، وأحد الأئمة الأربعة، ولد في بغداد سنة: ١٦٤هـ، وتوفي سنة ٢٤١هـ. وله مصنفات كثيرة، منها: المسند، وله كتب في التاريخ) والناسخ والمنسوخ والرد على الزنادقة فيما ادعت به من متشابه القرآن والتفسير و فضائل الصحابة، وغيرها. انظر طبقات الحنابلة (٤/١)، ووفيات الأعيان (٦٣/١)، تذكرة الحفاظ (٤٠/١)، وسير أعلام النبلاء (١٧٧/١١)، والأعلام للزركلي (١/ ٢٠٣).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة – للالكائي (١٧٥/١).

(٤) الشريعة – للآجُرِّيُّ (٢/ ٧٠٢).

(٥) هو أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي، السمعاني، المروزي، الحنفي كان، ثم الشافعي، ولد سنة: ٤٢٦هـ، وتوفي سنة: ٤٨٦هـ. له (تفاسير السمعاني، و (الانتصار لأصحاب الحديث، والمنهاج لأهل السنة. انظر وفيات الأعيان (٣/ ٢٠٩)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢٠٢)، وسير أعلام النبلاء (١١٤/١٩)، والأعلام للزركلي (٣٠٣/٧).

(٦) شرح النووي على مسلم (١٩٦/١٦)، وفتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر (٤٧٧/١١).

يقول الإمام الطحاوي – رحمه الله –: ((وأصل القدر سرّ الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر الحذر من ذلك نظراً وفكراً ووسوسة، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الحجر:٢٣]، فمن سأل: لم فعل ؟ فقد رد حكم الكتاب))[(١)].

المسألة الثالثة: مراتب القضاء والقدر:

وقد أشار طنطاوي جوهري – رحمه الله – إلى مراتب القدر إشارة سريعة في معرض تفسيره لبعض الآيات منها: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴾ [القمر:٥٠]، وقد ذكر في تفسير هذه الآية ثلاثة مراتب من مراتب القدر وهي: مرتبة العلم والكتابة والخلق.

فقال – رحمه الله –: ((يقول تعالى: خلقنا كل شيء مقدراً مرتباً منظماً على مقتضى الحكمة، وقد كان مكتوباً قبل ذلك في اللوح المحفوظ معلوماً عندنا، فمتى أردنا أمراً ما من أمورنا التي قررناها في علمنا، وقدرناها في اللوح المحفوظ، فإننا نفعله فعلة واحدة، ونوجده بلا معالجة ولا معاناة...))[(٢)].

وقال – رحمه الله – عن مرتبة المشيئة عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، ((أنَّ مشيئة العبد تتوقف على مقدمات ترجع في أواخر أمرها إلى مشيئة الله تعالى))[(٣)].

وقال – رحمه الله – في موضع آخر: ((فخلق ما يشاء كما يشاء))[(٤)].

وقال – رحمه الله – في موضع آخر: ((والمشيئة تتبع العلم، والعلم يتبع المعلوم، والمعلوم ليس يكون إلاَّ على النظام الأكمل))[(٥)].

ومراتب القضاء والقدر عند أهل السنة والجماعة أربع، ولا يتم إيمان العبد بالقدر إلا بإيمانه بهن.

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله – عن: ((مراتب القضاء والقدر التي من استكمل

---

(١) العقيدة الطحاوية مع شرحها – لابن أبي العز ص٢٤٣.
(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٧٩/٢٣).
(٣) المرجع السابق (٩٢/٢٥).
(٤) المرجع السابق (٥١/١٤).
(٥) المرجع السابق (٢١٩/٦).

معرفتها والإيمان بها فقد آمن بالقدر[1]، **وهي:**

المرتبة الأولى: **العلم:** وهي أن يؤمن الإنسان بأن الله بكلّ شيء عليم؛ يعلم ما كان، وما يكون قبل أن يكون، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

وقد اتفق عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم واتفق عليه جميع الصحابة ومن تبعهم من الأمة وخالفهم مجوس الأمة وكتابته السابقة تدل على علمه بها قبل كونها [2].

والأدلة في هذا كثيرة لا تحصى، كما قال - ﷻ -: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [النساء: ٣٢]، وغيرها الكثير من الأدلة التي وردت في هذا الشأن.

المرتبة الثانية: **الكتابة:** وهي الإيمان بأنّ الله كتب عنده في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

وقد دل القرآن والسنة على أنّ الرب تعالى كتب في أم الكتاب ما يفعله وما يقوله فكتب في اللوح أفعاله[3]، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾ [الزخرف: ٤] قال ابن عباس- ﷺ -: في اللوح المحفوظ، وقوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد:٢٢] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠]، ومن السنة ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – ﷺ –، قال: سمعت رسول الله – ﷺ –، يقول: ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء))[4].

وعن عبادة بن الصامت – ﷺ – قال: سمعت رسول الله – ﷺ – يقول: ((إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد))[5].

وفي لفظ: ((إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب

---

(١) شفاء العليل– لابن القيم (١/٥).

(٢) المرجع السابق (١/٢٩).

(٣) شفاء العليل – لابن القيم (١/٤١).

(٤) رواه مسلم في (كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى – عليه السلام –) (٤/٢٠٤٤) حديث رقم: (٢٦٥٣).

(٥) رواه الترمذي (٥/ ٤٢٤)، (٣٣١٩)، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد))[1].

وغلاة القدرية أنكروا علم الله – ﷻ – المتقدم وكتابته السابقة ويزعمون أنه أمر ونهي وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه بل الأمر أنف: أي مستأنف[2].

وقد أنكر الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة من قال بهذا القول، لقبحه وشناعته في حق الباري – ﷻ – حتى قال فيهم الأئمة: إنَّ المنكرين لعلم الله المتقدم يكفرون.

ثم كثر خوض الناس في القدر فصار جمهورهم يقر بالعلم المتقدم والكتاب السابق لكن ينكرون عموم مشيئة الله وعموم خلقه وقدرته، ويظنون أنه لا معنى لمشيئته إلا أمره فما شاءه فقد أمر به وما لم يشأه لم يأمر به، فلزمهم أن يقولوا: إنه قد يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء وأنكروا أن يكون الله تعالى خالقا لأفعال العباد أو قادرا عليها[3].

المرتبة الثالثة: **المشيئة**: وهي الإيمان بأنه ما وجد من موجود إلاَّ بمشيئة الله تعالى، وما عدم من معدوم إلا بمشيئته تعالى، وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم وجميع الكتب المنزلة من عند الله؛ والفطرة التي فطر الله عليها خلقه وأدلة العقول والعيان، وليس في الوجود موجب ومقتض إلاَّ مشيئة الله وحده فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، هذا عموم التوحيد الذي لا يقوم إلا به، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن[4]، كما قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ ﴾ [المائدة: ٤٨]

المرتبة الرابعة: **الخلق**: وهي الإيمان بأنّ الله تعالى خالق كلّ شيء؛ فما من موجود في السموات والأرض إلا الله خالقه، حتى الموت خلقه الله وإن كان هو عدم الحياة.

وهذا أمر متفق عليه بين الرسل – عليهم السلام – وعليه اتفقت الكتب الإلهية والفطر والعقول والاعتبار وخالف في ذلك مجوس الأمة فأخرجت طاعات ملائكته وأنبيائه ورسله وعباده

---

(١) رواه الترمذي (٤/ ٤٥٧)، (٢١٥٥)، قال الترمذي: وهذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد انقراض عصر الخلفاء الراشدين وبعد إمارة معاوية بن أبي سفيان في زمن الفتنة التي كانت بين ابن الزبير وبين بني أمية في أواخر عصر عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وغيرهما من الصحابة وكان أول من ظهر عنه ذلك بالبصرة معبد الجهني فلما بلغ الصحابة قول هؤلاء تبرءوا منهم وأنكروا مقالتهم. انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٨/٤٥٠).

(٣) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٨/٤٥٠).

(٤) شفاء العليل– لابن القيم (١/٤٣).

المؤمنين وهي أشرف ما في العالم عن ربوبيته وتكوينه ومشيئته بل جعلوهم هم الخالقون لها ولا تعلق لها بمشيئته ولا تدخل تحت قدرته[1].

والأدلة على خلقه – ﷻ – كثيرة لا تحصى، كما قال ﷻ في كتابه: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٨٦]، وقال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ [القصص: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال تعالى عن خلقه للحياة والموت ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((أنَّ مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن؛ فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه؛ بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئا إلا وهو قادر عليه))[2].

ويقول أيضاً – ﷺ –: ((ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر وأنَّ الله خالق كل شيء؛ وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأن العباد لهم مشيئة وقدرة؛ يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله. كما قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ [المدثر: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [المرسلات: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩]، والقرآن قد أخبر بأن العباد يؤمنون ويكفرون، ويفعلون ويعملون، ويكسبون ويطيعون، ويعصون ويقيمون الصلاة..... فلم يكن من السلف والأئمة من يقول: إن العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد ولا قادر. ولا قال أحد منهم: إنه فاعل مجازا بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون

(١) المرجع السابق (١/٤٩).

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٨/٤٥٩).

على أن العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله))[1].

وبالجملة وافق طنطاوي جوهري - ﷺ - مذهب أهل السنة والجماعة في مراتب القدر، التي هي العلم والكتابة والمشيئة والخلق.

وأشار إلى هذا شيخ الإسلام ابن تيمية - ﷺ - حيث يقول: ((والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين: -

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون؛ بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلا وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق... وهذا التقدير - التابع لعلمه - ﷻ - يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء: وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكا؛ فيؤمر بأربع كلمات فيقال له: اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد؛ ونحو ذلك فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ومنكره اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلاَّ بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه سبحانه وتعالى على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات. فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلاَّ الله خالقه سبحانه، لا خالق غيره، ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته...والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم؛ والعبد هو المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والمصلي والصائم؛ وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة؛ والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم، كما قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٩] وهذه الدرجة من القدر: يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي - ﷺ - مجوس هذه الأمة، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها ومصالحها))[2].

المسألة الرابعة: المحو والإثبات:

ويرى طنطاوي جوهري - ﷺ - وقوع المحو والإثبات في مقادير الخلق، بغض النظر عن وقوع ذلك في اللوح المحفوظ أو في صحف الملائكة، لأنه يرى ذلك خلاف

---

(١) المرجع السابق (٨/٤٤٩).

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣/١٥٠)، والعقيدة الواسطية: لابن تيمية ص١٠٦.

لفظي.

فقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الرعد: ٣٩] ((إذا عرفت الحقيقة فسواء كان أم الكتاب هو علم الله والتغيير في اللوح المحفوظ الذي قال فيه ابن عباس- ﷺ- من باب ضرب المثل لنا ((إنَّ لله لوحاً محفوظاً مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة، لله فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة، ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الرعد: ٣٩]))[(١)]، أو أم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي لا تغيير فيه ولا تبديل، والتغيير عند الملائكة في صحفهم التي يكتبونها، فيمحون ويثبتون، فسواءً كان هذا أو ذلك فالخلاف لفظي، والحقيقة لم تتغير، فهناك أمر واقع وأمور مبدلة وتغيير الأسماء لا يضيع الحقائق))[(٢)].

وأما ما قاله طنطاوي جوهري بأنَّ الخلاف لفظي فهو يشير إلى ما حصل بين العلماء من نفي وإثبات في مقادير الخلق.

وفي هذا يقول ابن حجر - ﷺ -: ((وقد اشتهر الخلاف في ذلك بين الأشعرية والحنفية وتمسك الأشاعرة بمثل هذا الحديث[(٣)]، وتمسك الحنفية بمثل قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الرعد: ٣٩] وأكثر كل من الفريقين الاحتجاج لقوله، والحق أنَّ النزاع لفظي، وأنّ الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل، وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي فيقع فيه المحو والإثبات؛ كالزيادة في العمر والنقص، وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات. والعلم عند الله))[(٤)].

وقد اختلف العلماء في مسألة المحو والإثبات في مقادير الخلق إلى طرفين ووسط:

الطرف الأول: القائل بعدم وقوع المحو والإثبات في المقادير، ودليلهم في ذلك هو ما

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٥١٦/٢)، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣٢٥/١)، والطبراني في المعجم الكبير (٧٢/١٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١٢٢/٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٤٢/٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٦٤/٢).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٨٥/٧).

(٣) حديث عائشة - ﷺ - عند أحمد مرفوعا ((إنَّ الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة وهو مكتوب في الكتاب الأول من أهل النار فإذا كان قبل موته تحول فعمل عمل أهل النار فمات فدخلها...)) الحديث.

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر (٤٨٨/١١)، ن: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ.

ثبت في الحديث من أنَّ القلم قد رفع وجفت الصحف، وهذا قول بعض الأشاعرة ومن وافقهم من المفسرين[1].

الطرف الثاني: القائل بوقوع المحو والإثبات في مقادير الخلق مطلقا، وقد بالغوا فيه حتى قالوا بالبداء على الله، وهذا مذهب الرافضة [2].

القول الوسط: هو قول جمهور أهل السنة والجماعة، الجمع بين النصوص الواردة في المسألة ثم التفصيل فيها [3].

فقالو أنّ القضاء والقدر على نوعين [4]:

أ- **القضاء المبرم**: هو ما سبق في علم الله وكتب في اللوح المحفوظ، وهو القدر الأزلي الذي لا يتغير ولا يتبدل، كما قال تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾[ق: ٢٩].

وقول النبي - ﷺ - لأم المؤمنين أم حبيبة - رضي الله عنها - حينما دعت باللهم أمتعني بزوجي رسول الله - ﷺ - ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال- ﷺ - لها: ((قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئا قبل حله، أو يؤخر شيئا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيرا وأفضل))[5].

وفي هذا يقول الإمام النووي - رحمه الله -: ((أنَّ الآجال والأرزاق مقدرة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها ونقصها حقيقة عن ذلك))[6].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ((والله سبحانه عالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك؛ والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها؛ فلهذا قال العلماء: إنَّ المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن

---

(١) انظر شرح المقاصد – للتفتازاني (٤/٢٣١)، وتفسير الألوسي (٧/١٦٠).

(٢) انظر تفسير الألوسي (٧/١٦٠.

(٣) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٨/٥٤٠، ١٤/٤٩٢)، وفتح الباري – لابن حجر (١١/٤٨٨)، ولوامع الأنوار البهية –للسفاريني (١/٣٤٨)، وتفسير السعدي ص٤١٩.

(٤) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري - لابن حجر (١٠/٤١٦، ١١/٤٨٨)،

(٥) رواه مسلم في (كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر) (٤/٢٠٥٠) حديث رقم: (٢٦٦٣).

(٦) شرح النووي على مسلم (١٦/٢١٣).

عالما به، فلا محو فيه ولا إثبات)) [1].

ب- **القضاء المعلق**: هو ما في صحف الملائكة والحفظة، وهو الذي يقع فيه المحو والإثبات والتغيير والتبديل، كما جاء في ذلك نصوص الشرع.

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الرعد: ٣٩]، ((قال المفسرون وهو اللوح المحفوظ الذي أثبت فيه ما يكون ويحدث... وروى عكرمة عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب لا يغير منه شيء))[2].

يقول ابن حجر - رحمه الله -: ((الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في علم الحفظة والموكلين بالآدمي فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة في العمر والنقص وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات والعلم عند الله))[3].

يقول السفاريني - رحمه الله -: ((وأما الأحاديث التي فيها أنَّ بعض الطاعات تزيد في العمر، مثل صلة الرحم، ونحو ذلك مما جاء أنه يقصر العمر، فهذا في الصحف التي يقع فيها المحو، والإثبات، وعلم الله - تعالى - لا يقع فيه تغيير ولا زيادة ولا نقصان))[4].

وبهذا قد وافق طنطاوي جمهور مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة حيث أثبت أنّ التغيير والتبديل والمحو والإثبات لا يكون في علم الله الأزلي مطلقاً، وإنما يكون المحو والإثبات في اللوح المحفوظ وللعلماء فيه قولان، والأصح في ذلك هو أنه لا يقع فيه المحو والإثبات، وإنما يكون في الصحف التي في أيدي الملائكة[5].

وطنطاوي - رحمه الله - أشار إلى هذا الخلاف كما سبق دون ترجيح أحد القولين منه، لكنه أقرّ بوقوع المحو والإثبات في مقادير الخلق.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ((والله سبحانه عالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؛ فهو يعلم ما كتبه له وما يزيده إياه بعد ذلك؛

---

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٤/٤٩١).

(٢) زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي (٥/ ٥٠١).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر (١١/٤٨٨).

(٤) لوامع الأنوار البهية – للسفاريني (١/٣٤٩).

(٥) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر (١١/٤٨٥)، ولباب التأويل في معاني التنزيل – للخازن (٣/٢٤).

والملائكة لا علم لهم إلا ما علمهم الله، والله يعلم الأشياء قبل كونها وبعد كونها؛ فلهذا قال العلماء: إنَّ المحو والإثبات في صحف الملائكة، وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالما به، فلا محو فيه ولا إثبات.

وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات على قولين. والله سبحانه وتعالى أعلم)) [1].

ويقول العلامة السعدي - رحمه الله - عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[الرعد: ٣٩]، ((يمحو الله ما يشاء من الأقدار: ويثبت ما يشاء منها، وهذا المحو والتغيير في غير ما سبق به علمه وكتبه قلمه، فإن هذا لا يقع فيه تبديل ولا تغيير، لأن ذلك محال على الله أن يقع في علمه نقص أو خلل، ولهذا قال: وعنده أم الكتاب. أي: اللوح المحفوظ الذي ترجع إليه سائر الأشياء، فهو أصلها وهي فروع له وشعب.

فالتغيير والتبديل يقع في الفروع والشعب، كأعمال اليوم والليلة التي تكتبها الملائكة، ويجعل الله لثبوتها أسبابا ولمحوها أسبابا لا تتعدى تلك الأسباب ما رسم في اللوح المحفوظ، كما جعل الله البر والصلة والإحسان من أسباب طول العمر وسعة الرزق، وكما جعل المعاصي سببا لمحق بركة الرزق والعمر، وكما جعل أسباب النجاة من المهالك والمعاطب سببا للسلامة، وجعل التعرض لذلك سببا للعطب، فهو الذي يدبر الأمور بحسب قدرته وإرادته، وما يدبره منها لا يخالف ما قد علمه وكتبه في اللوح المحفوظ))[2].

المسألة الخامسة: أفعال العباد[3]:

يرى طنطاوي جوهري - رحمه الله - أنَّ جميع أفعال العباد مخلوقة ومقدرة لله، ومكتسبة بواسطة العباد، وقد زعم أنّ هذا القول هو قول أهل السنة في المسألة.

يقول طنطاوي - رحمه الله -: ((وقد جاء نسبة الإيمان لله وقضائه كما في قوله تعالى ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ ﴾[الأنعام: ١٢٥]، وجاء أيضاً ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾[الأنعام: ١٣٧]، فالقرآن صريح أنّ كل هذا من فعل الله نفسه صراحة، وإن كان أهل السنة يقولون بالكسب الاختياري، والمعتزلة يقولون قولاً آخر وهو: أنّ

---

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٤/٤٩١).

(٢) تفسير السعدي ص٤١٩.

(٣) هي الأفعال الاختيارية التي تقع من الناس؛ كالطاعات والمعاصي التي يقدم عليها العبد بإرادته؛ قاصداً نتائجها. ويخرج من ذلك الأفعال الاضطرارية التي تحدث رغماً عنهم ودون اختيار منهم. انظر موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (١/٣١١).

الفعل للعبد، وآخرون يقولون بالجبر وعدم الاختيار))[1].

وقال – ﷺ –: ((اعلم أنّ الله – ﷻ – علم قبل خلقنا أننا لا يتسنى لنا الوقوف على حقيقة التكوين ولا بدائع القدرة، فجعلنا نحن أشبه بمثل مضروب لذلك، ألا ترى رعاك الله أن هنا ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: العالم كله.

المرتبة الثانية: الإنسان الواحد.

المرتبة الثالثة: القوى الذهنية في الإنسان.

هذه هي المراتب الثلاث في الوجود: فالمرتبة الأولى والمرتبة الثانية من فعل الله – ﷻ –، أما المرتبة الثالثة فهي من فعله بواسطة أنفسنا))[2].

وقال أيضاً – ﷺ –: ((الإنسان حر وهو عبد، مختار وهو مجبور))[3].

وقوله مختار وهو مجبور، فمآل قوله هذا يفضي إلى أنَّ العبد مختار في الظاهر وهو مجبور في الباطن، لأن المؤثر في المقدور قدرة الرب لا قدرة العبد عندهم.

وهو بذلك – ﷺ – قد سلك مسلك الأشاعرة من قوله بالكسب الاختياري في أفعال العباد،

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – عن قولهم بالكسب: ((وهم لا يقولون به، بل قدرة العبد عندهم لا تتعلق إلاَّ بفعل في محلها، مع أنها عند شيخهم غير مؤثرة في المقدور، ولا يقول أنَّ العبد فاعل في الحقيقة، بل كاسب.

ولم يذكروا بين الكسب والفعل فرقا معقولا، بل حقيقة قولهم قول جهم: إن العبد لا قدرة له، ولا فعل، ولا كسب.

والله عندهم فاعل فعل العبد، وفعله هو نفس مفعوله؛ فصار الرب عندهم فاعلاً لكل ما يوجد من أفعال العباد. ويلزمهم أن يكون هو الفاعل للقبائح، وأن يتصف بها على قولهم إنه يوصف بالصفات الفعلية القائمة بغيره.))[4].

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٣٢/٤).

(٢) المرجع السابق (٢٨٠/٢٣).

(٣) المرجع السابق (٤٧/٢١).

(٤) النبوات – لابن تيمية، (٤٦١/١).

ولا شك أنّ هذا القول مخالف لما عليه مذهب أهل السنة والجماعة في القديم والحديث، فمذهب الحق في ذلك هو كما قال أهل العلم: أنَّ الله ﷻ خالق كل شيء وربه ومليكه، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها، وصفاتها القائمة بها، من أفعال العباد، وغير أفعال العباد[1]، كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢].

وفي هذا **يقول الإمام البخاري** – رحمه الله –: ((سمعت عبيد الله بن سعيد يقول: سمعت يحيى بن سعيد يقول: ما زلت أسمع من أصحابنا يقولون: ((إنَّ أفعال العباد مخلوقة))، قال أبو عبد الله: ((حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة))[2].

وممن حكى الإجماع على أنّ أفعال العباد مخلوقة لله **الإمام أبي الحسن الأشعري** – رحمه الله –: حيث **قال**: ((الإجماع الثامن والعشرون: إثبات أنَّ جميع أفعال العباد مخلوقة لله تعالى ولا يخرج شيء في ملكه عن علمه وإرادته))[3].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر، وأنَّ الله خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنَّ العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم إنَّ العباد لا يشاءون إلاَّ أن يشاء الله. كما قال الله تعالى:... ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [التكوير: ٢٩].

والقرآن قد أخبر بأنّ العباد يؤمنون ويكفرون، ويفعلون ويعملون ويكسبون، ويطيعون ويعصون، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة... فلم يكن من السلف والأئمة من يقول: إنَّ العبد ليس بفاعل ولا مختار ولا مريد ولا قادر، ولا قال أحد منهم: إنه فاعل مجازاً بل من تكلم منهم بلفظ الحقيقة والمجاز متفقون على أنَّ العبد فاعل حقيقة والله تعالى خالق ذاته وصفاته وأفعاله))[4].

يتبين لنا من خلال ذلك أنَّ مذهب أهل السنة والجماعة في أفعال العباد هو الوسط بين المذاهب المخالفة في ذلك، حيث أقرَّ **أهل السنة والجماعة** أنَّ الله هو خالق كل شيء، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنَّ العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم

---

(١) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٣/ ٢٢٨).

(٢) خلق أفعال العباد – للإمام البخاري ص٤٧.

(٣) رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب – أبي الحسن الأشعري ص٥٨.

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٨/ ٤٥٩).

وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم إنَّ العباد لا يشاءون إلاَّ أن يشاء الله، **فمذهبهم وسط بين:**

مذهب الجبرية القائلين: بأنَّ العبد مجبور على أفعاله، ليس له قدرة ولا إرادة، بل أفعاله كحركة المرتعش، وكالريشة في مهب الريح، وأول من قال بهذا القول هو الجهم بن صفوان(١).

ومذهب القدرية من المعتزلة وغيرهم؛ النافين للقدر، القائلين: بأنَّ العباد هم الخالقون لأفعالهم، وأنه ليس لله ﷻ في أكسابهم ولا في أعمال سائر الحيوانات صنع وتقدير(٢).

والأشاعرة حاولت التوسط بين **مذهبي الجبرية والقدرية** مع موافقتهم لمذهب أهل السنة في أنّ أفعال العباد مخلوقة ومقدرة لله، لكنهم أتوا بعقيدة فاسدة فقالوا **بالكسب،** فراراً من قول الجبرية ثم اختلفوا في تفسيرها اختلافاً كثيرا.

فقد أثبتوا لله قدرة، وللعبد قدرة، وقالوا: إنّ أفعال العباد مخلوقة لله بقدرته، وتحدث باختيار العبد وقدرة مقارنة للفعل لكنه غير مؤثرة فيه – أي: إنَّ المؤثر في المقدور قدرة الرب لا قدرة العبد – (٣)، وقولهم هذا أقرب إلى قول الجبرية (٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: ((فجمهور أهل السنة من السلف والخلف يقولون: إن العبد له قدرة وإرادة وفعل، وهو فاعل حقيقة، والله خالق ذلك كله كما هو خالق كل شيء، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.))(٥).

ويقول أيضاً – رحمه الله –: ((والتحقيق ما عليه أئمة السنة وجمهور الأمة؛ من الفرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق؛ فأفعال العباد هي كغيرها من المحدثات مخلوقة مفعولة لله: كما أنّ نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله وليس ذلك نفس خلقه وفعله بل هي

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين– أبي الحسن الأشعري (٣٣٨/١)، والفرق بين الفرق – لعبد القاهر البغدادي ص١٩٤، والملل والنحل – للشهرستاني (٩٨/١)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين – فخر الدين الرازي ص٦٨.

(٢) انظر شرح الأصول الخمسة – للقاضي عبد الجبار ص٧٧٨، والفرق بين الفرق – لعبد القاهر البغدادي ص١١٣، والفصل في الملل والأهواء والنحل –لابن حزم الظاهري (٨٦/٢)، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين – فخر الدين الرازي ص٣٨، مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٢/ ١٥٢).

(٣) شرح المقاصد في علم الكلام – للتفتازاني (٢٢٥/٤)، والمواقف – لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، (٣/ ٢١٤)، وأصول الدين – لعبد القاهر البغدادي ص١٣٤، والفرق بين الفرق – لعبد القاهر البغدادي ص٢٩٨، والقضاء والقدر – للبيهقي ص١٦٨، وشرح العقيدة الواسطية –لابن مانع، ص١٤.

(٤) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٨/ ٤٤٩).

(٥) منهاج السنة النبوية – لابن تيمية (١١٠/٣).

مخلوقة ومفعولة وهذه الأفعال هي فعل العبد القائم به ليست قائمة بالله ولا يتصف بها فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته؛ وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته، والعبد فاعل لهذه الأفعال، وهو المتصف بها، وله عليها قدرة، وهو فاعلها باختياره ومشيئته، وذلك كله مخلوق لله، فهي فعل العبد ومفعولة للرب. لكن هذه الصفات: لم يخلقها الله بتوسط قدرة العبد ومشيئته؛ بخلاف أفعاله الاختيارية؛ فإنه خلقها بتوسط خلقه لمشيئة العبد وقدرته كما خلق غير ذلك؛ من المسببات بواسطة أسباب أخر)) [1].

ويقول ابن القيم – ﷺ –: ((قد دل الدليل على شمول قدرة الرب سبحانه لكل ممكن من الذوات والصفات والأفعال، وأنه لا يخرج شيء عن مقدوره البتة، ودل الدليل أيضا على أنَّ العبد فاعل لفعله بقدرته وإرادته، وأنه فعل له حقيقة، يمدح ويذم به عقلا وعرفا وشرعا، وفطرة فطر الله عليها العباد حتى الحيوان البهيم، ودل الدليل على استحالة مفعول واحد بالعين بين فاعلين مستقلين وأثر واحد بين مؤثرين فيه على سبيل الاستقلال...

والصواب أن يقال تقع الحركة بقدرة العبد وإرادته التي جعلها الله فيه، فالله سبحانه إذا أراد فعل العبد خلق له القدرة والداعي إلى فعله، فيضاف الفعل إلى قدرة العبد إضافة السبب إلى مسببه، ويضاف إلى قدرة الرب إضافة المخلوق إلى الخالق، فلا يمتنع وقوع مقدور بين قادرين قدرة أحدهما أثر لقدرة الآخر وهي جزء سبب وقدرة القادر الآخر مستقلة بالتأثير...

وليس في الوجود شيء مستقل بالتأثير سوى مشيئة الرب سبحانه وقدرته، وكل ما سواه مخلوق له، وهو أثر قدرته ومشيئته، ومن أنكر ذلك لزمه إثبات خالق سوى الله، أو القول بوجود مخلوق لا خالق له؛ فإنَّ فعل العبد إن لم يكن مخلوقا لله كان مخلوقاً للعبد إما استقلالا وإما على سبيل الشركة، وإما أن يقع بغير خالق ولا مخلص عن هذه الأقسام لمنكر دخول الأفعال تحت قدرة الرب ومشيئته وخلقه، **وإذا عرف هذا فنقول**: الفعل وقع بقدرة الرب خلقاً وتكويناً كما وقعت سائر المخلوقات بقدرته وتكوينه، وبقدرة العبد سبباً ومباشرةً، والله خلق الفعل، والعبد فعله وباشره، والقدرة الحادثة وأثرها واقعان بقدرة الرب ومشيئته)) [2].

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٢/ ١١٩)، ومنهاج السنة النبوية – لابن تيمية (١١٢/٣).

(٢) شفاء العليل – لابن قيم الجوزية، ص١٤٦.

الباب الخامس

آراء طنطاوي جوهري في مسائل اليوم الآخر

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: أشراط الساعة.

الفصل الثاني: عذاب القبر ونعيمه.

الفصل الثالث: أحوال يوم القيامة.

الفصل الرابع: الجنة والنار.

الفصل الأول
أشراط الساعة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ظهور المهدي.

المبحث الثاني: خروج المسيح الدجال.

المبحث الثالث : نزول عيسى ابن مريم- عليه السلام .

المبحث الرابع: خروج قوم يأجوج ومأجوج.

المبحث الأول: ظهور المهدي

أنّ من علامات الساعة وقرب وقوعها وقيامها ظهور المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، وأهل السنة والجماعة يثبتون ذلك على ما دلت عليه النصوص الثابتة التي ذكر فيها اسمه واسم أبيه ونسبه وصفاته، وأنه خليفة راشد ومصلح يظهر في آخر الزمان يؤيده الله ويصلح به العباد والعباد، وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في المهدي(١).

والنصوص الصحيحة الدالة على ظهور المهدي في آخر الزمان كثيرة متواترة، وسأذكر هنا بعض هذه الأحاديث التي رواها أهل السنن، والتي فيها الكفاية والغنية في إثبات ظهوره، فمن ذلك حديث:

- عبد الله بن مسعود -ﷺ-، قال: قال رسول الله - ﷺ -: ((لا تذهب الدنيا - أو قال: لا تنقضي الدنيا - حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)) (٢).

- وحديث أبي سعيد الخدري -ﷺ-، قال: قال رسول الله - ﷺ -: ((المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جوراً وظلما، يملك سبع سنين))(٣).

- وعنه أيضاً، أنَّ رسول الله - ﷺ -، قال: ((يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا، وتكثر الماشية وتعظم الأمة، يعيش سبعا أو ثمانيا)) (٤). يعني حججا.

- وعن علي-ﷺ-، قال: قال رسول الله - ﷺ -: ((المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة)) (٥).

---

(١) انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف - لابن القيم، ص١٤٨، وتحديق النظر في أخبار الإمام المهدي المنتظر – محمد بن مانع ص٣٠.

(٢) رواه الترمذي في سننه (باب ما جاء في المهدي) (٤/٥٠٥)، وقال الترمذي: في الباب عن علي، وأبي سعيد، وأم سلمة، وأبي هريرة وهذا حديث حسن صحيح، ورواه أحمد في مسنده (٦/٤٥)،(٣٥٧٣)، ت: أحمد شاكر وقال «إسناده صحيح».

(٣) رواه أبو داود في كتاب المهدي (٦/٣٤٢)

(٤) رواه الحاكم في مستدركه، (٤/ ٦٠١)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه»، وقال الألباني: «هذا سند صحيح، رجاله ثقات». «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢/ ٣٣٦) (٧١١).

(٥) رواه ابن ماجه، (٢/ ١٣٦٧)، ورواه أحمد في مسنده (١/٤٤٤) (٦٤٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢١/ ٥١٢).

- عن أبي سعيد الخدري -ﷺ-، قال: قال رسول الله - ﷺ -: ((يكون من أمتي المهدي، فإن طال عمره أو قصر عمره عاش سبع سنين، أو ثمان سنين، أو تسع سنين، يملأ الأرض قسطا وعدلا، وتخرج الأرض نباتها، وتمطر السماء قطرها))[1].

قال أبو الحسن الآبري[2] - ﷺ -: ((قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى - ﷺ - في المهدي، وأنه من أهل بيت النبي - ﷺ -، وأنه يملك سبع سنين، ويملأ الأرض عدلاً...))[3].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - ﷺ -: ((أنَّ الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبو داود، والترمذي، وأحمد، وغيرهم.))[4].

ويقول العلامة السفاريني - ﷺ -: ((الواجب اعتقاده من ذلك ما دلت عليه الأخبار والآثار الصريحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال، وسيدنا عيسى ابن مريم في زمنه ويصلي عيسى عليه السلام خلفه صلاة الفجر وهو المراد حيث أطلق المهدي))[5].

وأما طنطاوي جوهري - ﷺ - نجد حديثه في المهدي يدور على محاور ثلاثة:

المحور الأول: **نقده الأحاديث التي جاء فيها خبر المهدي وصفاته:**

وهو في ذلك قد قلَّد ابن خلدون - ﷺ -، حيث نقد وضعف الروايات التي جاء فيها خبر المهدي وعن صفاته واسمه ونسبه ووقت خروجه، حيث نقده نقداً جارحاً، بحجة أنّ الجرح مقدم على التعديل، **فقال طنطاوي نقلاً عنه بعد ذكره لبعض الأحاديث الواردة في المهدي:** ((فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلاّ القليل والأقلّ منه))[6]، ثم روى - أي: ابن خلدون - حديثاً بنفي المهدي وتكلم في جرحه وتعديله...وقال بجرحها تارة وإنكارها

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧/٣١٠) (١١٢١٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٩٠).

(٢) هو محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم، أبو الحسن الآبري السجستاني، كان حافظا مجودا، ثبتاً مصنفاً، توفي سنة: ٣٦٣ هـ، وله كتاب: مناقب الإمام الشافعي. انظر شذرات الذهب(٤/٣٣٧)، وسير أعلام النبلاء (١٦/٣٠٠)، والأعلام للزركلي(٦/٩٧).

(٣) مناقب الإمام الشافعي - أبو الحسن الآبري.

(٤) منهاج السنة النبوية— ابن تيمية (٨/٢٥٤).

(٥) لوامع الأنوار البهية — للسفاريني (٢/١٢٧).

(٦) مقدمة ابن خلدون ص٥٣٢.

أخرى))[1].

فبذلك تابع **طنطاوي جوهري** قول ابن خلدون في المهدي، بدعوى أنّ هذه الروايات هي السبب في ضعف عزائم الأمة، وهي التي أورثت الخور والضعف، وتسببت في تفرق الأمة والاختلاف والتنافر والاقتتال بين بعضهم البعض.

ولا شك أنّ متابعة طنطاوي جوهري لابن خلدون في تضعيف الروايات؛ التي رواها أهل السنن في المهدي[2] دون عناء بحث ودراسة مخالفة صريحة منه لمنهج البحث.

والأحرى منه أن يدرس هذه المسألة دراسة تأصيلية، ويجمع فيها أقوال العلماء والمحدثين قديماً وحديثاً، كما كان هو شأنه مع المسائل العلمية والتجريبية.

لأنّ ابن خلدون – ﷺ – وإن كان في التاريخ علماً من الأعلام، فهو في الحديث من الأتباع وليس من أهل الصناعة الحديثية، فلا يعتد به في التصحيح والتضعيف[3].

فلذا ردَّ عليه كثير من العلماء على مسلكه الذي سلكه في أحاديث المهدي، **ومنهم المحقق أحمد شاكر[4] حيث قال**– ﷺ –: ((أما ابن خلدون، فقد قفا ما ليس له به علم، واقتحم قُحَما لم يكن من رجالها... وأنه قد تهافت في هذا الفصل تهافتاً عجيباً، وغلط فيه أغلاطاً واضحة!!... وأنه لم يحسن قول المحدثين: الجرح مقدم على التعديل، ولو اطلع على أقوالهم وفقهها ما قال شيئاً مما قال...))[5].

وكذلك ابن خلدون لم يحص الأحاديث الواردة في المهدي وإنما ذكر جزءاً قليلاً منها، ومع محاولته لتضعيفها لم يجد بداً من الاعتراف بصحة بعضها[6].

فقال: ((فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلاّ القليل والأقلّ منه)).

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢/١١ – ١٦، ٢٨٠/٢٢).

(٢) انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر – محمد الكتاني (١/ ٢٢٥).

(٣) انظر الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي – عبد المحسن البدر (٥٤٣/٧).

(٤) هو أحمد بن محمد شاكر بن أحمد ابن عبد القادر، من آل أبي علياء، عالمٌ بالحديث والتفسير، مصري. مولده ووفاته في القاهرة، ولد سنة: ١٣٠٩هـ، وتوفي عام: ١٣٧٧هـ، وقد تولى في حياته بعض الوظائف القضائية. وله مؤلفات كثيرة، منها: شرح مسند الإمام أحمد، وعمدة التفسير، والشرع واللغة، وغيرها. انظر الأعلام للزركلي (٢٥٣/١).

(٥) انظر تعليق أحمد شاكر على مسند الإمام أحمد بن حنبل، (٣/ ٤٩٢) بتصرف.

(٦) انظر المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار– د. عبد العليم البستوي ص٣٦٦.

فلذا بحث علماء أهل السنة والجماعة في أحاديث المهدي وتحدثوا عنها وبينوا ما يشفي الغليل منها، من ذلك:

ما ذكر الإمام ابن القيم – ﷺ – عن درجات الأحاديث الواردة في المهدي، **فقال:** ((وهذه الأحاديث على أربعة أقسام: صحاح، وحسان، وغرائب، وموضوعة...وهذه الأحاديث وإن كان في إسنادها بعض الضعف والغرابة فهي مما يقوي بعضها بعضا ويشد بعضها ببعض فهذه أقوال أهل السنة))[(١)].

وقال الإمام الشوكاني[(٢)] – ﷺ – ((الأحاديث في تواتر ماجاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر علي ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي؛ فهي كثيرة أيضا، لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك))[(٣)].

وقال محمد صديق حسن القنوجي[(٤)] – ﷺ –: ((الأحاديث الواردة فيه – أي: المهدي– على اختلاف رواياتها كثيرة جدا، تبلغ حد التواتر المعنوي، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد)) [(٥)].

وقال الشيخ محمد بن جعفر الكتاني[(٦)]: ((والحاصل أنَّ الأحاديث الواردة في المهدي

---

(١) انظر المنار المنيف – لابن القيم ، بتصرف، ص١٤٨.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن،ولد بهجرة شوكان، عام: ١١٧٣هـ، وتوفي عام:١٢٥٠هـ، ومن مؤلفاته: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن الساب، وإتحاف الأكابر، والتحف في مذهب السلف، وغيرها. انظر الأعلام للزركلي (٢٩٨/٦).

(٣) رسالة للشوكاني اسمها «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح» ذكر ذلك محمد صديق حسن القنوجي في كتابة «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، ص١٥٠، و نظم المتناثر من الحديث المتواتر – للشيخ محمد بن جعفر الكتاني، ص٢٢٧.

(٤) هو أبو الطيّب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني، البخاري، القنوجي الهندي عالم، أمير، مشارك في انواع من العلوم، يعد من رجال النهضة الإسلامية المجددين

ولد في قنوج بالهند، سنة:١٢٤٨هـ، وتوفي سنة: ١٣٠٧هـ، وله مؤلفات عديدة ما كتب باللغة العربية: حسن الأسوة في ما ثبت عن الله ورسوله في النسوة، و تح البيان في مقاصد القرآن، والإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، وغيرها من المؤلفات التي ألفت باللغة الفارسية والهتدية. انظر الأعلام للزركلي (٦/ ١٦٧)، معجم المؤلفين (٩٠/١٠).

(٥) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة – محمد صديق القنوجي، ص١٤٩.

(٦) هو أبو عبد الله: محمد بن جعفر بن إدريس الكَتَّاني الحسني الفاسي، ولد بفاس، سنة: ١٢٧٤هـ،وتوفي فيها، سنة: ⇦=

المنتظر متوافرة، وكذا الواردة في الدجال، وفي نزول سيدنا عيسي بن مريم علية السلام)) [1].

ويقول العلامة السفاريني- ﷺ -: عن كثرة الروايات التي وردت في المهدي ((وقد كثرت بخروجه- أي: المهدي- الروايات، حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة، حتي عد من معتقداتهم)).

إلى أن قال: ((وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم - ﷺ - بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم، ما يفيد مجموعة العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم، ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة))[2].

وقال الشيخ ابن باز[3] - ﷺ -:((أمر المهدي معلوم والأحاديث فيه مستفيضة بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، وهي متواترة تواتراً معنوياً لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت من ذرية الحسن بن علي - ﷺ - وهذا الإمام من رحمة الله ﷻ بالأمة في آخر الزمان يخرج فيقيم العدل والحق ويمنع الظلم والجور وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلاً وهداية وتوفيقاً وإرشاداً للناس)) [4].

المحور الثاني: **تأويل طنطاوي في تعيين شخص المهدي مع تأويله لبعض الأحاديث التي وردت فيه.**

إذ المهدي عنده هو السفاح[5] الذي كان في صدر الخلافة العباسية ويقول بأنّ التاريخ

= ١٣٤٥هـ. ومن كتبه: نظم المتناثر في الحديث المتواتر، والدعامة في أحكام العمامة، والرسالة المستطرفة، والمولد النبوي، وغيرها. انظر شذرات الذهب (١١٧/٤)، وسير أعلام النبلاء (٥٣٣/١٤)، والأعلام للزركلي (٧٣/٦).

(١) انظر نظم المتناثر من الحديث المتواتر - محمد بن جعفر الكتاني، ص٢٢٩.

(٢) لوامع الأنوار البهية — للسفاريني (٨٤/٢).

(٣) هو الإمام الصالح الورع الزاهد، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز، ولد في الرياض سنة: ١٣٣٠هـ، وقد تولى عدة مناصب في الدولة، منها: القضاء ورئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة، وآخرها تولى منصب مفتي عام المملكة، وله مؤلفات كثيرة، منها: نقد القومية العربية، العقيدة الصحيحة وما يضادها، وحكم الإسلام فيمن طعن في القرآن أو في رسول الله - ﷺ -، وغيرها، وتوفي - ~ - في مدينة الطائف سنة: ١٤٢٠هـ. انظر إمام العصر — د. ناصر الزهراني ص٩ وما بعدها، و الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز — عبد الرحمن بن يوسف الرحمة، ص٣٣وما بعدها.

(٤) نشرت في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية -، (٢ / ١٤٦).

(٥) هو أبو العبّاس السّفّاح عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف =

يؤيد ذلك، ودليله في هذا، كما **ذكر طنطاوي**: حديث رسول الله – ﷺ –:((إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فاتبعوهم فإن فيهم ولي الله المهدي)) [(١)].

ثم قال: ((اختبارنا لتاريخ أمم الإسلام عرّفنا أنَّ المهدي الذي جاء به الحديث المتقدم هو السفاح، ...فقال صديقي: ولكن ذلك سيكون يوم القيامة. فقلت: هذا الحديث ينطبق عليه، فإنَّ الرايات السود جاءت من قبل خراسان هي التي كانت مع أبي مسلم الخراساني، وهو الذي قام بها من خراسان لنصرة بني العباس،...فهو تاريخ ملطخ بالدماء فقد قتل من المسلمين على ما مربك ٦٠٠ ألف مسلم غدرا بأمر إبراهيم الإمام، وهو اخوا السفاح.

إذن هذه المهدوية بنيت على سفك الدماء. فقال: وما المانع من أن يكون المهدي يخرج في آخر الزمان، وتقوم راياته السود من خراسان؟ فقلت: إذن يكون معنى هذا أننا نعيش بلا عقول، القرينة ظاهرة واضحة، إنَّ تلك الأحاديث جاءت لأجل هؤلاء...فدراسة الحديث من غير مراعاة العلوم الأخرى معناها الجهل والغفلة وعدم الفطنة والموت[(٢)].

ثم يرى طنطاوي أنّ بني العباس كانوا يبثون بين الناس رواية ((إذا رأيتم الرايات السود...إلخ)) لكسب قلوب الناس في تثبيت الخلافة لهم مقابل العلويين، وفي أثناء تلك الظروف انتشرت روايات أخرى بين الناس نقيض الرواية الأولى، تؤيد فيها العلويين **يقول طنطاوي عن ذلك**: ((بينما كان العباسيون تخفق راياتهم السود في خراسان كما تقدم آنفاً وكان هذا الحديث ينشر بين المسلمين، كانت تنشر أحاديث أخرى مثل حديث: ((يخرج رجل من بيتي اسمه على اسمي واسم أبيه على اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً))[(٣)].

وعبد الله هذا من ذرية الحسن وابنه هو النفس الزكية، وهو الذي قتله المنصور فيما بعد، وقد كانت له البيعة الصحيحة وأفتى به أبو حنيفة ومالك، فاضطهدهما المنصور...وحرام علي أن أعرف هذا ولا أبينه للمسلمين بعدنا، لأنّ عزل التاريخ وبقية العلوم عن القرآن والحديث

= القرشي، الهاشمي، العباسي، أول الخلفاء من بني العباس، وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب، ولد سنة:١٠٤هـ، وتوفي سنة: ١٣٢هـ.

انظر شذرات الذهب (١٣٨/٢)، وسير أعلام النبلاء (٧٧/٦)، والأعلام للزركلي (١١٦/٤).

(١) رواه أحمد في مسنده (٧٠/٣٧) (٢٢٣٨٧)، والحاكم في مستدركه (٥٤٧/٤)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته (١/ ٧٢).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٧٩/٢٢-٢٨٠).

(٣) رواه الحاكم في مستدركه (٤٨٨/٤).

أضر أشد الضرر بأمتنا الإسلامية العزيزة علي[١].

إذاً في نظر طنطاوي جوهري أنّ هذه الروايات التي وردت في المهدي وفي صفاته كلها روايات ضعيفة، وأنها وجدت في حال النزاع السياسي الذي كان بين العباسيين والعلويين لكسب قلوب الناس ومحبتهم لهم ومبايعتهم للخلافة دون غيرهم.

وهو بذلك قد تقلَّد أيضاً ما قاله بعض المعاصرين كأحمد أمين[٢] وغيره، بأنَّ فكرة المهدية وجدت لأهداف سياسية واجتماعية[٣].

ولا شك أنَّ هذا القول غير صائب وفيه زيادة في الهلكة لما فيه من استنكار هذا الباب الذي اشتملت عليه كتب السنة النبوية، وهو باب الملاحم وما يندرج تحته من أحاديث عن إخبار بمغيبات، وكثير من أحاديث هذا الباب موجودة في الصحيحين وفي غيرهما[٤].

وأما تأويله في تعيين شخص المهدي وقوله بأنه هو السفاح وإنزال الأحاديث الواردة في المهدي في شخص معين غير مراد، والتصريح له بأنه هو المهدي فهذه مخالفة صريحة لما عليه مذهب أهل السنة والجماعة، لأنَّ ذلك يؤدي إلى تعطيل النص عن مراده.

فإنَّ إنزال النص على واقعة أخرى غير مرادة للنص كان في ذلك تعطيلا للنص عن مقصوده وما وضع له أصلا، ونقلا لحكمه على واقعة غير مرادة، فإذا حكم لفلان أنه المهدي وجعلت نصوص المهدي فيه كان في ذلك رفعاً لمهدوية المهدي الحقيقي، فالمخطئ في هذا الباب مخطئ مرتين، مخطئ حين نزل النص على واقعة غير مرادة، ومخطئ برفع دلالة النص عن الواقعة المرادة[٥].

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٢/٢٨٠).

(٢) هو أحمد أمين بن إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب. اشتهر باسمه (أحمد أمين) مولده ووفاته بالقاهرة، ولد سنة:١٢٩٥هـ، تولى مناصب عدة: منها القضاء، والتدريس في الجامعة، وآخرها: مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، وتوفي سنة١٣٧٣هـ. ومن مؤلفاته: فجر الإسلام، وضحى الإسلام، وظهر الإسلام، ويوم الإسلام، والنقد الأدبي، وزعماء الإصلاح في العصر الحديث، وغيرها. انظر الأعلام للزركلي (١/١٠١)، ومعجم المؤلفين (١/١٦٨).

(٣) انظر ضحى الإسلام – أحمد أمين (٣/٨٧٢).

(٤) انظر الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي – عبد المحسن البدر (٧/٥٦٨).

(٥) انظر معالم ومنارات في تنزيل نصوص الفتن والملاحم – عبد الله العجيري، ص٤٨.

يقول الشيخ محمد إسماعيل المقدم[1]: ((إنّ المهدي شخصٌ واحدٌ لا يتكرر، والتصديق بمدعي المهدية يستلزم التكذيب بالمهدي الحقيقي، ومن ثم وجب الفحص والتحري قبل قبول دعوى المهدية، واستنباط ضوابط تضبط تعاملنا مع مدعي المهدية، وكيف نميَّز الصادق من الكاذب))[2].

بهذا يتبين أنَّ قول طنطاوي في المهدي بأنه هو السفاح الذي ظهر في صدر الدولة العباسية قولٌ مردود عليه، لأنَّ المهدي الذي ورد في السنة النبوية شخصٌ موصوفٌ بصفات خلقية معلومة، وسيخرج في آخر الزمان ولا يعلم أحداً من الخلق وقت ظهوره إلاَّ الله ﷻ.

قال محمد صديق حسن القنوجي - ﷺ -: ((لا شك في أنَّ المهدي يخرج في آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام))[3].

المحور الثالث: **تحذيره للأمة الإسلامية من الكسل والاتكال على المهدي فقال:** ((فإياكم أيها المسلمون والاتكال على المهدي المنتظر ولا المسيح، بل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون، فالهداية قد ابتدأت والمسيح يأتي في وقت لا نعرفه، وكل من رقى المسلمين أو نفعهم فهو من أعوان المهدي والمسيح الإسلامي المذكور في الأحاديث))[4].

وقال: أما الاتكال على المهدي وأنه سيجيء فيتبعه الناس، فمعنى هذا أنهم متكلون عليه في إسعادهم ولمّ شعثهم والله - ﷻ - هو الذي خلق الناس وأعطاهم عقولاً وأمرهم أنهم هم الذين يجدون ويجتهدون بأنفسهم[5].

وقال: إذن جعل المهدي تبعاً للنسب من أكبر مصائب الإسلام، لأنّ هذه العقيدة أخذت تتعالى بين الناس، وأخذ الدجل والبهتان والكذب الصراح ينتشر بين المسلمين، وأخذ

---

(١) هو أبو الفرج محمد بن أحمد بن إسماعيل بن مصطفى المقدَّم، معاصر، ولد بالإسكندرية عام ١٣٧١هـ ، وهو طبيب متخصص في الصحة النفسية وحاصل على ليسانس الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر. وله مؤلفات، منها: المهدي حقيقة لا خُرافة، و الحياء خُلُق الإسلام، وعودة الحجاب.

انظر ترجمته على المكتبة الشاملة، أو على صفحة ملتقى أهل الحديث https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=١٥٨٢٣

(٢) المهدي– محمد إسماعيل المقدم ص٤٤٧.

(٣) الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة – محمد صديق حسن القنوجي، ص١٨٢.

(٤) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٥١/٣).

(٥) المرجع السابق (١٥/١١).

أولئك الرؤساء يبثون الجهالة بين أمم الإسلام، ويرجعون المرؤوسين إليهم اتكالاً عليهم واستعاذة بهم غالباً[1].

شحذ طنطاوي الأمة بالعمل وعدم الاتكال على ظهور المهدي موقفٌ جميل منه، وهو ردٌ كذلك على الشيعة الذين علقوا كل أمورهم الدينية والدنيوية بالمهدي الذي دخل السرداب ولم يخرج بعد.

إلاّ أنّ طنطاوي لم يفصح عن موقفه في ظهور المهدي آخر الزمان، والأقرب والله أعلم هو عدم إثبات ذلك.

(١) المرجع السابق (٢٢/٢٧٨).

المبحث الثاني: ظهور المسيح الدجال

ومن علامات الساعة الكبرى التي ثبتت بنصوص الشرع الصحيحة الصريحة ظهور رجل آخر في آخر الزمان يسمى المسيح الدجال.

وقد وردت أخباره في السنة النبوية بخروجه من جهة المشرق، من أرض خراسان يتبعه يهود أصبهان، يدعي الربوبية، ويكون معه ما يشبه الجنة والنار، والحقيقة أنَّ ناره جنة، وجنته نار، يأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت ويأمر الخرائب أن تخرج كنوزها فتستجيب، ويحي الميت وغيرها من الخوارق العظيمة التي تبهر العقول وتحير الألباب، ابتلاء وامتحاناً من الله لعباده.

يمكث في الأرض أربعين يوماً، يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كأسبوع، وسائر الأيام كبقية أيامنا، ونهايته تكون على يد عيسى، فيرسل الله عليه المسيح ابن مريم فيقتله ويظهر كذبه [1].

وقد جاءت أوصافه أيضاً في الأحاديث الشريفة: بأنه أحمر اللون جسيمٌ كثير الشعر جعد الرأس، أعور العين كأن عينه عنبة طافية[2]، رأسه يشبه رأس الأصلة[3]، قصير أفحج[4]، مكتوب بين عينيه كافر[5].

يقول الإمام أحمد – رحمه الله –: ((والإيمان أنَّ المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن))[6].

قال ابن أبي زَمَنِين – رحمه الله –: ((وأهل السنة يؤمنون بخروج الدجال أعاذنا الله وإياك

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه) (٤/٢٢٥٠) حديث رقم: (٢٩٣٧).

(٢) رواه البخاري في (كتاب الفتن، باب ذكر الدجال) (٩/٦٠) حديث رقم: (٧١٢٨)، ومسلم في (كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم، والمسيح الدجال) (١/١٥٦) حديث رقم: (١٧١).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/٥٤٤)، حديث رقم: (٢١٤٨). ت: أحمد شاكر

(٤) رواه أبو داوود في سننه (٦/٣٧٤)، حديث رقم: (٤٣٢٠). ت: شعيب الأرنؤوط.

(٥) رواه البخاري في (كتاب الفتن، باب ذكر الدجال) (٩/٦٠) حديث رقم: (٧١٣١)، ومسلم في (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه) (٤/٢٢٤٨) حديث رقم: (٢٩٣٣).

(٦) أصول السنة – أحمد بن حنبل، ص٣٣.

من فتنته))[1].

يقول أبو عمرو الداني[2] - رحمه الله -: ((إنَّ الإيمان واجبٌ بما جاء عن رسول الله ﷺ، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترابها، فمن ذلك: خروج الكذاب الأعور الدجال، وفتنته، وأن له جنة وناراً، فجنته نار، وناره جنة، وأن عيسى عليه السلام يقتله فيهلك ومن معه من أهل الكفر والضلال))[3].

وطنطاوي جوهري - رحمه الله - بالجملة وافق مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات خروج المسيح الدجال، بيد أنه أخطأ في قوله بأنَّ الوارد في نصوص الشرع ليس محصوراً على المسيح الدجال الذي يخرج في آخر الزمان فقط، بل هو كناية قد يحتمل هذا وغيره من الدجاجلة الكذابون.

يقول في ذلك- رحمه الله -: " أن من يشبه الدجال هم الأمم المستعمرون، فإنهم إذا نزلوا بساحات الأمم الشرقية أذلوها وأهلكوا أهلها، فمن مات منهم لا تنفعه توبته بعد الموت.

وهذا تحذير للأمم الإسلامية من دجل الأمم وإضلالها ومدّها بالترف والنعيم والصناعات والخمر والملابس الفاخرة، فيستنزفون ثروتهم ثم يقبضون عليهم ويملكون بلادهم، وقد أروهم جنة الشهوات واللذات والوظائف والبضائع الجميلة، فأصبحت على الشرقيين ناراً تلظى لا يصلاها إلاّ الجاهلون فأذلوهم....**أنا لست أقول إنهم هم المسيح الدجال، وإنّما أقول هم نظراؤه وأشباهه فلهم حكمه،** كما أني أقول إن طلوع الشمس من مغربها وإن كان على حاله وحقيقته يراد منه على سبيل الكناية المقصودة للناس في هذا الزمان شمس العلوم والعرفان، وهذه كناية بحسب القواعد في علم البيان، فالدجال كناية، وطلوع الشمس من مغربها كناية، والقرآن أولى بالكنايات، والكناية أبلغ من المجاز ومن الحقيقة"[4].

ويقول طنطاوي أيضاً فيما ذهب إليه على طريقة الحوار مع الغير، فقال: "أريد أن

---

(١) أصول السنة – لا ابن أبي زَمَنِين ص١٨٨.

(٢) هو أَبُو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني، ويقال له ابن الصيرفي، من موالي بني أمية: أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره، ولد سنة: ٣٧١هـ، وتوفي سنة: ٤٤٤هـ، وله مصنفات كثيرة، منها التيسير، والإشارة، وفوائد أبي عمرو الداني، والرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات. انظر سير أعلام النبلاء (٧٧/١٨)، والأعلام للزركلي (٢٠٦/٤).

(٣) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات – عثمان بن سعيد الداني ص٢٤٣.

(٤) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٥٠/٤).

أعرف كيف يقول – ﷺ – في حديث أبي داود والترمذي أنَّ الأنبياء أنذروا قومهم به، وأن نوحاً أنذر قومه به، وكيف نستعيذ بالله منه في كل صلاة، وكيف يستعيذ رسول الله – ﷺ – منه في صلاته ولم يظهر في زمانه، إذن الأنبياء يستعيذون بالله ونحن والصحابة والرسول – ﷺ – من شيء لم يحصل وهذا محال، فقلت: إن الحيرة في هذا إنَّما تأتي لمن يجهلون علوم اللغة العربية، فالعامة يجهلون البلاغة في كلام العرب، ولكن الأدباء وهم قوم أعطوا حظاً من علم اللغة هم الذين يفهمون أمثال هذا المقام، إن القرآن في أعلى طبقات البلاغة، وللبلاغة علم، فإذا جعلنا تفسير القرآن على يد طائفة تجهل هذه العلوم حصلت لهم الحيرة. أما نحن فلا حيرة عندنا.

إنَّ في علم البيان، وهو أحد علوم البلاغة الثلاثة: التشبيه والمجاز والكناية. والكناية بإجماع العلماء أبلغ من الحقيقة، وأي كلام أحق بالبلاغة من القرآن. قال: هذا حسن. فقلت: وما الكناية إلا لفظ له معنى.

ولكن ليس المقصود هذا المعنى، بل المقصود الحقيقي معنى آخر مع أن المعنى الأول لا يزال بحاله، ويراد أيضاً من اللفظ. فإذا قال رجل للآخر: إن كلبك جبان، وكان القائل بليغاً، فإن السامع إذا كان بليغاً أيضاً يفهم منه أن هذه الجملة معناها أنه كريم، لأن جبن الكلب إنّما جاء من كثرة الأضياف، فإنهم لكثرتهم لم يتحمل الكلب كثرة النباح عليهم. فهذا الممدوح من جهة كريم وهو المقصود. ومن جهة أخرى يصح أن يكون له كلب، وذلك الكلب جبان فعلاً. فهذه هي الكناية. فالمقصود فيها المعنى الذي كني باللفظ عنه. فهاهنا نقول: هذا المسيح الدجال الذي يظهر العجائب وناره جنة وجنته نار وبقتله المسيح ابن مريم له معنيان كمسألة جبان الكلب. والمعنى المشار إليه هو المقصود، والمعنى الأصلي جائز لا مانع منه.

هذا هو الذي يقتضيه علم البلاغة وإذا لم نستعمل هذا العلم خلق له وهو فهم الدين؛ أفنقتصر في استعماله على أشعار العرب ونحوها: ولكن لا بد للقرينة من كناية، فماهي القرينة هنا؟. قلت: هنا قرائن لا قرينة واحدة، بل قرائن يجب علينا أن ندرسها. فقال: وماهي؟ قلت: كيف نستعيذ من فتنة المسيح ولا فتنة له الآن؟ وهل يستعيذ رسوا الله – ﷺ – من شيء لا وجود له؟ وهل ينذر الأنبياء أقوامهم بما لا وجود له ؟ فقال: إذن المستعار منه كل من كان ظاهره الصلاح وباطنه الخداع والظلم والجور. فقلت: نعم وذلك يشمل الدجال الحقيقي متى ظهر ويشمل كل دجال من المستعمرين للبلاد، ومن الشيوخ الجاهلين في الإسلام وغير الإسلام. فكل هؤلاء دجالون، لأن أحدهم يظهر العلم وليس بعالم، ويظهر الزهد وليس بزاهد. والأمم المستعمرة تجعل أنفسها داخلة لإصلاح البلاد إذا هي تمنع العلم عنهم.

كل هؤلاء استعاذ النبي – ﷺ – منهم ونستعيذ نحن، فهم في ظواهرهم أشبه بالمسيح ابن مريم، يريدون السلام العام، وفي الحقيقة لا يريدون إلا تسخير غيرهم لهم...

فليس في هذا أيها الذكي إنكار للمسيح عل حسب لفظ الأحاديث ولا للدجال على حسب لفظها، وإنّما الذي يجب علينا نحن أن نعمل من الآن لهدم أركان الدجالين وترقية النفوس ليصلح العالم ويعم السلام. هذا ما أدين به، وحسبنا الله ونعم الوكيل"[1].

وقال أيضاً: ((الدجال رمزٌ لما عليه الأمم الآن من الدجل والكذب والنفاق والجهالة))[2].

لا شك أنّ قول طنطاوي في النصوص التي جاءت عن فتنة الدجال والتحذير منه بأنها – كناية عن كل الدجاجلة من المستعمرين للبلاد، ومن الشيوخ الجاهلين في الإسلام وغير الإسلام ونحو ذلك –، استنباط في غير محله، ومخالفة صريحة منه لظاهر النص، فالمراد بالدجال الوارد في النصوص هو ذلك الشخص المعين، الذي يخرج في آخر الزمان، وليس أمم الدجل من المستعمرين وغيرهم كما ادعى بذلك.

وكذلك لا يجوز استعمال العقل في مخالفة النص، كما فعل طنطاوي في قوله ((كيف نستعيذ من فتنة المسيح ولا فتنة له الآن؟ وهل يستعيذ رسوا الله – ﷺ – من شيء لا وجود له؟ وهل ينذر الأنبياء أقوامهم بما لا وجود له ؟ فقال: إذن المستعار منه كل من كان ظاهره الصلاح وباطنه الخداع والظلم والجور. فقلت: نعم وذلك يشمل الدجال الحقيقي متى ظهر ويشمل كل دجال من المستعمرين للبلاد، ومن الشيوخ الجاهلين في الإسلام وغير الإسلام. فكل هؤلاء دجالون)) **وإنما نفهم النص بالعقل ونؤمن به ونستسلم له، لا نرده و لا نخالفه ولا نأوله تأويلاً باطلاً خارجاً عما يراد به.**

ويقال له أيضاً كيف يستعيذ العبد في الدنيا من النار ومن عذاب القبر ومن فتنة الممات ولم تقع له هذه الأمور إلى الآن ما دام حي يرزق!!

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤٧/٣، ١٥٠/٤، ٨٩/١٩ – ٩٢).

(٢) المرجع السابق (١٢٧/٣).

المبحث الثالث: نزول عيسى ابن مريم -عليه السلام-

ومما يعتقد به أهل السنة والجماعة في المسيح عيسى ابن مريم:

١- أنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ [النساء:١٧١]. وقال - ﷺ -: ((من شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل)) [(١)].

٢- أنه ولد من غير أب كما خُلق آدم من غير أب ولا أم، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

٣- أنه عبد من عباد الله وليس له من خصائص الربوبية والألوهية شيء: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩].

٤- أنه دعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ودعاهم إلى العقيدة الصحيحة، والأخلاق القويمة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [آل عمران:٥١].

٥- أنه لم يصلب ولم يقتل، بل رفعه الله إليه، كما قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران:٥٥]، وكما قال تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾ [النساء:١٥٧، ١٥٨].

٧- أنه سيَنْزِلُ في آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعة نبينا محمد - ﷺ - ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية [(٢)]، ويقتل مسيح الضلالة، ثم يتوفى فيصلي عليه

---

(١) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ (١٦٥/٤) حديث رقم: (٣٤٣٥).

(٢) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم - عليه السلام -) (٨٣/٣) حديث رقم: (٣٤٤٨)، ورواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد - ﷺ -) (١٣٥/١) حديث رقم: (١٥٥).

المسلمون[1]، ويدفن في الأرض، ويخرج منها كما يخرج سائر بني آدم؛ لقوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه:٥٥].

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة في عيسى عليه السلام، وهي العقيدة الصحيحة التي جاء بها القران الكريم وبينها رسولنا الكريم محمد – ﷺ – في السنة النبوية؛ فمن خالفها فقد شاق الله ورسوله، واتبع غير سبيل المؤمنين، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَانَهُ ﴾ [مريم:٣٤، ٣٥] [2].

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – في الجملة يثبت نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان مع عدم اكتراث نزوله أو وجوده في الأرض، لأنَّ الهدف الذي يسعى له طنطاوي هو إحلال السلام العام في الأرض.

يقول – رحمه الله – في ذلك: ((والمسيح إشارة لما تستأهل له الأمم في المستقبل من ظهور الحقائق، وتقارب الامم، واتحاد الأعمال، والنظام العام....ولا تظن أني أقول بمنع وجوده في الأرض، ولكني أقول: إن المهم في الأمر ليس شخصية المسيح ولا وجود ذاته، وإنما المهم السلام العام والصدق والإخلاص، هذا هو الذي نشدّ إليه الرحال، ويعتنى بشرحه أكابر الرجال، فليس القصد من المسيح ذاته سواء أحضر بنفسه أم كانت المحبة الأخوية بين الجامعة الإنسانية.

فالمقصد سعادة الأمم لا حضور الأشخاص، فلينزل المسيح فهو أمر ممكن، ولكن المدار على الإخاء العام))[3].

إلاَّ أنَّ طنطاوي قد سلك مسلك المتكلمين في طريقته للاستدلال بذلك وإن كان هو لا يصرح بتأييده لهذا المسلك، لكن إيراده في معرض إثبات نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام دليل على أنَّ هذه الطريقة معتبرة عنده.

فقال في ذلك: ((ليس لدينا من الدين ما يدل على نزول المسيح إلاَّ الأحاديث المذكورة، والقرآن ليس فيه نص على ذلك، وعلى هذا قال بعض علمائنا: إنَّ هذه المسألة ليست من العقائد اليقينية، لأنَّ العلماء يجعلون الأحاديث الصحيحة كالتي في البخاري

---

(١) رواه أبو داوود في سننه (١١٧/٤)، وأحمد في مسنده (١٥٤/١٥).

(٢) انظر موقع الدرر السنية https://dorar.net/adyan/٣٧٧/الفصل-الثاني:-عقيدة-المسلمين-في-عيسى-عليه-السلام

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٧/٣).

ومسلم ظنية لا يقينية، كما في فتح الباري على البخاري.

والعقائد عندنا هي اليقين لا الظن، وغاية الأمر أنَّ صحاح الأحاديث يعمل بها في الأحكام الشرعية، ومخالفها فاسق لا كافر، هذا ما كان من أمر شريعتنا الغراء)) [1].

أما رأي طنطاوي في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾[الزخرف:٦١].

قال: والضمير في قوله ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ ﴾ يرجع للقرآن لأنه مشتمل على بيانها، فهو مبين لأمر الساعة، وهذا الرأي على غير ما قال به جمهور المفسرين، فإنهم قالوا: إن الضمير يرجع لعيسى – عليه السلام –.

وفي هذا الاحتمال وجهان:

الأول: أنَّ عيسى – عليه السلام – ينزل في آخر الزمان ونزوله يعلم به قرب الساعة، وقرئ : ﴿عَلَمَ﴾ كقَمَرَ، أي: علامة على قرب الساعة.

الثاني: أنّ إحياءه الموتى بإذن الله دليل على أن الله قادر أن يحيي الموتى يوم القيامة.

فهاهنا يكون الوجه الأول والوجه الأخير لا دليل فيهما على نزول عيسى آخر الزمان، والوجه الثاني هو الذي يدل، ولذلك ترى التفتازاني وبعض العلماء لم يجعلوا في الآية دليلاً على نزول عيسى – عليه السلام –.

إذا عرفت ما ذكره العلماء في القرآن فهل لك أن تسمع الأحاديث الواردة في الصحيحين في أمر عيسى – عليه السلام –.

في الصحيحين عن ابي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ:((والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد))[2].

وفي رواية أبي داود قال:((ليس بيني وبين عيسى نبي وإنه نازل فيكم))إلخ. وفي حديث

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٢٩/٣).

(٢) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم – عليه السلام –) (٨٣/٣) حديث رقم: (٣٤٤٨)، ورواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد – ﷺ –) (١٣٥/١) حديث رقم: (١٥٥).

الشيخين رسول ﷺ:((كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم))[1].

وهناك روايات أخرى ليست في الصحيحين مثل: إنه يقتل الدجال، وإنه يأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن.

هذا ما جاء في الروايات وقد علمت ما صح منها، فأما ما عداها فليست عن الشيخين.

ومحصل الكلام في أمر عيسى – عليه السلام – أنَّ القرآن لم ينص عليه فإنَّ في الدليل احتمالاً. وأتى في الصحيحين ما سمعته، وما زاد فليس فيهما))[2].

والصحيح هو أنّ في القرآن آيات تدل على نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من تلكم الآيات الدالة على ذلك كما قال أهل العلم:

١– قول الله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾[النساء:١٥٩].

؛ أي: قبل موت عيسى عليه السلام على القول الصحيح، وهو قول أبي هريرة –رضي الله عنه– [3]، وجزم به ابن عباس –رضي الله عنهما–، وبه قال أبو مالك والحسين وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيرهم[4]، وهو ما اختاره ابن جرير وابن كثير – رحمهما الله تعالى – في تفسيريهما[5].

وأما الآية الثانية: فهي قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[الزخرف:٦١].

والمراد في ذلك: نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة، فإنّ السياق في ذكره، والقراءة الأخرى لهذه الآية تدل على ذلك ﴿وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ﴾ أي: أنَّ عيسى – عليه السلام – ينزل في آخر

---

(١) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم – عليه السلام –) (١٦٨/٤) حديث رقم: (٣٤٤٩)، ورواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد – ﷺ –) (١/ ١٣٦) حديث رقم: (١٥٥).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٩٦/٢٠).

(٣) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم – عليه السلام –) (٨٣/٣) حديث رقم: (٣٤٤٨)، ورواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد – ﷺ –) (١٣٥/١) حديث رقم: (١٥٥).

(٤) انظر تفسير الطبري (٣٨٠/٩-٣٨٣).

(٥) انظر المرجع السابق (٣٨٦/٩)، وتفسير ابن كثير (٤٥٤/٢).

الزمان، ونزوله أمارة ودليل على وقوع الساعة وقربها [١]، وهكذا روي عن أبي هريرة – ﷺ ، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمة، والحسن وقتادة، والضحاك، وغيرهم [٢].

يقول أبو عمرو الداني – ﷺ –: ((إنَّ الإيمان واجب بما جاء عن رسول الله ﷺ، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترابها، فمن ذلك:...نزول عيسى عليه السلام، وكسره الصليب، وقتله الخنزير، والدجال، وتقع الأمنة في الأرض، وتكون الدعوة لله رب العالمين.

وقال عز من قائل: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾[النساء:١٥٩]، يعني: قبل موت عيسى عليه السلام إذا نزل.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾[الزخرف:٦١]، يعني: عيسى عليه السلام)) [٣].

وفي هذا أيضاً يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – ﷺ –: ((التحقيق أنَّ الضمير في قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾راجع إلى عيسى عليه السلام لا إلى القرآن، ولا إلى النبي ﷺ.

ومعنى قوله: ﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة – هو أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان حياً عَلَمٌ للساعة، أي علامة لقرب مجيئها ؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها)) [٤].

أما قول طنطاوي "بعدم حجية الأحاديث في باب العقائد لأنها ظنية ولا تفيد اليقين" [٥] **هذا قول باطل ومخالف لما عليه مذهب أهل السنة والجماعة.**

يقول الإمام ابن القيم – ﷺ –: ((فهذا الذي اعتمده نفاة العلم عن أخبار رسول الله خرقوا به إجماع الصحابة المعلوم بالضرورة بإجماع التابعين وإجماع أئمة الإسلام، ووافقوا به المعتزلة والجهمية والرافضة والخوارج الذين انتهكوا هذه الحرمة، وتبعهم بعض الأصوليين والفقهاء، وإلا فلا يعرف لهم سلف من الأئمة بذلك بل صرح الأئمة بخلاف قولهم.))[٦].

---

(١) انظر البراهين والأدلة الكافية في القناعة برفع المسيح – سليمان حمدان ص٣٣.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٦)، وتفسير الطبري (٢١/ ٦٣١– ٦٣٣).

(٣) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات – عثمان الداني ص٢٤٣.

(٤) أضواء البيان – للشنقيطي (١٢٨/٧).

(٥) انظر كلام المتكلمين في مسألة حجية خبر الآحاد في باب العقائد، البرهان في أصول الفقه – لأبي المعالي الجويني (٥٩٩/١)، والتمهيد – لأبي بكر الباقلاني ص٣٨٦، وشرح المقاصد في علم الكلام – للتفتازاني (٦١/٥).

(٦) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة –لابن قيم الجوزية، اختصره: ابن الموصلي (١٤٧١/٤).

والصحيح أنَّ خبر الواحد إذا احتفت به قرائن تفيد العلم، وبه ذهب أئمة المذاهب الأربعة والسلف وأهل الأثر – رحمهم الله – **حيث يقررون الاحتجاج بأخبار الآحاد التي أوردهما البخاري ومسلم في العقائد والأحكام، وكذلك يثبتون أنها تفيد العلم اليقيني لما وضعوا في صحيحيهما لقبول الأحاديث من شروط معتبرة.**

وفي هذا يقول الحافظ السخاوي(١) – ﷺ – في ذلك: ((أنَّ الذي أورده البخاري ومسلم مجتمعين ومنفردين بإسناديهما المتصل...مقطوع بصحته؛ لتلقي الأمة المعصومة في إجماعها عن الخطأ، كما وصفها ﷺ بقوله: ((لا تجتمع أمتي على ضلالة)) (٢) – لذلك بالقبول من حيث الصحة، وكذا العمل، ما لم يمنع منه نسخ أو تخصيص أو نحوهما.))(٣).

والإمام الشافعي – ﷺ – يفيد بقبول الخبر الواحد إن كان راوي الحديث ثقة، فقال: ((إذا حدَّثَ الثقة عن الثقة حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ فهو ثابت عن رسول الله ﷺ)) (٤).

وحكى الإمام الشافعي – ﷺ – كذلك الإجماع في حجية الخبر الواحد، فقال: ((أجمع المسلمون قديما وحديثاً على تثبيت خبر الواحد، والانتهاء إليه، بأنه لم يُعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبَّته جاز لي)) (٥).

وقال – ﷺ – أيضاً تأكيداً على سلفية حجية الخبر الواحد: ((ولم يزل سبيل سلفنا والقرونِ بعدهم إلى من شاهدنا هذا السبيل)) (٦).

وأكد شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – كذلك على حجية الخبر الواحد فقال: ((جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أنَّ "خبر الواحد" إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له أو عملاً به أنه يوجب العلم وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي

---

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي الاصل، القاهري المولد، الشافعي، توفي سنة: ٩٠٢ هـ. معجم المؤلفين (١٠/١٥٠).

(٢) رواه ابن ماجة في سننه من حديث أنس بن مالك – ﷺ – (٢/١٣٠٣)، والترمذي في سننه من حديث ابن عمر – ﷺ – بلفظ: ((إن الله لا يجمع أمتي – أو قال: أمة محمد – – ﷺعلى ضلالة))،(٤/٤٦٦)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٣) فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي – للسخاوي، (١/٩٢).

(٤) الأم – للشافعي (٧/٢٠١).

(٥) الرسالة – للشافعي (١/٤٥٣).

(٦) المرجع السابق (١/٤٥٠).

حنيفة ومالك والشافعي وأحمد إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك)) [1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أيضاً: ((وعلى هذا فكثير من متون الصحيحين متواتر اللفظ عند أهل العلم بالحديث وإن لم يعرف غيرهم أنه متواتر؛ ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم علماء الحديث علما قطعيا أنَّ النبي ﷺقاله تارة لتواتره عندهم، وتارة لتلقي الأمة له بالقبول.

وخبر الواحد المتلقى بالقبول يوجب العلم عند جمهور العلماء من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وهو قول أكثر أصحاب الأشعري كالإسفراييني وابن فورك؛ فإنه وإن كان في نفسه لا يفيد إلا الظن؛ لكن لما اقترن به إجماع أهل العلم بالحديث على تلقيه بالتصديق كان بمنزلة إجماع أهل العلم بالفقه على حكم مستندين في ذلك إلى ظاهر أو قياس أو خبر واحد فإنَّ ذلك الحكم يصير قطعيا عند الجمهور وإن كان بدون الإجماع ليس بقطعي؛ لأن الإجماع معصوم فأهل العلم بالأحكام الشرعية لا يجمعون على تحليل حرام ولا تحريم حلال، كذلك أهل العلم بالحديث لا يجمعون على التصديق بكذب ولا التكذيب بصدق.

وتارة يكون علم أحدهم لقرائن تحتف بالأخبار توجب لهم العلم ومن علم ما علموه حصل له من العلم ما حصل لهم)) [2].

---

(١) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣٥١/١٣).

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٤١/١٨)، وللاستزادة في هذا الموضوع في حجية خبر الواحد وأنها تفيد العلم اليقيني انظر مختصر الصواعق المرسلة –لابن القيم، اختصره: ابن الموصلي (١٤٦٥/٤-١٥٧٠) ن: أضواء السلف.

المبحث الرابع: خروج قوم يأجوج ومأجوج

ومما يعتقد به أهل السنة والجماعة خروج قوم يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، وهم من سلالة آدم – عليه السلام – من نسل نوح عليه السلام من أولاد يافث أبي الترك، والترك شرذمة منهم، تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين[1].

وخروجهم من هذا السد الذي بناه ذو القرنين ستكون فتنة عظيمة للناس وقتئذٍ، وذلك لما يحصل منهم خراب ودمار وإيذاء في الأرض، وهو إيذان بدنو الساعة وقرب قيامها [2]، وقد جاء ذكرهم مصرحاً به في القرآن الكريم والسنة النبوية.

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[الكهف:٩٤].

وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴾[الأنبياء:٩٧].

ومما جاء في السنة النبوية:

حديث زينب بنت جحش، – رضي الله عنها – أنَّ النبي ﷺ، دخل عليها فزعا يقول: ((لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: ((نعم إذا كثر الخبث))[3].

وعن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه –، عن النبي ﷺ قال: ((يقول الله تعالى: " يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟، قال: من كل ألف تسع مائة وتسعة وتسعين، فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حمل

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣٧٢/٥)، ولوامع الأنوار البهية – للسفاريني (١١٤/٢).

(٢) انظر بوم القيامة ومشاهده في الكتاب والسنة– د. دوخي الحارثي، ص٩٩.

(٣) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج، ومأجوج) (١٣٨/٤) حديث رقم: (٣٣٤٦)، ورواه مسلم في (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج) (٤/ ٢٢٠٧) حديث رقم: (٢٨٨٠).

حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد " قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال: " أبشروا، فإن منكم رجلا ومن يأجوج ومأجوج ألفا. ثم قال: والذي نفسي بيده، إني أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة " فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة» فكبرنا، فقال: «أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة» فكبرنا، فقال: «ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود((1).

وعن أبي هريرة-ﷺ -، عن النبي ﷺ قال: ((يفتح الردم، ردم يأجوج ومأجوج، مثل هذه وعقد وهيب تسعين))(2).

وطنطاوي جوهري - ﷺ - أقرَّ بأن من علامات قرب الساعة خروج قوم يأجوج ومأجوج، مصداقاً لما جاء في القرآن الكريم، فعلى هذا قد وافق طنطاوي جوهري مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة بالجملة.

فقال في ذلك: يأجوج ومأجوج أمتان ذكرتا في القرآن الشريف في سورتي الكهف و الأنبياء، قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[الكهف:٩٤]، وقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾[الأنبياء:٩٧].

إلاّ أنّه خالف أهل السنة والجماعة في أمرين اثنين:

الأمر الأول: **أنّ طنطاوي خالفهم في تأويله لمعنى الآيات الواردة في يأجوج ومأجوج تأويلاً مخالفاً للسلف ولأقوال أهل العلم والمفسرين(3)، ثم تكلف بإنزالها في الواقع، واحتج بأنّ ما اختاره هو المراد من الشارع.**

---

(١) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج، ومأجوج) (١٣٨/٤) حديث رقم: (٣٣٤٦)، ورواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين) (١/ ٢٠١) حديث رقم: (٢٢٢).

(٢) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج، ومأجوج) (٧١/٩) حديث رقم: (٧١٣٦)، ورواه مسلم في (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج) (٤/ ٢٢٠٨) حديث رقم: (٢٨٨١).

(٣) الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي المفسر – غفر الله له – له رسالة في يأجوج ومأجوج، وقد وافق فيها ما ذهب إليه طنطاوي جوهري؛ أنّ قوم يأجوج ومأجوج قد بدأ ظهورهم في الأرض. فقال السعدي: هم الروس والصينيون واليابانيون وأهل أمريكا... انظر رسالتان في فتنة الدجال ويأجوج ومأجوج - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص٧٢ وما بعدها، ت: أحمد القاضي، ن: دار ابن الجوزي، ط: الثانية، ١٤٢٧هـ.

١- كقوله: **بأنّ قوم يأجوج ومأجوج المقصود بهم المغول والتتار.**

فقال: ((أصل يأجوج ومأجوج من أولاد يافث بن نوح أخوذان من أجيج النار وهو ضوؤها وشررها، تشيران لكثرتهم وشدتهم، وذكر بعض المدققين في البحث عن تأصيلهم أنّ أصل المغول والتتر من رجل واحد يقال له « ترك »... فيظهر من هذا أن المغول والتتر هم المقصودون بيأجوج ومأجوج، وهم كانوا يشغلون الجزء الشمالي من آسيا، تمتد بلادهم، من «التبت » و« الصين » إلى المحيط المتجمد الشمالي وتنتهي غرباً بما يلي بلاد «التركستان» كما في «فاكهة الخلفاء» وابن مسكويه في «تهذيب الأخلاق » وفي «رسائل إخوان الصفا » فقد ذكروا أن هؤلاء هم يأجوج ومأجوج))[(١)].

٢- ومن ذلك تفسيره لمعنى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[الكهف:٩٤]، **قال: المراد من الفساد في الآية هو ما حصل من المغول والتتار من الخراب والعبث في البلاد من قتال وسبي وهدم للبيوت وارتكاب للفواحش...إلخ.**

فقال في ذلك: ((وقد ذكر المؤرخون ومنهم الإفرنج أن هذه الأمم كانت تغير قديماً في أزمنة مختلفة على الأمم المجاورة لها، فكم أفسدوا وقلبوا الأمم قلبا زمن قبل النبوة، ودمروا العالم تدميراً وجعلوا عاليه أسفله فهم مفسدون في الأرض بنص القرآن وشهادة التاريخ...وكانوا يحذرون قومهم من هؤلاء الأمم قديماً قبل نزول القرآن، وكذلك ورد ذكرهم في القرآن كما تقدم وفي بعض الأحاديث أيضاً.

ثم إنهم لم يزالوا في حدود بلادهم لا يتجاوزونها بعد زمن النبوة إلى أن ظهرت الداهية الدهياء والغارة الشعواء من تلك الأمم المتوحشة الرحالة، إذ ظهر منهم رجل يسمى « تموجين » لقب نفسه « جنكيز خان »، وقال مؤرخو الإفرنج إن معناه بلغة المغول : ملك العالم.

فخرج جنكيز خان وقومه من الهضبات المرتفعة والجبال الشاهقة التي في آسيا الوسطى، في أوائل القرن السابع من الهجرة... وفعل ما فعل هو ومن معه من المنكرات والفظائع ما لم يسمع مثله في تاريخ فلم يبقوا على رجل ولا امرأة ولا صبي ولا صبية، فقتلوا الرجال وسبوا النساء وارتكبوا الفواحش أنواعاً...وأحرقوا المدن وهدموا أسوارها وأجروا بها الدماء أنهاراً، وفتكوا بأهل نيسابور وأفنوهم عن اخرهم حتى الأطفال والحيوانات والقطط والكلاب، واحرقوا البلد وقد عدت القتلى في واقعة « مرو» فكانوا مليوناً وثلاثمائة وثلاثين ألفاً))[(٢)].

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٩/٢٤٥).

(٢) انظر المرجع السابق (٩/٢٤٥).

٣- وكذلك تفسيره لمعنى قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ ﴾[الأنبياء:٩٧]، **حيث أكدّ طنطاوي بأنّ يأجوج ومأجوج هو جنكيز خان وجنوده.**

فقال في ذلك: ((أي: فتحت جهتهم على أحد تفسيرين، ولقد فتحت تلك الجهة في أوائل القرن السابع من الهجرة كما ذكرنا في التاريخ، وخرج «جنكيز خان» وجنوده وملكوا مشارق الأرض ومغاربها كما أوضحنا.

وقد ورد في بعض الأحاديث ما يشير إلى ذلك كقوله ﷺ ((اتركوا الترك ما ماتركوكم فإنَّ أول من يسلب أمتي ملكهم بنو قنطورا))أي الترك، مع ملاحظة ما ذكرناه في التاريخ أنه لم يسلب الأمة الإسلامية ملكها إلاّ هؤلاء.

وقد ورد أيضاً في حديث يأجوج ومأجوج أنَّ مقدمتهم تكون في الشام وساقتهم بخراسان، فهذه إشارة إلى سيرهم واتجاههم وطريق منتهى ملكهم إذ لم يتجاوز الشام إلى مصر ولا أفريقيا.

وقد ورد أيضاً أنّ يأجوج ومأجوج لا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ومن العجيب أن «جنكيز خان» وقومه وذريته طافوا الأرض شرقاً وغرباً ولم نعثر فيما اطلعنا عليه أنهم دخلوا أحد الأماكن الثلاثة ، فما أجلها من معجزة طاهرة.

ثم إنّ «جنكيز خان» هو المراد بحديث: «يخرج من آخر الزمان رجل يسمي أمير العصب أصحابه محسورون محقرون مقصرون عن أبواب السلطان يأتونه من كل فج عميق كأنهم فزع الطريق يورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها»[(١)]، وقد حمله بعض العلماء قديماً على «جنكيز خان» المذكور)) [(٢)].

٤- وكذلك يؤيد إلى ما ذهب إليه من أنّ جنكيز خان وقومه هو المقصود.

فقال في تفسيره لمعنى قوله تعالى: ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴾[الأنبياء:٩٦] ((الحدب ما ارتفع من الأرض، وينسلون أي: يسرعون في النزول من الآكام والتلال المرتفعة وهذه الحالة منطبقة تماماً على قوم «جنكيز خان» المتقدمين، فإنهم بإجماع مؤرخي العرب والإفرنج كان خروجهم من هضبات آسيا الوسطى وحدها كما ذكرنا)) [(٣)].

٥- وكذلك ينتصر طنطاوي قوله في يأجوج ومأجوج، ويفسر قوله تعالى: ﴿ وَٱقۡتَرَبَ

---

(١) هذه الرواية ليس لها أصلٌ في كتب الحديث.

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٤٧/٩).

(٣) المرجع السابق (٢٤٨/٩).

﴿ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾[الأنبياء:٩٧].

فقال في ذلك: ((أي: أنّ خروجهم قرب الساعة، ولكن هذا لا يدلنا على أنه لا فاصل بينه وبين الساعة، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١] وقوله ﷺ ((بعثت أنا والساعة كهاتين»[1] وأشار بالسبابة والوسطى، ومع ذلك فقد مضى نيف وثلاثمائة وألف سنة، فهكذا قال في آية يأجوج ومأجوج : ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾[الأنبياء:٩٧] فكلاهما اقتراب.

ورب قائل يقول: أين الاقتراب في الموضعين؟ قلنا: معلوم أن ما مضى من الزمان لا يتناوله الإحصار، وما بقي من عمر الأرض الطبيعي قدره يسير جداً بالنسبة لذلك، ونحن لقصر حياتنا نعد ذلك بعداً ويعده الله الباقي الدائم قرباً، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٧] فالآلاف السنين لا تنافي القرب مهما امتدت وطالت بنسبتها إلى الزمن كله، إذ من البديهي أن الآلاف لا تذكر في جانب الملايين .

ولذلك ورد في حديث أبي سعيد الخدري – ﷺ – عن النبي ﷺأنه قال: «ليحجنّ البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»[2]، وهذا دليل على أنَّ الناس يستبدلون من بعد خوفهم امنا ويعبدون الله – ﷻ – وأما صفاتهم المشهورة في القصص وبعض الآثار فجميعها لا أصل لها.

ثم أيّد قوله مستشهداً بعلم الجغرافيا.

فقال: ثمّ وازنت بين حديث البخاري المار وهو قوله ﷺ:«ويل للعرب من شر قد اقترب قد فتح اليوم من ردم ياجوج ومأجوج))[3] الخ فيما ذكرناه مع اضطرابه وخوفه الشديد.

وبين كلام علماء الجغرافيا في نحو القرن الثالث والرابع، فزاد يقيني بما كتبت ورأيت هذه البلاد كانت معروفة عندهم باسم يأجوج ومأجوج، وزاد استغرابي جداً لمعجزة ظاهرة واضحة

---

(١)

(٢) رواه البخاري في (كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾[المائدة:٩٧]، (١٤٩/٢) حديث رقم: (١٥٩٣).

(٣) تقدم تخريجه، رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج، ومأجوج) (١٣٨/٤) حديث رقم: (٣٣٤٦)، ورواه مسلم في (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج) (٤/ ٢٢٠٧) حديث رقم: (٢٨٨٠).

قد خفي رسمها عنا، وكيف تحقق هذا القول في الخارج وجاء مصداقاً للقرآن والحديث))[1].

الأمر الثاني: **هو محاولته التوفيق والتلفيق بين ما ذهب إليه وبين ما قاله أهل السنة والجماعة في قوم يأجوج ومأجوج، وأنّ خروجهم يكون في آخر الزمان.**

فقال طنطاوي في ذلك: ((الصين ثلث العالم وهي أمة واحدة وقد ارتقت، أفلا يقال إنهم يعيدون الكرة مرة أخرى ويقلبون وجه الأرض، أفلا يكون هناك خروج لهم مرة أخرى ويحصل في الأرض اضطراب آخر وهلاك لا ندريه مصداقاً للآية.

فإذا صح هذا كان هناك خروج آخر من موضع السد المتقدم ذكره، وهذا كان الخروج الأول خروجاً جزئياً لتأديب المسلمين على كسلهم ونومهم العميق وجهلهم، ويكون قوله – : – ﷺ« ويل للعرب من شر قد اقترب الخ» راجعاً للخروج الأول.

أما خروجهم الثاني فهو الذي يقلب الأرض قلباً، كيف لا والحرب اليوم بالغازات الخانقة والعمية والمهلكة، فإذا خرجوا هلكوا الحرث والنسل كما خرجوا قديما قبل التاريخ وكوّنوا أمما في أوربا ثم خرجوا ثانياً لإبادة ملك العرب، والآن يخرجون لقلب وجه الأرض، ويكون قوله – : – ﷺ«إنّ الناس يحجون ويعتمرون بعد خروجهم» راجع للخروج السابق، أما الثالث فلا ندري ما الله فاعل﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢١٦][2].

لا ريب أنّ الذي ذهب إليه طنطاوي مخالف لمدلول القرآن الكريم والسنة النبوية، وتأويله للأحداث والتفاصيل التي جاءت بها السنة وإنزالها في الواقع وتحديدهم وتشخيصهم في فئة من البشر وفي فترة زمنية فهذا كله مردودٌ عليه، فهي غير مراد الشرع

وإن كان طنطاوي بالجملة يثبت خروج يأجوج ومأجوج، لكن القول بهذا الشكل وإنزال النصوص في أحداث وقعت لا تمت بصلة مما جاءت به الأحاديث غير مقبول.

والذي جاءت به السنة النبوية الصحيحة الصريحة أنَّ خروجهم سيكون في آخر الزمان بعد نزول عيسى عليه السلام إبان قتل عيسى ابن مريم الدجال، ويسبق قبل خروجهم أحداثاً وقرائن تدل على ذلك، وليس كما ادعى به طنطاوي بأنَّ يأجوج ومأجوج هم المغول والتتار وفتنتهم التي وقعت في القرن السادس الهجري.

عن النواس بن سمعان – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ، أنه قال: ((إنَّ الله تعالى يوحي إلى عيسى

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٤٨/٩).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢٥٢/٩).

ابن مريم عليه السلام بعد قتله الدجال أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة))[1]

فالواجب على المسلم الإيمان بأن من أشراط الساعة وعلاماتها الكبرى خروج يأجوج في آخر الزمان، وإثبات ذلك كما جاء في الكتاب والسنة.

يقول أبو عمرو الداني - رحمه الله -: ((إنَّ الإيمان واجبٌ بما جاء عن رسول الله ﷺ، وثبت بالنقل الصحيح، وتداول حمله المسلمون من ذكر وعيد الآخرة، وذكر الطوام، وأشراط الساعة، وعلاماتها، واقترابها، فمن ذلك:... خروج يأجوج ومأجوج، وهما ذرء جهنم))[2].

ويقول السفاريني - رحمه الله - أنَّ((يأجوج ومأجوج يعني خروجهم من وراء السد على الناس حق ثابت لوروده في الذكر، وثبوته عن سيد البشر، ولم يحله عقل فوجب اعتقاده))[3].

---

(١) رواه مسلم في (كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه) (٤/ ٢٢٥٠) حديث رقم: (٢٩٣٧).

(٢) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات - عثمان الداني ص٢٤٣.

(٣) لوامع الأنوار البهية - للسفاريني (١١٦/٢).

الفصل الثاني
عذاب القبر ونعيمه

ومما يعتقد به أهل السنة والجماعة أنّ الميّت إذا وضع في قبره يأتيه ملكان ويسألانه عن ربه ودينه ونبيه، فالمؤمن يسهل عليه الجواب، ويجيب على تلك الأسئلة بكل يسر وسهولة، ثم يفتح له الملك باب من الجنة وينعم في ذلك إلى أن تقوم الساعة، وأما الكافر يعسر عليه الجواب فيقول ها ها لا أدري فيعذب بذلك إلى البعث.

إذاً القبر يكون للميِّت بعد سؤال الملكين؛ إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، وهي من المغيبات التي يجب على العبد الإيمان بها، **وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع سلف الأمة.**

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦]، **وقال تعالى** :﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ [التوبة:١٠١].

والسنة قد تواترت في نعيم القبر وعذابه، وذلك في نصوص كثيرة منها:

- حديث عبد الله بن عمر- ﷺ - أنّ رسول الله - ﷺ - **قال:**((إنَّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك، حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة))[(١)].

- وعن عائشة - ﷺ- ((أنَّ يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله - ﷺ - عن عذاب القبر، فقال: «نعم، عذاب القبر» قالت عائشة - ﷺ-: فما رأيت رسول الله - ﷺ - بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر. زاد غندر: «عذاب القبر حق»))[(٢)].

- وعن أسماء بنت أبي بكر - ﷺ- تقول: ((قام رسول الله - ﷺ - خطيبا فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة))[(٣)].

---

(١) من حديث عبد الله بن عمر- ﷺ - رواه البخاري في: (كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي) (٩٩/٢) (١٣٧٩٧)، ومسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه) (٤/ ٢١٩٩) (٢٨٦٦).

(٢) رواه البخاري في: (كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر) (٩٨/٢) (١٣٧٢)، ورواه مسلم فيما معناه في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر) (١/ ٤١٠٤) (٥٨٤).

(٣) رواه البخاري في: (كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر) (٩٨/٢) (١٣٧٣).

- وعن أنس بن مالك -ﷺ-، أنه حدثهم: أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: ((إنَّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد - ﷺ -، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا - قال قتادة: وذكر لنا: أنه يفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس - قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين))[1].

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ((ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي - ﷺ - مما يكون بعد الموت: فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر وبنعيمه...))[2].

و يقول شيخ الإسلام أيضاً - رحمه الله -: ((مذهب سائر المسلمين بل وسائر أهل الملل إثبات " القيامة الكبرى " وقيام الناس من قبورهم والثواب والعقاب: هناك وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ - ما بين الموت إلى يوم القيامة - هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة؛ وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع))[3].

ويقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: ((ينبغي أن يعلم أنَّ عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٠] وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة وسمى عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق...))[4].

وطنطاوي جوهري- رحمه الله - قد سلك في ذلك مسلك أهل السنة والجماعة، حيث أثبت أنّ الميّت في قبره يكون إما معذباً وإما منعماً على حسب ما كان يعمله في الدنيا من خير وشر.

يقول - رحمه الله -:((أنّ ما نطق به القرآن في الآخرة نطقت به الأرواح بعد الموت باعتبار أنّ الموت أول منازل الآخرة، وأنّ الحساب من يوم ساعة الموت، وهذا من أعجب

---

(١) رواه البخاري في: (كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر) (٢/٩٨) (١٣٧٤).

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣/١٤٥).

(٣) المرجع السابق (٤/٢٦٢).

(٤) الروح - لابن قيم الجوزية ص٧٣.

العجائب...)) [1].

ويقول أيضاً - ﷺ - في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦] ((قال علماؤنا: و هذه الآية دليل على عذاب القبر، وقد ظهر ذلك العلم في المجامع النفسية... وصار هذا القول حقاً في علم الأرواح، وفي حديث البخاري ومسلم: أنّ رسول الله - ﷺ - **قال**:((إنَّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك، حتى يبعثك الله تعالى إليه يوم القيامة))[2]، ثم نقل شيئاً من كتابه "الأرواح"، للاستدلال به على ذلك **فقال**: لقد شرحت الأرواح ما شاهدته في عالم البرزخ من نعيم وبؤس وهناء وعناء، وخاطب الأموات الأحياء والآباء الأبناء...))[3].

ويقول طنطاوي - ﷺ - عند تفسير قوله تعالى:﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ﴾ [التوبة:١٠١]، مرة في الدنيا بأن يعذبوا بأموالهم وأولادهم وتحيط بهم المصائب، ويخرج لبعضهم مرض الدبيلة، وهي جروح نارية تظهر في أكتافهم حتى تخرج من صدورهم بأن يغاظوا بدخولهم الإسلام كرهاً للغلبة والقوة، وبأن يهانوا بالفضيحة... فهذا هو العذاب الأول... وأما العذاب الثاني فهو عذاب القبر))[4].

ويقول طنطاوي - ﷺ - عند تفسير قوله تعالى:﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الطور:٤٧]، أي: دون عذاب الآخرة في الحياة الدنيا كقحط قريش وقتلهم يوم بدر، وهكذا المصائب التي تحيط بالمسلمين اليوم بغارات الفرنجة عليهم وغيره ذلك، وكعذاب القبر))[5].

ويقول طنطاوي - ﷺ - عند تفسير قوله تعالى:﴿وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ﴾

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٧٩).

(٢) من حديث عبد الله بن عمر- ﷺ - رواه البخاري في: (كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي) (٢/٩٩) (١٣٧٩٧)، ومسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه) (٤/ ٢١٩٩) (٢٨٦٦).

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٤/٢٢-٣٢).

(٤) انظر المرجع السابق (٥/١٥٦).

(٥) انظر المرجع السابق (٢٣/٢٢٧).

[طه:١٢٧]، وهو الحشر على العمى وعذاب القبر والنار))[١].

وهو بذلك وإن كان قد وافق مذهب أهل السنة والجماعة في ثبوتية عذاب القبر ونعيمه إلاّ أنه خالفهم من جهة استدلاله لصحة ذلك بما يقول به في مجالس تحضير الأرواح، وقد سبق بيان حقيقة تحضير الأرواح وحكمه في الشرع.

وأما عن حقيقة إدراك أحوال الميت في قبره؛ فهذا لا يمكن للعقل البشري معرفته، ولا الوقوف على كنهه وكيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، ولأنه من الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ الله، يقول الله تعالى:﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، **فيلزم في ذلك الإيمان والتسليم لما جاء به الشرع والوقوف عند حدوده وعدم التكلف في إثباته بغير حقائق علمية.**

يقول ابن أبي العز الحنفي – رحمه الله –: ((وقد تواترت الأخبار عن رسول الله – ﷺ – في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار))[٢].

---

(١) انظر المرجع السابق (١٠/١٤١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية– لابن أبي العز الحنفي ص٢٦٧.

الفصل الثالث
أحوال يوم القيامة

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ورود الناس الحوض يوم القيامة.

المبحث الثاني: الشفاعة.

المبحث الثالث: الميزان.

توطئة

المراد بأحوال يوم القيامة: هي الأمور التي تحصل منذ نهاية الدنيا وزوالها إلى أن يقضي الله – ﷻ – بين الخلائق بدخول الجنة من يستحقون ذلك من المؤمنين، ودخول النار من يستحق ذلك من الكفار والمنافقين وعصاة الموحدين، – كالنفخ في الصور، وبعث الناس من قبورهم وإتيانهم المحشر، وتطاير الصحف، ومجيء الرب ﷻ – للفصل بين الخلائق وليقضي بينهم – [1]، كما قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ٦٨ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾[الزمر: ٧٠].

وفي هذا الفصل سنبين بعضاً من أحوال يوم القيامة التي تعرَّضَ لها **طنطاوي جوهري** – ﷺ – أو أشار إليها في تفسيره.

(١) انظر يوم القيامة ومشاهده في الكتاب والسنة– د. دوخي الحارثي.

المبحث الأول: ورود الناس الحوض يوم القيامة

المطلب الأول: تعريف الحوض:

والحوض في اللغة: هو مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياض[(١)].

والمراد منه هنا: هو الحوض الذي أعده الله ﷻ لرسوله ﷺ، وهو حوض حقيقي على ظاهره، وأنه مخلوق موجود اليوم، فيسقي منه النبي ﷺ أمته يوم القيامة[(٢)]، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً[(٣)].

المطلب الثاني: أدلة ثبوت الحوض:

والحوض ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة[(٤)]:

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾[الكوثر:١].

حيث فسَّر الإمام البخاري – رحمه الله – الكوثر بأنه هو الحوض بدلالة إيراده لهذه الآية في معرض ترجمته لما سماه: باب في الحوض، ثم قال: ((وقال عبد الله بن زيد: قال النبي ﷺ: ((اصبروا حتى تلقوني على الحوض)) [(٥)].

وقال القرطبي – رحمه الله –: ((إنَّ للنبي ﷺحوضين أحدهما في الموقف قبل الصراط، والثاني في الجنة، وكلاهما يسمى كوثراً، والكوثر في كلام العرب الخير الكثير)) [(٦)].

وأما الأحاديث النبوية التي وردت في ورود الناس الحوض يوم القيامة فقد بلغت

---

(١) لسان العرب – لابن منظور (١٤١/٧)، ومعجم مقاييس اللغة (٢/ ١٢٠).

(٢) انظر شرح النووي على مسلم (٥٩/١٥)، وشرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين (١٥٧/٢).

(٣) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١٤٦/٣).

(٤) انظر شرح السنة – للبربهاري ص٧٣.

(٥) رواه البخاري في (كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي ﷺللأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض») (٨/ ١١٩).

(٦) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة – للقرطبي ص٧٠٢.

حد التواتر، حيث روى عن النبي ﷺ أكثر من خمسين صحابياً[1].

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله -: ((ما ورد في الحوض المحمدي سقانا الله منه يوم القيامة من الأحاديث المشهورة المتعددة من الطرق المأثورة الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة المكابرة القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده ...))[2].

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي- رحمه الله -: **بأنَّ** ((الأحاديث الواردة في ذكر الحوض تبلغ حد التواتر، رواها من الصحابة بضع وثلاثون صحابياً - رضي الله عنهم -...))[3].

ومن تلك الرويات، ما رواه:

- أنس بن مالك -رضي الله عنه -، قال النبي ﷺللأنصار: ((إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني وموعدكم الحوض)) [4].

- وعن عقبة بن عامر-رضي الله عنه -، قال: صلى رسول الله ﷺعلى قتلى أحد بعد ثماني سنين، كالمودع للأحياء والأموات، ثم طلع المنبر فقال: ((إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها)) [5].

- عن أنس-رضي الله عنه -، عن النبي ﷺقال: ((ليردن علي ناس من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك))[6].

- عن سهل بن سعد -رضي الله عنه -،قال: قال النبي ﷺ:((إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم))[7].

---

(١) انظر البدور السافرة في أحوال الآخرة - للسيوطي، ص٢٤١.

(٢) النهاية في الفتن والملاحم - لابن كثير (١/٣٧٤).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٢٠.

(٤) رواه البخاري في (كتاب مناقب الأنصار، باب قول النبي - ﷺ للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض») (٥/ ٣٣) حديث رقم: (٣٧٩٣)، ورواه مسلم في (كتاب الإمارة، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم) (٣/ ١٤٧٤) حديث رقم: (١٨٤٥).

(٥) رواه البخاري في (كتاب المغازي، باب غزوة أحد) (٥/ ٩٤) حديث رقم: (٤٠٤٢)، ورواه مسلم في (كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا - ﷺوصفاته) (٤/ ١٧٩٦) حديث رقم: (٢٢٩٦).

(٦) رواه البخاري في (كتاب الرقاق، باب في الحوض) (٨/ ١٢٠) حديث رقم: (٦٥٨٢).

(٧) رواه البخاري في (كتاب الرقاق، باب في الحوض) (٨/ ١٢٠) حديث رقم: (٦٥٨٣)، ورواه مسلم في (كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا - ﷺوصفاته) (٤/ ١٧٩٣) حديث رقم: (٢٢٩٠).

– عن أبي هريرة –ﷺ –، أنه كان يحدث: أن رسول الله ﷺقال: ((يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيحلئون[1] عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري))[2].

وجاء في وصف الحوض:

- حديث أبي بن كعب –ﷺ – أنَّ رسول الله ﷺقيل له: ما الحوض؟ قال: ((والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأبرد من الثلج، وأطيب ريحا من المسك، وآنيته أكثر عددا من النجوم لا يشرب منه إنسان فيظمأ أبدا، ولا يصرف عنه إنسان فيروى أبدا)) [3].

وممن حكى الإجماع في إثبات الحوض للنبي ﷺ:

الإمام السفاريني حيث قال – ﷺ –: ((أجزم بعد البعث والنشور وأخذ الصحف والمرور بحوض النبي المصطفى نبينا محمد ﷺفإنه ثابت بإجماع أهل الحق))[4].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – قد أقرَّ بإثبات الحوض، إلاّ أنه أخطأ فيما دعا إليه بأن المقصود به كناية عن العلم، مع القول بإمكانية بقاءه المعنى الأصلي.

يقول في ذلك – ﷺ –: ((والذي نقوله: إنّ الحوض يرمز به للعلم مع بقائه على ظاهره))[5].

ويقول أيضاً – ﷺ –: ((إذا أردت أن تعرف هذا من علوم البلاغة، فهو من باب الكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي.

فلازم المعنى هنا: أن العلم لا نهاية له، وأن من شرب من الحوض لم يظمأ، لأنه فتح له باب العلم، والنفوس الإنسانية أبداً تظمأ إلى معرفة الحقائق، وهذا حوض العلم والمعرفة والأسرار، به تنال النفوس ما به تستعد في الحياة وفي الممات، فظاهر اللفظ مقصود وباطن المعنى مقصود)) [6].

---

(١) وفي رواية: (فيجلون) أي: يصرفون، ويُروى: (فيحلؤون) يمنعون ويطردون.

(٢) رواه البخاري في (كتاب الرقاق، باب في الحوض) (٨/ ١٢٠) حديث رقم: (٦٥٨٥).

(٣) رواه أبو عاصم في السنة (٢/ ٣٣١).

(٤) لوامع الأنوار البهية – للسفاريني (١٩٤/٢).

(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣٠٦/٢٥).

(٦) المرجع السابق (٣٠٨/٢٥).

وفي موضع آخر يقول بأن الحوض رمز للعلم - ﷺ -: ((إنَّ هذه الأحاديث جاءت لترقية الأمة الإسلامية بأن يردوا حوض رسول الله ﷺبالعلم، فالحوض رمز للعلم...فأما ذكر الوضوء والذين يشربون من الحوض متوضئون وآثار الوضوء جعلتهم غرًا محجلين فهو رمز إلى طهارة النفس، فالمتدين لن يصل إلى حقائق العلوم إلا بأمرين: طهارة نفسه من الأخلاق الرديئة، وجده في طلب العلم ، فهؤلاء الذين وردوا الحوض ظهرت آثار الأعمال الظاهرة فاستعدوا للشرب من مناهل العلم الذي لا حصر له، فعلم الله لاحد له...وهذه الأحاديث تشير إلى أن هذه الأمة سينبع منها أناس لا نظير لهم ستطهر نفوسهم ويكرعون من موارد العلوم الشريفة، وهم يمتازون عن علماء الأمم بخاصية، وهي أن حوض العلم الذي يشربون منه هو حوض رسول الله ﷺومعنى هذا أنهم يدرسون العلوم التي بثها الله في هذه الدنيا ولا نهاية لها، ويعرفون هذه الكواكب ويدرسونها، ولا يذرون شيئاً مما خلق الله إلا عرفوه على مقدار طاقاتهم، ولكن يقرأوون تلك العلوم باعتبار أنها من آثار جمال الله، فيصبحون خلفاء الله في الأرض، وتكون دراسة علم الفلك والطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان إلى آخره دراسة للدين الإسلامي، فالقرآن يطلب هذه العلوم كلها، وكل العلوم يطلبها القرآن.

فمن قرأ الفلك باعتبار أنه آثار جمال الله فقد ورد بعض حوض رسول الله، ومن درس النبات والطب والتشريح، أو عجائب النمل أو النحل أو نحو ذلك باعتبار أنها من آثار جمال الله فقد شرب من حوض رسول الله، ومن درس تشريح النبات وعجائب تركيبه والعناصر الداخلة فيه باعتبار أن هذا من بدائع حكم الله ونظامه العجيب فقد شرب من حوض رسول الله، ومن قرأ جغرافية الشمس، أو جغرافية القمر أو جغرافية جري الأرض حول الشمس أو نظام كسوف الشمس، أو عجائب خسوف القمر فقد ورد الحوض على رسول الله، ومعنى وروده الحوض أنه قد تأهل إلى وروده عليه... إلخ)) [(١)].

وطنطاوي جوهري بقوله هذا يُعَدُ مخطئاً في تفسيره وتكلفه وربطه بالعلم، وإن كان في الجملة موافقاً لمذهب السلف من حيث إثبات الحوض [(٢)].

يقول الحافظ ابن حجر - ﷺ -: ((وقال القرطبي في (المفهم) تبعاً للقاضي عياض في غالبه مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله ﷻ قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي ... وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكرت ذلك طائفة من

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٣٠٧/٢٥).

(٢) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٥٥/٣، ٤٠١/١٧).

المبتدعة وأحالوه على ظاهره وغلوا في تأويله من غير استحالة عقلية ولا عادية تلزم من حمله على ظاهرة وحقيقته ولا حاجة تدعو إلى تأويله فخرق من حرفه إجماع السلف وفارق مذهب أئمة الخلف))[1].

وكذلك دعواه هذا مخالفُ لما ثبت بالسنة الصريحة المتواترة، كما هو مخالفة لما أجمعت عليه الأمة.

قال القاضي عياض - ﷺ -: ((أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه... وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة ...))[2].

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر،(٤٦٧/١١).

(٢) نقل عنه الإمام النووي في المنهاج شرح النووي على مسلم (١٥/ ٥٣).

المبحث الثاني: الشفاعة

المطلب الأول: تعريف الشفاعة:

لغة: هو خلاف الوتر، يقال: شفع لي يشفع شفاعة وتشفع: بمعنى طلب، والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره، وشفع إليه: في معنى طلب إليه، والشافع: الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب [(١)].

قال ابن فارس: ((الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، من ذلك الشفع خلاف الوتر. تقول: كان فردا فشفعته... وشفع فلان لفلان إذا جاء ثانيه ملتمسا مطلبه ومعينا له)) [(٢)].

وقيل: هو الزيادة، وهو أن يشفعك فيما تطلب حتى تضمه إلى ما عندك فتزيده وتشفعه بها، أي تزيده بها، أي إنه كان وترا واحدا فضم إليه ما زاده وشفعه به[(٣)].

والشفاعة هنا تأتي بمعنى الوسيلة والطلب[(٤)].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – قد عرف الشفاعة في اللغة فقط، ولم يبين مراده منها في الاصطلاح .

يقول في ذلك: ((وأصل هذه الكلمة من الشفع الذي هو ضد الوتر، كأنَّ صاحب الحاجة كان فرداً، فصار الشفيع له شفيعاً، أي: صارا زوجاً)) [(٥)].

وفي الاصطلاح:

يقول الحافظ ابن حجر – ﷺ – في تعريف الشفاعة: ((هي انضمام الأدنى إلى الأعلى ليستعين به على ما يرومه))[(٦)].

---

(١) انظر تهذيب اللغة (٢٧٧/١)، ولسان العرب (١٨٤/٨)، والصحاح (١٢٣٨/٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (٢٠١/٣).

(٣) انظر تهذيب اللغة (٢٧٨/١).

(٤) لوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٢٠٤/٢).

(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٨٢/١).

(٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري – لابن حجر،(٤٣٣/١١).

وقيل: هي التوسُّطُ بالقول في وصول شخصٍ إلى منفعة من المنافع الدنيويةِ أو الأخروية أو خلاصِه من مضَرّة ما [1].

وقيل: هي التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة [2].

المطلب الثاني: أدلة ثبوت الشفاعة:

الشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع [3].

فمن القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾[الإسراء:٧٩].

والمقام المحمود هو المقام الذي يقومه النبي ﷺيوم القيامة للشفاعة لأهل الموقف ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم، وهي الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون[4].

وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾[النجم:٢٦]، فبين الله الشفاعة الصحيحة، وهي التي تكون بإذنه، ولمن يرتضي قوله وعمله[5]، والآيات في هذا كثيرة في القرآن الكريم.

وأما السنة:

فقد وردت في الشفاعة أحاديث كثيرة، منها:

حديث الشفاعة الطويل: عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن، فأحمده بتلك المحامد، وأخر له ساجداً، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان، فأنطلق فأفعل، ثم أعود، فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب، أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة – أو خردلة – من إيمان فأخرجه،

---

(١) تفسير أبي السعود (٢/٢١٠).

(٢) شرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين (١/١٦٩)، والقول المفيد على كتاب التوحيد – لابن عثيمين (١/٣٣٠)، ولوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٢/٢٠٤).

(٣) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١/١٤٨)، وشرح العقيدة الواسطية – للهرّاس، ص٢١٥،

(٤) انظر تفسير الطبري (١٧/٥٢٦)، وإثبات الشفاعة – للذهبي ص٢٠، وشرح العقيدة الواسطية – للهرّاس، ص٢١٥.

(٥) انظر شرح العقيدة الواسطية – محمد بن خليل حسن هرّاس، ص٢١٦.

فأنطلق، فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا، فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل...)) الحديث[1].

والأحاديث في إثبات الشفاعة كثيرة جداً وقد صرَّح الأئمة المحققون تواترها، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث يقول - ﷺ -: ((وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة منها في الصحيحين أحاديث متعددة وفي السنن والمساند مما يكثر عدده.))[2].

وأما من حيث الإجماع فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات الشفاعة، فالملائكة والرسل والشهداء والمؤمنون يشفعون عند الله ﷻ بقدر منزلتهم ومكانتهم عنده ﷻ[3].

المطلب الثالث: أنواع الشفاعة:

أنواع الشفاعة:

الشفاعة أنواع وقد تكلم طنطاوي على بعضها:

وقد قسم أهل العلم رحمهم الله الشفاعة إلى قسمين رئيسيين وهي[4]:

القسم الأول: الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ لا يشاركه فيها أحداً غيره، وهي على ثلاثة أنواع:

فقد أثبت طنطاوي جوهري – ﷺ – النوع الأول: وهي الشفاعة العظمى، ولم يتطرق سوى ذلك من أنواع الشفاعة في هذا القسم.

النوع الأول: الشفاعة العظمى: وهي الشفاعة في أهل الموقف حتى يُقْضَى بينهم بعد

---

(١) رواه البخاري في (كتاب التوحيد، باب كلام الرب -ﷻ - يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) (٩/ ١٤٦) حديث رقم: (٧٥١٠)، ورواه مسلم في (كتاب الإيمان، بباب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) (١/ ١٨٠) حديث رقم: (١٩٣).

(٢) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١/٣١٤).

(٣) انظر شرح السنة للبربهاري ص٧٣، ومجموع الفتاوى – لابن تيمية (١/١٤٨)، وشرح العقيدة الواسطية – محمد بن خليل حسن هرّاس، ص٢١٥، وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٢٣، وإثبات الشفاعة – للذهبي ص٢٠، ولوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٢/ ٢٠٩).

(٤) انظر القول المفيد على كتاب التوحيد – لابن عثيمين (١/٣٣١) وما بعدها.

أن تتراجع عنها الأنبياء، وهذه الشفاعة مجمع عليها لم ينكرها أحد ممن يقول بالحشر[1].

وقد أشار طنطاوي إلى هذا النوع من الشفاعة بيد أنه خالف مذهب أهل السنة والجماعة في تقريرها حيث ربطها بالعلم، ويرى أنّ الشفاعة العامة هي العلم والهدى الذي جاء به النبي محمد – ﷺ –.

فقال: ((العلم العام النبوي ينزل على صدور العلماء والعامة والخاصة فهو كالشمس ومن سواه لهم أعمال خاصة، فالشفاعة العامة لهم مشرقة على الجميع)) [2].

ويرى كذلك أنّ من عنده علم فقد ينال الشفاعة، وأما الجاهل فلا يستحق الشفاعة في نظره، فقال: ((واعلم أنّ للشفاعة بذوراً ونباتاً وثمراً، فبذورها العلم ونباتها العمل وثمرها النجاة في الآخرة... فمبادئ الشفاعة العلم، وأوسطها العمل، ونهايتها الفوز والرقي في الآخرة)) [3].

وقال: ((ولا جرم أن العمل لا يكون إلا بعد العلم، فإذا كان العمل مبنياً على جهل فلا يستحق شفاعة، وأما صاحب العلم فإن لديه أقوى ركني الشفاعة وهو العلم، ولم يبق إلا استثماره)) [4].

ولا شك أنّ ما ذهب إليه طنطاوي من تأويل الشفاعة بالعلم تأويل غير مسوغ له، وقد سلك في ذلك مسلك المتفلسفة من المسلمين[5] الذين شبهوا شفاعة النبي ﷺ لأمته بالشمس الواقعة على الماء أو المرآة، فينعكس شعاعها على مكان آخر مظلم فيضيء ذلك المكان بسبب هذا الشعاع.

قالوا: فهكذا الرحمة تفيض على النفوس الفاضلة كنفوس الأنبياء والصالحين، ثم تفيض بتوسطهم على نفوس المتعلقين بهم، وكما أن انعكاس الشعاع يحتاج إلى المحاذاة

---

(١) انظر مجموع الفتاوى – لابن تيمية (١/١٤٨)، وشرح العقيدة الواسطية – للهرّاس، ص٢١٦، وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٢٣، ولوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٢/ ٢٠٨)، وشرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين(٢/ ١٧٢).

(٢) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١/٨٤).

(٣) المرجع السابق (١/٧٧).

(٤) المرجع السابق (١/٧٩).

(٥) كابن سينا وأبي حامد الغزالي وغيرهم، الذين شبهوا شفاعة الرسول لأمته بانعكاس شعاع الشمس الواقع على جسم صقيل ثم انعكس على غيره، فكذلك تكون الشفاعة.

فكذلك الفيض لا بد فيه من توجه الإنسان إلى النفوس الفاضلة[1].

والحاصل أنَّ طنطاوي شابههم في المنهج وتأول الشفاعة بالعلم بغض النظر عن النتيجة، فقد شبَّه العلم النبوي بالشمس المشرقة على الجميع، وهو بذلك حاول التوفيق بين ما جاء به الشرع الحكيم من أمر الشفاعة وبين قول الفلاسفة السالف ذكره.

ولا ريب أنّ هذا على خلاف ما عليه مذهب أهل السنة والجماعة القائلين بإثباتها على حقيقتها.

قال الإمام الطحاوي – ﷺ – **في ذلك:** ((والشفاعة التي ادخرها لهم حق كما روي في الأخبار)) [2].

يقول أبو بكر الإسماعيلي[3] – ﷺ – **عن عقيدة أهل السنة والجماعة:** ((إنّ الله يخرج أقواماً من أهل التوحيد بشفاعة الشافعين برحمته، وإنّ الشفاعة حقٌ)) [4].

قال ابن القيم – ﷺ –: ((أنَّ الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض، وهو الله وحده، فهو الذى يشفع بنفسه إلى نفسه ليرحم عبده، فيأذن هو لمن يشاء أن يشفع فيه، فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له، والذى يشفع عنده إنما يشفع بإذنه له، وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه، وهي إرادته من نفسه أن يرحم عبده، وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهى التي أبطلها الله سبحانه في كتابه)) [5].

القسم الثاني: الشفاعة العامة: وهي الثابتة له ﷺ ولغيره من المؤمنين، وهي على أنواع:

وقد أثبت طنطاوي جوهري – ﷺ –، أنواعاً من الشفاعة من هذا القسم ولم

---

(١) انظر مجموعة رسائل الإمام أبي حامد الغزالي (المضنون به على غير أهله) ص٣٧١، ت: إبراهيم محمد أمين، ن: المكتبة الوقفية، ط: بدون، والاستغاثة في الرد على البكري – لابن تيمية، ص٢٧١، ومقارنة بين الغزالي وابن تيمية – محمد رشاد سالم، ص٩١، ن: دار القلم، ط: بدون، ١٤١٣هـ، وقد تعرض المؤلف فيه موقف ابن سيناء في الشفاعة ثم أحال المؤلف قول ابن سيناء إلى كتاب له يسمى: (رسالة الزيارة)، لكني لم أجد هذا الكتاب أو تعسر علي الوصول إليه.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٢٣.

(٣) اعتقاد أهل السنة – الحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي ص ٤٨.

(٤) هو أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي، لإمام، الحافظ، الحجة، الفقيه، ولد سنة: ٢٧٧هـ، وله: المستخرج على الصحيح، ومسند عمر، والمعجم، وغيرها. انظر سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٢)، والأعلام للزركلي (١/٨٦).

(٥) إغاثة اللهفان – لابن القيم (١/٢٢٠).

يتطرق سوى ذلك، ومن أنواع الشفاعة التي أثبتها، وهي.

النوع الأول: شفاعته ﷺ فيمن استحق النار أن لا يدخلها، و فيمن دخلها فيها من أهل الكبائر أن يخرج منها، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم[1].

وقد تواترت الأحاديث في هذا النوع من الشفاعة عن النبي ﷺواستفاضت[2]، وأجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة[3]، وهذه الشفاعة ينكرها المعتزلة والخوارج بناء على مذهبهم، أنَّ مرتكب الكبير مخلدٌ في النار لا تنفعه الشفاعة[4].

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – قد أثبت هذا النوع من الشفاعة مع إيمائه للشفاعة المنفية التي ادعاها المشركون، وقد نفاها القرآن الكريم عنهم.

فقال – رحمه الله – عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[البقرة:٤٨]، ((أي: لا يقبل من النفس العاصية شفاعة الشافعين، ولا يؤخذ منها فدية، ولا ناصر ينصرهم، وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية لنفي الشفاعة عن مرتكب الكبيرة، وخصها الجمهور بالكفار لما ورد من الآيات والأحاديث في الشفاعة)) [5].

وقال: ((اعلم أنَّ أهل السنة قالوا بإسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب، إما بأن يشفع لهم يوم القيامة في العرصات حتى لا يدخلوا النار، وإن دخلوا النار يشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة، وقالت المعتزلة: إنها تكون للمستحقين للثواب بأن تحصل لهم زيادة المنافع على قدر ما استحقوه، واتفقوا على أنها ليست للكفار))[6].

وهو في الجملة يقرُّ بجميع أنواع الشفاعة التي أثبتها القرآن والسنة للنبي ﷺ في أمته، غير أنه يحاول توظيفها لقضية العلم.

---

(١) انظر شرح العقيدة الواسطية – لابن عثيمين(٢/ ١٧٧).

(٢) انظر الشريعة – للآجري (١٢١٢/٣).

(٣) انظر شرح السنة للبربهاري ص٧٣، والإيمان – لابن مَنْدَه العبدي (٨٠٩/٢)، ت: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٢٩، وتيسير العزيز الحميد – سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ص٢٤٥، والقول المفيد على كتاب التوحيد – لابن عثيمين (٣٣٣/١).

(٤) انظر مقالات الإسلاميين– لأبي الحسن الأشعري ص٨٦، والملل والنحل – للشهرستاني (٤٥/١)، والفصل في الملل والأهواء والنحل – لابن حزم الأندلسي (٣٧/٤).

(٥) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٧٢/١).

(٦) المرجع السابق (٧٦/١).

فقال – ﷺ –: ((الشفاعة حقٌ عندنا...ونحن في ديننا نعتقد أنّ شفاعة الأنبياء حقٌ بل منكرها يكفر)) (١).

وقال أيضاً – ﷺ –: ((اعلم أنّ الأمة الإسلامية أجمعت أنه ﷺيشفع في أمته، وهذا أمر مجمع عليه لا فرق بين السنية والمعتزلة والفلاسفة منهم، ولكنهم اختلفوا في المقصود منها، وها أنا أذكر لك الحقيقة واضحة جلية خالصة ظاهرة، ثم أطبق عليها سائر الأقوال والآيات والأحاديث، بحيث يتفق المشرب الديني، والمنهج القويم للتربية الإسلامية ، وهذا هو الذي انشرح له صدري وصرت موقنا به تحقيقاً.

فاعلم أرشدك الله أن النبي ﷺكالشمس المشرقة كما قال تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[الأحزاب:٤٦]، والشمس مشرقة على اليابسة، والبحار، والآكام، والغياض، والنبات، والشجر، والأرض السبخة، والأرض الطيبة، وكل من تلك المواضع يأخذ حظه من ضوئها على مقدار استعداده... هذا هو المثل الذي أردت ضربه لحال النبي ﷺ مع الناس... فالله نور السموات والأرض أشرق نوره على رسول الله ﷺ، وهو مشرق على الناس، فلا جرم يختلفون في قبوله باختلاف أحوالهم، وتكون أحوالهم في الآخرة على مقتضى ذلك الاختلاف، فالمرسلون واسطة للتعليم، والناس المرسل إليهم هم الذين يختلفون في الاتباع باختلاف أطوارهم واستعدادهم، وهم مسؤولون يوم القيامة عن اعمالهم على مقتضى ما بلغهم الواسطة.... **إلى أن قال**: فإذا قيل إنه يشفع في أهل الكبائر، أو في زيادة الحسنات للمحسنين، فقد دخل ذلك كله في هذا الذي أوضحته لك)) (٢).

وكذلك أثبت طنطاوي جوهري – ﷺ – **الشفاعة العامة التي أثبتها الشارع الحكيم لغير النبي ﷺ من الأنبياء والشهداء والصالحين.**

حيث قال– ﷺ – في ذلك:((شفاعة الأنبياء ليست من قبيل الهبات المالية، ولا الوظائف الإدارية، وإنما هي نفحات علمية، وأخلاق حكمية، وآداب نبوية، فمن فقه ما قالوه واتبع ما رسموه، واستثمر من بذور الشفاعة ما بذروه، تمت له الشفاعة ودخل مع الجماعة، أما أولئك الكسالى الجبناء المتواكلون، فإنهم يظنون أن مجرد الاتباع اللفظي مع النوم والكسل الفعلي يجديهم نفعاً كبيراً، ويحسن لهم صنعاً جميلاً ، كلا إنهم لمخدوعون، وليس هذا القول بمخالف أهل السنة ولا المعتزلة، فإن خروج العاصي من النار بالشفاعة أو إبعاده عنها قبل الدخول ، وكذلك زيادة الحسنات في الأعمال للصالحين، كل هذا جاء من شفاعته ﷺ واتباعه

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٠٦/٢).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٧٦/١).

، بل كل ثواب فإنما هو بسبب ذلك ، وهكذا كل نجاة ، فإنه ﷺ لو لم يأت لنا بالشريعة لكنا أقرب إلى الحيوان ، فصرنا باتباعه داخلين في شفاعته، لأنا به صرنا شفعاً، ولا يكون ذلك إلاَّ باتباعه، ولا ننال إلا ما استعددنا له)) [(١)].

وفي موضع آخر قال – رحمه الله –: ((ونحن في ديننا نعتقد أنّ شفاعة الأنبياء حقٌ بل منكرها يكفر)) [(٢)].

وقال أيضاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[طه:١٠٩]، ((فالأنبياء يشفعون والعلماء يشفعون والأساتذة يشفعون والشهداء يشفعون، ولكل منهم في الشفاعة درجة خاصة، وهي مقدرة بمقدار أثاره في المشفوع لهم وعلامة قبول شفاعتهم في الآخرة قبول نصائحهم في الدنيا)) [(٣)].

وخلاصة القول: أنّ الشفاعة حقٌ، فهي ثابتة بالكتاب والسنة، وأنها خاصة بالمؤمنين، لا يشاركه فيها أحد من الكفار، وهي على أنواع منها خاصة بالنبي ﷺ، وفي بعضها يشاركون فيها الأنبياء والصالحين والشهداء والمؤمنين، ولا تتحقق ذلك إلا بعد توفر شرطين، وهما: إذن الله للشافع، ورضاه عن الشافع والمشفوع له.

وقد قال بهذا السلف وعلماء أهل السنة والجماعة، وطنطاوي جوهري في الجملة أقّر بذلك مع تأويله للشفاعة العظمى بالعلم، وفي هذا خالف مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) انظر المرجع السابق (١/٧٦-٨٤).

(٢) انظر المرجع السابق (٢/١٠٦).

(٣) المرجع السابق (١٠/١٣٨).

المبحث الثالث: الميزان

المطلب الأول: تعريف الميزان:

لغة: الميزان معروف، وأصله موزان، انقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، وجمعه موازين، وهو اسمٌ للآلة التي يوزن بها الأشياء [(١)].

ويراد به شرعاً: هو ما ينصبه الله تعالى يوم القيامة لوزن أعمال العباد، إظهاراً لكمال عدله، وهو ميزانٌ حقيقي حسي له كفتان ولسان[(٢)].

المطلب الثاني: ثبوتية الميزان:

الإيمان بالميزان ثابت بالكتاب والسنة والإجماع[(٣)].

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾[الأعراف:٩]، وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾[الأنبياء:٤٧].

ومن السنة النبوية:

حديث أبي هريرة – ﷺ – عن النبي ﷺ قال: ((كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده))[(٤)].

---

(١) انظر تهذيب اللغة (١٣/١٧٥)، ولسان العرب (١٣/١٤٦)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/٢٢١٣).

(٢) لوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٢/١٨٤).

(٣) المرجع السابق (٢/١٨٤).

(٤) رواه البخاري في (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن) (٩/ ١٦٢) حديث رقم: (٧٥٦٣)، ورواه مسلم في (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء) (٤/ ٢٠٧٢) حديث رقم: (٢٦٩٤).

وممن حكى الإجماع في إثبات الميزان أبو إسحاق الزجاج[1]: ((أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال))[2].

وعليه ذهب جمهور أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً إلى الإيمان بالميزان الحقيقي، وأنَّ له كفتين حسيتين، ينصب يوم القيامة ويوزن به أعمال العباد، فمن رجحت حسناته فمصيره إلى الجنة، ومن رجحت سيئاته فمصيره إلى النار، ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة[3].

قال ابن أبي العز الحنفي - ﷺ -: ((فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال وثبت أن الميزان له كفتان والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات))[4].

وقد أنكرت الجهمية[5] والمعتزلة[6] الميزان بناء منهم على أنَّ الأعراض يستحيل وزنها إذ لا تقوم بأنفسها ولا ثقل لها ولا خفة.

وقد أثبت طنطاوي جوهري - ﷺ - الميزان يوم القيامة قياساً على الوزن والميزان المشاهد من جمال الله وحكمته وخلقه المحسوس به في الحياة الدنيا.

فقال في ذلك: ((وليشهدوا أنّ الله وزن كل شيء بالحق، ومن شهد ذلك في هذه الحياة سهل عليه وزن يوم القيامة فالله رب العالمين.

والعالم قسمان: عالم الدنيا وعالم الآخرة، ولقد شهد الحكماء الوزن في الدنيا؛ فهكذا يقرون بالوزن يوم القيامة، وهذا سهل على من قرأ صفة الله في الدنيا، فأما من عداهم من

---

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السرى بن سهل الزَّجَّاجُ، البَغْدَادِيُّ النحوي؛ كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين، مُصَنِّفُ كِتَابِ (مَعَانِي القُرْآنِ)، وَلَهُ تآلِيفُ جَمَّةٌ، منها: كتاباً في معاني القرآن وله كتاب الأمالي، وغير ذلك، مَاتَ: سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ وَثَلاَثِ مائَةٍ، وَقِيْلَ: مَاتَ فِي تَاسِعَ عَشَرَ جُمَادَى الآخِرَةِ، سَنَةَ عَشْرَة.
انظر وفيات الأعيان، وسير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٦٠).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري -لابن حجر (٥٣٨/١٣).

(٣) انظر مقالات الإسلاميين– لأبي الحسن الأشعري، ص٤٧٢، وجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣٠٢/٤)، ولوامع الأنوار البهية – للسفاريني (١٨٤/٢).

(٤) انظر شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٢٢٦.

(٥) انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع – للمَلَطي، ص٩٨-١١٠.

(٦) انظر مقالات الإسلاميين– لأبي الحسن الأشعري، ص٤٧٢، وأثبت القاضي عبد الجبار الميزان، انظر شرح الأصول الخمسة ص٧٣٥.

الذين لا يقرأون فما أحراهم أن يوصف لهم ذلك بضرب الأمثال.

إلى أن قال: إذا كانت الأيدي والأرجل والألسن تشهد ثم الأنفس تعرف، فهذا دليل أنّ ميزانه في الدنيا هو ميزانه في الآخرة.

بهذا فليعرف جمال الله وحكمه ووزنه الحق الذي شاهدنا، ونظامه الجميل الذي أدركنا، فالموزون عايناه، والميزان ما رأيناه، فالموزون مشاهد والميزان معلوم لم تشهده العيون، وقد أقرّت به القلوب.

وإذا سمعت ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص - ﷺ - أنَّ رسول الله - ﷺ - قال: ((إن الله ﷻ سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول له أتنكر من هذا شيئاً، أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول :لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب. إلى أن قال: فيخرج الله له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أنَّ محمدا رسول الله، فتوضع في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل مع اسم الله شيء))[1].

فإذا سمعت هذا فاعلم أنه تمثيل لحال الوزن وترغيب في الإيمان، لأن من آمن يطمع في أن يعمل ومتى عمل ثقلت موازينه، وكثير من يغترون بظاهر الحديث فينطقون بالشهادتين ويكتفون بهذا وهم مغرورون جاهلون، بل الوزن حق والحساب مبني على الوزن ولا بد من التهذيب والتربية.

فالمراد من ذلك أنَّ هذه الشهادة أسّ للأعمال، فالوزن لها ولما ترتب عليها، وإن لم يكن كذلك ضاعت ثمرات جميع الأديان))[2].

وفي قوله: ((فهذا دليل أنّ ميزانه في الدنيا هو ميزانه في الآخرة)) **هذه إشارة منه إلى أنه يتأول ميزان الآخرة بالعدل والحكمة والإتقان الموجود في المخلوقات، ولذلك اعتبر في الفقرة السابقة من ضرب الأمثال، في قوله:** ((والعالم قسمان: عالم الدنيا وعالم الآخرة، ولقد شهد الحكماء الوزن في الدنيا؛ فهكذا يقرون بالوزن يوم القيامة، وهذا سهل على من قرأ صفة الله في الدنيا، فأما من عداهم من الذين لا يقرأون فما أحراهم أن يوصف لهم ذلك بضرب الأمثال)).

وبذلك يوافق طنطاوي جوهري مذهب أهل السنة والجماعة بالجملة من حيث

---

(١) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (١٥٩/٤-١٦٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٤/٥)، (٢٦٣٩)، ورواه أحمد في مسنده (٤٣٧/٦)، (٦٩٩٤).

اعتقاده وإيمانه بوجود الميزان، لكنه يخالفهم من حيث تأويله في ميزان الآخرة بالعدل والحكمة والإتقان الموجود في المخلوقات.

الفصل الرابع
الجنة والنار

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إثبات الجنة والنار.

المبحث الثاني: تحديد مكان الجنة والنار.

المبحث الثالث: أبدية الجنة والنار.

المبحث الأول: إثبات الجنة والنار

المطلب الأول: تعريف الجنة والنار:

المسألة الأولى: تعريف الجنة لغة وشرعاً:

والجنة في اللغة إذا أطلقت: تارة يراد بها البستان، وأخرى يراد بها الستر والتستر[١].

قال ابن فارس: ((الجيم والنون أصل واحد، وهو الستر والتستر، فالجنة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم اليوم، والجنة البستان، وهو ذاك لأن الشجر بورقه يستر))[٢].

ومرادها في الشرع: هي دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، وفيها ما تشتهيه الأنفسُ وتلذ الأعينُ، وفيها من النعيم ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلبِ بشر[٣].

المسألة الثانية: تعريف النار لغة وشرعاً:

وفي اللغة: تطلق النار على اللهيب الذى يبدو للحاسة، وللحراراة المجردة، ولنار جهنم، ولنار الحرب[٤].

ومرادها في الشرع: هي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين والعصاة الظالمين، فيها من أنواع العذاب والنكال ما لا يخطر على البال، وهي جسم لطيف محرق [٥].

المطلب الثاني: إثبات الجنة والنار:

ومما يعتقده أهل لسنة والجماعة وجود الجنة والنار، وأنهما موجودتان مخلوقتان، خلقهما الله ليثيب الطائعين بجنته، ويجازي العاصين بناره، فكل واحدة من الجنة والنار حقٌ ثابتٌ

---

(١) انظر مختار الصحاح، ص٦٢، ولسان العرب (٩٩/١٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة – لابن فارس (٤٢١/١).

(٣) انظر شرح العقيدة الواسطية ص٥٣٤، وعقيدة أهل السنة والجماعة – لابن عثيمين، ص٢٥.

(٤) انظر مفردات غريب القرآن – للراغب الاصفهاني، ص٥٠٨،

(٥) انظر شرح العقيدة الواسطية ص٥٣٤، وعقيدة أهل السنة والجماعة – لابن عثيمين ص٢٥.

بالكتاب والسنة والإجماع[1].

يقول ابن القيم – ﷺ – في اعتقاد وجود الجنة والنار: ((لم يزل أصحاب رسول الله والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم إليها وأخبروا بها، إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن وقالت بل الله ينشئها يوم القيامة))[2].

ويقول السفاريني – ﷺ –: ((فكل واحدة من الجنة والنار حق ثابت في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكل ما هو كذلك فالإيمان به واجب، واعتقاد وجوده حق لازب، والمراد من الجنة دار الثواب، ومن النار دار العقاب)) [3].

والنصوص الدالة على ذلك كثيرة ومتضافرة في الكتاب والسنة:

أولاً: النصوص الواردة عن الجنة:

أ- الآيات التي تدل على خلق الله الجنة لعباده المؤمنين:

قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾[آل عمران:١٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران:١٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد:١٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾[التوبة:٧٢]،

ب- ومن الأحاديث الدالة على خلق الله الجنة:

---

(١) انظر شرح السنة للبربهاري ص٤٨، ولوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٢/٢١٩).

(٢)حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – لابن قيم الجوزية، ص١١.

(٣) لوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٢/٢١٩).

– عن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال النبي ﷺ في حديث الإسراء والمعراج ((ثم انطلق حتى أتى بي السدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك)) [(١)].

– عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى ((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)) [(٢)].

– عن أبي سعيد الخدري– رضي الله عنه – ، أن النبي ﷺ قال: ((إنَّ الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى؟ يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا)) [(٣)].

وغيرها من الأحاديث الكثيرة التي تدل على إثبات الجنة، حتى أفردوا في ذلك المحدثون كتباً وأبواباً في جوامعهم وسننهم [(٤)].

ثانياً: النصوص الواردة عن النار:

أ– الآيات التي تدل على خلق الله النار للكفار والمشركين والعصاة، قوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة:٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴾[الليل:١٧]، وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ

---

(١) رواه البخاري في (كتاب أحاديث الأنبياء، اب ذكر إدريس عليه السلام) (١٣٥/٤) حديث رقم: (٣٣٤٢)، ورواه مسلم في (كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات) (١/ ١٤٨) حديث رقم: (١٦٣).

(٢) رواه البخاري في (كتاب بدء الوحي، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) (١١٨/٤) حديث رقم: (٣٢٤٤)، ورواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) (٤/ ٢١٧٤) حديث رقم: (٢٨٢٤).

(٣) رواه البخاري في (كتاب بدء الوحي، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) (١١٤/٨) حديث رقم: (٦٥٤٩)، ورواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا) (٤/ ٢١٧٦) حديث رقم: (٢٨٢٩).

(٤) كالإمام البخاري ومسلم – رحمهم الله– ترجموا في إثبات الجنة والنار أبواباً وكتباً، فذكر الإمام البخاري في ذلك: (باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، باب صفة النار، وأنها مخلوقة) والإمام مسلم كذلك خصص لهذا أبوابا: ((كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، كتاب صفة القيامة والجنة والنار)

وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ﴾[التوبة:٦٨].

ب- ومن الأحاديث الدالة على خلق الله النار ليعذب بها الكفار والمنافقين والعصاة من الموحدين على قدر معاصيهم:

- عن أبي هريرة -ﷺ- أنَّ رسول الله ﷺ قال: ((ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها)) [(١)].

- عن أبي هريرة -ﷺ- قال رسول الله ﷺ: ((اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء ونفس في الصيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير))[(٢)].

وخالف في ذلك المعتزلة والقدرية حيث أنكروا وجود الجنة والنار، وقالوا بأنهما لم يخلقا بعد ' بل ينشئهما الله تعالى يوم القيامة [(٣)].

يقول الإمام النووي - ﷺ -: ((الجنة والنار مخلوقتان موجودتان اليوم وأن في الجنة ثمارا وهذا كله مذهب أصحابنا وسائر أهل السنة خلافا للمعتزلة)) [(٤)].

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي- ﷺ - رداً على المعتزلة والقدرية: ((اتفق أهل السنة على أنَّ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة ! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا!! وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة!، وقالوا : خلق الجنة قبل الجراء عبث ! لأنها تصير معطلة مددا

---

(١) رواه البخاري في (كتاب بدء الوحي، باب صفة النار، وأنها مخلوقة) (١٢١/٤) حديث رقم: (٣٢٦٥)، ورواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين) (٤/ ٢١٨٤) حديث رقم: (٢٨٤٣).

(٢) رواه البخاري في (كتاب بدء الوحي، باب صفة النار، وأنها مخلوقة) (١٢٠/٤) حديث رقم: (٣٢٦٠)، ورواه مسلم في (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الابراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة، وبناله الحر في طريقه) (١/ ٤٣١) حديث رقم: (٦١٧).

(٣) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل - لابن حزم الظاهري (٦٨/٤)، والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية - عبد القاهر البغدادي، ص١٥٠.

(٤) شرح النووي على مسلم (٢٠٧/٦).

متطاولة!! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم))[1].

وقد أثبت طنطاوي جوهري - ﷺ - وجود الجنة والنار بالأدلة السمعية، وبالعلوم التجريبية التي وصل إليها العلم الحديث، باستشهاده ببعض بما قاله عالم الأرواح عند تحضير أرواح الموتى.

فقال: ((واليوم نعيد الكرة لهما –الجنة والنار– بتحقيق أجلى، وإيضاح أكمل، وأحاديث مرفوعة، وآراء مشروحة، وعلوم حديثة، واكتشافات صريحة)) [2].

ثم سرد بعض الآيات والأحاديث الدالة على إثبات الجنة والنار إلى أن قال: ((هذه الآيات والأحاديث هي التي أردت جمعها لتكون أساساً لما نبني عليه من العلوم الحديثة التي كشفها علماء العصر الحاضر في أوروبا)) [3].

وقال طنطاوي رداً وجواباً لمن سأله عن الجنة والنار وأنهما من السمعيات، وإذا كان العقل لا يصل إلى السمعيات فكيف توصل إليها مناظر العجائب!

فقال: ((ما الجنة ولا النار إلا داران ممتازتان، فإحداهما فيها كل محبوب، وثانيتهما فيها كل مكروه، ونحن في هذه الأرض لا نعرف المحبوب إلا ما وافق حواسنا الخمس من صور جميلة ونغمات لذيذة وروائح طيبة وطعوم لذيذة وملموسات موافقة كأن تكون ناعمة مثلاً، ذلك للبصر والسمع والشم والذوق واللمس وهكذا إذا تخيلنا تلك الصور، ولكن حضورها في الخيال أقل لذة من حضورها في الحس. وهكذا المعاني الشريفة الموافقة لعقولنا من العلوم البهجة وانكشاف الحقائق بالبراهين واقتناع النفس بالمعلومات.

فهذه بهجتنا فلكل قوة فينا بهجة تناسبها، فالمعقولات بهجة للعقل، والمحسوسات بهجة للحس، والصور الخيالية بهجة لخيالنا، فهذه المذكورات هي مجامع ما نحبه في هذه الدنيا، والذي نكرهه يقابل ذلك، فكل قبيح صورته مشوه خلقته أو غير طيب الرائحة أو غير متزن النغمات أو غير لذيذ الطعم أو غير ناعم مثلاً؛ نكرهه كما نكره تصوره في خيالنا، وهكذا خلو عقولنا من العلوم وجهلها وغباوتها

وعدم معرفتها حقائق الأشياء وتخبطها في المعارف تخبطاً يزري بها. كل ذلك مكروه

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٤٠٠.

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢/٢٠٥-٢٠٦).

(٣) انظر المرجع السابق (٢/٢٠٥-٢٠٦).

عندنا.

إذن الجنة دار تجمع ما نحب، وجهنم دار تجمع ما نكره، ولكن الحياة الدنيا فيها ما نحب وما نكره معاً، فيها امتزج المحبوب بالمكروه... وبالجملة أحوال الجنة والنار لها نظير في العالم المشاهد)) [1].

وقد عزز طنطاوي جوهري ما نسب إلى الإمام الغزالي – بأنَّ الجنات على ثلاثة أنواع: جنة حسية، وجنة خيالية، وجنة عقلية[2]،– بذكر شيء مما حصل لعالم الأرواح من اللذات الحسية والعقلية والخيالية التي ذكرتها الأرواح عند تحضيرها كما يدعي ذلك، ثم قال بعد ذلك: ((رأينا مطابقة بين كلام علمائنا وكلام علماء العصر الحاضر، فأما أنت فلا تكن مقلداً ولا تقف عند حد، بل اقرأ وزد علماً، واعلم أنَّ الله لم يرد بهذا إلاَّ زيادة العقل، ورياضة الفكر، فغموض هذه المسائل يوجب التفكير، والتفكير يزيد العلم، والعلم هو المقصود الأعظم من الحياة)) [3].

وهو بذلك قد وافق في الجملة مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات الجنة والنار وأنهما حقٌ، وهما موجودتان مخلوقتان، خلقهما الله ليثيب الطائعين بجنته، ويجازي العاصين بناره، إلى هذا الحد فهو موافق فيها لمذهب أهل السنة.

لكنه أخطأ في سلوكه لمنهج التوفيق في إثبات الجنة وتدعيم ذلك واستشهاده بأدلة عقلية وتجريبية على حد زعمه، وبروايات محضري الأرواح التي ذكروها وأنهم وجدوا في عالم الأرواح من اللذات الحسية والخيالية والعقلية مثيل ما ما ذكره الإمام الغزالي[4] في إثبات وجود الجنة والنار.

وأما دلالة العقل على الجنة والنار فإنّ العقل يدل على الجزاء والحساب دلالة إجمالية، والتفصيل في ذلك يكون مرده الكتاب والسنة.

وقد بينا كذلك حقيقة تحضير الأرواح وحكمه في الشرع، والله أعلم.

---

(١) انظر المرجع السابق (١٩/٢٨٤-٢٨٧).

(٢) انظر المرجع السابق (٢/٢١٩-٢٢١).

(٣) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٢/٢١٩-٢٢١).

(٤) انظر مجموعة رسائل الإمام أبي حامد الغزالي (المضنون به على غير أهله) ص٣٧٧.

المبحث الثاني: تحديد مكان الجنة والنار

الصحيح الذي عليه أهل السنة والجماعة في مكان الجنة هي أنّهَا فوق السماء السابعة، وسقفها العرش[1].

يقول البربهاري[2] – ﷺ –: ((الجنة في السماء السابعة، وسقفها العرش، والنار تحت الأرض السابعة السفلى، وهما مخلوقتان)) [3].

يقول الإمام النووي – ﷺ –: ((مذهب أهل السنة أنَّ الجنة والنار مخلوقتان وأنَّ الجنة في السماء)) [4].

وأما في تحديد مكان النار فقد اختلف فيها علماء أهل السنة والجماعة – رحمهم الله –، فقال بعضهم: هي في الأرض السفلى[5]، وقال آخرون: هي في السماء، وقال آخرون: بالتوقف في ذلك لعدم ورود نص صريح صحيح يحدد موقعها، وهذا هو الصواب [6].

قال أحمد ولى الله الدهلوي[7] – ﷺ – **في عقيدته عن ذلك**: ((ولم يصرح نص بتعين مكانهما، بل حيث شاء الله تعالى، إذ لا إحاطة لنا بخلق الله وعوالمه)) [8].

وطنطاوي جوهري – ﷺ – تحدث عن اكتشافات العلم الحديث، وأنّ الأرض كرة نارية، وتحدث عن البراكين في الأرض، ثم تطرق إلى العالم العلوي و تحدث عن

---

(١) انظر يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار – محمد صديق القِنَّوجي ص٤٥، وجلاء العينين في محاكمة الأحمدين – للآلوسي ص٤٨٠، ولوامع الأنوار البهية– للسفاريني (٢/ ٢٣٧)، والجنة والنار– عمر الأشقر، ص٢١.

(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الفقيه القدوة، شيخ الحنابلة بالعراق، كان قوالا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم. ولد سنة: ٢٣٣، وتوفي سنة: ٣٢٩هـ، له مصنفات، منها: شرح كتاب السنّة. انظر شذرات الذهب (١٥٨/٤) ، وسير أعلام النبلاء (٩٠/١٥)، والأعلام للزركلي (٢٠١/٢).

(٣) شرح السنة للبربهاري ص٤٨.

(٤) شرح النووي على مسلم (٢٠٧/٦).

(٥) انظر لوامع الأنوار البهية– للسفاريني (٢/ ٢٣٩).

(٦) يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار – أبو الطيب محمد صديق القِنَّوجي ص٤٨.

(٧) هو أحمد ولي الله بن عبد الرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي، العالم الفاضل. انظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام (٨٥٦/٦).

(٨) يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار – محمد صديق القِنَّوجي ص٤٨.

الفضاء والنجوم والكواكب إلى أن انتهى به الحديث عن تحديد مكان الجنة والنار.

فيرى طنطاوي بأن جوف الأرض والنار التي في باطنها ربما تكون هي جهنم، وكذلك يرى بأنَّ الجنة ربما تكون هي النجوم والكواكب، وربما تكون غير ذلك.

وفي هذا يقول طنطاوي: ((ها أنا ذا لخصت لك ما جاء في العلم الحديث في الجنة ودرجاتها والنار وإحراقها، وإياك أن تظن أني أرى أنّ جوف الأرض والزمهرير الذى فوق الهواء هما جهنم، وإن كان ظاهر الأحاديث يوافق ذلك، والكشف الحديث يؤيده، فقد يكون ذلك يماثلها أو يكون قطعة منها، لأنَّ في العالم أراضي غير أرضنا كثيرة، وفيها نار أشد من نار أرضنا، فربما ضمت يوم القيامة كلها فصارت ناراً واحدة، وقد يكون هناك من العلم ما لم نصل له.

وكذلك لا تظن أني أرى أنَّ هذه النجوم التي هي مسكونة كما ذكرته روح غاليلي، وأنَّ أهلها في سعادة ونعيم، وأنَّ الأرواح الارضية ترتقي فيها بحسب استعدادها، وآنَّ الروح كلما صفت وخلصت ارتقت ألطف. الخ .

لا تظن أني أقطع بأنها هي الجنة، وإن كانت الآيات والأحاديث تكاد تصرح بها كقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾[الأعراف: ٤٠]، وكقول عبد الله بن سلام: ((إنَّ الجنة في السماء)) [(١)]، وإنما لم أقل هي الجنة، لأن الكشف لم يبين لنا حقيقة، هل في السماء سكان، وإنّما ذلك كلام الأرواح التي يناجونها، وهذا الكشف لم يتم الآن، فإذا ثبت واتضح وظهر حقاً أنَّ الأرواح هكذا تترقى في الدرجات، فلنقل هذه هي الجنة، بل نقول فوق ذلك: إن تلك الدرجات ما كان منها فيه تكليف وإذلال فهو من جهنم، وما كان فيه سعادة فهو من الجنة، وكل هذا إلى الآن لم يقم عليه دليل.

ثم إذا قام عليه دليل تكون تلك جنات حسية، وليست مقصودة العارفين، ولا محط رجال الحكماء الصالحين، لأنهم يرون الخلوص من المادة خيرا، وأن يكونوا في مقعد صدق عند مليك مقتدر، ويكونون ملحقين بالملائكة الذين في جوار ربهم)) [(٢)].

وبذلك يتبين لنا أنّ طنطاوي لم يفصح عن موقفه في تحديد مكان الجنة والنار، بناء على منهجه الذي بنى عليه اليقينيات عنده وهو منهج العلمي التجريبي، فلا يؤمن

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٦٣/١).

(٢) انظر الجواهر في تفسير القرآن الكريم طنطاوي جوهري (٢١٨/٢).

بشيء إلاَّ إذا دلَّ عليه العلوم النظرية أو أثبتته التجربة.

وهو يرى أنَّ الكشف لا زال لم يبين عن حقيقة ذلك، وإن كانت الأرواح تقول به لكن الكشف لم يتم تحققه إلى الآن.

وهو في الحقيقة لم ينكر كونها في السماء كما دلت النصوص، ولكن ليس لديه ما يؤيد به ذلك من الاكتشافات العلمية.

لذلك أبقى في المسألة احتمالاً؛ ربما أن يكون مكان الجنة والنار النجوم وباطن الأرض، وأما النصوص الشرعية بينت لنا عن تحديد مكان الجنة خاصة؛ وأنها في السماء.

كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النجم:١٥]، وثبت في الحديث الصحيح قوله ﷺ: ((إنَّ في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة)) [(١)].

فالآية والحديث يدلان على أنَّ الجنة في السماء، والحديث كذلك يدل على أن سقفها عرش الرحمن[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((فهذه الجنة، سقفها الذي هو العرش فوق الأفلاك، مع أنَّ الجنة في السماء، والسماء يراد به العلو)) [(٣)]

يقول السفاريني – ﷺ –: ((والحاصل أنَّ الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش)) [(٤)].

يقول الألوسي – ﷺ –: ((وأما محلهما – فالصحيح أنَّ الجنة فوق السماء السابعة وسقفها العرش، وأنَّ النار في الأرض السابعة، وقيل: الجنة في السماء الرابعة، وقيل: كلاهما فوق السماوات، وقيل: النار تحت سبعة أبحر.))[(٥)].

---

(١) رواه البخاري من حديث أبي هريرة – ﷺ –، في (كتاب التوحيد، باب {وكان عرشه على الماء} [هود: ٧]، {وهو رب العرش العظيم} [التوبة: ١٢٩]) (١٢٥/٩) حديث رقم: (٧٤٢٣).

(٢) انظر الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار – لأبي الحسين اليمني الشافعي (٦٥٨/٣).

(٣) التدمرية – لابن تيمية ص٨٧، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – لابن تيمية.

(٤) لوامع الأنوار البهية– للسفاريني (٢/ ٢٣٩). – ١٩٩٨ م.

(٥) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين – للآلوسي ص٤٨٠.

وأما في تحديد مكان النار فقد وقع الخلاف فيه بين العلماء كما بينا ذلك سلفاً، والصواب الوقوف فيه، لأنه لم يثبت نص صحيحٌ في تحديد مكان النار.

المبحث الثالث: أبدية الجنة والنار

اختلف الناس في هذه المسألة على أقوال:

١- منهم من قال بأن الجنة والنار فانيتان غير أبديَّتين بل كما هما حادثتان فهما فانيتان، وهذا قول الجهمية[١]، ومن وافقهم في ذلك من المعتزلة[٢].

وهو قول مبتدع، لم يقل به أحدٌ من السلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين، ولا أحد من أئمة أهل السنة، ولهذا أنكر عليهم أئمة الإسلام وكفروهم به.

يقول الإمام ابن أبي العز الحنفي - رحمه الله -: ((قال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض))[٣].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: ((فقد تبين أنَّ القول بفناء الجنة لم يعرف عن أحد من السلف، ولا الأئمة، وإنما هو قول جهم، ونحوه، وقد عرف فساده عقلا، ونقلا))[٤].

٢- **وأما جمهور أهل السنة والجماعة قالوا:** أنَّ الجنة والنار باقيتان دائمتان لا يفنيان أبداً، وأنَّ نعيم الجنة لا ينقطع عن أهلها أبداً، وكذلك عذاب النار لا ينقطع عن أهلها أبداً[٥].

---

(١) انظر التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع - للمَلَطي ص٩٨، والفرق بين الفرق - عبد القاهر البغدادي، ص١٩٩، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - لأبي الحسن الأشعري ص٢٧٩.

(٢) انظر الفرق بين الفرق - لعبد القاهر البغدادي، ص١٠٣.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٤٠٣، وانظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – لابن القيم، ص٧٢٣.

(٤) الرد على من قال بفناء الجنة والنار – لابن تيمية ص٥٢.

(٥) انظر الشريعة – للآجري (١٣٤٣/٣) وشرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٤٠٣، والحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة - لقوام السنة (٤٣٤/٢)، ورياض الجنة بتخريج أصول السنة - لابن أبي زمنين، ص١٣٩، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث – لأبي عثمان إسماعيل الصابوني ص٢٦٤، وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – لابن القيم، ص٧٢٣.

٣- **وآخرون قالوا:** بأنَّ الجنة باقية أبدية، والنار فانية[١].

وأما مسألة فناء النار قد وقع فيها خلاف بين العلماء، والجمهور على بقائها وعدم فنائها مستندين للأدلة القطعية الواردة في الكتاب والسنة الدالة على بقاء النار، و بقاء أهلها فيها أبد الآباد، مثل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:٢٢٧]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾ [المائدة:٣٧].

وحديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: ((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]))[٢].

و القول الصحيح هو قول جمهور أهل السنة والجماعة: كما أنّ الجنة باقية دائمة لا تفنى ولا يزول نعيمها عن أهلها فكذلك النار لا تفنى ولا تزول فهي باقية أبدا، ولا تفنى أهلها، ولا ينقطع عذابها عن الكافرين[٣].

يقول ابن أبي زمنين - رحمه الله - ((وأهل السنة يؤمنون بأن الجنة والنار لا يفنيان ولا يموت أهلوها))[٤].

يقول إسماعيل الصابوني[٥] - رحمه الله - ((ويشهد أهل السنة: أنَّ الجنة والنار مخلوقتان،

---

(١) الرد على من قال بفناء الجنة والنار – لابن تيمية ص٥٣.

(٢) رواه البخاري في (كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ﴾ [مريم: ٣٩]) (٦/٣٩) حديث رقم: (٤٧٣٠)، ورواه مسلم في (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء) (٤/ ٢١٨٨) حديث رقم: (٢٨٤٩).

(٣) انظر فصل في بيان اعتقاد أهل الإيمان – لأبي طاهر بن إبراهيم القرشي ص٥٨، وشرح السنة للبربهاري ص٨٥.

(٤) أصول السنة – لابن أبي زمنين ص١٣٩.

(٥) هو أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عابد بن عامر النيسابوري، الصابوني، فقيه، محدث، مفسر، خطيب واعظ. ولد ومات في نيسابور، مولده كانت في سنة: ٣٧٣هـ، ووفاته عام: ٤٤٩هـ، ⇦=

وأنهما باقيتان، لا يفنيان أبداً، وأنَّ أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار – الذين هم أهلها خلقوا لها – لا يخرجون منها أبداً، وأنَّ المنادي ينادي يومئذ: (يا أهل الجنة خلود و لا موت، و يا أهل النار خلود ولا موت) على ما ورد به الخبر الصحيح عن رسول الله ﷺ))[1].

ويقول القرطبي – رحمه الله –: ((هذه الأحاديث مع صحتها نص في خلود أهل الدارين فيها لا إلى غاية ولا أمد معين، على الدوام والسرمد من غير موت، ولا حياة، ولا راحة، ولا نجاة... فمن قال إنهم يخرجون منها وأن النار تبقى خالية بجملتها خاوية على عروشها، وأنها تفنى وتهلك فهو خارج عن مقتضى العقول ومخالف لما جاء به الرسول – ﷺ – وما أجمع عيه أهل السنة والأئمة العدول: ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء:١١٥]، وإنما تخلى جهنم وهي الطبقة العليا التي فيها العصاة من أهل التوحيد، وهو الذي ينبت على شفيرها فيما يقال الجرجير))[2].

وطنطاوي جوهري – رحمه الله – **في الجملة موافق لرأي جمهور أهل السنة في المسألة: وهو أنَّ الجنة والنار باقيتان دائمتان لا يفنيان أبدا، وأنَّ نعيم الجنة لا ينقطع عن أهلها أبداً، وكذلك عذاب النار لا ينقطع عن أهلها أبداً.**

يقول – رحمه الله – في معرض تفسير قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود:١٠٨].

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ حال مقدرة ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ أي : مدة دوام السماوات والأرض، وذلك للتأبيد ونفي الانقطاع، كما تقول العرب: ((ما لاح كوكب))والمقصود: التأبيد ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ هو استثناء من الخلود في عذاب النار، فإنَّ أهل النار يخرجون من النار إلى الزمهرير وأنواع من العذاب غير النار، وكذلك أهل الجنة يتصلون بجناب القدس وبرضوان الله، وهذا أعلى من الجنة أو ما شاء؛ بمعنى: من شاء؛ وهم قوم يقال

= ☜

. له كتاب (عقيدة السلف، والفصول في الأصول، وغيرها. انظر سير أعلام النبلاء (١٨/٤٠)، والأعلام للزركلي (١/٣١٧)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٢٧٥).

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث – لأبي عثمان إسماعيل الصابوني ص٢٦٤.

(٢) انظر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة – للقرطبي، ص٩٢٦.

لهم الجهنميون يخرجون من النار ويدخلون الجنة فهم مستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم إياها بكونهم في النار أياما، فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد، ولا سعدوا سعادة من لم تمسه النار، هكذا روى ابن عباس والضحاك وقتادة، وهؤلاء هم فساق الموحدين.

وقيل إنَّ: « إلاَّ » هنا بمعنى: سوى، والمعنى: سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السماوات والأرض، فالاستثناء راجع إما:

(١) لنوع العذاب كما يرجع لنوع النعيم فيما سيأتي، فالمقصود أنهم ينقلون من عذاب إلى عذاب، كما أن أهل الجنة ينقلون من نعيم إلى نعيم.

(٢) أو لنفس المعذبين، فمنهم من لا يخلد في أحدهما ، كأهل المعاصي الموحدين.

(٣) أو للمدة التي تزيد على زمن السماوات والأرض التي نشاهدها، وتكون «إلآ » بمعنى: غير.

(٤) وهناك وجه رابع وهو: مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ، فليسوا في جهنم ما داموا فيهما، والاستثناء من أصل الحكم.

(٥) وقيل: الزفير والشهيق هما المقيدان بتلك المشيئة لا الخلود، فالزفير والشهيق دائمان إلاَّ في أوقات يعلمها الله))[1].

وقد تطرق طنطاوي جوهري – ﷺ – إلى مسألة فناء النار، ثم أشار إلى ما نسب لشيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ – من القول بفناء النار، وقول آخر يقول فيه بأبدية النار، وأنَّ عذابها لا ينقطع عنها، ويفهم من كلام طنطاوي هذا أنه أورد هذا ليعبِّر عن استيائه لهذا الخلاف الواقع بين العلماء في هذه المسألة.

فقال في ذلك: ((ولم يقتصر الأمر على الصوفية – رحمهم الله – بل تعداهم إلى غيرهم.

قال ابن زيد: أخبرنا الله – ﷻ – بالذي يشاء لأهل الجنة، فقال تعالى: ﴿ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[هود: ١٠٨]، ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.

وروي عن ابن مسعود أنه قال: « ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد، وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً»، وعن أبي هريرة نحوه.

وقال المناوي: إنه قد جاء في بعض الآثار ما يدل على خلاص الكل، وأن النار تفنى

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦/٢١٢).

ويزول عذابها دون الجنة.

قال ابن تيمية: نقل ذلك عن عمر وعن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم.

وأخرج عبد الحميد بن حميد عن عمر بإسنادين رجالهما ثقات: «لو لبث أهل النار في النار كعدد رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه»، وتداوله أئمة غير مقابلين له بالإنكار، **قال:** - أعني ابن تيمية - وإنَّما أراد جنس أهل النار الذين هم أهلها، وأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموا أنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه، ولفظ أهل النار يختص بمن عدا المؤمنين كما يشير إليه عدة أحاديث، ولا يناقضه قوله تعالى: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ﴾ [هود:١٠٧]، ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾[الحجر:١٨] إلى أن قال: « ولكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا لم يبق نار فلم يبق عذاب».

قال: وورد في عدة طرق عن ابن عمر: « وليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد، وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً».

وجاء نحوه عن ابن مسعود، وأخرج عبد بن حميد عن الشعبي: « جهنم أسرع الدارين عماراً وأسرعهما خراباً»، ثم إن ابن تيمية - ﷺ - أورد قول من يقول: إنَّ الإجماع على خلاف ما ذكر ونحوه.

ورد هذا القول قائلاً: إنّما يظن الإجماع من لا يعرف النزاع، والمسلمون جميعا أجمعوا آنَّ عذاب جهنم دائم لا ينقطع، هذا قام عليه الإجماع ، ولكن إذا بطلت جهنم بالكلية لا يقال إنهم أخرجوا من جهنم، بل يقال إنها فنيت، فهم يعذبون ما دامت باقية، فإذا خربت فأين يعذبون؟ وفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله، وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس.

هذا ملخص ما قاله المناوي، ثم قال: حكى ذلك كله ابن القيم وأطنب فيه ودفع قوادحه في كراسة، ثم قال: والذي نعتقده ما عليه هداة هذه الأمة وجمهور الأئمة أنَّ النار لا تفنى ولا يزول عذابها، قال: ووافق ابن القيم على نحو ما زعمه جمع من الصوفية كما تقدم. اهـ.

ثم قال طنطاوي: ((هذا وإنَّما أريتك هذه الآراء المختلفة في هذا المقام لتعلم مقدار ما وصل إليه علماؤنا والمحققون منهم في هذا المقام والله يتولى هدايتنا))[1].

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم (٦/٢٢٢).

مسألة فناء النار مسألة عظيمة، وقد تكلم فيها العلماء السابقين قبل عصر ابن تيمية، وليس ابن تيمية هو أول من تحدث عنها كمن وهم ذلك بعضهم[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – ﷺ –: ((وأما القول بفناء النار: ففيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين، ومن بعدهم))[٢].

والعلماء الذين تكلموا فيها تارة كانوا يذكرون الروايات الواردة عن السلف فيها، وأحيانا بالإشارة إلى هذا القول وذكر الخلاف فيه، وقد أشار إلى ذلك جمع من العلماء في كتبهم؛ كابن جرير الطبري[٣]**، وابن عطية الأندلسي**[٤] [٥]**، والفخر الرازي**[٦]**، والقرطبي**[٧]**، وغيرهم**[٨].

وهنالك طائفة من العلماء نسبوا هذا القول إلى ابن تيمية؛ كالمناوي[٩] [١٠]**، والسبكي**[١١] [١٢]**،**

---

(١) كما وهم ذلك تقي الدين السبكي وذكر ذلك في كتابه" الاعتبار ببقاء الجنة والنار ص٦٧ .

(٢) الرد على من قال بفناء الجنة والنار – لابن تيمية ص٥٢.

(٣) انظر تفسير الطبري (٤٨٣/١٥).

(٤) هو أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر أبو محمد بن غالب بن عطية المحاربي الأندلسي، شيخ المفسرين، وتوفي بلورقة، سنة: ٥٤٢هـ، وله المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. انظر سير أعلام النبلاء – للذهبي (٥٨٧/١٩)، الأعلام – للزركلي (٣/ ٢٨٢).

(٥) انظر تفسيره المحرر الوجيز (٢٠٨/٣).

(٦) انظر تفسير الرازي – مفاتيح الغيب (٤٠٠/١٨).

(٧) انظر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة ص٩٢٠.

(٨) انظر مقدمة المحقق في الرد على من قال بفناء الجنة والنار – لابن تيمية ص١٧.

(٩) هو زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، من كبار العلماء بالدين والفنون. عاش في القاهرة، وتوفي بها سنة: ١٠٣١هـ، ومن كتبه: كنوز الحقائق، وفيض القدير، وشرح الشمائل للترمذي، والكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، وغيرها. انظر الأعلام – للزركلي (٢٠٣/٦).

(١٠) انظر فيض القدير – المناوي (٣٩/١).

(١١) أبو الحسن، تقيّ الدين: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أحد الحفاظ المفسرين المناظرين، ولد في سبك سنة: ٦٨٣ هـ، وانتقل إلى القاهرة ثم إلى الشام. وولي قضاء الشام سنة ٧٣٩ هـ واعتل فعاد إلى القاهرة، فتوفي فيه سنة: ٧٥٦ هـ، ومن كتبه: مختصر طبقات الفقهاء، والسيف المسلول على من سب الرسول، شفاء السقام في زيارة خير الأنام، والاعتبار ببقاء الجنة والنار، والابتهاج في شرح المنهاج، وغيرها. انظر الأعلام – للزركلي (٣٠٢/٤).

(١٢) انظر الاعتبار ببقاء الجنة والنار ص٦٧ .

والصنعاني[١] [٢]،والألباني[٣].

وبعضهم نفى ذلك عنه قطعاً، منهم د. علي الحربي[٤]، وقد بحث هذه المسألة، وحاول أن يجمع فيه من كتب شيخ الإسلام نصوصاً ذا دلالات وإشارات؛ والتي يمكن القول من خلالها بأنه يقول بأبدية الجنة والنار وعدم فنائها، فلذا استخلص منها إلى: ((براءة شيخ الإسلام ابن تيمية من القول بفناء النار براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام)) [٥].

وفي حقيقة الأمر ليس لشيخ الإسلام ابن تيمية قولاً واضحاً في المسألة، أو نصاً صريحاً يقول بفنائها أو ببقائها، وأنّ ماذكره د. الحربي في بحثه من أقوال شيخ الإسلام التي بنى عليها القول بأبدية النار[٦]، فهي أكثرها كان في سياق الرد على القائلين بفناء الجنة والنار كالجهمية والمعتزلة، أو كان في جملة تقرير عقيدة أهل السنة والجماعة عموماً والذب عنها، وليس قولاً خاصاً في مسألة فناء النار فقط.

كقول شيخ الإسلام – رحمه الله –: ((وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين كالجهم بن صفوان ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم وهذا قول باطل يخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها. كما في ذلك من الدلالة على بقاء الجنة وأهلها وبقاء غير ذلك...))[٧].

والبعض منهم قال: بأنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية مال إلى هذا القول لكنه لم يصرح

---

(١) هو أبو إبراهيم، عز الدين، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن، له نحو مئة مؤلف، ذكر صديق حسن خان أن أكثرها عنده (في الهند) .من كتبه: سبل السلام، شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر العسقلاني، و لمسائل المرضية في بيان اتفاق أهل السنة والزيدية، و تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، والرد على من قال بوحدة الوجود، وغيرها. انظر الأعلام للزركلي (٣٨/٦).

(٢) انظر رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار – محمد بن إسماعيل الصنعاني، ص٦٤.

(٣) انظر كلام الألباني في مقدمة رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار – محمد بن إسماعيل الصنعاني، ص٧.

(٤) هو د. علي بن علي جابر الحربي اليماني، انظر https://ketabpedia.com/book-author

(٥) انظر كشف الأستار لإبطال إدعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية – د. علي الحربي اليماني، ص٢٣، ٨٤.

(٦) انظر إلى نصوص شيخ الإسلام التي أوردها الحربي في كتابه: كشف الأستار لإبطال إدعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، ص٥٩.

(٧) مجموع الفتاوى – لابن تيمية (٣٠٧/١٨).

به؛ كالألوسي[١]، والسفاريني[٢]،ومحمد صديق خان[٣].

و شيخ الإسلام وإن مال إلى هذا القول فهو مسبوق إليه، ولا يعد مبتدعاً فيه، لأنّ المشهور عنه هو اتباع السلف وتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة عموما والذب عنها.

قال الألوسي: ((وإنَّ الشيخ ابن تيمية لم يتبين عنه نقل صحيح فيما نسب إليه، ولئن سلم أنه مال لذلك فقد ذهب إليه بعض السلف، وأفراد من الخلف)) [٤].

بهذا يتبين لنا أنه ليس لشيخ الإسلام رأياً خاصاً له في هذه المسألة، بدليل ما ذكر تلميذه ابن القيم عندما سأل شيخه ابن تيمية موقفه فيها.

((وكنت سألت عنها شيخ الإسلام قدس الله روحه فقال لي: هذه المسألة عظيمة كبيرة ولم يجب فيها بشيء))[٥].

يحتمل عدم ذكر هذه المسألة، أو عدم جوابه فيها؛ هو بقاؤه على الأصل وهو القول بما عليه أهل السنة والجماعة من دوام النار وعدم فنائها.

ثم قال ابن القيم: ((فمضى على ذلك زمن حتى رأيت في تفسير عبد بن حميد الكثي بعض تلك الآثار التي ذكرت، فأرسلت إليه الكتاب وهو في مجلسه الأخير، وعلمت على ذلك الموضع، وقلت للرسول: قل له: هذا الموضع يشكل عليه ولا يدري ما هو. فكتب فيها مصنفه المشهور رحمة الله عليه.))[٦].

و ما ذكر في رسالته "الرد على من قال بفناء الجنة والنار" **هو بناء على سؤال وجه إليه من تلميذه ابن القيم، عندما استشكل عليه في فهم بعض النصوص التي تدل على فناء النار، فأراد أن يستقصي المسألة من جميع جوانبها، وبيان ما ورد فيها من أقوال وحاول أن يوازن بين أدلتها، وعند ذلك ظن من ظن بأنه يقول بفناء النار أو يميل إلى القول به**[٧].

---

(١) انظر جلاء العينين في محاكمة الأحمدين – للألوسي ص٤٨٢.

(٢) انظر لوامع الأنوار البهية – للسفاريني (٢/٢٣٥)، قال: أن شيخ الإسلام يميل إلى القول بفناء النار.

(٣) انظر يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار – محمد صديق خان القنوجي، ص٤٢.

(٤) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين – للألوسي ص٤٨٨.

(٥) شفاء العليل – لابن القيم ص٢٦٤، وما بعدها.

(٦) شفاء العليل – لابن القيم ص٢٦٤، وما بعدها.

(٧) انظر مقدمة المحقق في الرد على من قال بفناء الجنة والنار – لابن تيمية ص٢٦.

وأما ما نقل طنطاوي عن المناوي يأنَّ ابن القيم وافق الصوفية في القول بالفناء.

فالذي اشتهر له ﷺ أنَّ له فيها ثلاثة أقوال، وقد ذكر هذه المسألة في كتبه، واستعرض فيها أقوال العلماء بأدلتهم وناقشها بالتفصيل، والأقوال الثلاثة هي:

١- القول بفناء النار.

قال ابن القيم ﷺ: ((الصحيح أن هذه الآيات على عمومها وإطلاقها، ولكن ليس فيها ما يدل على أنَّ نفس النار دائمة بدوام الله لا انتهاء لها، هذا ليس في القرآن ولا في السنة ما يدل عليه بوجه ما))[(١)].

وفال ﷺ أيضاً: ((النار فغاية ما أخبر به عنها أن أهلها لا يخرجون منها، وأنهم خالدين فيها وما هم منها بمخرجين، وهذا مجمع عليه بين أئمة الإسلام، وهو معلوم بالضرورة أن الرسول جاء به، ولكن الكلام في مقام آخر أنَّ النار أبدية لا تفنى أصلا، كما أنَّ الجنة كذلك، فهذا الذي تكلم فيه الصحابة والتابعون ومن بعدهم))[(٢)].

إلى أن قال: ((فلا يظن به من ساء فهمه أنَّ هذا يناقض ما أخبر الله ورسوله به، واتفق عليه سلف الأمة أنهم مخلدون في النار، وما هم منها بمخرجين، وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، فمن رد كذلك وكذبه فهو كافر جاحد لما علم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به، فليس في هذا نظر ولا شك، وإنما الشأن في كون النار أبدية كالجنة لا تفنى أبداً وإلا فمتى دامت ناراً فهم فيها خالدون))[(٣)].

٢- القول ببقائها وعدم فنائها.

قال ابن القيم ﷺ: ((ولما كان المشرك خبيث العنصر خبيث الذات لم تطهر النار خبثه، بل لو خرج منها لعاد خبيثاً كما كان، كالكلب إذا دخل البحر ثم خرج منه، فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة))[(٤)].

هنا يشير ابن القيم إلى بقاء أهل النار فيها لمعدنهم الخبيث الذي كانوا عليه في الدنيا، ومع دخولهم النار لم تهذب نفوسهم، لذلك حرم الله عليهم الجنة، كما قال

---

(١) شفاء العليل – لابن القيم ص٢٥٨، وما بعدها.

(٢) مختصر الصواعق– لابن القيم ص٢٦٢ وما بعدها.

(٣) مختصر الصواعق– لابن القيم ص٢٦٧ وما بعدها، وانظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – لابن القيم ص٣٥٢-٣٨٨.

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد– لابن القيم ص٦٨.

تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال ابن القيم أيضاً في كتابه "الوابل الصيب" عن بقاء النار وعدم فنائها: ((وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال والمآكل والمشارب ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض فيركمه كما يركم الشئ لتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله فليس فيها إلاَّ خبيث.

ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشينه خبيث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب، دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض، وهاتان الداران لا تفنيان، ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة، فإنه لا يبقي في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنه إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة، ولا يبقي إلا دار الطيب المحض، ودار الخبث المحض))[(١)].

٣- القول بالتوقف.

قال ابن القيم رحمه الله: ((وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين، وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضا دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين، وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار؛ فهذا معترك النزال، فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب، وبالله التوفيق...

فان قيل فإلي أين أنهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي اكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة قيل إلى قوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٧]، وإلى هنا قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم يفعل الله بعد ذلك ما يشاء))[(٢)].

و قد رجح د.علي الحربي القول بأبدية النار، بناء على اجتهاده من خلال ذكره لبعض الأدلة التي استند إليها في ترجيحه لهذا القول[(٣)].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب - ابن قيم الجوزية ص٢٠، وانظر شفاء العليل – لابن القيم ص٢٦٤، وما بعدها.

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح– لابن القيم ص٣٥٢-٣٨٨.

(٣) انظر كشف الأستار لإبطال إدعاء فناء النار المنسوب لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية – د. علي الحربي اليماني، ص٤٩ وما بعدها.

فبذلك يتبين لنا أن مسألة فناء النار: مسألة قديمة قد تحدث عنها السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين، وليس شيخ الإسلام أو تلميذه ابن القيم هما من ابتداءا القول فيها كما سبق، وتبين كذلك أن ليس لشيخ الإسلام قولاً صريحاً فيها وإن قال بعضهم بأنه مال إلى القول بفناء النار، وتلميذه ابن القيم اشتهر عنه ثلاثة أقوال في المسألة كما سبق بيانه.

وأما القول الصحيح في المسألة هوما عليه جمهور أهل السنة والجماعة: بقاء النار وأنها لا تفنى، وأن أهلها يكونون خالدين مخلدين فيها، وأما عصاة الموحدين يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ومعاصيهم ثم يخرجون منها ويدخلون الجنة.

يقول ابن القيم – رحمه الله –: ((إن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد))[1].

يقول البربهاري – رحمه الله –: ((كل شيء مما أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلا الجنة والنار والعرش والكرسي واللوح والقلم والصور، ليس يفنى شيء من هذا أبداً))[2].

قال الإمام الطحاوي – رحمه الله –: ((والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، فإنَّ الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق)) [3].

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي– رحمه الله – : ((اتفق أهل السنة على أنَّ الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل أهل السنة على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة !)) [4].

ويقول ابن بطة– رحمه الله – **العبكري عن عقيدة السلف – رحمهم الله** –: ((ثم الإيمان بأن الله عز وجل خلق الجنة والنار قبل خلق الخلق، ونعيم الجنة لا يزول دائم أبداً في النضرة، والنعيم والأزواج من الحور العين لا يمتن ولا ينقصن ولا يهرمن ولا ينقطع ثمارها ونعيمها كما قال – عز وجل –: ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد: ٣٥]وأما عذاب النار فدائم أبداً بدوام الله، وأهلها فيها مخلدون خالدون، من خرج من الدنيا غير معتقد للتوحيد، ولا متمسكٌ

(١)حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح – لابن القيم ص٣٥١.
(٢)شرح السنة للبربهاري ص٧١.
(٣) شرح العقيدة الطحاوية – لابن أبي العز الحنفي ص٤٠٠.
(٤) المرجع السابق ص٤٠٠.

بالسنة)) [1].

(١) الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة – لابن بَطَّة العكبري، ص٢٢٧.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم النبوة والرسالات، وبعد:

فهذه خاتمة البحث، أذكر فيها أهمَّ النتائج التي توصلت إليها من خلاله....

١- عصر طنطاوي جوهري ﷺ كان حافلاً بالأحداث السياسية والفكرية، وصحب معها الجمود العلمي والركود الثقافي في مصر والعالم الإسلامي أجمع، ولم تكترث المعاهد والمدارس و"الأزهر" على وجه الخصوص بالعلوم الطبيعية والتجريبية آنذاك؛ ولهذا تبلورت أثار ذلك كله في شخصيته العلمية والفكرية والاعتقادية.

٢- يعد طنطاوي جوهري أحد رُوَّاد الاتجاه العلمي التجريبي، ومنهجهم: هو توظيف المعارف والمكتشفات التي توصلت إليها العلوم التجريبية الحديثة، والاستشهاد بها عند تفسيرهم لآيات القرآن، من أجل البرهنة على صدق الحقائق العقدية التي جاء بها الإسلام، أو نصرة العقيدة ودفع الشبه عنها، أوالاستدلال من خلالها بأنَّ القرآن قد سبق إليها قبل أن تُكتَشف هذه العلوم النظرية، وقد ظهر ذلك جلياً في تقريراته العقدية في مسائل الاعتقاد.

٣- أراد طنطاوي جوهري ﷺ من مشروع حياته الذي أفنى عمره فيه، ومنهجه الذي انطلق منه، هو الدفاع عن دين الإسلام، وتحسين صورته عند الغرب، وبرهنته على أنّ هذا الدين ليس دين تخلف ورجعية كما يظنون؛ ولهذا حاول أن يستشهد للغرب أنَّ القرآن الكريم – والدين الإسلامي عموماً –، كان له قدم السبق فيما يدعون إليه من العلوم التجريبية والنظرية، وليثبت لهم أنّ القرآن الكريم قد سبق إلى هذه العلوم؛ تلميحاً أو تصريحاً أو ضمناً، فلذا كان تفسيره مليئاً بهذه العلوم النظرية والتجريبية.

٤- هوس طنطاوي بالمدرسة الروحية الحديثة إيماناً به بصحة إمكان تحضير الأرواح، ولذلك تبنى هذه الفكرة، وحاول أن يؤصلها بنصوص الآيات القرآنية ليستدل على أنّ القرآن قد أشار إليه من قبل اكتشاف الغرب، وعلى ذلك ذم المسلمين بعدم اهتماهم بهذا الأمر، لأنه جعل من جملة العلوم الحديثة التي اكتشفها الغرب في العصر الحديث.

لكنه في الحقيقة ليس بتحضير الأرواح كما يدعون وإنما هو: عبارة عن استحضار جني يُدعى بأدعية وتعاويذ ينقل من خلالها الأخبار، ولعل طنطاوي ممن خدع بذلك في هذا

الموضوع.

٥- وقد سلك طنطاوي مسلك المتكلمين في قوله بعدم حجية الأحاديث في باب العقائد، لأنها تفيد الظن ولا تفيد اليقين، والصحيح هو: أنَّ خبر الواحد إذا احتفت به قرائن تفيد العلم، وبه ذهب أئمة المذاهب الأربعة والسلف وأهل الأثر - رحمهم الله – حيث يقررون الاحتجاج بأخبار الآحاد التي أوردهما البخاري ومسلم في العقائد والأحكام، وكذلك يثبتون أنها تفيد العلم اليقيني لما وضعوا في صحيحيهما لقبول الأحاديث من شروط معتبرة.

٦- وافق طنطاوي جوهري مذهب أهل السنة والجماعة بالجملة؛ في أدلة إثبات وجود الله ﷻ، وفي مفهوم توحيد الربوبية، وأدلة إثباته، ومسائل توحيد الألوهية، ومسائل نواقض التوحيد –كالشرك، والرياء–، وفي قواعد أسماء الله وصفاته التي أشار إليها علماء أهل السنة.

ووافق أهل السنة كذلك في إثبات صفة الوجه لله ﷻ ، وصفة المعية، وفي مسائل الإيمان، والأسماء والأحكام، ومسائل القدر، وفي إثبات عالم الجن والملائكة والروح، والجنة والنار وما يتعلق بهما من مسائل إلاّ أنه في بعض منها مال في ذلك إلى القول بمذهب الأشاعرة.

٧- وقد تأثر طنطاوي جوهري في بعضٍ من مسائل الاعتقاد بمذهب الأشاعرة، والصوفية، مع ما وصف به من التحرر الفكري.

أ- يثبت لله ﷻ الأسماء الحسنى كلها، وسبع صفات فقط، وفيما عداها كصفة اليد، وصفة الرحمة، وصفة الاستواء، وصفة المجيء قد سلك في ذلك مسلك متأخري الأشاعرة، وفي بعضها يؤول بتأويلات فاسدة، أو تفسيرات علمية لا دليل على أنها مرادة.

ب- وقد سلك في بعض مسائل القدر مسلك الأشاعرة، كالقول بالكسب في أفعال العباد.

٨- وقد وقع في تناقض واضطراب في آرائه في بعض مسائل الاعتقاد؛ كمسألة خلق آدم عليه السلام ، وفي مفهوم الألوهية.

٩- و قد سلك في بعض مسائل الاعتقاد مسلك المتأولين بمحاولة ربطه بالعلم مدعماً بعلم تحضير الأرواح، وما قالته المدرسة الروحية؛ كإثبات عالم الجن والملائكة والروح، وفي معنى التوحيد، وإثبات الكرسي للرب ﷻ، وبعضاً من المسائل المتعلقة بالجنة والنار

وقد تأول في بعضها بتأويلات عصرية أو إنزالها في الواقع؛ كما فعل مع بعض أشراط الساعة؛ كظهور المهدي، والدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وبعضاً من أحوال يوم القيامة؛ كالحوض والميزان.

١٠- وقد تأثر طنطاوي أيضاً بالفلاسفة في بعض فروع مسائل العقيدة، كتشبيهه شفاعة النبي ﷺ لأمته بالشمس المشرقة على الجميع، وفي تعريفه للملائكة بقوله بأنهم خلقوا بعقل كامل.

وفي الختام: أوصي بتهذيب تفسير الجواهر، بحيث يستخرج منه التفسير اللفظي، ويجعله في تأليف مستقل، وقد وجدت في تفسيره لألفاظ القرآن في الأغلب لا يخرج عن تفسير السلف – رحمهم الله –

أسأل الله العلي العظيم أن ينفعني بما علمني، ويزيدني علماً وعملاً على الوجه الذي يرضيه عني، وأن يجعل هذا العمل ذخراً لي يوم ألقاه، يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه وسلَّم أجمعين.

الفهارس

وفيها:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس الفرق.

٥- فهرس المصادر والمراجع.

٦- فهرس الموضوعات.

١- فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	الفاتحة	١	٢٤٤
﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	الفاتحة	٢	١٢٨
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	الفاتحة	٥	١٦٧
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾	البقرة	٨	٢٠
﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾	البقرة	٨	٢٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	البقرة	٢١	١٥١
﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾	البقرة	٢٤	٤٣٦
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾	البقرة	٢٩	٢٥٥
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾	البقرة	٣٠	١٤٥
﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	البقرة	٤٨	٤٢٦
﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	البقرة	٧٣	٣٣١
﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	البقرة	٧٥	٢٦٢
﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	البقرة	١١٧	٣٦٣
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾	البقرة	١٤٣	٣٥٢
﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾	البقرة	١٦٣	١٣٠

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾	البقرة	١٦٣	١٥٧
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾	البقرة	١٦٤	١١٦
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾	البقرة	١٦٤	١٢٢
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾	البقرة	١٦٥	١٠١، ٢٥٢
﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾	البقرة	١٦٥	١٧٠
﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾	البقرة	١٧٧	٢٩٣
﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾	البقرة	١٧٧	٣١٢
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	البقرة	١٨٦	٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٥
﴿وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾	البقرة	١٩٥	٢٤٨
﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾	البقرة	٢١٠	٢٦٠
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	البقرة	٢١٦	٤٠٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾	البقرة	٢٢٢	٢٤٨
﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ	البقرة	٢٢٧	٤٤٥

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
ٱلنَّارِ ﴾			
﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	البقرة	٢٤٩	٢٧١
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾	البقرة	٢٥٥	١٥٦
﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	البقرة	٢٥٥	٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١
﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ ﴾	البقرة	٢٥٦	١٧٢
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴾	البقرة	٢٥٦	١٧٣
﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾	البقرة	٢٥٩	٢٨٤
﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾	البقرة	٢٨٤	٢٠
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	البقرة	٢٨٥	٢٩٣
﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾	البقرة	٢٨٥	٣١٢
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	البقرة	٣٦٠	١٠٢، ٣٣١
﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾	آل عمران	٧	٢٤٧

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ﴾	آل عمران	١٥	٤٣٥
﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	آل عمران	١٨	١٢٦، ١٥٧
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾	آل عمران	٣١	٢٤٨، ٢٥٢
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾	آل عمران	٣١، ٣٢	١٦٧، ١٧٠
﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۖ ﴾	آل عمران	٥١	٣٩٥
﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ۖ ﴾	آل عمران	٥٥	٣٩٥
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۖ ﴾	آل عمران	٥٩	٣٩٥
﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	آل عمران	٦٢	١٥٨
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾	آل عمران	٦٤	١٢٥
﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	آل عمران	١٣٣	٤٣٥
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۖ ﴾	آل عمران	١٦٩	٣٣٠
﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾	آل عمران	١٧٣	٣٤٥
﴿ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ	آل عمران	١٧٤	٣٤٧

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴾			
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	آل عمران	١٩٠	٩٢، ١١٦
﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾	آل عمران	١٩٠	٢١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾	النساء	١	٣٧٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾	النساء	٣٢	٣٦٨
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا ﴾	النساء	٤٧	١٨٠، ١٨٠
﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	النساء	٤٨	٣٥٧
﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾	النساء	٨٧	٢٦٢
﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴾	النساء	٩٣	٢١
﴿ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾	النساء	١١٥	٤٤٦
﴿ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾	النساء	١٢٢	٢٦٢
﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾	النساء	١٣٦	٣١٢، ٣١٣
﴿ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ ﴾	النساء	١٤٢	٢٠١
﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا	النساء	١٥٧،	٣٩٥

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾		١٥٨	
﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾	النساء	١٥٩	٣٩٨
﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ ﴾	النساء	١٥٩	٣٩٩
﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾	النساء	١٦٤	٢٦٢، ٢٦٧
﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾	النساء	١٦٥	١٥١
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴾	النساء	١٧١	٣٩٥
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	المائدة	٢٣	١٧٥
﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾	المائدة	٣٧	٤٤٥
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾	المائدة	٤٨	٣٦٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾	المائدة	٥١	٣٠٠
﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾	المائدة	٥٤	٢٤٨
﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾	المائدة	٥٤	١٠١، ٢٥٢
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾	المائدة	٦٤	٢٤٠، ٢٤٢
﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾	المائدة	٦٤	٢١١

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾	المائدة	٧٢	١٨٠
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾	الأنعام	٢	١٣٦
﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦ﴾	الأنعام	٤٦	١٥٨
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾	الأنعام	٥٤	٢٤٤
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾	الأنعام	٧٤	١٦١
﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	الأنعام	٨٨	١٨٠
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾	الأنعام	٩٣	٣٢٥
﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾	الأنعام	١٠٣	٢٣٤
﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ﴾	الأنعام	١٢٥	٣٧٥
﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾	الأنعام	١٣٠	٣٠٥، ٣١٩
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ﴾	الأنعام	١٣٧	٣٧٥
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾	الأنعام	١٥٨	٢٦٠، ٢٦١
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾	الأنعام	١٦٢، ١٦٣	١٦٧
﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم	الأعراف	٨، ٩	٤٢٩

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾			
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴾	الأعراف	١١	١٣٦
﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	الأعراف	٢٢	٢٦٢
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾	الأعراف	٤٠	٤٤١
﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾	الأعراف	٥٤	١٠٥، ١٣٠، ٣٧٠
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾	الأعراف	٥٤	١٣١، ٢٥٦، ٢٥٨
﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	الأعراف	٥٦	٢٧٥
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾	الأعراف	٦٥	١٥١
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾	الأعراف	٧٣	١٥١
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾	الأعراف	٨٥	١٥١
﴿قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾	الأعراف	١١١	٣٣٩
﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾	الأعراف	١١٦، ١١٧	٣٠٢

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾	الأعراف	١٢٧	١٥٣
﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾	الأعراف	١٣٨	١٦١
﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا﴾	الأعراف	١٤٠	١٦١
﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	الأعراف	١٤٣	٢٣٥، ٢٦٢، ٢٦٧
﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾	الأعراف	١٤٤	٢٦٢
﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾	الأعراف	١٥٦	٢٤٤
﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	الأعراف	١٥٧	١٦٩
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	الأعراف	١٥٨	٣٠٥
﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾	الأعراف	١٥٨	١٥٩
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	الأعراف	١٨٠	٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١٠، ٢١١
﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	الأعراف	١٨٠	٢٠٣، ٢١٢
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	الأنفال	٢	١٧٥، ٣٤٥
﴿وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ﴾	الأنفال	٣٠	٢٠١
﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	الأنفال	٤٦	٢٧١
﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	التوبة	٧	٢٤٨
﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	التوبة	٣١	١٦١

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
سُبْحَانَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾			
﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبْحَانَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	التوبة	٣١	١٧٩
﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾	التوبة	٤٠	٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٢
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾	التوبة	٦٨	٤٣٦
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	التوبة	٧٢	٤٣٥
﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾	التوبة	١٠١	٤١٠، ٤١٢
﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	التوبة	١٢٩	٢٨٥
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾	يونس	٢٦	١٠٠، ٢٣١، ٢٣٧
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	يونس	٣	١٣١، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٨٨
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾	يونس	٣٢	١٣١
﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	يونس	١٠٧	٢٤٤
﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾	هود	٧	٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٨٩
﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلْ أَنتُم	هود	١٤	١٥٩

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
مُّسْلِمُونَ ﴾			
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾	هود	١٥	١٨٢
﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ ﴾	هود	٤٤	٢٥٥
﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾	هود	٦١	١٦١
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾	هود	٨٤	١٦١
﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾	هود	١٠٦-١٠٨	٤٤٦
﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ ﴾	هود	١٠٧	٤٤٨
﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾	هود	١٠٨	٤٤٧
﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾	هود	١١٩	٩٣
﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾	يوسف	٤١	١٢٧
﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	يوسف	٦٤	٢٤٤
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	الرعد	٢	٢٥٦، ٢٥٨
﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	الرعد	١٦	١٣٠
﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ ﴾	الرعد	٢٧	٢٠١
﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾	الرعد	٣٠	١٣٠، ١٦٣
﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ﴾	الرعد	٣٥	٤٥٤
﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	الرعد	٣٩	٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٥
﴿وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾	الحجر	٩	٢٤٨

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾	الحجر	١٦	١٣٦
﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾	الحجر	١٨	٤٤٨
﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾	الحجر	٢١	٣٦٤
﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾	الحجر	٢٣	٣٦٧
﴿صَلْصَٰلٍ ﴾	الحجر	٢٦	١٣٨
﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾	الحجر	٨٦	٣٧٠
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	النحل	٣٦	١٥١
﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ﴾	النحل	٥١	١٥٩
﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾	النحل	٦٨	٢٨٨
﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾	النحل	٩٣	٢٠١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾	النحل	١٢٨	٢٧١، ٢٧٢
﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾	الإسراء	٧٩	٤٢٢
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	الإسراء	٨٥	٣٢٥، ٣٣٠، ٣٣٢
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ ﴾	الإسراء	٨٨	٣١٩
﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾	الإسراء	١٨٠	٢٠٠
﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ ﴾	الكهف	٥١	١٤٤
﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾	الكهف	٩٤	٤٠٢، ٤٠٣
﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	الكهف	٩٤	٤٠٤
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ	الكهف	١١٠	١٦٨

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
أَحَدًا ﴾			
﴿ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾	مريم	٢١	٣٦٣
﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ﴾	مريم	٣٤، ٣٥	٣٩٦
﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	مريم	٣٩	٤٤٥
﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾	مريم	٤٦	١٦١
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾	مريم	٥١	٢٩٥
﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾	مريم	٥٢	٢٦٩
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾	مريم	٥٤	٢٩٥
﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾	مريم	٧١	٣٦٣
﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾	طه	٥	٢٥٦، ٢٥٨، ٢٨١
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾	طه	٨	٢٠٠
﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴾	طه	١١- ١٣	٢٦٩
﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾	طه	٤٦	٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٢
﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾	طه	٥٥	٣٩٦
﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾	طه	٩٨	١٦٢
﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾	طه	١٠٩	٤٢٨
﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾	طه	١٢٧	٤١٢
﴿ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾	طه	١٣١	٢٠١
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ	الأنبياء	٢٢	١٣٢، ١٣٤، ١٣٤

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾	الأنبياء	٢٥	١٥١
﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	الأنبياء	٢٩	١٦٢
﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا﴾	الأنبياء	٤٧	٤٢٩
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾	الأنبياء	٩٦، ٩٧	٤٠٢، ٤٠٣
﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ﴾	الأنبياء	٩٦	٤٠٥
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ﴾	الأنبياء	٩٧	٤٠٥
﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾	الأنبياء	٩٧	٤٠٥
﴿مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡ﴾	الحج	٥	١٤١
﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾	الحج	٤٥	٢٨٨
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾	الحج	٥٢	٢٩٥، ٢٩٦
﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾	الحج	٧٠	٣٦٨
﴿إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾	الحج	٧٠	٣٦٨
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ﴾	المؤمنون	١٢	١٣٦، ١٣٨
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾	المؤمنون	٢٣	١٥١، ١٦٢
﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ﴾	المؤمنون	٢٤	٣١٤
﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ	المؤمنون	٩١	١٣٢

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾			
﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾	المؤمنون	١٠٠	٤١١
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾	الفرقان	١	٣٠٥
﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾	الفرقان	٢	٣٦٤
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾	الفرقان	٥٩	٢٥٦
﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾	الفرقان	٦٨	١٦٠
﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	الشعراء	١٠	٢٦٣
﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾	الشعراء	٢٢١، ٢٢٢	٣٠١
﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴾	النمل	٦٠	١٣٢، ١٦٠
﴿ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾	النمل	٢٣	٢٨٤
﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾	النمل	٦٥	٣٣٢، ٤١٣
﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾	القصص	١٤	٢٥٥
﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾	القصص	٦٨	٣٧٠
﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	القصص	٧٠	١٦٠
﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾	القصص	٨٨	٢٢٧، ٢٢٨
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ	العنكبوت	١٩، ٢٠	١٤٨

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْآخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾			
﴿ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ﴾	العنكبوت	٢١	٢٤٤
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	العنكبوت	٦١، ٦٢	١٢٦
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾	الروم	٢٠	١٣٦
﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	الروم	٣٠	١٠٥
﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾	الروم	٣٠	١١٧
﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	لقمان	١٣	١٧٩
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	السجدة	٤	٢٥٦
﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾	السجدة	٧	١٣٦
﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾	الأحزاب	٣٢	٢٥٤
﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾	الأحزاب	٣٨	٣٦٤
﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾	الأحزاب	٤٠	٣٦٨
﴿ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾	الأحزاب	٥٣	٢٤٤، ٢٤٤
﴿ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾	سبأ	١٤	٣١٩
﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ﴾	سبأ	٢٣	٢٦٣
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	سبأ	٢٨	٣٠٥

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾	فاطر	١١	١٣٦
﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴾	فاطر	٣٢	٣٤٨
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴾	يس	٧١	٢٤٠
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	يس	٨٢	٢٢٦
﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾	الصافات	١١	١٣٦
﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾	الصافات	٩٦	٣٧٠، ٣٧٧
﴿ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾	ص	٤٦	١٦٨
﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	ص	٧١	١٣٦
﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾	ص	٧٥	٢٤٠
﴿عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾	ص	٨٣	١٦٨
﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾	الزمر	٢	١٦٨
﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾	الزمر	٣	١٦٨
﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾	الزمر	١١	١٦٨
﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾	الزمر	١٤	١٦٨
﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾	الزمر	٤٢	٣٢٥، ٣٣٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾	الزمر	٥٣	٣٥٨
﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	الزمر	٦٢	٣٧٧
﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ	الزمر	٦٧	٢٤٠

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾			
﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾	الزمر	٦٨- ٧٠	٤١٥
﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾	الزمر	٧٥	٢٨١، ٢٨٥
﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾	غافر	٧	٢٨١، ٢٨٥
﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾	غافر	٧	٢٤٤
﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾	غافر	٤٦	٤١٠، ٤١٢
﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾	غافر	٦٢	١٦٢
﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾	فصلت	١٢	٣٦٣
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾	فصلت	١٣	٣١٤
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	الشورى	١١	٢٢٢، ٢٤٧
﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾	الشورى	٥١	٢٦٣
﴿إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾	الزخرف	٣، ٤	٣٦٨

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾	الزخرف	١٢، ١٣	٢٥٨
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	الزخرف	٢٦- ٢٨	٣٥٥
﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾	الزخرف	٥٣	٣١٤
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾	الزخرف	٥٩	٣٩٥
﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾	الزخرف	٦١	٣٩٧، ٣٩٨
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾	الزخرف	٨٤	١٦٢
﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	الدخان	٨	١٦٣
﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	الدخان	٤٢	٢٤٧
﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾	الدخان	٥٦	٣٢٧
﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾	الجاثية	٢- ٦	١١٢
﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾	الأحقاف	٢٩	٣٠٧
﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾	محمد	١٥	٤٣٥
﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ	الفتح	١٥	٢٦٢

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالَكَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُ ﴾			
﴿فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾	الفتح	٢٩	٢٥٥
﴿وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾	الحجرات	٩	٢٤٨
﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ ﴾	ق	٢٩	٣٧٣
﴿يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٍ ﴾	ق	٣٠	٩٢
﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾	ق	٣٥	٢٣٠
﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴾	ق	٣٩	٢٣١، ٢٣٦
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	الذاريات	٥٦	١٥١، ٣١٩
﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾	الطور	٤٧	٤١٢
﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴾	النجم	١٥	٤٤٢
﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴾	النجم	٢٦	٤٢٢
﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ﴾	القمر	١	٤٠٦
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾	القمر	٤٩	٣٦٤
﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ﴾	القمر	٥٠	٣٦٢، ٣٦٧
﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾	الرحمن	١٣	٣٠٨
﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴾	الرحمن	١٤	١٣٦
﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴾	الرحمن	٢٧	٢٢٧، ٢٢٩
﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	الواقعة	٦٢	١٤٨
﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾	الواقعة	٨٨- ٩٤	٣٣٣

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾			
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾	الحديد	٤	٢٥٦، ٢٧١
﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾	الحديد	٤	٢٧٢
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾	الحديد	٤	٢٧١
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾	الحديد	٢٢	٣٦٨
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	المجادلة	٧	٢٧١
﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ ﴾	المجادلة	٢١	٢٠١
﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾	الحشر	٧	١٦٨
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	الحشر	٢٣	٢٤٦
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾	الحشر	٢٣	٢٠٠
﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾	الممتحنة	٤	٣٥٥
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا ﴾	الصف	٤	٢٤٨
﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾	الطلاق	٣	١٧٥، ١٧٧

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	الملك	١	٢٤٠
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	الملك	٢	١٦٩، ١٦٩
﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾	الحاقة	١٧	٢٠، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٩
﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾	الحاقة	١٧	٢٨٩
﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾	المعارج	٦، ٧	٤٠٦
﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾	الجن	١	٣٠٧، ٣٢٠
﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾	الجن	١، ٢	٣١٩، ٣٢٠
﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	الجن	٦	٢٧٠
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾	الجن	٢٦، ٢٧	٣٣٢
﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾	المزمل	٢٠	٢٠٧
﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾	المدثر	٢٥	٢٦٤
﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾	المدثر	٢٦	٢٦٤
﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾	المدثر	٥٤ – ٥٦	٣٧٠
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	القيامة	٢٢، ٢٣	٢٠، ٢٣٠، ٢٣٣
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	المرسلات	٢٩ – ٣٠	٣٧٠
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	التكوير	٢٧	٣٧٠
﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ	التكوير	٢٨	٣٦٩، ٣٧١

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾			
﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	التكوير	٢٩	٣٦٧، ٣٧٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾	الانفطار	٦- ٧	١٤١
﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾	المطففين	١٥	٢٣٠
﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴾	المطففين	٢٤	٢٣٠
﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴾	البروج	١٥	٢٨٥
﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾	الأعلى	١-٣	٣٦٤
﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾	الفجر	٢١	٢٦٠، ٢٦١
﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾	الفجر	٢٧- ٣٠	٣٢٥
﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ۝١٤ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ۝١٥ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾	الليل	١٤- ١٧	٤٣٦
﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	الليل	١٩، ٢٠	١٦٧
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	التين	٤	١٤١
﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾	البينة	١	٣٥٦
﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾	البينة	٥	١٦٧
﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾	الكوثر	١	٤١٦
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾	الكافرون	١	١٢٥
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾	الإخلاص	١- ٤	١٢٤

الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾	الناس	٣	١٦٢

٢- فهرس الأحاديث النبوية

م	الحديث	رقم الصفحة
١-	ابغني أحجارا أستنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة	٣٠٧
٢-	أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن	٣٢٠
٣-	أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار	٢٤٤
٤-	احتج آدم وموسى عند ربهما، فحج آدم موسى	١٣٧، ٢٤١
٥-	إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم	٢٣٦
٦-	إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد	٢٣١
٧-	إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فاتبعوهم فإن فيهم ولي الله المهدي	٣٨٧
٨-	اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها بنفسين	٤٣٧
٩-	الإشراك بالله	١٨٠
١٠-	اصبروا حتى تلقوني على الحوض	٤١٦
١١-	أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر	٤٣٦
١٢-	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر	٣٠٥
١٣-	أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة	٣٠٥
١٤-	أعوذ بكلمات الله التامات	٢٧٠
١٥-	أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله	١٥٢
١٦-	أنَّ أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءَت، ثمّ تأوي إلى تلك القناديل	٣٣١
١٧-	إنَّ الأنبياء ١٢٤ألفاً، وإنَّ الرسل ٢٣٣	٢٩٧

م	الحديث	رقم الصفحة
١٨-	إنَّ الروح إذا قبض تبعه البصر	٣٢٦
١٩-	إنَّ العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم	٤١١
٢٠-	إن الله إذا أحب عبدا قال لجبريل: إني أحب فلانا فأحبه	٢٤٨
٢١-	إنَّ الله تعالى يوحي إلى عيسى ابن مريم بعد قتله الدجال أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحدٍ بقتالهم	٤٠٧
٢٢-	إنَّ الله جميل يحب الجمال	٢٠٩
٢٣-	إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض	١٣٦
٢٤-	إنَّ الله خلق ثلاثة أشياء بيده	١٣٧
٢٥-	إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة	٤٣١
٢٦-	إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام	٢٢٧
٢٧-	إن الله نظيف يحب النظافة	٢٠٩
٢٨-	إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل	٢٤١
٢٩-	إن الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي	٢٤٩
٣٠-	إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك	٢٤١
٣١-	إنَّ الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون: لبيك ربنا وسعديك والخير في يديك	٤٣٦
٣٢-	إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد	٣٦٨
٣٣-	إنَّ أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد	٣٦٨
٣٤-	أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر	٢٩٣
٣٥-	أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره	٣١٢، ٣٦٤
٣٦-	إنَّ في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله	٤٤٢
٣٧-	إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة	٢٠٥
٣٨-	إن لله تسعة وتسعين اسماً؛ مائة إلا واحداً؛ إنه وتر	٢٠٥، ٢١٤

م	الحديث	رقم الصفحة
٣٩-	إنّ لله تعالى تسعة وتسعين اسماً من حفظها دخل الجنة	٢٠٨
٤٠-	إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله	١٥٢
٤١-	إنك عفو تحب العفو فاعف عني	٢٠٩
٤٢-	إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته	٢٣٦
٤٣-	إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر	٢٣١
٤٤-	إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني وموعدكم الحوض	٤١٧
٤٥-	إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إن الذي تدعونه سميع قريب	٢٧٥
٤٦-	إنه طيب لا يقبل إلا طيباً	٢٠٩
٤٧-	إنه وتر يحب الوتر	٢٠٩
٤٨-	أنهاك أن تشتم مسلماً أو تعصي إماماً عادلاً، والتعرض للأموات أشد	٣٥٤
٤٩-	إني بين أيديكم فرط، وأنا عليكم شهيد	٤١٧
٥٠-	إني فرطكم على الحوض، من مر علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا	٤١٧
٥١-	اهتز عرش الرحمن	٢٨٩
٥٢-	آية الكرسي، ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة	٢٧٨، ٢٨٦
٥٣-	الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق	٣٤٧
٥٤-	تعوذوا بالله من جُبّ الحزن	١٨٣
٥٥-	ثم انطلق حتى أتى بي السدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي	٤٣٦
٥٦-	جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا	٢٤٥
٥٧-	جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما	٢٣١
٥٨-	خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا	١٣٧

م	الحديث	رقم الصفحة
٥٩-	خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم	١٣٧
٦٠-	خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم	٣١٩
٦١-	الراحمون يرحمهم الرحمن	٢٠٩
٦٢-	عذاب القبر حق	٤١٠
٦٣-	عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمرُّ النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان	٢٩٦
٦٤-	فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله وأني رسول الله	١٥٢
٦٥-	فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش	٢٨٩
٦٦-	فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم	٣٠٨
٦٧-	في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر	٢٢٢
٦٨-	فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأستأذن على ربي	٤٢٢
٦٩-	فيفتح علي من محامده بما لا أحسنه الآن	٢٠٥
٧٠-	قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك: من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه	١٨٣
٧١-	قام رسول الله خطيبا فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة	٤١٠
٧٢-	قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة	٣٧٣
٧٣-	كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة	٢٨٥
٧٤-	كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة	٣٦٨
٧٥-	كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه	١١٧
٧٦-	كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان	٤٢٩
٧٧-	كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم	٣٩٨
٧٨-	لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك	٢٠٥

م	الحديث	رقم الصفحة
٧٩-	لا بأس بالرقى ما لم تكن شركا	٢٧٠
٨٠-	لا تجتمع أمتي على ضلالة	٤٠٠
٨١-	لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض	٢٨٥
٨٢-	لا تذهب الدنيا - أو قال: لا تنقضي الدنيا - حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي	٣٨٢
٨٣-	لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول: هل من مزيد	٩٣
٨٤-	لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب حين يشرب وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن	٣٤٥
٨٥-	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع	٣٦٤
٨٦-	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه	٣٦٤
٨٧-	لأعطين الراية غدا رجلا يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله	٢٤٨
٨٨-	لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي	٢٤٥
٨٩-	لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يطيف به	١٣٨
٩٠-	لما نفخ في آدم، فبلغ الروح رأسه عطس، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له تبارك وتعالى: يرحمك الله	٣٢٦
٩١-	اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء، وبرد العيش بعد الموت	٢٢٧
٩٢-	اللهم وأسألك لذة العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك، وشوقا إلى لقاك	٢٢٧
٩٣-	ليحجنّ البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج	٤٠٦
٩٤-	ليردن علي ناس من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم اختلجوا دوني	٤١٧
٩٥-	ما أصاب أحدا قط هم ولا ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك	٢٠٤
٩٦-	ما شهد رجل على رجل بالكفر إلاَّ باء به أحدهما، إن كان كافراً فهو كما قال، وإن لم يكن كافراً فقد كفر بتكفيره إياه	٣٥٤

م	الحديث	رقم الصفحة
٩٧-	ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه	١٠٥
٩٨-	ما منكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة، ليس بين الله وبينه ترجمان	٢٦٣
٩٩-	من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه	٢٤٩
١٠٠-	من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة	٢٨٦
١٠١-	من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار	١٨٣
١٠٢-	من شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله	٣٩٥
١٠٣-	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد	١٦٨
١٠٤-	من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة	١٥٢
١٠٥-	من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار	١٨٠
١٠٦-	المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة	٣٨٢
١٠٧-	المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت جوراً وظلما، يملك سبع سنين	٣٨٢
١٠٨-	ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم	٤٣٧
١٠٩-	نعم إذا كثر الخبث	٤٠٢
١١٠-	هل تضارون في القمر ليلة البدر	٢٦٠
١١١-	والذي نفسي بيده إن شرابه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل	٤١٨
١١٢-	والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً	٣٩٧
١١٣-	وتدنو منهم الشمس، فيقول بعض الناس: ألا ترون إلى ما أنتم فيه	١٣٧
١١٤-	ولا يرمي رجل رجلاً بالكفر، ولا يرميه بالفسق إلا ارتدت عليه	٣٥٤

م	الحديث	رقم الصفحة
١١٥-	وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه	٢٥٢
١١٦-	ويل للعرب من شر قد اقترب قد فتح اليوم من ردم ياجوج ومأجوج	٤٠٦
١١٧-	يا أبا هريرة، إن الله خلق السماوات والأرضين وما بينهما في ستة أيام	٢٥٦
١١٨-	يا أبارزين، أليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به	٢٣٦
١١٩-	يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا	٢٤٠
١٢٠-	يحشر الله العباد، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان	٢٦٣
١٢١-	يخرج في آخر أمتي المهدي يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحا	٣٨٢
١٢٢-	يد الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار	٢٤٠، ٢٤٣
١٢٣-	يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي، فيحلئون عن الحوض	٤١٨
١٢٤-	يفتح الردم، ردم يأجوج ومأجوج	٤٠٣
١٢٥-	يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني	٢٦٠، ٢٧١
١٢٦-	يقول الله تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك، فيقول: أخرج بعث النار	٤٠٢
١٢٧-	يقول الله: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار	٢٦٣
١٢٨-	يكون من أمتي المهدي، فإن طال عمره أو قصر عمره	٣٨٣
١٢٩-	يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد	٤٤٥

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العلم	رقم الصفحة
١-	إبراهيم بن محمد بن السّريّ بن سهل الزّجّاج	٢٧٧
٢-	إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي	٩٦
٣-	أحمد أمين بن إبراهيم الطباخ	٣٨٨
٤-	أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي	٤٢٥
٥-	أحمد بن الحسين بن علي البيهقي	١٣٩
٦-	أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام ابن تيميّة	٩٦
٧-	أحمد بن علي بن محمد ابن حجر	١٨٢
٨-	أحمد بن فارس بن زكريا	١٦٥
٩-	أحمد بن محمد بن حنبل	٣٦٦
١٠-	أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي	١٢١
١١-	أحمد بن محمد شاكر	٣٨٤
١٢-	أحمد جاب الله شلبي	٦٥
١٣-	أحمد فؤاد الأول	٣٠
١٤-	أحمد ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي	٤٤٠
١٥-	إسماعيل باشا بن إبراهيم	٣٢
١٦-	إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد الصابوني	٤٤٥
١٧-	إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني	٣٤٩
١٨-	الجعد بن درهم	٢٥٠
١٩-	جمال الدين الأفغاني	٣٩
٢٠-	الجهم بن صفوان	٢٥٠
٢١-	الحسن بن علي بن خلف البربهاري	٤٤٠
٢٢-	الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا	٢٠
٢٣-	الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني	١٧٢
٢٤-	ربيعة الرأي	٢٢٣
٢٥-	رفاعة رافع الطهطاوي	٣٧
٢٦-	سعد باشا بن إبراهيم زغلول	٢٩

م	اسم العلم	رقم الصفحة
٢٧-	سليمان بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي	١٨٢
٢٨-	عبد الرحمن بن أبي حاتم	٣٤٣
٢٩-	العباسة بنت المهدي بن المنصور	٥٢
٣٠-	عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون	١٥٧
٣١-	عبد الرحمن بن ناصر السعدي	١٢١
٣٢-	عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز	٣٨٦
٣٣-	عبد الله بن محمّد بن علي بن عبد الله بن عبّاس السفاح	٣٨٦
٣٤-	عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني	٣٢١
٣٥-	عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان بن بطّة	٢٥٦
٣٦-	عثمان بن سعيد بن عثمان الداني	٣٩٢
٣٧-	عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي	١٩٥
٣٨-	علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري	٢٤٢
٣٩-	علي بن علي بن محمد بن أبي العز	١٠٦
٤٠-	علي بن محمد بن إبراهيم الخازن	١٨٢
٤١-	عياض بن موسى بن عياض اليحصبي	٤٢٠
٤٢-	القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي	٣٣٧
٤٣-	مالك بن أنس بن مالك	٢٢٣
٤٤-	المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير	١٥٤
٤٥-	محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم	١٢٤
٤٦-	محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي	١٨١
٤٧-	محمد بن أحمد بن إسماعيل بن مصطفى المقدَّم	٣٨٩
٤٨-	محمد بن أحمد بن سالم السفاريني	١٢٩
٤٩-	محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي	٢٥٠
٥٠-	محمد بن إسحاق بن خزيمة	٢٢٨
٥١-	محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري	١٣٨
٥٢-	محمد بن الحسن العسكري	٢٠
٥٣-	محمد بن الحسين بن إبراهيم الآبري	٣٨٣
٥٤-	محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري	١٢١
٥٥-	محمد بن جعفر بن إدريس الكَتَّاني	٣٨٥

م	اسم العلم	رقم الصفحة
٥٦-	محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي	٤٠٠
٥٧-	محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي	٤٤٩
٥٨-	محمد بن عبد الله بن عيسى ابن أبي زمنين	٢٣٢
٥٩-	محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي	٣٥٣
٦٠-	محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي القفال الكبير	٢٨٠
٦١-	محمد بن علي بن محمد ابن عربي	٢١
٦٢-	محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني	٣٨٥
٦٣-	محمد بن محمود بن حاجي القسطنطيني	٣٢٩
٦٤-	محمد بن يحيى بن منده	٣٤٨
٦٥-	محمد رشيد رضا	٤٢
٦٦-	محمد صديق خان بن حسن القنوجي	٣٨٥
٦٧-	محمد عبده بن حسن خير الله	٣٩
٦٨-	محمد علي باشا	٢٧
٦٩-	محمَّد ناصر الدين بن نوح بن آدم الألبانيّ	٢٨٣
٧٠-	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري	٢١
٧١-	مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري	١٣٨
٧٢-	مصطفى كامل باشا	٥٣
٧٣-	منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني	٣٦٦
٧٤-	نابليون ابن كارلوا وليتسيا بونابرت الأول	٢٦
٧٥-	النعمان بن ثابت بن زوطى	١٢٠
٧٦-	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر	٣٥٦

٤- فهرس الفرق

م	الفرقة	رقم الصفحة
١-	الأشاعرة	١٩
٢-	الخوارج	١٨
٣-	السالمية	٢٦٦
٤-	الشيعة	١٨
٥-	الصوفية	١٩
٦-	الفلاسفة	١٨
٧-	الكرامية	٢٦٦
٨-	الكلابية	٢٦٦
٩-	الماتريدية	٢٨٧
١٠-	المعتزلة	١٨
١١-	المعطلة	٢٢٧

٥- فهرس المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- الإبانة الكبرى – أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، ت: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، ن: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

٣- الإبانة عن أصول الديانة – أبي الحسن الأشعري، ت: د. فوقية حسين محمود، ن: دار الأنصار – القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٧هـ.

٤- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة – أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي، ت: عثمان عبد الله آدم الأثيوبي، ن: دار الراية للنشر – السعودية، ط: الثانية ، ١٤١٨هـ.

٥- ابن عثيمين الإمام الزاهد – د. ناصر الزهراني، ن: دار ابن الجوزي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٦- اتجاهات التفسير في العصر الراهن – عبد المجيد عبد السلام المحتسب، ن: مكتبة النهضة الإسلامية – الأردن، ط: الثالثة: ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٧- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر – د. فهد الرومي، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثالثة: ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م.

٨- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر – د. محمد محمد حسين، ن: مكتبة الآداب – الجماميزة، ط: الثانية: ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.

٩- إثبات الشفاعة – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: إبراهيم باجس عبد المجيد، ن: أضواء السلف، ط: الأولى١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٠- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان – محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، ت: شعيب الأرنؤوط، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

١١- الاحتجاج بالأثر على من أنكر بالمهدي المنتظر – حمود بن عبد الله التويجري، ن: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ.

١٢- أحكام القرآن – أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، ت: محمد صادق القمحاوي، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تاريخ الطبع: ١٤٠٥هـ.

١٣- الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة – محمد صديق حسن القنوجي، ن: دار ابن حزم، ط: ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

١٤- إحياء علوم الدين – أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ن: دار المعرفة – بيروت
١٥- الآراء الاعتقادية والصوفية للشيخ طنطاوي جوهري – محمد عاشور عبد اللطيف، وهي رسالة ماجستير قدمها الطالب لنيل درجة الماجستير في كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية.
١٦- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري – أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين ن: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: السابعة، ١٣٢٣ هـ.
١٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) – أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٨- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد – صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ن: دار ابن الجوزي، ط: الرابعة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١٩- الأساس في السنة وفقهها – العقائد الإسلامية – سعيد حوّى، ن: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط: الثانية – ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٢٠- الاستغاثة في الرد على البكري – لابن تيمية، ت: د. عبد الله بن دجين السهلي، ن: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.
٢١- الاستقامة – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ت: د. محمد رشاد سالم، ن: جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ.
٢٢- الأسماء والصفات – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ت: عبد الله بن محمد الحاشدي، ن: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م.
٢٣- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة – نخبة من العلماء، ن: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٤- أصول الدين – لعبد القاهر البغدادي، ن: دار الفنون التركية – استنبول، ط: الأولى، ١٣٤٦هـ.
٢٥- أصول السنة – أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ن: دار المنار – الخرج – السعودية، ط: الأولى، ١٤١١هـ
٢٦- أصول السنة – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (المتوفى: ٣٩٩هـ)، ت: عبد الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، ن: مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.
٢٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ن: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، ط : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.
٢٨- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد – صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، ن : مؤسسة الرسالة، ط :

الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م.
٢٩- اعتقاد أهل السنة – الحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، ت: جمال عزون، ن: دار ابن حزم – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٠- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث - أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ت: أحمد عصام الكاتب، ن: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠١هـ.
٣١- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين – فخر الدين الرازي، مراجعة: علي النشار، ن: دار الكتب العلمية، ط: ١٤٠٢هـ.
٣٢- الأعلام - خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، ن: دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
٣٣- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة - حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ت: حازم القاضي، ن: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٢هـ.
٣٤- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية – زكي محمد مجاهد، ن: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: الثانية: ١٩٩٤م.
٣٥- إعلام الموقعين عن رب العالمين - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، : دار الكتب العلمية – بيروت، : الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٣٦- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر) - عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: ١٣٤١هـ)، ن: دار ابن حزم - بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩م.
٣٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، ت: محمد حامد الفقي، ن: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ت: محمد عزير شمس، ن: دار عالم الفوائد - مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٣٢ هـ
٣٨- الاقتصاد في الاعتقاد - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ص٤٠، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٩- آكام المرجان في أحكام الجان - محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقيّ الحنفي، أبو عبد الله، بدر الدين ابن تقي الدين ت: إبراهيم محمد الجمل، ن: مكتبة القرآن - مصر – القاهرة.
٤٠- الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية - آمال بنت عبد العزيز العمرو.
٤١- الأم – للإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، ن: دار المعرفة – بيروت، ط: بدون ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٤٢- إمام العصر "سماحة الشيخ الإمام العلامة عبد العزيز بن باز" – د. ناصر الزهراني، ن: مؤسسة

الجريسي، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ.
٤٣- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار - لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، ت: سعود بن عبد العزيز الخلف، ن: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.
٤٤- الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز — عبد الرحمن بن يوسف الرحمة، ن: دار الهجرة، ط: الأولى، ١٤١٩هـ.
٤٥- الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارها في حياة الأمة، لعلي بن بخيت الزهراني.
٤٦- آثَار الشّيخ العَلاّمَة عَبْد الرّحمن بْن يحْيَي المعَلّمِيّ اليَماني - مجموعة من الباحثين، ن: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤٣٤ هـ.
٤٧- الإيمان - أبو عبد الله محمد بن إسحاق ابن مَنْدَه، ت: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، ن: مؤسسة الرسالة — بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ.
٤٨- الإيمان - لابن تيمية، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٤٩- الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته" - أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ن: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٥٠- الإيمان أركانه — حقيقته - نواقضه — د. محمد نعيم ياسين، ن: دار عمر بن الخطاب للنشر — مصر.
٥١- الإيمان الأوسط - لابن تيمية، ت : محمود أبو سن، ن : دار طيبة للنشر — الرياض، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.
٥٢- الإيمانُ بالجِنِّ بينَ الحقيقةِ والتَّهْويلِ - علي بن نايف الشحود، ط: الأولى - ٢٠١٠م -١٤٣٢هـ.
٥٣- بدائع الفوائد - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ن: دار الكتاب العربي، بيروت — لبنان، ن : مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط: الأولى ، ١٤١٦ — ١٩٩٦، ت: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - أشرف أحمد الج.
٥٤- البدور السافرة في أحوال الآخرة - جلال الدين أبي عبد الرحمن السيوطي، ت: محمد حسن الشافعي، ن: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط: الأولى: ١٤١٤٦هـ- ١٩٩٦م.
٥٥- البراهين والأدلة الكافية في القناعة برفع المسيح — سليمان بن عبد الرحمن حمدان، ن: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ط: الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٧م.
٥٦- البرهان في أصول الفقه — أبي المعالي الجويني، ت: د. عبد العظيم الديب، ن: ط: الأولى ١٣٩٩هـ.
٥٧- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ) ت: محمد علي النجار، ن: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث

الإسلامي، القاهرة.
٥٨- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: مجموعة من المحققين، ن: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.
٥٩- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية – لابن تيمية، ت: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ن: مطبعة الحكومة – مكة المكرمة، ط: الأولى ، ١٣٩٢هـ.
٦٠- تاج العروس من جواهر القاموس – محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، ن: دار الفكر – بيروت، ط: الأولى /١٤١٤ هـ، ت: مجموعة من المحققين، ن: دار الهداية.
٦١- التاج المرصع – طنطاوي جوهري، ت: طه عبد الرؤوف، ن: دار الحرم للتراث، ط: الأولى.
٦٢- تاريخ بغداد – أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ت: الدكتور بشار عواد معروف، ن: دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
٦٣- تاريخ مصر الحديث – جرجي زيدان، ن: مطبعة المقتطف – بمصر، ط: ١٣٠٦هـ.
٦٤- تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم – محمد صبري، ن: دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط: الأولى، ١٩٢٦م.
٦٥- تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٥١٧- ١٩٢٢م)، د. عمر عبد العزيز عمر، ن: دار المعرفة الجامعية – القاهرة، ط: ٢٠٠١م.
٦٦- تاريخ مصر الحديث والمعاصر – محمود عباس أحمد عبد الرحمن، ن: مكتبة بستان المعرفة ط: الأولى.
٦٧- تاريخ مصر قبل الاحتلال البريطاني وبعده للمسيو تيودور روذستين، ت: علي أحمد شكري، ن: مكتبة الهلال وغيرها، ط:١٣٥٤هـ.
٦٨- تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر – لعمر الإسكندري وسليم حسن، ن: مكتبة مدبولي بالقاهرة، ط: بدون .
٦٩- تبسيط العقائد الإسلامية – حسن محمد أيوب، ن: دار الندوة الجديدة، بيروت – لبنان، ط: الخامسة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
٧٠- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين – طاهر بن محمد الأسفراييني، أبو المظفر (المتوفى: ٤٧١هـ)، ت: كمال يوسف الحوت، ن: عالم الكتب – لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٧١- تحديق النظر في أخبار الإمام المهدي المنتظر – محمد بن عبد العزيز بن مانع، ت:عبد الإله بن عثمان الشايع، ن: دار الصمعي للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى – ١٤٣٠-٢٠٠٩.
٧٢- تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان – مرعي الكرمي الحنبلي، ت: مشهور حسن سلمان، ن: دار ابن القيم، ط: بدون.

٧٣- التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع – لابن تيمية، ت: د. محمد بن عودة السعوي، ن: مكتبة العبيكان – الرياض، ط: السادسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
٧٤- تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ – يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي، جمال الدين، ابن المِبْرَد الحنبلي (المتوفى: ٩٠٩ هـ)، ن: دار النوادر، سوريا، ط: الأولى، ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م.
٧٥- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة – أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، ن: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ
٧٦- التسعينية – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي (المتوفى: ٧٢٨ هـ)، ت: الدكتور محمد بن إبراهيم العجلان، ن: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
٧٧- التعريفات – علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت : إبراهيم الأبياري، ن : دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الأولى ، ١٤٠٥، و ن: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٧٨- التعريفات الإعتقادية – سعد بن محمد آل عبد اللطيف، ن: مدار الوطن للنشر، ط: الثانية، ١٤٣٢هـ .
٧٩- تفسير ابن عربي – أبو بكر محيي الدين محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي ، العارف الكبير، ابن عربي، ن: دار إحياء التراث العربي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٨٠- تفسير أسماء الله الحسنى – أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، ت: عبيد بن علي العبيد، ن: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: العدد ١١٢ – السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ.
٨١- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: محمد حسين شمس الدين، ن: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط: الأولى – ١٤١٩ هـ.، ت: سامي بن محمد سلامة، ن: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م،
٨٢- تفسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن – عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، ن: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ، ط: الأولى – ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
٨٣- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) – محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، ت: د. مجدي باسلوم، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٨٤- التفسير المنسوب إلى الإمام محمد الحسن بن علي العسكري، ت: مؤسسة الإمام المهدي، ط: الثانية.
٨٥- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) – أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين

النسفي، ت: يوسف علي بديوي، ن: دار الكلم الطيب، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
٨٦- التفسير والمفسرون — د. محمد حسين الذهبي، ن: مكتبة وهبة — القاهرة، ط: الثامنة، ١٤٢٤هـ.
٨٧- تقريب التدمرية - محمد بن صالح بن محمد العثيمين ص١١٦، ن: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الدمام، ط: الأولى، ١٤١٩هـ-
٨٨- تَكملَة مُعجم المؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥ هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥ م) - محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، ن: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، ط: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٨٩- التمهيد — لأبي بكر الباقلانين: المكتبة الشرقية — بيروت، ط:١٩٥٧م.
٩٠- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد - أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ت: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، ن: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية — المغرب، ط: ١٣٨٧هـ.
٩١- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع - محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين الملَطي العسقلاني، ت: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ن: المكتبة الأزهرية للتراث — مصر.
٩٢- التنويم المغناطيسي بين الحقيقة والخرافة = مجدي محمد الشهاوي، ن: مكتبة القرآن- القاهرة، ط: بدون.
٩٣- تهذيب اللغة - محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت: محمد عوض مرعب، ن: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط: الأولى، ٢٠٠١م.
٩٤- التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد - لأبي عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي، ت : د. علي بن محمد ناصر الفقيهي، ن: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار العلوم والحكم، سوريا، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٩٥- توضيح مقاصد العقيدة الواسطية (لابن تيمية) - عبد الرحمن بن ناصر البراك، ن: دار التدمرية، ط: الثالثة، ١٤٣٢هـ..
٩٦- التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب — د. عبد الله الدميجي، ن: دار الوطن — الرياض، ط: الأولى — ١٤١٧هـ.
٩٧- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد - سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ت: زهير الشاويش، ن: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
٩٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان — للسعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
٩٩- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن - أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، ن: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

١٠٠- ثل النبال بمعجم الرجال الذين ترجم لهم فضيلة الشيخ المحدث أبو إسحاق الحويني - أحمد بن عطية الوكيل، ن: دار ابن عباس، مصر، ط: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
١٠١- جامع البيان في تأويل القرآن - محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت : أحمد محمد شاكر، ن : مؤسسة الرسالة، ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٠٢- جامع الرسائل - تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشق، ت : د. محمد رشاد سالم، ن: دار العطاء – الرياض، ط : الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٠٣- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم - زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، (المتوفى: ٧٩٥هـ)، ت: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٠٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله - ﷺ - وسننه وأيامه = صحيح البخاري - محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، ن: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٠٥- الجامع لأحكام القرآن - أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ن: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
١٠٦- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين - نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي، ن: مطبعة المدني، ط: بدون، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
١٠٧- الجنة والنار- عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، ن: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط: السابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
١٠٨- جواب في الإيمان ونواقضه - عبدالرحمن بن ناصر البراك، ن: دار التدمرية، ط: الأولى، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
١٠٩- الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، المسمى "نفسير طنطاوي جوهري" - طنطاوي جوهري المصري (المتوفى: ١٣٥٨هـ)، ضبطه وصححه: محمد عبد السلام شاهين، ن: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ٢٠٠٤م.
١١٠- الجواهر في تفسير القرآن الكريم المشتمل على عجائب بدائع المكونات وغرائب الآيات الباهرات، المسمى "نفسير طنطاوي جوهري" - طنطاوي جوهري المصري (المتوفى: ١٣٥٨هـ)، ن: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: الثانية، ١٣٥٠هـ.
١١١- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ن: مطبعة المدني، القاهرة.
١١٢- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة - قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن

علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، ت: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، ن: دار الراية – السعودية – الرياض، ط: الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١١٣- الحذر من السحر – دراسة علمية لحقيقة السحر، وواقع أهله من منظور الكتاب والسنة، مع بيان المشروع في الوقاية والعلاج – د خالد بن عبد الرحمن بن علي الجريسي، ن: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.

١١٤- حركة التجديد والإصلاح في نجد – لعبد الله العجلان، ن: عبد الله العجلان، ط: الأولى، ١٤٠٩هـ.

١١٥- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية — عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، ن: دار ابن القيم– الدمام، ط: الثانية — ١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.

١١٦- حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة – د عواد بن عبد الله المعتق، ن: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط: السنة ٣٤ – العدد ١١٥ – ١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.

١١٧- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، ن: السعادة – بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م.

١١٨- الحوار بين الأديان (حقيقته وأنواعه) عبدالرحيم بن صمايل السلمي، ن: المكتبة الشاملة.

١١٩- خلق أفعال العباد – محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، ت: د. عبد الرحمن عميرة، ن: دار المعارف السعودية — الرياض.

١٢٠- داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب – عبد العزيز شلبي سيد الأهل (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، ن: دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: الثالثة، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٦م.

١٢١- درء تعارض العقل والنقل – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: الدكتور محمد رشاد سالم، ن: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م.

١٢٢- الدرر الثمين في ترجمة في فقيد الأمة العلاَّمة ابن عثيمين — عصام المري، ن: دار البصيرة – الإسكندرية، ط: بدون.

١٢٣- الدرر السنية في الأجوبة النجدية – علماء نجد الأعلام، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٢٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة – أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، ت: محمد عبد المعيد ضان، ن: مجلس دائرة المعارف العثمانية – صيدر اباد/ الهند، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

١٢٥- الرَّدُّ عَلى الجَهَمِّيَة – أبي سَعِيدٍ عُثمَانَ بن سعِيدٍ الدَّارمِيِّ، ت: أَبُوُ عَاصِم الشَّوَامِيّ الأَثَرِي، ن: المكتبة الإسلامية، القاهرة — مصر، ط: الأولى، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

١٢٦- الرد على الجهمية والزنادقة – لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: صبري بن سلامة شاهين، ن: دار الثبات للنشر والتوزيع، ط: الأولى.

١٢٧- الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد بن عبد الله السمهري، ن: دار بلنسية — الرياض، ط: الأولى، ١٤١٥، هـ – ١٩٩٥م.
١٢٨- الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي ضمن كتب ورسائل عبد المحسن العباد البدر، ن: دار التوحيد للنشر، ط: الأولى –١٤٢٨هـ.
١٢٩- الرسالة – للإمام الشافعي، ت: أحمد شاكر، ن: مكتبه الحلبي، مصر، ط: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.
١٣٠- الرسالة العرشية – تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : ٧٢٨هـ)، ن: المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، ط: الأولى، ١٣٩٩هـ.
١٣١- الرسالة الكيلانية – لابن تيمية، ن: المكتبة الشاملة.
١٣٢- الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات – عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، ت: دغش بن شبيب العجمي، ن: دار الإمام أحمد — الكويت، ط: الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.
١٣٣- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب – أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، ت: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، ن: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤١٣هـ، ت: د. فوقية حسين محمود، ن: دار الأنصار — القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٧هـ.
١٣٤- رسائل ابن سيناء، ن: دائرة المعارف العثمانية، ط: الأولى، ١٣٥٤هـ.
١٣٥- رسائل إخوان الصفاء وخلان الوفاء – مراجعة خير الدين الزركلي، ن: مؤسسة هنداوي للنشر، عام: ٢٠١٧م.
١٣٦- الرسل والرسالات – عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ن: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، ط: الرابعة، ١٤١٠ هـ – ١٩٨٩ م.
١٣٧- رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار – محمد بن إسماعيل الصنعاني، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي — بيروت، ن: الأولى – ١٤٠٥ هـ.
١٣٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، ت: علي عبد الباري عطية، ن: دار الكتب العلمية — بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٣٩- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ن: دار الكتب العلمية — بيروت.
١٤٠- الروحية الحديثة دعوة هدامة تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية — د.محمد محمد حسين ص٩، ن: مؤسسة الرسالة.
١٤١- رياض الجنة بتخريج أصول السنة – أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن أبي زمنين) ت: عبد

الله بن محمد عبد الرحيم بن حسين البخاري، ن: مكتبة الغرباء الأثرية، ط: ١٤١٥ هـ.

١٤٢- زاد المسير في علم التفسير - جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ت: عبد الرزاق المهدي، ن: دار الكتاب العربي — بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ

١٤٣- زاد المعاد في هدي خير العباد — ابن القيم، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

١٤٤- الزهد والرقائق - أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المْروزي (المتوفى: ١٨١هـ)، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، ن: دار الكتب العلمية — بيروت.

١٤٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، ن: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، (لمكتبة المعارف).

١٤٦- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، ن: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

١٤٧- السنة عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانيّ، ت: د. محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، ن: دار ابن القيم — الدمام، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

١٤٨- السنة - لأبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، ت: محمد ناصر الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي — بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٠هـ.

١٤٩- سنن ابن ماجة - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، ن: دار الرسالة العالمية، ط: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

١٥٠- سنن ابن ماجه - ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، ط: بدون.

١٥١- سنن أبي داود - أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ن: المكتبة العصرية، صيدا — بيروت.

١٥٢- سنن الترمذي - محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، ت: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي — مصر، ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

١٥٣- السنن الكبرى - أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، ن: مؤسسة الرسالة — بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

١٥٤- سير أعلام النبلاء – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ن : مؤسسة الرسالة، ط : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

١٥٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب – عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، ت: محمود الأرناؤوط، ن: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

١٥٦- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة- هبة الله للالكائي، ، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ن: دار طيبة – السعودية، ط: الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

١٥٧- شرح الأصول الخمسة – للقاضي عبد الجبار بن أحمد، ت: عبد الكريم عثمان، ن: مكتبة وهبة – القاهرة، ط: الثالثة، ١٤١٦هـ.

١٥٨- شرح السنة – أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، ت: خالد الردادي، ن: مكتبة الغرباء الارثية، ط: الأولى، ١٤١٤هـ.

١٥٩- شرح العقيدة الأصفهانية – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: محمد بن رياض الأحمد، ن: المكتبة العصرية – بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٥هـ.

١٦٠- شرح العقيدة الطحاوية – صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، ت: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، وت: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني، ن: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ _ ١٩٨٤م.

١٦١- شرح العقيدة الواسطية – لابن مانع، ن: مكتبة المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: بدون.

١٦٢- شرح العقيدة الواسطية – محمد بن خليل حسن هرّاس، ن: دار الهجرة للنشر والتوزيع – الخبر، ط: الثالثة، ١٤١٥ هـ.

١٦٣- شرح العقيدة الواسطية – محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ن: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط: السادسة، ١٤٢١هـ، ن: دار الثريا، ط:الثانية، ١٤٢٤هـ.

١٦٤- شرح القواعد الأربع (للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب) – عبد الرحمن بن ناصر البراك، ن: سلسلة منشورات مؤسسة شبكة نور الإسلام، ط: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

١٦٥- شرح المقاصد في علم الكلام – سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، ت: عبد الرحمن عميرة، ن: دار عالم الكتب – بيروت، ط: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٦٦- شرح ثلاثة الأصول – محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ، ن: دار الثريا للنشر، ط: الرابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، -

١٦٧- شرح صحيح البخاري – لابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ن: مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
١٦٨- شرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة – محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ن: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م
١٦٩- شرح مشكل الآثار – أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) ، ت: شعيب الأرنؤوط، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى – ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م.
١٧٠- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة – أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري، ت: رضا معطي، ن: مكتبة العلوم والحكم، ط: الأولى ، ١٤٢٣هـ.
١٧١- الشريعة – أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، ت: د. عبد الله بن عمر الدميجي، ن: دار الوطن للنشر — الرياض، ط: الأولى ١٤١٨هـ — ١٩٩٧م، ط: الثانية، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.
١٧٢- شعب الإيمان – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، ت: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ن: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.
١٧٣- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل- محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ن: دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط: ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
١٧٤- الشيخ طنطاوي جوهري دراسة ونصوص د. عبد العزيز جادو، ن: دار المعارف، ط: بدون.
١٧٥- الصارم المسلول على شاتم الرسول – لابن تيمية، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، ن: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، ط: بدون.
١٧٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية – أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ن: دار العلم للملايين — بيروت، ط: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
١٧٧- الصفدية – تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت : محمد رشاد سالم، ن: مكتية ابن تيمية، مصر، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ.
١٧٨- الصلاة وأحكام تاركها – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ن: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة،.
١٧٩- الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: علي بن محمد الدخيل الله، ن: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ
١٨٠- ضحى الإسلام — محمد أمين ن: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط: بدون.

١٨١- ضوابط التكفير – د. عبد الله القرني، ن: تكوين للدراسات والأبحاث، ط: الثالثة، عام: ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
١٨٢- ضوابط التكفير المعين عند شيخي الإسلام ابن تيمية وابن عبد الوهاب وعلماء الدعوة الإصلاحية – أبي العلا راشد أبي العلا، ن: بدون، ط: الثانية: ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
١٨٣- طبقات الشافعية الكبرى - تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، ت: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، ن: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط: الثانية، ١٤١٣هـ.
١٨٤- طريق الهجرتين وباب السعادتين - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ن: دار السلفية، القاهرة، مصر، ط: الثانية، ١٣٩٤هـ.
١٨٥- عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة – د. عبد الكريم نوفان عبيدات، ن: دار إشبليا – المملكة العربية السعودية، ط: الثانية: ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
١٨٦- عالم الجن والشياطين - عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر، ن: مكتبة الفلاح، الكويت، ط: الرابعة، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
١٨٧- عالم السحر والشعوذة – د. عمر سليمان الأشقر، ن: دار النفائس – الأردن، ط: الثالثة – ١٤١٨هـ.
١٨٨- عالم الملائكة الأبرار - عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ن: مكتبة الفلاح، الكويت، ط: الثالثة، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١٨٩- العبودية - لابن تيمية، ت: محمد زهير الشاويش، ن: المكتب الإسلامي – بيروت، ط: الطبعة السابعة المجددة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٩٠- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ن: دار ابن كثير، دمشق، بيروت - مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
١٩١- العرش - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، ت: محمد بن خليفة بن علي التميمي، ن: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
١٩٢- العظمة - أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، ت: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ن: دار العاصمة – الرياض، ط: الأولى، ١٤٠٨
١٩٣- العقائد الإسلامية - سيد سابق، ن: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: بدون.
١٩٤- عقيدة السلف وأصحاب الحديث – لأبي عثمان إسماعيل الصابوني، ت: د. ناصر الجديع، ن: دار العاصمة – المملكة العربية السعودية، ط: الثانية، ١٤١٩هـ، .
١٩٥- العقيدة الواسطية: اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة – لابن تيمية، ت: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، ن: أضواء السلف – الرياض، ط: الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

١٩٦- عقيدة أهل السنة والجماعة – لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين ، ن: الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ط: الرابعة، ١٤٢٢ هـ.
١٩٧- العقيدة الإسلامية وأسسها – عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ن: دار القلم – بيروت ، ط: الثانية، ١٣٩٩هـ.
١٩٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري – أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٩٩- غاية المرام في علم الكلام – الآمدي، ت: حسن محمود عبد اللطيف، ن: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة.
٢٠٠- الفتاوى الكبرى لابن تيمية – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ن: دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٢٠١- فتاوى اللجنة الدائمة – اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، ن: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الإدارة العامة للطبع – الرياض.
٢٠٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري – أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ن: دار المعرفة – بيروت، ط:١٣٧٩هـ.
٢٠٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري – زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، ت: مجموعة من المحققين، ن: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية.، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
٢٠٤- فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي – شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي، ت: عبد الكريم الخضير – محمد آل فهيد، ن: مكتبة دار المنهاج – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٦هـ.
٢٠٥- الفتوى الحموية الكبرى – تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: د. حمد بن عبد المحسن التويجري، ن: دار الصميعي – الرياض، ط: الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٢٠٦- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية – عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، ن: دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط: الثانية.
٢٠٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان – لابن تيمية، ت: عبد القادر الأرناؤوط، ن: مكتبة دار البيان، دمشق، ط: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٢٠٨- الفصل في الملل والأهواء والنحل – أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري ن: مكتبة الخانجي – القاهرة.
٢٠٩- فصل في بيان اعتقاد أهل الإيمان – لأبي طاهر بن إبراهيم القرشي، ن: مكتبة الغرباء الأثرية ، ط:

بدون.
٢١٠- الفقه الأكبر – أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، شرحه الامام ملا علي القاري الحنفي ت:١٠٠١هـ، ن: دار الكتب العربية الكبرى – بمصر، ط: بدون. و ن: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، ط: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
٢١١- الفوائد – لابن القيم، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.
٢١٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير – زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، ن: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط: الأولى، ١٣٥٦هـ.
٢١٣- قاعدة جامعة في توحيد الله وإخلاص الوجه والعمل له عبادة واستعانة – تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: عبد الله بن محمد البصيري، ن: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٢١٤- القاموس المحيط – مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ن: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
٢١٥- القرآن والعلوم العصرية– طنطاوي جوهري، ن: مطبعة مصطفى البابي وأولاده – مصر، ط: الثانية، ١٣٧١هـ– ١٩٥٠م.
٢١٦- القضاء والقدر – أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، ت: محمد بن عبد الله آل عامر، ن: مكتبة العبيكان – الرياض – السعودية، ط: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
٢١٧- القضاء والقدر – عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، ن: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط: الثالثة عشر، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م.
٢١٨- قطف الثمار بآخر ما حدث به شيخنا الألباني من أخبار – صفحات بيضاء من حياة الإمام– عطية عودة، ن: دار الآثار، ط: الثانية، ١٤٢٢هـ.
٢١٩- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى – محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ن: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط: الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
٢٢٠- القول السديد شرح كتاب التوحيد – أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي، ت: المرتضى الزين أحمد، ن: مجموعة التحف النفائس الدولية، ط: الثالثة.
٢٢١- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد – عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ن: دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية / دار ابن عفان، القاهرة، مصر، ط: الثالثة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م
٢٢٢- القول المفيد على كتاب التوحيد – لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين، ن: دار ابن الجوزي، المملكة

العربية السعودية
٢٢٣- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ت: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، ن: دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
٢٢٤- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (نونية ابن القيم) — لابن القيم، ت: محمد بن عبدالرحمن العريفي، ناصر بن يحيى الجنيني، عبدالله بن عبدالرحمن الهذيل، فهد بن علي المساعد، ن: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع — مكة، ط: الأولى ١٤٢٨هـ.
٢٢٥- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل - أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، ت: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، ن: مكتبة الرشد - السعودية — الرياض، ط: الخامسة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
٢٢٦- كتاب العين - لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، ن: دار ومكتبة الهلال.
٢٢٧- كتاب المنقذ من الضلال - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، ت: د. محمد محمد أبو ليلة، د. نور شيف عبد الرحيم رفعت، ن: جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن — الولايات المتحدة الأمريكية، ط: ٢٠٠١م.
٢٢٨- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ن: دار الكتاب العربي — بيروت، ط: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٢٢٩- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون - مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة، ن: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية، ط: بدون، ١٩٤١م.
٢٣٠- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية - أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي ت: عدنان درويش - محمد المصري، ن: مؤسسة الرسالة — بيروت.
٢٣١- كواشف زيوف - عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، ن: دار القلم، دمشق، ط: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.
٢٣٢- كوثَر المعَاني الدَّرَارِي في كَشْفِ خَبَايا صَحِيحْ البُخَاري - محمَّد الخَضِر بن سيد عبد الله بن أحمد الجكني الشنقيطي، ن: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٣٣- لباب التأويل في معاني التنزيل - علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، ت: تصحيح محمد علي شاهين، ن: دار الكتب العلمية — بيروت، ط: الأولى - ١٤١٥ هـ.
٢٣٤- لسان العرب - محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، ن: دار صادر — بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ..

٢٣٥- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية – شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، ن: مؤسسة الخافقين ومكتبتها — دمشق، ط: الثانية – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

٢٣٦- متن القصيدة النونية – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ن: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط: الثانية، ١٤١٧هـ.

٢٣٧- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى القرن الرابع عشر – عبد المتعال الصعيدي، ن: مكتبة الآداب للنشر، ط: الأولى، ١٩٨٩م.

٢٣٨- مجلة اخترنا للطالب عنوانه: في ذكرى طنطاوي جوهري – علي الجمبلاطي، ن: الدار القومية للنشر، ط: بدون.

٢٣٩- مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد.

٢٤٠- مجموع الفتاوى — تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ن: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢٤١- المجموع شرح المهذب - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ن: دار الفكر

٢٤٢- مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين – محمد بن صالح بن محمد العثيمين، ت: في فتاوى العقيدة وفي الجمع والترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ن : دار الوطن – دار الثريا، ط : الأخيرة – ١٤١٣ هـ.

٢٤٣- مختار الصحاح – زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ت: يوسف الشيخ محمد، ن: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت — صيدا، ط: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٢٤٤- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة — مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي، ت: سيد إبراهيم، ن: دار الحديث، القاهرة — مصر، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م، ن: أضواء السلف.

٢٤٥- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، ن: دار الكتاب العربي — بيروت، ط: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

٢٤٦- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها – د. غالب بن علي عواجي، ن: المكتبة العصرية الذهبية — جدة، ط: الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م

٢٤٧- مذاهب فكرية معاصرة — محمد قطب، ن: دار الشروق، ط: الأولى، ١٤٠٣هـ.

٢٤٨- مرآة العصر في تاريخ و رسوم أكابر الرجال بمصر – إلياس زخورا ، ن: مطبعة إلياس زخورا بقنطرة الدكة بمصر، ط: بدون: عام: ١٣٣٤هـ – ١٩١٦م.
٢٤٩- مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات – لابن حزم الظاهري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: بدون.
٢٥٠- مساوئ الأخلاق ومذمومها – أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، ت: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، ن: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
٢٥١- المستدرك على الصحيحين – أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، ت: مصطفى عبد القادر عطا، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٢٥٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل – أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، وتعليق أحمد شاكر ن: دار الحديث – القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٥٣- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – ﷺ – مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٥٤- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول – حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، ت : عمر بن محمود أبو عمر، ن: دار ابن القيم – الدمام، ط: الأولى ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٢٥٥- معالم السنن – حمد بن محمد للخطابي، ن: المطبعة العلمية لمحمد راغب الطباخ، ط: الأولى، ١٣٥١هـ.
٢٥٦- معالم ومنارات في تنزيل نصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والملاحم– عبد الله صالح العجيري، ن: الدرر السنية – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٣٣هـ.
٢٥٧- المعتصر شرح كتاب التوحيد – علي بن خضير الخضير، ن: بدون، ط: بدون.
٢٥٨- معجم ألفاظ العقيدة – أبي عبد الله عامر فالح، ن: مكتبة العبيكان، ط: الأولى، ١٤١٧هـ.
٢٥٩- معجم اللغة العربية المعاصرة – د أحمد مختار عبد الحميد عمر، ن: عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٢٦٠- معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» – عادل نويهض، ن: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
٢٦١- معجم المؤلفين – عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، ن: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٢٦٢- معجم مقاييس اللغة – أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبد السلام محمد هارون، ن: دار

الفكر، ط: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٦٣- المعْلم بفوائد مسلم - لأبي عبد الله محمد بن علي بن عمر التَّمِيمي المازري المالكي، ت: محمد الشاذلي النيفر، ن: المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، ط: الثانية، ١٩٨٨ م، والجزء الثالث صدر بتاريخ ١٩٩١م.
٢٦٤- المغني لابن قدامة - أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، ن: مكتبة القاهرة، ط: بدون: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
٢٦٥- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير - أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، ن: دار إحياء التراث العربي — بيروت ، ط: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
٢٦٦- المفردات في غريب القرآن - أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ن: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط: الأولى - ١٤١٢ هـ، ن: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط: بدون.
٢٦٧- المفسرون مدارسهم ومناهجهم - د. فضل حسن عباس، ن: دار النفائس — الأردن، ط: بدون.
٢٦٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين - المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، ن: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
٢٦٩- مقدمة ابن خلدون — عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، ت: أبو عبد الله السعيد المندوه، ن: مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، المكتبة التجارية — مكة المكرمة، ط: الأولى: ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م، ٢٠٠٤م، ت: عبد الله الدرويش. ن: دار يعرب، ط: الأولى — ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٢٧٠- المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى - أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ت: بسام عبد الوهاب الجابي، ن: الجفان والجابي — قبرص، ط: الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٢٧١- الملل والنحل - أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني، ن: مؤسسة الحلبي، ط: بدون.
٢٧٢- المنار المنيف في الصحيح والضعيف - محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ت: عبد الفتاح أبو غدة، ن: مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط: الأولى، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.
٢٧٣- منارات في تنزيل نصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث — عبد الله العجيري، ن: الدرر السنية، ط: الأولى — ١٤٣٣هـ.
٢٧٤- مناقب الإمام الشافعي - محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم، أبو الحسن الآبري، ت: د. جمال عزون، ن: الدار الأثرية، ط: الأولى ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٢٧٥- مناهج الاستدلال على مسائل العقيدة على مسائل العقيدة الإسلامية في العصر الحديث (مصر نموذجا) د. أحمد قوشتي، ن: مركز التأصيل للدراسة والبحوث، ط: الأولى،١٤٣٣هـ.

٢٧٦- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية – لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، ن: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
٢٧٧- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.
٢٧٨- منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة - لتامر محمد محمود متولي، ن: دار ماجد عسيري، ط: الأولى ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٧٩- المهدي - محمد إسماعيل المقدم، ن: الدار العالمية، ط: الحادية عشر ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
٢٨٠- المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وآراء الفرق المختلفة – د. عبد العليم البستوي، ن: دار ابن حزم – بيروت لبنان، ط: الأولى – ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٢٨١- الموافقات - إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ن: دار ابن عفان، ط: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
٢٨٢- المواقف - عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، ت: د.عبد الرحمن عميرة، ن : دار الجيل – بيروت، ط: الأولى، ١٩٩٧م.
٢٨٣- موجز دائرة المعارف الإسلامية – مجموعة من المؤلفين، ن: مركز الشارقة للإبداع الفكري، ط: الأولى: ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
٢٨٤- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – أحمد شلبي، ن: مكتبة النهضة المصرية، ط: الثالثة: ١٩٧٧م.
٢٨٥- موسوعة العقيدة والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة – مجموعة من الباحثين، ن: دار التوحيد للنشر – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى – ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م.
٢٨٦- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – د. مانع الجهني، ن: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط: الخامسة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢٨٧- الموطأ - مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، ت: محمد مصطفى الأعظمي، ن: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي – الإمارات، ط: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢٨٨- موقف الإسلام من السحر – دراسة نقدية على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة – حياة سعيد عمر با أخضر، ن: دار المجتمع – جدة، ط: الأولى- ١٤١٥هـ.
٢٨٩- ميزان الجواهر في عجائب الكون الباهر – طنطاوي جوهري، ص١٠٩، ن: المطبعة المتوسطة بشارع الرويعي – مصر، ط: الأولى: ١٣١٨هـ.
٢٩٠- النبوات - لابن تيمية، ت: عبد العزيز بن صالح الطويان، ن: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٢٩١- النسر الأعظم – يوسف البستاني، ن: مؤسسة هنداوي، ط: بدون.

٢٩٢- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام – د. علي سامي النشار، ن: دار المعارف – القاهرة، ط: التاسعة.
٢٩٣- نظرة في تاريخ حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها عند جمهور المسلمين – أحمد تيمور باشا، ن: دار القادري – بيروت، ط: الأولى: ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
٢٩٤- نظم المتناثر من الحديث المتواتر – للشيخ محمد بن جعفر الكتاني، ن: دار الكتب السلفية، ط: الثانية.
٢٩٥- نهاية الإقدام في علم الكلام – للشهرستاني، ت: أحمد فريد المزيدي، ن: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى -١٤٢٥هـ.
٢٩٦- النهاية في الفتن والملاحم – أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ت: محمد أحمد عبد العزيز، ن: دار الجيل، بيروت – لبنان، ط: ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.
٢٩٧- النهاية في غريب الحديث والأثر – مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، ت: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي، ن: المكتبة العلمية – بيروت، ط: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
٢٩٨- نهضة الأمة وحياتها – طنطاوي جوهري، ت: حازم زكريا محيي الدين، ن: دار الكتاب المصري – القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ط: ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م، ن: مطبعة مصطفى الباني وأولاده بمصر، ط: الثانية- ١٣٥٣هـ- ١٩٣٤م.
٢٩٩- نواقض الإيمان القولية والعملية – د. عبد العزيز العبد اللطيف، ط: مدار الوطن للنشر، ط: الثالثة، ١٤٢٧هـ.
٣٠٠- الوابل الصيب من الكلم الطيب – محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، ت: سيد إبراهيم، ن: دار الحديث – القاهرة، ط: الثالثة، ١٩٩٩ م.
٣٠١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، ت: إحسان عباس، ن: دار صادر – بيروت، ط: الأولى ، ١٩٩٤م.
٣٠٢- الوافي بالوفيات – صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ن: دار إحياء التراث – بيروت، ط: بدون ،١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٣٠٣- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار – أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، ت: د. أحمد حجازي السقا، ن: مكتبة عاطف – دار الأنصار – القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٨هـ – ١٩٨٧م.
٣٠٤- يوم القيامة ومشاهده في الكتاب والسنة دراسة تحليلية موضوعية – د. دوخي الحارثي، ن: دار الطرفين، ط: بدون، ١٤٣٤هـ.

٦- فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
ملخص الرسالة	٣
Abstract	٥
المقدمــة	٦
كلمة شكر وتقدير	١٥
التمهيد	١٦
الباب الأول: الشيخ طنطاوي جوهري وتفسيره	٢٣
الفصل الأول: حياة طنطاوي جوهري وعصره	٢٤
المبحث الأول: عصره من الناحية السياسية، والاجتماعية، والعلمية، والدينية	٢٥
المطلب الأول: الناحية السياسية في عصره	٢٥
المطلب الثاني: الناحية الاجتماعية في عصره	٣١
المطلب الثالث: الناحية العلمية في عصره	٣٥
المطلب الرابع: الناحية الدينية في عصره	٣٩
المبحث الثاني: حياته الشخصية والعلمية	٤٧
المطلب الأول: حياته الشخصية	٤٧
المطلب الثاني: حياته العلمية والعملية	٤٨
المطلب الثالث: حياته الاجتماعية وحركته الاصلاحية	٥٢
المطلب الرابع: مؤلفاته وآثاره العلمية	٥٥
المطلب الخامس: وفاته	٦٠
المبحث الثالث: انتمائه الفكري، ومذهبه الفقهي	٦٢
المطلب الأول: انتمائه الفكري	٦٢
المطلب الثاني: مذهبه الفقهي	٦٥
المبحث الرابع: التفسير العلمي التجريبي	٦٧
الفصل الثاني: الجواهر في تفسير القرآن الكريم	٧٥
تمهيد	٧٦
المبحث الأول: مصادره	٨٠
المبحث الثاني: منهجه في التفسير	٨٣

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثالث: منهجه في تقرير مسائل العقيدة	٨٨
تمهيد	٨٩
المبحث الأول: موقف طنطاوي جوهري من الدليل النقلي	٩٢
المبحث الثاني: موقف طنطاوي جوهري من الدليل العقلي	٩٥
المبحث الثالث: موقفه من الاستدلال بالعلم الحديث على مسائل العقيدة	٩٧
الباب الثاني: آراء طنطاوي جوهري في مسائل التوحيد	١٠٣
الفصل الأول: آراء طنطاوي جوهري في مسائل توحيد الربوبية	١٠٤
المبحث الأول: أدلة وجود الله	١٠٥
المطلب الأول: طرق المعرفة عند طنطاوي جوهري	١٠٥
المطلب الثاني: استدلال طنطاوي جوهري على وجود الله	١١٢
المبحث الثاني: تعريف التوحيد، وأقسامه	١٢٠
المطلب الأول: تعريف التوحيد	١٢٠
المطلب الثاني: توحيد الربوبية	١٢٧
المبحث الثالث: رأي طنطاوي في خلق آدم	١٣٦
المطلب الأول: خلق آدم في الكتاب والسنة	١٣٦
المطلب الثاني: رأي طنطاوي في خلق آدم	١٣٩
المطلب الثالث: مناقشة طنطاوي في المسألة	١٤٥
الفصل الثاني: آراء طنطاوي جوهري في مسائل توحيد الألوهية	١٥٠
المبحث الأول: تعريف الألوهية في اللغة والاصطلاح	١٥١
المبحث الثاني: العبادة	١٦٥
المبحث الثالث: معنى الطاغوت	١٧١
المبحث الرابع: التوكل على الله	١٧٤
المبحث الخامس: نواقض توحيد الألوهية	١٧٨
الفصل الثالث: آراء طنطاوي جوهري في مسائل توحيد الأسماء والصفات	١٩٩
المبحث الأول: أسماء الله الحسنى	٢٠٠
المبحث الثاني: قواعد في صفات الله	٢١٧
المبحث الثالث: صفات الله ﷻ مفصلاً	٢٢٦
المبحث الرابع: معنى الكرسي والعرش	٢٧٧
الباب الثالث: آراء طنطاوي جوهري في مسائل النبوات والغيب	٢٩١

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الأول: الإيمان بالأنبياء والرسل	٢٩٢
تمهيد	٢٩٣
المبحث الأول: الفرق بين النبي والرسول	٢٩٤
المبحث الثاني: معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء	٢٩٨
المبحث الثالث: بعثة النبي إلى الثقلين	٣٠٥
الفصل الثاني: الإيمان بالغيب	٣٠٩
المبحث الأول: عالم الملائكة	٣١٠
المطلب الأول: تعريف الملائكة	٣١٠
المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة	٣١٢
المطلب الثالث: هل الملائكة ثابتة بالعقل أم النقل	٣١٣
المبحث الثاني: عالم الجن	٣١٧
المطلب الأول: تعريف الجن	٣١٧
المطلب الثاني: الإيمان بوجود الجن	٣١٨
المطلب الثالث: دلالة العقل على إثبات الجن	٣٢١
المبحث الثالث: عالم الأرواح	٣٢٤
المطلب الأول: تعريف الروح	٣٢٤
المطلب الثاني: الإيمان بإثبات الروح	٣٢٥
المطلب الثالث: بقاء الأرواح بعد موت الإنسان	٣٢٦
المطلب الرابع: تحضير الأرواح	٣٢٩
الباب الرابع: آراء طنطاوي جوهري في مسائل الإيمان والأسماء والأحكام والقدر	٣٣٥
الفصل الأول: مسائل الإيمان والأسماء والأحكام	٣٣٦
المبحث الأول: مسائل الإيمان	٣٣٧
المطلب الأول: مفهوم الإيمان	٣٣٧
المطلب الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه	٣٤٥
المطلب الثاني: مراتب الإيمان	٣٤٧
المبحث الثاني: مسائل الأسماء والأحكام	٣٥١
المطلب الأول: دخول الأعمال في مسمى الإيمان	٣٥١
المطلب الثاني: تكفير المعين	٣٥٢

الموضوع	رقم الصفحة
المطلب الثالث: حكم مرتكب الكبيرة	٣٥٦
الفصل الثاني: آراء طنطاوي جوهري في مسائل القدر	٣٥٩
تمهيد	٣٦٠
الباب الخامس: آراء طنطاوي جوهري في مسائل اليوم الآخر	٣٨٠
الفصل الأول: أشراط الساعة	٣٨١
المبحث الأول: ظهور المهدي	٣٨٢
المبحث الثاني: ظهور المسيح الدجال	٣٩١
المبحث الثالث: نزول عيسى ابن مريم	٣٩٥
المبحث الرابع: خروج قوم يأجوج ومأجوج	٤٠٢
الفصل الثاني: عذاب القبر ونعيمه	٤٠٩
الفصل الثالث: أحوال يوم القيامة	٤١٤
توطئة	٤١٥
المبحث الأول: ورود الناس الحوض يوم القيامة	٤١٦
المطلب الأول: تعريف الحوض	٤١٦
المطلب الثاني: ثبوتية الحوض	٤١٦
المبحث الثاني: الشفاعة	٤٢١
المطلب الأول: تعريف الشفاعة	٤٢١
المطلب الثاني: ثبوتية الشفاعة	٤٢٢
المطلب الثالث: أنواع الشفاعة	٤٢٣
المبحث الثالث: الميزان	٤٢٩
المطلب الأول: تعريف الميزان	٤٢٩
المطلب الثاني: ثبوتية الميزان	٤٢٩
الفصل الرابع: الجنة والنار	٤٣٣
المبحث الأول: إثبات الجنة والنار	٤٣٤
المطلب الأول: تعريف الجنة والنار	٤٣٤
المطلب الثاني: إثبات الجنة والنار	٤٣٤
المبحث الثاني: تحديد مكان الجنة والنار	٤٤٠
المبحث الثالث: أبدية الجنة والنار	٤٤٤
الخاتمة	٤٥٦

الموضوع	رقم الصفحة
الفهارس	٤٦٠
١- فهرس الآيات القرآنية	٤٦١
٢- فهرس الأحاديث النبوية	٤٨٥
٣- فهرس الأعلام المترجم لهم	٤٩٢
٤- فهرس الفرق	٤٩٥
٥- فهرس المصادر والمراجع	٤٩٦
٦- فهرس الموضوعات	٥١٨